صلاح مؤيد العقبي

الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر

تاريخها ونشاطها

دار البراق

بسم الله الرحمن الرحيم

«ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا»[1]

«القرآن الكريم»

---

[1] - الكهف آية ١٠

الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها

مكتبة الشرق

مقابل المعهد العالم العربي - باريس

Librairie de l'Orient
18, rue des fossés Saint Bernard
75005 Paris
Tél : 01 40 51 85 33 / Fax : 01 40 46 06 46
- face à l'Institut du Monde Arabe -
E-mail : orient@orient-lib.com / Web site : orient-lib.com

ISBN : 2-84161-175-2
EAN : 9782841611751

E-mail : albouraq@albouraq.com / Web site : www.albouraq.com

دار البراق - لبنان - بيروت

الجزء الأول

التصوف

التصوف علم من العلوم الإسلامية، وهو في حقيقة أمره روح الإسلام وجوهره، لأنه تصفية القلب وتطهيره من رجاساته عن غير الله، وإخلاص العبودية له، وتحرير الجسد، ونبذ الدنيا، وهجر لذائذها، والخشوع والصمت والتأمل ولقد كان للتصوف يوما ما صولة ودولة، وكانت له مكانته المرموقة في المجتمع الإسلامي، إلا أنه كسائر العلوم الإسلامية، أضيف إليه ما ليس فيه، ودخل فيه رجال ليسوا من أهله كالدجالين والمنحرفين، فوجدوا فيه مجالا لدجلهم، وخرافاتهم، وشعوذتهم، فأساءوا بذلك إليه أبلغ إساءة، وأصبح التصوف مظهرا من مظاهر الفقر والجهل والضعف والتخاذل والاستسلام والفراغ من العمل مما كان له الأثر السيئ في المجتمع الإسلامي.

فضيلة الأستاذ السيد سابق

أستاذ في جامعة الأزهر

الإهداء

إلى أرواح كل العلماء، والصالحين، والشهداء الذين خدموا الإسلام، والعربية، وحافظوا عليها في هذه الديار، أهدي هذه الصفحات.

المؤلف.

قال الأئمة في التصوف

- من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسّق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

. الإمام مالك .

- أعز الخلق خمسة أنفاس: عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكر، وشريف سنّي.

. سفيان الثوري .

- قعد القوم[1] على قواعد الشريعة التي لا تنهدم، حيث قعد الناس على الرسوم.

. العز بن عبد السلام .

. سلطان العلماء .

- الشريعة من غير حقيقة عاطلة، والحقيقة من غير شريعة باطلة.

. أبو القاسم القشيري .

---

(١) يطلق لفظ القوم غالبا على شيوخ التصوف.

- علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء، ويأخذ أدبه عن المتأدبين، أفسد من اتبعه، والطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى آثار الرسول صلى الله عليه وسلم.

.الإمام الجنيد.

- أصولنا ستة: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، وأداء الحقوق.

.الإمام سهل التستري.

- إذا رأيت الرجل يسير على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تعبأ به حتى تراه عند أمر الله ونهيه.

.الإمام شعيب بن شعيب الأنصاري.

- ليس للطريق آداب ولا أوامر ولا نواه غير آداب الشريعة وأوامرها ونواهيها.

.الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري.
.شيخ الطريقة الرحمانية.

ومن أرجوزة براق الطريق للعلامة الرباني الشيخ محمد بن الحبيب شيخ الطريقة الحبيبية بمكناس نقتطف هذه الأبيات:

يقول أفقر الورى محمد ابن الحبيب قوله مسدّد

الحمد لله الذي بخيره عمّ الورى في برّه وبحره

وأرسل الرسل بالشرائع ومعجزات ما لها من دافع

فلبّها تصوف محرّر على كتاب سنّة مقرّر

- الصوفية هم القائمون بعقولهم على فهم السنة، والعاكفون عليها بقلوبهم، والمعتصمون بسيرهم من شر نفوسهم.

- الإمام عبدالواحد بن زيد -

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي وأستعين

المقدمة

للطرق الصوفية والزوايا في تاريخ مغربنا العربي عامة والجزائر خاصة دور عظيم يتجلى أثره على الصعيدين: الثقافي والجهادي وهو الدور الذي لا يمكن لأي كان أن ينكره أو يتجاهله، أو يُقلِّلَ من أهميَّته وآثاره في عمق تاريخنا العربي الإسلامي.

وقد حظِيَ الموضوع لدى الأجانب، مستشرقين ومؤرخين بما يستحقه من العناية والاهتمام، فألفوا فيه الكتب، ووضعوا فيه البحوث المطوَّلة، وخصُّوه بالدراسات والمقالات التي نشروها في كبريات الجرائد والمجلات، كالمجلة الإفريقية التي تعدّ من المراجع التاريخية الهامة. وممَّن كتبوا وألفوا نذكر: إيفون تيرا، ودينوكوبلاني، والمقدم لارقيد، ولوي رين، وأوغست برنار، وهنري زيراس، وروني باص، وفيرو، وغيرهم ...

غير أننا لا بد أن نلاحظ للقارئ الكريم أن تلك الكتب والبحوث التي وضعها الأجانب لم يسلم غالبها من الأخطاء والتحريفات، لأن الكثير من مؤلفيها الذين أعماهم الحقد على الإسلام، والكيد للمسلمين، لم يتورعوا في تشويه صورة هذا الدين السماوي الحنيف وطمس تعاليمه السامية، ورسالته النبيلة، وأهدافه الشريفة.

وقد كتب مؤرخونا كثيرا حول هذا الموضوع وخصصوا له في مؤلفاتهم التاريخية والثقافية أبوابا وفصولا، كما نشروا بشأنه العديد من البحوث والدراسات والتحقيقات في المجلات والجرائد الصادرة ببلادنا. وقد أفرده الأستاذ الفاضل فيلالي مختار الطاهر برسالة قيمة. وقد اعتمدنا في إنجاز هذه المساهمة المتواضعة على ما كتبه مؤرخونا الأفاضل واستفدنا كثيرا من كتاباتهم فلهم منا جزيل الشكر والثناء ومن الله الجزاء الأوفى.

إن موضوع الطرق الصوفية والزوايا يشكل في نظر النزهاء من الكتاب والباحثين حلقة هامة في سلسل تاريخنا الثقافي العظيم الحافل بجلائل الأعمال، لذلك نتمنى أن يعني الدارسون به، ويولوه عناية كبيرة ويخصوه بالبحث المستفيض، والنظر الدقيق، بعيدا عن التأثر بما قيل ويقال حوله، خدمة لأغراض حزبية معيّنة، ورغبة في تشويه صورته الحقيقية المشرقة لمآرب ذاتية معينة ليجدوا بذلك كلمة حق وصدق وانصاف للحقيقة والتاريخ،

ويعيدوا الاعتبار لأولئك الجنود المجهولين الذين ظلوا مرابطين في ثغورهم من أجل الحفاظ على عروبة الجزائر وإسلامها والذين كانت حياتهم صفحة مُشرقة من صفحات الجهاد والبطولة ومثلا صادقا من مثل التقى والورع والاستقامة، وينفضوا الغبار على تلك المؤسسات التربوية التعليمية - الزوايا - التي ظلت عقودا من الزمن صامدة صمود الجبال الرواسي في وجه الحملات التبشرية، والمحاولات التنصرية لتحافظ على الشخصية الإسلامية العربية لهذا الشعب، وتحفظ له أصالته من عوامل المسخ والذوبان والتشويه.

إنه من الجناية على الحقيقة وعلى التاريخ ومن الكذب على الأجيال أن ينكر البعض ما قامت به الطرق الصوفية والزوايا المنتشرة في قرى الوطن ومدنه وفي جباله وسهوله وفي صحرائه الواسعة من دور عظيم في نشر الإسلام والحفاظ على كتابه الخالد، وتعليم لغة الضاد و المحافظة عليها.

وهل ينكر أحد فضل الطرق الصوفية في الميدان الجهادي وما قامت به في المقاومة الوطنية من تعبئة الجماهير وتجنيدها من أجل الدفاع عن ديار الإسلام والمسلمين، وحمايتها من الغزاة المعتدين. فقد كانت والتاريخ يشهد بذلك في طليعة الجيوش التي وقفت في وجه الحملات الإسبانية والبرتغالية، كما خططت وقادت كل الثورات التي قامت ضد الاحتلال الفرنسي في كامل

أرجاء الوطن بدءا بالشيخ محي الدين مصطفى الغريسي مقدم الطريقة القادرية وابنه بطل المقاومة الوطنية الأمير عبدالقادر ومرورا بالأبطال المجاهدين بومعزة وبوعمامة وأولاد سيدي الشيخ والحداد وفاطمة نسومر وبوزيان والصادق بلحاج (وابن جار الله) وعبد الحفيظ الخنقي والقائمة طويلة.

وقبل ذلك كانت ثورات الطرق الصوفية: الدرقاوية، والتيجانية، والحنصالية ضد السلطة التركية في الجزائر.

وقد كان للزوايا فضل كبير في تربية الأجيال تربية إسلامية عربية كان من بينها ذلك الجيل المؤمن بدينه ووطنه والذي ساهم في تفجير ثورة التحرير الظافرة التي تحوّلت أثناءها الزوايا إلى مراكز للتدريب العسكري، وملاجئ للمجاهدين وأماكن تعقد فيها الاجتماعات، وتصدر منها الأوامر والتعليمات، ومحاكم وطنية تفصل فيها النزاعات والخصومات، مما جعلها عرضة للهدم والتخريب، وعرّض شيوخها وطلبتها للسجن والنفي والتعذيب والتشريد. وتأكيدا لما قلناه، نقتطف هذه الجملة من مقال طويل نشر في جريدة النصر للأستاذ عمار النجار من ضباط الولاية الثانية ونائب بالمجلس الوطني الشعبي يتحدث فيه عن دور الزوايا في ثورة التحرير قائلا:

«لقد كانت زواياهم في مختلف جهات الوطن وهذا لا يمكن إنكاره موئلا وملجأ لوحدات جيش التحرير» اهـ.

وفي العدد الأول من مجلة التراث، مقال للأستاذ محمد الطاهر عزوى عن حياة البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد رحمه الله، يقول فيه عن الزوايا ما يلي: «يرجع الفضل في ثبات الإسلام في الأوراس وتمسك السكان بالدين الإسلامي خلال فترة الاحتلال الفرنسي إلى الزوايا التي حافظت على تعليم القرآن، والتعليم التقليدي وهي التي استطاعت أن تُخرج المبشرين ورجال الدين المسيحي من سهل ـ المدينة ـ بالأوراس سنة ١٩٢٨، وقد استقدموا للاستيطان والتبشير عقب ثورة ١٨٧٩ ومن أحفاد مريدي هذه الزوايا كان زعماء الثورة في الأوراس ومنهم مصطفى بن بولعيد وأحمد بن عبدالرزاق ـ سي الحواس ـ وعزوي أحمد» اهـ.

وقد تحدث قبل ذلك مؤرخنا الكبير الفقيد الراحل الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله في كتابه ـ الجزائر ـ عن الطرق الصوفية ودورها التاريخي العظيم، فقال: «لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا آثارٌ تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات وعمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا ـ الرباطات ـ يرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل، ويقومون بتعليم الناشئة وبث العلم في صدور الرجال ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعربية ولا لعلوم

الدين، فالزوايا الكبرى أمثال معهد الهامل ومعهد اليلولي ومعهد سيدي منصور، هي التي كونت دائما في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الشريف وكانت واسطة فعلية في نقل الإسلام إلى بلاد أقاصي الجنوب والسودان وكانت فوق ذلك ملجأ للعاجزين وابن السبيل» اهـ.

ويتحدث عنها المؤرخ الجزائري فضيلة الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه ـ تاريخ الجزائر العام ـ فيقول: «إن من أهم أحداث هذا القرن ـ السادس عشر الميلادي ـ أن اتسع فيه نشاط الفرق والطوائف الصوفية التي كان من فضلها ومن بين محاسنها أو محاسن بعضها في الميدان الاجتماعي على الأقل أن بعثت بالتقاليد الإسلامية في كثير من الجماعات البربرية التي ظلت حتى ذلك الوقت بعيدة عن التأثر بالثقافة الإسلامية، كما عملت على التقريب بين عناصر السكان إن لم تكن قد جعلت منهم وحدة متكاملة» اهـ.

وفي كتابه ـ تاريخ الجزائر الثقافي ـ يتحدث الدكتور أبو القاسم سعد الله عن دور الزوايا قائلا: «في بداية العهد المدروس كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء. فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين، وحماية البلاد». إلى أن يقول: «فقد

كانت الزوايا بالإضافة إلى وظيفتها الدينية معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة».

ويقول عنهم الشيخ نور الدين عبدالقادر رحمه الله في كتابه . صفحات في تاريخ مدينة الجزائر .: «وجاء دور المرابطين والزوايا فأداروا شؤون المداشر بالاتفاق والتفاهم ومراعاة المصالح مع جماعاتهم، واعتنوا بنشر العلم وجلب الطلبة إلى معاهدهم فكان في ذلك خير للبلاد وانتفع به المواطنون مدة طويلة من الزمان ولكل عصر ما يلائمه ويناسبه فدلّ هذا العمل على حسن نواياهم نحو معاشريهم».

وتحدث الدكتور رابح التركي عن دور الزوايا فقال في كتابه . آثار ابن باديس .: «وإلى هذه الزوايا وأمثالها قبل أن ينحرف بعضها في العهود الأخيرة يعود الفضل في تكوين مجموعة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم الذين كانوا واسطة في نقل الإسلام إلى أقصى الجنوب الجزائري في أعماق الصحراء وإلى غرب إفريقيا والذين كانوا السبب في حفظ اللغة العربية والقرآن الكريم والعلوم الإسلامية في الجزائر». وكتب الداعية الإصلاحي الكبير الشيخ الفضيل الورتيلاني رحمه الله عن المرابطين قائلا: «فإن تلك الجبال التي نزلوا فيها وهي تناطح السحاب وسكانها (يومئذ) أشبه بالوحوش ورضوا القيام بها لا لغرض دنيوي ظاهر ولكن لنشر العلم ومحاربة الجهل. والجهل أكبر عدو للإسلام

خصوصا والإنسانية عموما فرصدوه في تلك (الثغور) المخيفة حتى قضوا عليه لأكبر شاهد وأدلّ دليل على استحقاقهم تلك التسمية العظيمة المقدسة - المرابطون - فالرباط بهذا المعنى الشريف الذي وجدنا صورته مطبوعة في آثار الأجداد ما أحْسَنَهُ و(ياليتنا) كنا مثلهم فنفوز فوزا عظيما، وقد حدثنا التاريخ عن أولئك الأبطال، أنهم قاموا بنشر العلم وباسم العلم لا غير لا لقب ولا شعوذة ولا تدجيل فبلغ الشعب بهم في العز شأوه ونال منهم في الأخلاق والآداب حظه» اهـ.

وفي مقال عن أثر التعليم الديني والإصلاح في النهضة الوطنية يقول الأستاذ محمد الطاهر فضلاء: «إن جذور النهضة الوطنية وبعدها الحركات الوطنية تضرب في أعماق هذا الوطن وفي نفوس أهله بتأثير من هذا التعليم الديني في الزوايا والمساجد ولولا هذا التعليم ورجاله وطلابه ولولا الهالات التي كانت تخيّم في سماء هذا الوطن من هذا التعليم الديني ومعاهده لازدادت غربة هذا الدين (وحشة) بين أبنائه ولكان بعد أهله عنه أكثر ذوبانا وانهيارا وهو يجابهُ تلك الظروف القاسية المتسلحة بروح الصّليبية الحاقدة والعلمانية المتهافتة الكافرة والمتبرجة في ثياب الإغراء والفتنة، ولكن هذا التعليم الديني وعلماءه وفقهاءه المرابطين في زواياهم ومساجدهم وقراهم النائية عن العمران هم الذين حفظوا لهذا الوطن دينه ولغته وهم الذين حافظوا على

الشخصية المميزة لهذا المجتمع المسلم في هذا الوطن العربي المسلم». ويواصل الأستاذ فضلاء حديثه قائلا: «غير أن المحتل الباغي كان يجهل طبيعة القرآن حين يتغلغل في نفوس أهله من المسلمين فلم يمض وقت كبير حتى تحولت الزوايا والمساجد والأضرحة المأذون لها بالاستمرارية في تحفيظ القرآن إلى معاهد ومدارس وقلاع تَضْطَلِعُ بهمام المقاومة الصامتة لمخططات الاستعمار وبعد أن كانت الزوايا تعشش فيها الخرافة وتقتصر مهمتها على ترديد بعض الأذكار والأوراد التي وضعها بعض مشايخ الطرق المنسوبة إلى الصوفية، أصبحت تلقائيا بمفعول تأثير القرآن عبارة عن رباطات تعبئ كتائب المجاهدين بشتى وسائل الجهاد».

ومن كلمة في افتتاح الملتقى الواحد والعشرين للفكر الإسلامي، نقتطف للأخ باقي بوعلام، وزير الشؤون الدينية سابقا، هذه الفقرة، فبعد حديثه عن رواج الكثير من الفهوم الضعيفة والأحكام الخاطئة قال: «ولعل أخطرها تلك التي تنفي عن جهل أو قصد أي فضل يُذكر للطرق الصوفية في حياة الأمة وتطوّرها بل لا ترى فيها عموما إلا سببا من أسباب التخلف والجمود، ولا يخفى عليكم ما في هذه الأحكام المطلقة من جناية على الحقيقة وعلى التاريخ لأنها تتجاهل نفوذ الشخصيات الروحية الأصيلة ودورها في مجال الجهاد والإصلاح كما تتجاهل فضل الطرق

الصوفية في نشر الإسلام خاصةً عن طريق الزوايا، والحفاظ على كتاب الله، ومواجهة سلطان المادة الطاغية، وتزكية النفوس وتعزيز صلة القلوب بالله ومقاومة المعتدين على دار الإسلام» اهـ.

ويقول الأستاذ محمد نسيب في مقال نشر في جريدة العصر حول زاوية الهامل يقول في آخر المقال: «فلو بقيت الزوايا العلمية والمعاهد الإسلامية تؤدي رسالتها الدينية والتعليمية والتربوية والاجتماعية لما عششت الدعوات الهدامة والأفكار المخزية في عقول أبنائنا، ولا ظهرت الثغرات الناشِزَة والمذاهب المنحرفة في مجتمعنا. لو بقي التعليم الديني في مدارسنا لما سمعنا اليوم في جزائر الجهاد والاستشهاد من ينادي باللآكئية ويطالب بفصل الدين عن الدولة ويدعو إلى حصر الإسلام بين جدران المساجد وإغلاق أبوابها عليه وسدّ نوافذها حتى لا يسمع صوته ولا يستجاب لندائه، فللّهِ الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله» اهـ.

وهكذا لو أردنا استقصاء ما قاله العلماء ورجال الإصلاح والوطنية والجهاد في هذا الموضوع لضاق بنا المقام، ولكننا نكتفي بما ذكرنا، ونقتصر على هذه الشهادات التاريخية التي نحيّ أصحابها تحية إكبار ونقدير لقولهم كلمة حق للتاريخ.

ونحن بدورنا وللتاريخ نسجل انحراف البعض ممن انتسبوا إلى الطرق الصوفية وهم دخلاء عليها لا تربطهم بها رابطة، ولا علاقة لهم بالتصوف الصادق الصحيح الذي يربي النفوس ويهذب الأخلاق، وينشر الفضيلة، ويحارب الرذيلة.

إن كتابنا هذا يعتبر وصلة تصل شباب اليوم بأجدادهم من شباب الأمس وتربطهم بجزء من (تراثهم) العظيم الخالد وتعرّفهم بماض مجيد زاهر يجدر بهم أن يعتزّوا به ويفتخروا، وأن يكون لهم قدوة حسنة، وأسوة طيبة مباركة.

وأخيرا أسأل الله العظيم أن يجعل هذا الكتاب خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به النفع العميم، وأن يغفر بكرمه ما فيه من هفوات وأخطاء، وهل يسلم كتاب من ذلك غير كتاب الله، وأن ينفعني به وبدعوة صالحة بسببه، وأن يكتبه في العمل الصالح المقبول والحمد لله أولا وأخيرا وهو حسبي ونعم الوكيل.

التصوف الإسلامي الحق

إن موضوع التصوف من الموضوعات الهامة التي حظيت بمكانة متميزة في تاريخ المسلمين وثقافتهم، وشكلت جزءا مهما من تراثهم، لذلك ارتأيت قبل الدخول في موضوع الكتاب. الطرق الصوفية والزوايا. أن أمهد له بكلمة موجزة للتعريف بالتصوف الإسلامي ومفهومه وتاريخه وأسباب ظهوره والمراحل التي مر بها عبر تاريخه الطويل وذلك للعلاقة الوطيدة التي تربطه بموضوع كتابنا.

والتصوف الذي نريد الحديث عنه في هذا الكتاب هو التصوف الإسلامي الحق الذي اتخذ من القرآن والسنة دستوره يطبق تعاليمهما، ويهدي بهديهما، التصوف الإسلامي النقي، الخالي من البدع، والأضاليل والشعوذة والخرافة والتدجيل، التصوف الإسلامي الذي ربى الأرواح وزكى النفوس، وطهر القلوب، وغرس فضائل الأخلاق، وحارب رذائلها.

إن التصوف الذي نعيشه في هذا الكتاب هو التصوف الإسلامي القوي الذي يرفض الذلة والخضوع والخوف إلا من الله، ويأبى الخمول والجمود ويبغض التواكل والكسل، ويدعو إلى الجد والحركة والعمل والذي حمل (شيوخه ومريدوه وفقراؤه) لواء

الجهاد قرونا من عمر الزمان ففتحوا الممالك وخاضوا آلاف المعارك دفاعا عن الإسلام والمسلمين. هذا هو التصوف الذي نريد الحديث عنه في هذا الكتاب وليس غير هذا.

أما الصوفي الذي نود الحديث عنه والتأريخ له فهو ذلكم الصوفي الصادق القرآني الأخلاق والسلوك، المحمدي السيرة والشمائل (المتفاني) في خدمة البلاد والعباد، المجاهد في سبيل دينه ووطنه المتصف بعظمة الفكر والروح وسموّ الإيمان والعقيدة الدائم العلاقة بالله الذي استحق بذلك أن يكون مضرب المثل، والقدوة الحسنة من العزة والنزاهة والصدق وشهامة النفس، وشجاعة القلب.

ذلكم الصوفي وأمثاله هم الذين هدى الله بهم أناسا كثيرين من كل جنس ومن كل دين وتاب على أيديهم الآلاف الملاحدة والمرتدين وكان لهم أكبر الفضل في خدمة الإسلام بنشره والدعوة إليه والهدي به في مختلف جهات العالم، كما كان لهم الفضل الكبير في الدفاع عن أوطان المسلمين وحماية أهلها من حملات التنصير والتهويد والتمجيس التي كانوا ولا يزالون يتعرضون لها.

نشأة التصوف الإسلامي

تاريخها وأسبابها:

انقضى القرن الأول للإسلام وانقضى معه عهد النبي (ص) وصحبه الغرّ الميامين رضي الله عنهم. ذلك العهد الذي ظهر فيه الإسلام بتعاليمه السامية ومثله العليا. فكان الإقبال عليه والتمسك بآدابه والتخلق بأخلاقه والسير على نهجه. وكان الزهد في الدنيا من أهم سمات الكثير من أتباعه والمؤمنين به، أمثال أبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي وغيرهما.

وحل القرن الثاني فعرف المجتمع الإسلامي تحولات كبيرة، وشهد تغييرا سريعا في نمط معيشته، وطريقة حياته التي لم تعد تُشْبِهُ تلك التي كان عليها في عهد النبوة والخلافة الراشدة. ويرجع العلماء سبب ذلك إلى الفتوحات الإسلامية واختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم والشعوب من مختلف الأجناس والأديان، فأقبلوا على الحياة الجديدة وما تزخر به من أنواع البذخ والترف وأصناف النعيم والرفاهية. وجنح الكثير منهم إلى مخالطة ما فيها من متع ولذات، والتمتع بمختلف ألوان الشهوات فكان الانحراف عن تعاليم الإسلام وأخلاقه وتوجيهاته.

وهنا لابد من التذكير بما جاء به الدين الحنيف في هذا الموضوع من هدى وتوجيه إلى الطريق القويم الذي يضمن لأتباعه السعادة العظمى في الدنيا والآخرة، فقد عمل على تطهير النفس البشرية من رذائلها، والحد من شهواتها الطاغية وسمح للناس بالتمتع بطيبات هذه الحياة ولكن في حدود الاعتدال ودون اسراف وفي ذلك يقول عز وجل في سورة المائدة: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين». ويقول في سورة الأعراف: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق». إن الإسلام دين الوسطية والاعتدال، جاء ليسعد البشرية، ويفتح لها أبواب التمتع بما في الحياة من نعيم ومتع وطيبات. ولكنه رسم لها حدودا وخطوطا من انحرف عنها وتجاوزها كان مآله الخسران.

لقد كان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أكثر الناس زهدا ولكن زهد من يعمل للآخرة، ويسعى لها سعيها دون أن ينسى نصيبه من الدنيا، زهد من لا تلهيهم تجارتهم ولا بيع عن ذكر الله. فقد كان لسلمان الفارسي الصحابي المعروف رضي الله عنه عطاء قدره خمسة آلاف، فإذا خرج عطاؤه تصدق به جميعا على مستحقيه، ولكنه إلى جانب ذلك كان يجد ويكد ليقتات بما اكتسبت يده تمسكا بقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام: «ما أكل أحد طعاما قط خَيْرا من أن يأكل من عمل يده». وهذا

كتابه الذي بعث به إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وهو يومئذ قاض بدمشق ومما جاء فيه: «أما بعد فقد كتبت إليَّ أن الله رزقك مالا وولدا، إعلم أن الخير ليس في المال والولد وإنما الخير أن يكثر حلمك وينفعك علمك. وكتبت إليَّ أنك نزلت في الأرض المقدسة، إعلم أن الإرض لا تقدس أحدا وإنما يقدس الإنسان عمله». هذا هو سلمان الفارسي رضي الله عنه، العابد الزاهد، وهكذا كان الزهد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك كان التابعين رَضِيَ الله عنهم زهدا لا يحيد قيداً نملة عن الخط الذي حدده الإسلام، ولا ينحرف عن منهج الإسلام المعتدل.

وقد ظهر في ذلك العهد بعض الغلاة في الزهد، ولكنهم وجدوا من كبار التابعين معارضة شديدة وحربا لا هوادة فيها كذلك الرجل الذي قال: «أنا لا آكل الخبيص. وهو نوع من الحلواء يصنع بالتمر والسمن. فقيل له لِمَ لا تأكل الخبيص؟ فقال: لأني لا أقوم بشكره. فلما سمع الحسن البصري وهو من كبار التابعين بما قاله الرجل قال: هذا الرجل أحمق، وهل يقوم بشكر الماء البارد؟».

إن مثل هذا الزهد يرفضه الإسلام ولا يقره، بل يمقته وينفر منه وهو إذ يدعو إلى الزهد فإنما يدعو إلى الزهد الذي يربي النفوس ويهذبها ويحد من شراهتها وطمعها. وهذا ما قام بالدعوة إليه جماعة من الصحابة والتابعين أمثال أبي ذر الغفاري وسلمان

الفارسي والحسن البصري وسعيد بن جبير وابن سيرين والشهبي وغيرهم حين رأوا من الناس إقبالا متزايدا على الحياة الدنيا، وميلا كبيرا إلى ما فيها من متع وشهوات وملذات، وانحراف عن منهج الشريعة لا يرتضيه الإسلام.

فهب هؤلاء الدعاة يدقون ناقوس الخطر، ويدعون الناس إلى العودة إلى ما كان عليه سلفهم الصالح ويحذرونهم من هذا الخطر الداهم الذي حذر منه الصادق المصدوق عليه السلام في احدى خطبه حيث قال: «ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم». وقد عرف هؤلاء الدعاة في أوساط الجماهير بالزهاد لكثرة حديثهم عن الزهد، والتزامهم به، وحث الناس عليه.

وكان إمام تلك الجماعة هو الحسن البصري رضي الله عنه الذي كان إذا ذكر اسمه عند محمد بن علي بن الحسين قال: «ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء»، ووصفه صاحب الحلية بقوله: «الفقيه الزاهد، المشمر العابد، الذي كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا».

فقد كان هذا الإمام العظيم يعقد في بيته حلقات يدور الحديث فيها عن النفس وأحوالها ومراقبتها ومحاسبتها، والعمل

على تزكيتها وتطهيرها واستكمال فضائلها، لذلك نجد أبا سعيد بن الأعرابي يقول: «لم يبلغنا أن أحدا ممن تكلم في هذه المذاهب يقصد أحوال النفس ودعا إليها وَزَادَ في بيانها وتربيتها وصفات أهلها مثل الحسن البصري» اهـ.

والإمام الحسن البصري الذي تحدثنا عن اعتداله في الزهد كان معتدلا في تفكيره الديني أيضا وليس أدل على ذلك من قيام نخبة من كبار تلاميذه باعتزال حلقه بسبب اعتدال تفكيره الديني وهم الذين عرفوا عبر التاريخ بالمعتزلة.

لقد قضى الحسن البصري رضي الله عنه حياته زاهدا عابدا، صواما قواما، ذاكرا داعيا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لذلك اعتبر عند أكثر المؤرخين للتصوف الإمام الأول للصوفية، والواضع الحقيقي لأسس التصوف، وإليه يرجع الفضل في زعامة البصرة ثم الكوفة للتصوف مدة من الزمن طويلة إلى أن ظهر أبو حمزة الصوفي وهو من المتخرجين من مدرسة الإمام سعيد بن المسيب رضي الله عنه، وأول المتكلمين ببغداد في مذهب الصوفية عن صفاء الفكر والشوق والذوق والقرب والأنس والمحبة والمعرفة. كما قال عنه صاحب كتاب. محاضرة الأوائل. كانت ولادة الإمام الحسن البصري سنة ٢٢ هـ ووفاته سنة ١١٠ هـ ويذكر ابن خلكان عند ترجمته له أن بعضا ممن شهد جنازته قال: «لا

أعلم أن صلاة العصر تركت في الإسلام - يقصد في جامع البصرة - إلى يوم جنازته».

وهكذا ومن خلال ما تقدم نعلم أن التصوف نشأ بالبصرة وترعرع فيها على أيدي أولئك الزهاد الدعاة من فضلاء التابعين الذين كانوا امتدادا لعهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الطاهرين وذلك ابتداء من مطلع القرن الثاني الهجري الذي صار فيه خواص أهل السنة المقبلون على الزهد والعبادة يلقبون بالصوفية.

وأول من دعي بهذا اللقب هو أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م. حسبما جاء عن الإمام السيوطي رحمه الله. على أن لفظ الصوفي بمعنى الزاهد الفقير عرف قبل هذا التاريخ حسبما جاء في رواية الإمام الحسن البصري القائل: «رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي». وهي رواية عن أحد الصحابة رضوان الله عليهم. ومن المعلوم أن الحسن البصري توفي سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م كما قدمنا.

وعلى كل حال فإن المتتبع للكتب التي تحدثت عن التصوف وأرخت لرجاله، لا يجد فيها ما يشير إلى من تقدم على هذا التاريخ وسبقه. وهذا كتاب طبقات الصوفية - للشيخ أبي عبد

الرحمن السلمي، أستاذ الإمام القشيري قسم فيه الصوفية إلى أربع طبقات جاعلا أول الطبقة الأولى: الفضيل بن عياض التميمي اليربعي المولود بسمر قند و المتوفي سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٣ مـ. بمكة المكرمة.

الصوفي : أصل الكلمة واشتقاقها

ذهب العلماء في أصل كلمة الصوفي ومأخذها عدة مذاهب فهناك من قال أنها أُخِذَتْ من الصفة تشبيها لهم بأهل الصفة من فقراء المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقيمون في صفة بناها لهم الرسول عليه الصلاة والسلام في مؤخرة مسجده الشريف للذكر والعبادة لا يبرحونها إلا إلى غزوة أو معركة أو جهاد في سبيل الله. ولا شك أن الحياة التعبدية الخالصة لأهل الصفة كانت القدوة الحسنة للصوفية من بعدهم. وهناك من قال أنها أخذت من الصفاء أي صفاء قلب الصوفي وطهارة ظاهره وباطنه عن مخالفة أوامر ربه وفي هذا يقول العلامة الالوسي في كتاب ـ الفيض الوارد : «والذي يميل إليه الكثير من السادة ما يفهم من هذين البيتين :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافي فصوفي حتى سمي الصوفي

وقال بعضهم يؤكد ما جاء في البيتين المذكورين :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك ان غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اضطراب كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفوا بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدّينا
وأن ترى خاشعا لله مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا

وهناك من ذهب إلى أنها اشتقت من الصوف لأن القوم كانوا يفضلون لباسه لمناسبته لحياة الزهد التي كانوا عليها. وأخيرا قيل أن أصل الكلمة نسبة إلى صوفة تشبيها لهم بآل صوفة وهم قوم من عرب الجاهلية كانوا يجاورونَ بمكة المكرمة ويسهرون على خدمة الكعبة ويتنسكون.

وفي خضم هذه الأقوال المتعددة فإن أكثر العلماء يرون أن أقرب الأقوال إلى الحقيقة والصواب نسبة الكلمة إلى الصوف لموافقته لما كانت عليه حياتهم المعروفة بالزهد والتقشف كما ذكرنا، ولموافقته من جهة أخرى لقاعدة النسب اللغوية. فصوفي نسبة إلى الصوف والتصوف مصدر تصوف إذا لبس الصوف كقولهم تقمص إذا لبس القميص.

أما بقية الأقوال فإنها وإن أصابت من ناحية معنى اللفظ فإنها أخطأت من ناحية قاعدة النسب في اللغة العربية التي تقتضي أن يقال في النسب إلى الصفاء صفائي وإلى الصفَة صفَي. وأما نسبتهم إلى صوفة فإنها وإن وافقت الجانب اللغوي إلا أن تمسك

المسلمين بكل ما هو إسلامي ونبذهم لِكُلِّ ما هو جاهلي لينفي هذه النسبة من أساسها.

والحق أن نسبة الصوفية إلى الصوف مطابقة لما عليه الكثير منهم اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي نسب إليه لبس الصوف في بعض ما ورد من الآثار من ذلك قول أنس فيما رواه ابن ماجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم: «أكل خشنا ولبس خشنا، لبس الصوف واحتذى المخصوف»، وقول الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وهو يخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام باكيا: «لقد والله جالستنا، ونكحت إلينا، وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك».

كما ورد أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كانوا يؤثرون لباس الصوف على غيره من أنواع اللباس الأخرى، زهدا في حطام الدنيا، وتجنبا للبس الفاخر من الثياب، والظهور بين الناس بمظهر الزينة. وممن عرف بذلك الصحابيان: أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رضي الله عنهما وأرضاهما وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الحسن البصري أنه قال: «أدركت سبعين بدريا[1] كان لباسهم الصوف».

---

[1] البدريون: هم الدين شهدوا مع الرسول (صلعم) غزوة بدر.

وهذا الصحابي الجليل وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه كان يخرج على الناس وهو بالشام بالرداء الخشن من الصوف وهو في بلد الدمقس والحرير، وكان يردّ على من يطلب منه استبداله بما هو أفضل وأحسن وأجمل منه منظرا أمام الأعداء فيقول: «والله ما كنت أترك الذي كنت عليه في عصر الرسول (صلعم)».

لذلك، واقتداء بسيد الخلق عليه الصلاة والسلام، وسيرا على خط صحابته الهادين المهديين نجد الكثرة من المتصوفة جعلوا من الصوف لباسهم الدائم لأنهم رأوا فيه من معاني الزهد والتواضع والظهور بمظهر الفقر إلى الغنيّ الحميد ما لا يجدونه في غيره من أنواع اللباس الأخرى.

فقد روى أن الصوفي الكبير محمد بن واسع دَخَلَ على قتيبة بن مسلم الباهلي عامل خرسان وعليه مدرعة صوف خشنة ولعلها كانت قديمة بالية فقال له قتيبة: «ما يدعوك إلى لباس هذه؟ فسكت ولم يردّ جوابا. فقال له قتيبة فيما يشبه الغضب: أكلمك فلا تجيبني؟ فأجاب محمد في خشوع وهدوء: أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو أقول فقرا فأشكو ربّي[1] ».

---

[1] عن العقد الفريد بتصرف.

وهنا لابد من التأكيد على أن لبس الصوف لم يكن شعار كل الصوفية، فمنهم من كان أنيقا في (ملبسه) تطبيقا لما جاء في الأثر القائل: «الله جميل يحب الجمال». فقد جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه أن القاسم بن محمد كان يلبس الخز[٢] وسالم بن عبد الله كان يلبس الصوف ومقعدهما واحد في مسجد المدينة، فلا ينكر بعضهما على بعض شيئا. كما اشتهر الشيخ أبو الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية بلبس الفاخر من الثياب، وركوب الفاره من الدواب، وكذلك كان تلميذه أبو العباس المرسي دفين الاسكندرية الذي أوصاه ذات مرة قائلا: «يا أبا العباس، أعرف الله وكن كيف شئت».

إن التصوف الإسلامي الحق قد نشأ في كنف الإسلام، ونما وزاد في أحضانه، وشب وترعرع في تربته، واستمد أصول وجوده من منبعه الصافي، وأن الصوفيين الصادقين المخلصين قد أقاموا مذهبهم على أصول الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته والاستمساك بآدابه وأخلاقه التي لخصها الصوفي الكبير الإمام الجنيد سيد القوم وشيخهم حين عرف التصوف تعريفا لا يدع قَوْلاً لقائل: «من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن

---

[٢] الخزّ: الحرير.

علمنا مقيد بالكتاب والسنة». ويقول الإمام سهل التستري وهو من شيوخ التصوف الكبار: «أصولنا ستة: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، وأداء الحقوق».

إن موضوع التصوف من الموضوعات الهامة التي ظلت مثار جدل كبير بين العلماء الذين اختلفت آراؤهم حوله، والذين انقسموا بشأنه إلى مؤيد ومعارض، ومناصر، ونحن نعتقد جازمين أن السبب الرئيس في هذا الخلاف الاجتهاي هو حرص كل فريق على الحفاظ على سلالة الإسلام وبقائه نقيا طاهرا كما تركه سيد الوجود عليه الصلاة والسلام وصحابته وخلفاؤه الراشدون من بعده رضوان الله عليهم أجمعين.

إن المعارضين للتصوف، المناهضين له يرون فيه طقوسا وأفكارا دخيلة على الإسلام، كما يرون في تصرفات بعض المتصوفة، وأقوالهم ما ينافي تعاليم الإسلام ولا يمتّ لها بصلة.

غير أن الذي يدقق النظر، ويمعن الفكر فيما ملئت به كتب التاريخ من أخبار أئمة التصوف الإسلامي الحق يجدهم أكثر الناس اقتاناء لكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأنهم لا يخرجون قيد أ نمُلَة عما فعله السلف الصالح رضي الله عنهم.

إن التصوف الإسلامي الحقيقي حب واتباع، حب للرسول عليه الصلاة والسلام واتباع لمنهجه التشريعي، والعقدي، والخلقي، كما أن الصوفية الحقيقيين ليسوا دخلاء على الإسلام بل هم أكسير الإسلام وخلاصته كما قال المهندس محمد عبد الحافظ الحولي: ولن يضرهم المنحرفون، ففي كل طائفة من طوائف الناس منحرفون. ويحضرني في هذا المقام قول أبي نصر السراج قدّس الله سرّه:

ليس التصوف حيلة وبطالة   وجهالة ورعاية بمزاج
بل عفة وفتوة ومروءة   وزهادة وطهارة بصلاح
وتيقن وتصبّر وتوكّل   وتذلّل وتكرّم بسماح
فالس الرشاد غذوه ورواحه   وإلى الصلاح مساؤه بصلاح

ولعل أحسن من تكلم عن الصوفية من المتقدمين هو شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه بعدما تعرّض للخلاف الذي وقع بين العلماء بشأنهم قال: «والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أجل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربّه» اهـ.

ومن المتقدمين ننقل للقارئ الكريم جملا مما قاله الشاطبي رحمه الله وهو من هو؟ في المتصوفة فقد جاء في موافقاته ما نصه «الصوفية حجة في علومهم، وهم صفوة الله من خلقه باتفاق».

وجاء في الجزء الرابع من نفس الكتاب أيضا قوله: «فإن الذي يظهر لبادئ الرأي منهم ـ يعني الصوفية ـ أنهم التزموا أمورا لا توجد عند العامة ولا هي مما يلزمه الشرع، فيظن أنهم شددوا على أنفسهم وتكلفوا ما لم يكلفوا ودخلوا على غير مدخل أهل السنة، وحاشا لله ما كانوا ليفعلوا ذلك وقد بنوا نحلتهم على اتباع أهل السنة وهم باتفاق أهل السنة صفوة الله من خلقه» اهـ.

ومن العلماء المعاصرين نذكر بكلمة الإمام محمد عبده مفتي الديار المِصْرية رحمه الله في شرحه على مقامات بديع الزمان الهمذاني عند قوله: «أسفرت القصة عن فصل كوفي، ومذهب صوفي». قال ما نصه: «الصوفي نسبة إلى الصوفية وهم طائفة من المسلمين، همهم من العمل إصلاح القلوب، وتصفية السرائر، والاستقبال بالأرواح وجهة الحق الأعلى جل شأنه حتى تأخذهم الجذبات عما سواه، وتفنى ذاتهم في ذاته وصفاتهم في صفاته والعارفون منهم البالغون إلى الغاية من سيرهم هم في أعلى مرتبة الكمال البشري بعد النبوة».

ويقول الشيخ أحمد العلاوي مؤسس الطريقة العلاوية في مقال نشر في جريدة البلاغ عن المتصوفة: «ولا نقول في المتصوفة وفي غيرهم من خاصة الأمة سوى أنهم قوم خصوا بالقربة من الله وانفردوا بالعزائم في أفعالهم، وبغوامض العلوم في أقوالهم وبمكارم الأخلاق في أحوالهم، وإننا لا نقبل من أفعال أو أقوال المكلفين إلا ما اتفق مع الشرع إما أصلا وإما مرجعا» اهـ.

ونحن إذ نقوم في هذا الكتاب بنقل تلك الأقوال فإنما نفعل ذلك، لإحاطة القارئ علما بمكانة شيوخ التصوف الصادقين عند أئمة العلم من المتقدسين والمتأخرين الذين كانوا يكنون لهم كل تقدير وإجلال واحترام، وليكون له من هؤلاء العلماء الأعلام أسوة حسنة.

وفي الموضوع نفسه يقول الإمام الجليل محمد أبو زهرة رحمه الله: «وفي الحق أن الصوفية لها جانبان: جانب الخير وهو الاتجاه إلى الله تعالى والاستجابة له وأن يكون قلب المؤمن عامرا بالإيمان، ذاكرا الله تعالى دائما مشرقا بنوره بطلب من الدنيا ما يقوى به على عبادة الله تعالى وطلب ما عنده في الآخرة فلا ينصرفون عن الدنيا ولكن يطلبونها على أن خيرها مطية الآخرة وطريقها. الجانب الثاني وهو ظاهر في بعض المتصوفة وهو الانقطاع عن الدنيا وذلك وجه لا يريده الإسلام ويظهر ذلك في الانصراف إلى الذكر الذي يكون معه حركات» اهـ.

وقد اندس بينهم أناس تشبهوا بهم وتزيوا بزيهم، وتظاهروا بمظهرهم حتى ظنهم الناس منهم وما هم منهم، فقد كانوا يظهرون غير ما يبطنون، ليس لهم من غرض سوى حب الرئاسة والمشيخة، قصد تضليل العوام، واستدرار أموال الناس ولعل الإمام الشافعي رحمه الله كان يقصدهم بقوله:

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا   وإذا خلوا فهم ذئاب خفاف

وقد تحدث عن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: «وقد انتسب إليهم ـ أي الصوفية ـ طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم». كما تعرض للحديث عنهم عبدالرحمن السلمي في كتاب ـ طبقات الصوفية ـ والحافظ أبو الخطيب في تاريخ بغداد وغيرهم.

وقد وجد هؤلاء المتطفلون على التصوف، المتظاهرون بالزهد والورع والصلاح، الذين يتراءون الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلا وجدوا في كل عصر ومصر، وشوهوا بأعمالهم وتصرفاتهم تلك السيرة المشرقة للتصوف الإسلامي الصحيح، والمتصوفة الصادقين الذين أسسوا مذهبهم على تقوى من الله ورضوان، أمثال الحسن البصري وتلاميذه، وعبدالواحد بن زيد، وثابت البناني، ومالك بن دينار، وحبيب العجمي، وأيوب السختياني، ومحمد بن واسع وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين رضي الله عنهم أجمعين.

إن ظهور التصوف في القرن الثاني الهجري يعد بمثابة عملية تصحيح تهدف إلى العودة بالمجتمع الإسلامي إلى سالف عهده ووضعه على الخط الصحيح الذي تركه لهم الرسول عليه الصلاة والسلام وسار عليه من بعد صحابته والتابعون رضي الله عنهم. كما كان ظهوره وقتئذ صيحة احتجاج في وجه الانحراف وضد التيار المادي الجارف والفتنة الهوجاء التي عمت المجتمع الإسلامي فأصابت الناس في دينهم، وشغلتهم عن نشره ودعوة البشرية إليه.

وقد أكد ابن خلدون هذه الحقيقة في مقدمته عند حديثه في الفصل الحادي عشر عن التصوف قائلا: «هذا العلم ـ التصوف ـ من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق من الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما من الصحابة والسلف. فلما شاء الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة» اهـ.

ويحدثنا التاريخ عن صوفية القرن الثالث الهجري فنجد أكثرهم سائرين على نهج الصحابة والتابعين في زهدهم،

وورعهم، وتقواهم، ومن أبرز وجوه المتصوفة في هذا القرن، الإمام الأكبر أبو القاسم الجنيد شيخ القوم ورئيسهم الذي أعلن الحرب على الانحراف الخلقي وقاد حملات المتصوفة المجاهدين ضد الفتنة المادية الهوجاء التي طغت على المجتمع الإسلامي يومئذ وهو الذي عرف لنا التصوف في كلمات معدودة فقال: «التصوف تجنب كل خلق دني والتحلي بكل خلق سني، وأن تعمل لله بغير غاية إلا رضاه». توفي رحمه الله سنة ٢٩٧هـ. ومن الوجوه البارزة فيه الحارث المحاسبي، المتوفي سنة ٢٤٣هـ وقد لقب بذلك لكثرة محاسبة نفسه على آثامها ومن أقواله عن الصوفية: «وجدت فيهم دلائل التقوى والورع. وإيثار الآخرة على الدنيا، ووجدت ارشادهم ووصايهم موافقة لأئمة الهدى مجتمعين على نصح الأمة لا يرخصون لأحد من معصية، ولا يقتطون أمرا من رحمة. يأمرون بالصبر على البأساء والضراء، والرضى بالقضاء، والشكر على النعماء، يحببون إلى الله العباد يذكرونهم أياديه وإحسانه».

ونذكر في القرن الثالث الهجري ذا النون المصري، المتوفي سنة ٢٤٥هـ، وفي أقواله الخالدة في المتصوفة: «الصوفية قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم على كل شيء». وأبا زيد البسطامي المتوفي سنة ٢٦١هـ والذي اشتهر بتشدده وتطرفه في الزهد والتقشف ومن أقواله المشهورة: «إني أحببت الله حتى أبغضت

نفسي وأبغضت نفسي حتى أحببت طاعة الله». ومن أقواله: «إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة من رؤيته ساعة استغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج منها». وابراهيم الخواص المتوفي سنة ٢٨٤هـ وغيرهم كثيرين.

وقد عرف التصوف خلال هذا القرن والذي يليه ـ الرابع ـ نموا وازدهارا وكثر شيوخه وانتشروا، ولمعت خلال هذين القرنين، أواخر الثالث والرابع. أسماء بعض الشيوخ، وكثر من حولهم الأتباع والمريدون، وإلى جانب هؤلاء نجد آخرين خلطوا التصوف بالفلسفة الهندية التي تقوم أساسا على تدريب النفس على تحمل كل شيء، والصبر على كل شيء، والتجرد عن ملذات الدنيا وشهواتها بجميع أصنافها وأشكالها، وألوانها، وهو نوع من الزهد الفارسي، وهكذا تبدل التصوف غير التصوف وأخذ شكلا غير الذي عرفه الزهاد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، لأن الانقطاع عن طلب الرزق، وعدم الأخذ بأسباب الحياة، حاربه الرسول (صلعم) بأقواله وأفعاله، وحاربه الإسلام بما جاء في كتابه من آيات تحث المسلم على العمل والكد والجد والسعي في طلب الرزق، واعتبار المسلم الساعي من أجل أهله وعياله مجاهدا في سبيل الله، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الموضوع لا تكاد تحصى. وشاعت بسبب ذلك الغلوّ في الزهد، والتطرف في

التقشف، قصائد وأناشيد تحث عليهما، وترغب فيهما وقد عرفت يومئذ بالزهديات كقول بعضهم:

يا غاديًا في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبا منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

ومما يذكر بالنسبة لهذه الزهديات أن أبا حامد الخلفاني قال: «قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله هذه القصائد الرقائق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها؟ فقال مثل أي شيء؟ قلت، يقولون:

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

فقال لي ابن حنبل: أعد فأعدت عليه فقام ودخل بيته وردّ الباب فسمعت نَحيبَهُ من داخل البيت وهو يردّد البيتين» اهـ.

وعلى كل حال فإنه ليس هناك من بأس في مثل هذه الزهديات التي قد تحمل تذكرة للغافلين، وقد تكون فيها موعظة لمن شغلتهم دنياهم عن أخراهم وذلك لما تشتمل عليه مثل هذه القصائد والأناشيد من الحكم والمواعظ.

وبالإضافة إلى الزهديات، فإن أهم ما تميز به التصوف في القرن الثالث الهجري هو انتشار فكرة الحب. ونعني به الحب الإلهي الذي أصبح لفظه لا تخلو من ذكره ألسنة شيوخ التصوف وقتئذ أمثال الجنيد ومعروف الكرخي.

وإن كانت رابعة العدوية قد سبقتهما إليه وهي التي حملت في الحقيقة راية الحب الإلهي وسلمتها لشيوخ الصوفية الذين أتوا بعدها ومن أقوالها المشهورة في هذا الموضوع وهي تتوجه إلى المولى تبارك وتعالى:

أُحبُّكَ حُبَّيْنِ حب الهوى — وحب لأنك أهل لذاكَا
فأما الذي هو حب الهوى — فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له — فكشفك للحجب حتى أراكا

وقولها في موضوع آخر ومفاجأة أخرى:

إني جعلت في الفؤاد محدثي — وأبحت جسمي من يريد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانسي — وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وكانتْ بين شيوخ التصوف وقتئذ مراسلات في موضوع الحب الإلهي، ومن بين تلك المراسلات نورد هذه الرسالة التي بعث بها يحي بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي وهما من كبار أئمة التصوف في عصرهما. يقول في تلك الرسالة: «لقد سكرت من

كثرة ما شربت من كأس محبته». فردّ عليه أبو يزيد قائلا: «غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد، ولسانه خارج ويقول هل من مزيد؟ وأنشد:

عجبت لمن يقول ذكرت الفي وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

إنها نظرية في فلسفة الحب أصيلة عند شيوخ المتصوفة، فهذا الشاعر المتصوف لا يقول قول من يقول: «ذكرت الفي لماذا؟ لأن الذكر يأتي بعد النسيان. وليس النسيان من شيم المحبين وخصالهم. فالحب الصادق، والمحب الحق لا ينسى حبيبه.

ومما ظهر خلال القرن الثالث وبداية القرن الرابع من النظريات والآراء البعيدة عن عقيدة الإسلام كل البعد، والتي لا تمُتُّ إليه بصلة مثل القول بوحدة الوجود، والحلول وغيرهما من الآراء والأقوال التي جاء بها أبو الحسن الحلاج المتوفي سنة٣٠٩ هـ والتي أودت بحياته وكانت سببا في قتله في خلافة المقتدر. والذي أنكره أكثر مشايخ الطرق، وأخرجوه بذلك عن الطريق مثل الإمام الجنيد شيخ القوم وسيد الطائفة وغيره.

وينقضي بذلك القرن الثالث الهجري الذي برزت فيه تلك النخبة من شيوخ التصوف العظام الذين وضعوا له معالمه، وأرسوا قواعده، ووضحوا طريقه، وأبانوا نَهْجَهُ وقد أشرنا إلى بعضهم بإيجاز لضيق المقام.

ويحل القرن الرابع بعد أن انتشرت تعاليم تلك الشيوخ انتشارا واسعا في الكثير من أرجاء العالم الإسلامي، وأصبح لكل واحد منهم أتباع كثيرون ومريدون يلازمونهم حينما حَلُّوا وارتحلوا، فكان كل شيخ يوجه مريديه ويربيهم ويرشدهم ويقدم لهم من الغذاء الروحي ما به تستقيم أنفسهم، وتشرق أنواره على قلوبهم فتضيئ لهم وقد أظهر أولئك الأتباع والمريدون نشاطا كبيرا في نشر تعاليم شيوخهم بين الناس، وبث أفكارهم، وإذاعة أثارهم في الأمصار، وأخذ الشيوخ يحسون بالحاجة إلى تنظيم أنفسهم، ولمّ شتاتهم في جماعات تتميز كل واحدة عن الأخرى بمبادئ وتعاليم شيخها التي لابد على المريد من الخضوع لها، وإلزام نفسه بها، وعدم الانحراف عنها. وتطورت تلك الجماعات تطورا سريعا، وأخذت تتوسع وتنتشر شيئا فشيئا إلى أن تحولت إلى جمعيات كبرى تتميز بعقائدها وطقوسها، وأنظمتها، عرفت فيما بعد بالطرق الصوفية يرأس كل واحدة منها علم من أعلام التصوف وجهبذ من جهابذة العلم، وقائد من قادة الجهاد في سبيل الله، يطلق عليه شيخ الطريقة جدير بالاقتداء والاتباع لأنه يجمع بين

التصوف والعلم والجهاد، ولأن له في خدمة الإسلام والدعوة إليه فضلا يذكر فيشكر، أمثال الشيخ محمد بن علي السنوسي، ومحمد بن عبدالرحمن الأزهري وغيرهم، ومن بين تلك الجماعات والتنظيمات الصوفية الأولى التي وجدت في ذلك الوقت والتي تعتبر النواة الأولى للطرق الصوفية المعروفة عندنا اليوم نذكر: السقطية نسبة إلى السقطي وهو صوفي سني شيخ الإمام الجنيد قال بخلق أحرف القرآن، ومن أقواله: «إن المحبين يفوقون في التعليم أتباع موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام». وقد لامه الإمام أحمد بن حنبل على تلك الأقوال. توفي ببغداد سنة ٨٧٠هـ، والطيفورية نسبة إلى أبي يزيد طيفور البسطامي، والجنيدية نسبة إلى الجنيد، والقصارية نسبة إلى أبي حمدون القصار.

ومع ظهور تلك الجماعات الصوفية منذ مطلع القرن الرابع الهجري، ظهر بعض الغلاة فيها، وأصبح بعضهم يجهدُ بأقوال إن دلت على شيء فعلى خروج عن الصراط السوي، الأمر الذي جعل الفقهاء يثورونَ، ويردّون عليهم، ويصدرون في حقهم أحكاما قاسية، وقد فضّل الفقهاء ذلك على السكوت أمام ما يسمعون من كلام يصيب العقيدة في صميمها، وهكذا حكموا عليهم بالكفر، والردّة، ومخالفة ظاهر الشرع.

ولم يقف المتصوفة مكتوفي الأيدي، مكممي الأفواه أمام الهجوم العنيف الذي شنه عليهم الفقهاء، فهبت طائفة منهم تردّ على الفقهاء، وتبرئ شيوخها مما اتهموا به من كفر، وردّة، وزندقة، وراحت تؤوّل أقوالهم بما لا يختلف مع معتقدات الجمهور، واستمر الخلاف والخصام هكذا بين الفريقين ردحا من الزمن وظلت المعركة على أشدها.

ويبدو من خلال الرجوع إلى الكتب التي تحدثت عن هذه الخصومة أنها لم تتعد جمهور الفقهاء، أما أئمة الفقه الكبار فإنهم وإن لم يكونوا من أهل التصوف، فإنهم كانوا يكنّون لرجاله وشيوخه أسمى آيات الحب والاحترام والتقدير ويعترفون لهم بالفضل والمكانة السامية، ويتعاطفون معهم.

في هذا الموضوع بالذات وتأكيدا لما ذكرنا نورد القصة التي وقعت بين الإمام أحمد بن حنبل والصوفي الكبير شيبان الراعي، والتي نكتشف من خلالها مدى احترام وتقدير أئمة الفقه لرجال التصوف. فقد ورد أن الإمام أحمد بن حنبل كان ذات يوم عند الإمام الشافعي فمرّ أمامهما شيبان الراعي. فقال الإمام أحمد للإمام الشافعي: أريد يا أبا عبدالله أن أنبّه هذا - يعني شيبان - إلى نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم. فأجابه الشافعي قائلا: لا تفعل. غير أن الإمام أحمد أصرّ على رأيه وتوجّه بالسؤال إلى شيبان قائلا: ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في

اليوم والليلة لا يدري أي صلاة نسيها؟ ما الواجب عليه يا شيبان؟ وكان الإمام أحمد يريد من هذا الصوفي الكبير جوابا فقهيا ظنا منه أن شيبان الراعي سيعجز عن إجابته ولكنه يفاجأ في الحين بجواب سريع هو إلى الله أقرب، وإلى الوجدان أشفى. فقد توجه إليه شيبان بالجواب التالي: يا أحمد هذا قلب غفل عن ذكر الله فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه. فغشي على الإمام أحمد من روعة الإجابة وعمقها. فلما أفاق قال له الشافعي ألم أقل لك لا تحرك هذا!.

وكان الإمام لا مراءَ الشافعي هو من يرسل إلى أبي حمزة الصوفي الكبير يستفتيه في دقائق المسائل الفقهية ويقول احتراما له وتقديرا: علمنا ياصوفي. رحم الله الجميع.

والحق الذي مراء فيه أن تلك الخصومة التي وقعت بين المتصوفة والفقهاء، وبالرغم من طابع العنف الذي اتسمت به فإنها كانت نعمة كبرى للفكر الإنساني، وخدمت العلم خدمة تتجلى آثارها في ذلك التراث الإنساني العظيم الذي ملأ خزائِنَ الكتب وزخرت به مكتباتُ. . . العلم والفكر والتراث الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها.

ويرجع بعض المفكرين المسلمين أسباب تلك المعركة التي ظلت قائمة مدة من الزمن بين الفقهاء والمتصوفة إلى أن هؤلاء

استطاعوا بما لديهم من رصيد روحي، ومكانة يحظون بها في أوساط الجماهير أن ينافسوا الفقهاء في سلطتهم بل ينتزعوها منهم كما انتزعوا منهم احترام الخلفاء وتقديرهم، الأمر الذي أزعج الفقهاء، وأثار حفيظتهم فأعلونها ضد المتصوفة حربا لا هوادة فيها مستغلين وجود عناصر لا علاقة لها بالتصوف وهم يدّعونه وينتسبون إليه مجاهرين بالغلو، والأقوال المخالفة للكتاب والسنة. وإن كان المتصوفة الحقيقيون لا يعترفون بنسبة هؤلاء إليهم بل يبرأون منهم براءة الذئب من دَم إبنِ. . . يعقوب ويحاربونهم بأشد من حرب الفقهاء للمتصوفة[1] .

المتصوفة وأهل السنة

عند حديثه عن عقيدة أهل السنة، وشرحه لها، وتعرضه للحديث عن طبقاتهم، ذكر أبو منصور عبدالقاهر البغدادي في كتابه . الفرق بين الفرق . ذكر بين طبقات أهل السنة الزهاد والصوفية الذين أبصروا فأقصروا، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر، دينهم التوحيد، ونفي التشبيه، ومذهبهم التفويض إلى الله

---

[1] عن الرسالة القشيرية.

تعالى والتوكل عليه والتسليم لأمره، والقناعة بما رزقوا به والاعراض عن الاعتراض عليه. اهـ.

وأبو منصور البغدادي هذا واحد من علماء السنة وأعلامها ومن العارفين الذين يوثق بهم ويعتدّ برأيهم في معرفة أهل الفرق والمذاهب. ومن الذين عدّهم من أهل السنة أولئك المرابطون في ثغور المسلمين يحمون حمى الوطن الإسلامي كما قال ويَذُبُّونَ عنه، ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة. اهـ.

وما المرابطون إلا جماعة المتصوفة الذين لازموا تلك الرباطات واتخذوا منها أماكن للعبادة والذكر ومعاهد للعلم والمعرفة في أوقات السلم وفي أوقات الحرب تتحوّل تلك الرباطات إلى مراكز حربية ويتحوّل فيها أولئك الزهاد والمتصوفة إلى جنود مجاهدين في سبيل الله، مستسلمين في الدفاع عن حمى الإسلام والمسلمين رحمهم الله ورضي عنهم.

وقد روّج (الملاحدة) الماديون دعايات مغرضة وأباطيل لا أساس لها من الصحة عن التصوف والمتصوفة استطاعت أن تعشش في أذهان البعض فتكوّن لديهم فهمٌ خاطئ، وصورة غير صحيحة عن التصوف والمتصوفة، والحق أن التصوف الإسلامي الحق بعيد كل البعد، وبريئ كل البراءة عن تلك التهم والأباطيل.

المتصوفة والعلم والعَمَلْ

ثم إن أقوال وأعمال شيوخ التصوف وأئِمّتهُ تدحض تلك التهم وتنفي تلك الأباطيل من أساسها من ذلك قولهم بهتانا وزورا أن المتصوفة قوم جهلة يميلون إلى الكسل والتواكل، وأن العلم والعمل لا وجود لهما في قاموس التصوف، مع العلم أن الذين أرخوا للتصوف وتحدثوا عن شيوخه مُتَّفِقونَ على أنهم كانوا أهل علم وعمل، وأنهم كانوا يكسبون أقواتهم بكدّ اليمين، وعرق الجبين، ولم يكونوا أبدا عالة على أحد، ولم يعتمدوا في عيشهم على غيرهم.

فهذا مالك بن دينار عابد الكوفة وزاهدها وَوَاعِظُ العراق، المتوفي سنة١٨١هـ وهو من هو؟ ورعا وصلاحا وتقوى كان يعيش من نسخ المصاحف بالأجرة. وكان الحارث بن أسد المحاسبي الصوفي العظيم يحث على الكد والعمل وعدم الاشتغال بالآخرة وإهمال الدنيا، ومن أقواله: «خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم». وقد توفي سنة ٢٤٣ هـ. وقد جعل الجنيد، وهو شيخ الصوفية من عمله في الخز مَصْدرًا لِعَيْشِهِ العيشة فاشتهر لذلك بالخزازي والمعروف عن الشيخ عبدالقادر الجيلالي ٥٦١هـ وكان عالما سنيا يجمع الطلبة ويعلمهم ويقوتهم كان يعيش من عمل يده وهذا الشيخ أبو

الحسن الشاذلي ٦٥٦ هـ قد عرفه التاريخ عاملا في الحرث الغرس وتتعدد مزارعه ومواضع الحصاد لديه وكان يتخذ للزراعة وسائلها فيربي الثيران للحرث والدرس وكان يكره المريد العاطل عن العمل ويكره أن يسأل الناس وكان يحث أتباعه على طرق باب الأسباب والعمل». هذه الشهادة لابن عطاء الله السكندري في الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحم الله الجميع.

وعلى نهجه سار تلميذه الصوفي المعروف أبو العباس المرسي ٦٨٦هـ حيث كان يمارس التجارة، كما تكسب من تعليم الصبيان، وكان يحث على العمل والسعي في طلب الرزق، وكان يرى أن العمل هو عين العبادة وأنه كمال المجاهدة وكان يقول لأصحابه: «عليكم بالعمل ولجعل أحدكم مكُوكَهُ سبحته، وقادومة سبحته، وتحريك أصابعه في الخياطة والضفير سَبْحَتَه».

وكان الصوفي المعروف الشيخ القباري زاهد الاسكندرية، المتوفي سنة ٦٦٢هـ يمتهنُ الزراعة وكان يحصد قمح بستانه بيده وكان فيما رواه عنه المؤرخون يحرّم على نفسه أن يحصد قمح بستانه عندما يقع ظل شجرة الجار عليه لأنه في نظره انتفاع بما ليس له بحق وبدون إذن من صاحب الحق.

إن الإسلام يعتبر الساعي على رزق أولاده وعياله مجاهدا في سبيل الله اقتداء بأنبياءِ.. الله ورسله عليهم الصلاة والسلام،

والخلفاء الراشدين الذين مارسوا أعمالا مختلفة فمنهم رعاة الغنم وأصحاب التجارة، والصناعة، ولا يخفى على أهل التصوف الحق في ممارسة العمل الشريف شكر الله تعالى على آلائه ونعمائه «اعملوا آلَ داودَ شكرًا وقليلٌ من عِبادِيَ الشكورُ» سبأ آية١٣ هذا عن العمل أما عن الجانب العلمي عند المتصوفة فقد كان من العناصر الرئيسة المكوّنة لشخصيتهم، والشرط الأساسي للدخول في طريقتهم، فقد نقل الإمام عبدالوهاب الشعراني رحمه الله في الطبقات عن شيخه علي الخواص أنه قال: «كانت القاعدة عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي، والشيخ أبي العباس المرسي، وتاج الدين بن عطاء الله، والشيخ ياقوت العرش في قبول الطلاب، ألاّ يدخل أحد الطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة وآياتها بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحِجَجِ الواضحة فإذا لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد» اهـ.

هكذا كان شيوخ التصوف يبدأون حياتهم بعد حفظ القرآن بطلب العلم، والسعي وراءه، والتزود منه، حتى إذا ملأوا الوطاب مما لذ وطاب من صنوف العلم والمعرفة أخذوا ينشرونه بين تلاميذهم وأتباعهم، ويرغبونهم فيه، ويحثونهم عليه، وما الكتب القيّمة المفيدة والمجلدات العلمية والدينية والأدبية التي خلفوها لنا إلا تأكيد لصحة ما قلناه.

فهذا أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي وهو من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري قد ترك لنا العديد من المؤلفات نذكر منها: . الرعاية لحقوق الله . والمسائل في الزهد . والبعث والنشور. بالإضافة إلى ما كتبه في الردّ عن المعتزلة.

وهذا شيخ خراسان زين الإسلام كما كان يلقب بذلك الإمام القشيري صاحب الرسالة المشهورة ترك من الكتب زيادة على رسالته المذكورة كتاب . التيسير في التفسير . ولطائف الإشارات . لم يطبع بعد حسبما أخبرني بذلك بعض الباحثين.

وحجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي ترك تراثا علميا نفيسا لا يذهب بذهاب الأجيال ولا يفنى بمرور العصور والدهور فقد ألف ما يفوق المائتي كتاب في مختلف العلوم والفنون نذكر منها على سبيل المثال كتابه المعروف والذي يعتبر وحيدا في بابه . الإحياء.

وأما الشيخ محي الدين بن عربي فقد ترك ما يفوق الأربعمائة كتاب ورسالة نذكر منها: . الفتوحات المكية . فُصُوصُ الحكم . التعريفات . مفاتيح الغيب . كنه ما لا بد للمريد منه . روح القدس . التجليات.

وهذا ابن عطاء الله السكندري تلميذ أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي قد انتهت إليه الزعامة العلمية لرجال الفقه

والحديث والأصول والمنطق وكانت حلقات دَرْسِهِ في الأزهر أكبر الحلقات، ومن كتبه التي تركها لطائف المنن.

وقد عرف عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله أنه كان يعتبر الجهل والرضى به من الكبائر بل من أكبر الكبائر، فمن أقواله: لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين: حب الدنيا بالإيثار، والمقام على الجهل والرضى به، لذلك نرى ابن المبلق يقول فيه مادحا:

لقد كان بحرا في الشرائع راسخا   ولا سيما علم الفرائض والسنن
ومن منهل التوحيد عب وارتوى   فالله كم روى قلوبا بها محن
وحاز علوما ليس تحصى لكاتب   وهل يحصر الكتاب ما حاز من فنن

وأما تلميذه أبو العباس المرسي رحمه الله فقد جمع في ثقافته بين مختلف أنواع المعارف الإسلامية وكان يعكف على دراسة الفقه والتفسير والحديث والتصوف ويدرس المؤلفات العلمية المختلفة وقد تحدث عنه تلميذه ابن عطاء الله السكندري قائلا: «كان رضي الله عنه لا تتحدث معه في علم من العلوم إلا تحدث معك فيه حتى يقول السامع أنه لا يحسن غير هذا العلم سيما علم التفسير والحديث». وقد كان إلى جانب ذلك يعرف اللغة الفارسية معرفة جيدة كتابة ونطقا.

هؤلاء وغيرهم ممن تطول بذكرهم القائمة ولا تسعهم هذه العجالة من أعلام الصوفية الذين تركوا كتبا قيمة كأبي طالب المكي، والشبلي، وصفي الدين بن أبي المنصور، وعبدالله بن النعمان، وقطب الدين القسطلاني، وعبدالوهاب الشعراني، الذين بلغوا في العلم ذروته وكانوا فيه من القمم العوالي.

المتصوفة والتربية الروحية

تحتل التربية الروحية عند المتصوفة المقام الأول اقتداء بالمعلم الأول سيد المربين وإمام المرشدين والموجهين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. عملا بقوله تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة». وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم على جانب عظيم من التربية الحقة والخلق القويم وهذا بشهادة القرآن العظيم له: «وإنك لعلى خلق عظيم»، وقد اخبرتنا السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه قائلة: «كان خلقه القرآن». وهل هناك أعظم من خلق القرآن وهو الذي يهدي للتي هي أقوم. ويحدثنا عليه السلام عن نفسه قائلا: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

إن الله عز وجل الذي خلق الإنسان وكوّنه من جسد وروح، أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالإسلام ذلكم الدين القيّم المشتمل

على كل ما به يصلح حال الجسد والروح معا ويضمن لهما سعادة الحياتين: الدنيا والأخرى. لذلك رأينا حرص المتصوفة واهتمامهم الشديد بالتربية الروحية، والعناية بتطهير القلب وتزكية النفس وجعلها من مهامهم الرئيسية ووظائفهم الأساسية. وصدق من قال:

يا خادمَ الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خُسْرانُ
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

يقول أحد العلماء: «إن الكثير من الوعاظ والمربين والمرشدين في وقتنا أهملوا في تربيتهم للنشئ التركيز على الجانب الروحي ولم ينتبهوا إلى ما يترتب على أسلوبهم هذا من فراغ روحي خطير لدى الأجيال الصاعدة وما ينجم عن ذلك من عواقب جد وخيمة على مستقبل الإسلام والمسلمين».

لقد كان حسن البنا رحمه الله محقا عندما كان يسجل في الكثير من مؤلفاته القيّمة شعار عقيدة سلفية وطريقة صوفية. وهو يعني بالطريقة الصوفية الاهتمام بالجانب الروحي وعدم فصله عن الجانب المادي في تربية الناشئة.

ويؤيد هذا ما ذكره الداعية الإسلامي الكبير الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، في كتاب ـ التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ـ الذي ألّفه بمناسبة مرور ثلاثين سنة على استشهاد الإمام

حسن البنا رحمه الله حيث يوقول: «كانت مزية حسن البنا الجمع بين عقل السلفي المتبع، وقلب الصوفي المتذوق، وكذلك أراد لأصحابه، ولكنه في تزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وعلاج أمراض القلوب، ومقاومة الهوى، وسد مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان متصوف سنّي».

إن التربية الروحية عند الصوفية تعني التخلية قبل التحلية وهم يعنون بذلك تخلية الباطن من الرذائل وتحليته بالفضائل. فالعمل على تزكية النفس، وتطهير القلب وإصلاحه من كل ما قد يصيبه من الأمراض والعلل والأدواء هو المقصود بالتربية الروحية لأن صلاح المرء وفساده مردّه إلى صلاح قلبه وتقويم نفسه مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». وقول الشاعر الحكيم:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه   فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

وقوله

والنفس كالطفل إنْ تُهْمِلْهُ شب على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولأهمية القلب عند الإنسان يخبرنا عليه الصلاة والسلام أن الله لا ينظر إلى أجسادنا ولا إلى صورنا ولكن ينظر إلى قلوبنا، ولأهميته كذلك جعله محلا للنية التي هي أساس كل ما يصدر

عن الإنسان من أعمال وما يقوم به من أفعال وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى». ولكل هذه الاعتبارات التي ذكرناها نجد المتصوفة الصادقين المخلصين قد وقفوا حياتهم على إصلاح الباطن وتطهيره من كل ما قد يشكو به من مختلف العلل والأمراض لأنه كما مرّ مصدر الأعمال الظاهرة ومبعثها.

يقول الأستاذ الرفاعي في معنى التربية الروحية عند المتصوفة: «وفطر الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تميزه الشريعة الغراء حَتَّى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة، ويتصل بها منهاجا ونظاما فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام دينا والقرآن إماما والرسول صلى الله عليه وسلم قائدا وقدوة».

إن حاجة الناس في كل عصر ومصر إلى تربية روحية صحيحة كحاجتهم إلى الماء والهواء لا يمكن الاستغناء عنهما والحياة بدونهما، خصوصا في زمن ظهر فيه الفساد في البر والبحر، وانتشرت العلل والأمراض، وتمكنت الأدواء في النفوس من كبر وَحَسَدٍ ونفاق وَرِيَاء وغيرها من مساوئ الأخلاق.

والناس كما قال الإمام الغزالي رحمه الله منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة في حاجة ماسة إلى من يرشدهم إلى الطريق

المستقيم ويدلهم على الصراط السوي لذلك يعتبر الدخول مع الصوفية بقصد التربية الروحية والتزكية فرض عين قياسا على قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ويستدل بقوله تعالى: «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم». فما دامت النجاة يوم القيامة مرهونة بسلامة القلب من المخطورات صارت تزكيته من أمراضه فرض عين. ويشاركه الرأي كثيرون منهم البطل المجاهد الأمير عبدالقادر الذي يشبه الشيخ المربي الروحي بالطبيب الماهر ويشبه التلميذ والمريد بالمريض الذي يجب عليه طاعته وامتثال أمره حتى يتم شفاؤه.

وقد عرفت التربية الروحية عددا كبيرا من الشيوخ المربين والمرشدين من رجال التصوف الصادقين الذين عرفوا للنفوس أدواءها فوصفوا لها دواءها كالإمام الغزالي والإمام الجنيد والصوفي الكبير سهل بن عبد الله التستري والشيخ الشريف عبدالعزيز الدباغ والشيخ أحمد بن المبارك والمربي الكبير الحارث بن أحمد المحاسبي والشيخ أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين الأمير

عبدالقادر ومحمد بن علي السنوسي ومحمد بن عبد الرحمن الأزهري وغيرهم من شيوخ التربية الروحية[1].

---

[1] محاضرة للأستاذ هاشم الرفاعي بعنوان: كيف نربي النفس تربية روحية صحيحة.

التصوف وأهل السنة

وإذا كان التصوف كما شرحنا يأبى الجهل ولا يرضى بالكسل فإنه والجهاد صنوان متلازمان لا يكادان يفترقان. فقد كان شعار شيوخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا عبر العصور قوله تعلى: «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج».

وقد حدثنا التاريخ أنه عندما بدأ الغرب الاستعماري يوجه أنظاره نحو البلاد العربية الإسلامية التي كان يسعى جاهدا لاحتلالها وفرض هيمنته عليها بواسطة الحديد والنار تارة، وتارة أخرى بواسطة المؤامرات والمناورات لم يجد أمامه إلا شيوخ الطرق الصوفية الذين هبوا يعلنون الجهاد ويستنفرون المسلمين للدفاع عن حمى الإسلام وأوطان المسلمين، ومقاومة الغزاة المعتدين وصدهم عن بلوغ أهدافهم الاستعمارية بكل الوسائل.

وهذه معركة المنصورة التي وقعت في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري حين جاء ملك فرنسا لويس التاسع يقود الجيوش الصليبية لضرب ديار الإسلام والعروبة ومن ورائه الغرب كله، فاستطاع أن يخترق الحدود ويتوغل بجيوشه الجرارة داخل البلاد ويحتل بعض جهاتها إلى أن وصل إلى المنصورة. والطاهر

بيبريس يصدر أوامره في حزم وثبات، والجيوش العربية الإسلامية تتأهب لخوض المعركة المقدسة.

وكان في مصر أنذاك جماعة من العلماء المتصوفة الذين وقفوا حياتهم لخدمة الإسلام والمسلمين، والجهاد في سبيل الله فطلّقوا الدنيا بمتعها ومفاتنها واخلصوا جهادهم لله وحده. هؤلاء العلماء الصوفية كانوا في طليعة الجيش المتوجه إلى المنصورة وكان على رأسهم الصوفي الكبير الشيخ أبو الحسن الشاذلي رفقة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ومحي الدين القشيري، ومحي الدين بن براقة، فكان هؤلاء المتصوفة يسيرون مع الجيش يعظون ويرشدون ويذكرون بالله ويبشرون المجاهدين بأهدى الحسنين: النصر والجنة ويعملون بأيديهم مع العاملين.

ودارت المعركة حامية بين الجيشين: الأروبي الصليبي من جهة والعربي الإسلامي من جهة أخرى وكانت الغلبة، وكان الظفر والنصر للإسلام والعروبة على الصليبية الحاقدة التي جاءت للقضاء عليهما. وانتصر المسلمون نصرا مؤزرا، ووقع ملك فرنسا لويس التاسع أسيرا ومعه أسر الكثير من جنوده وقواده. وقد خلّد الشعراء هذا النصر في قصائد جد رائعة نقتطف هنا هذه القطعة من قصيدة معروفة لابن مطروح يخاطب فيها ملك فرنسا الأسير لويس التاسع:

وكل أصحابك أودعتهم بحسن تدبيرك بَطْنَ الضريح

سبعون ألفا لا يرى منهم إلا قتيل أو أسير أو جريح

وقل لهم إن ازمَعْوا عودة لأخذ ثأر أو لفعل قبيح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح

وَعَنْ هذه المعركة التاريخية الخالدة التي شارك فيها المتصوفة مشاركة فعالة يقول المؤرخ المصري الشهير الجبرتي بأن الهزيمة النكراء التي حلّت بالجيش الفرنسي الغازي، والخسائر الكبيرة التي تلقاها على يد جيش الإسلام إنما يعود الفضل الكبير فيها لشيوخ الصوفية ومريديهم وأتباعهم الذين نظموا المقاومة الشعبية الشجاعة التي توّجت بالنصر المبين.

والذي يهمنا في هذه القصة ليس هو جانبها التاريخي فحسب وإنما مشاركة شيوخ التصوف في مقدمتهم أبو الحسن الشاذلي شيخ الطريقة الصوفية الكبرى المعروفة ـ الشاذلية ـ دفاعا عن حياض الإسلام وأوطان المسلمين وهذا بالرغم من تقدم سنه، وفقدان بصره لا يردهم عن ذلك حب الدنيا لأنهم طلّقوها، ولا كراهية الموت لأنهم في سبيل الله لا يكرهونه بل يحبونه. ومن أقوال الشيخ في باب الجهاد: «من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت» ويعلم ذلك من قوله: «قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين».

ومن الثورات التي أشعل فتيلها وقادها شيوخ التصوف تلك التي قامت في السودان بقيادة المهدي الزعيم الديني ضد الاستعمار الإنجليزي، وهي الثورة التي اقضت مضاجع المستعمرين وألحقت بجيوشهم خسائر فادحة.

وتحت لواء الطريقة النقشبندية وبزعامتها أعلن مسلموا الصين ثورتهم الكبرى في تركستان الصينية والتي امتدت إلى جزر الهند الشرقية وهذا بعد انتشارها في أوساط آسيا شرقا إلى أن وصلت المناطق الصينية فأخذت تثير سكانها إلى أن قاموا بثورتهم المذكورة.

وحين حدق الخطر بالدولة العباسية بسبب تلك الحروب والثورات التي أصبحت تهدد كيانها، وتزعزع أركانها توجه الخليفة العباسي المتوكل إلى شيوخ التصوف يستنجد بهم ويستنصرهم على أعدائه فهبّ الشيوخ الصوفية يلبون النداء دفاعا عن دولة الإسلام، وحماية حدودها،و نصرة المسلمين في أوطانهم.

ولننصت إلى شيخ الصوفية الأكبر الإمام محي الدين ابن عربي رحمه الله وهو يخاطب الملك الغالب حين أصابه الوهن ولم يثبت، ولم يصمد في وجه الصلبيين، يخاطبه بلهجة وشجاعة وصمود المؤمن المتوكل على الله، الواثق من نصره: «إنك دنيئ

الهمّة فانهض للقتال أو نقاتلك كما نقاتلهم» اهـ. وبنفس تلك اللهجة والشجاعة خاطب السلجوقيين في رسالته إليهم يحثهم على قتال الصلبيين ومقاومتهم.

وهل يمكن إنكار ما قام به شيوخ الطرق الصوفية في معركة عين جالوت وما ألحقه بالتتار من هزائم منكرة، وهزائم الصلبيين في حطين على أيديهم.

وفي مغربنا العبير الكبير سجل تاريخ الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار صفحات مشرقة لبطولات شيوخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا من ذلك مثلا ما جاء عن الشيخ سيدي عرفة وهو من شيوخ الطرق الكبار بالمغرب الأقصى الشقيق حين غزا البرتغال والأسبان الديار المغربية، ولم يجدوا من الحكام أية مقاومة تذكر بل وضعوا أنفسهم تحت وصاية الغزاة المعتدين.

فهب هذا الصوفي الكبير وأتباعه ليعلن في الشعب الجهاد ويقود بنفسه المقاومة الشعبية ضد البرتغال والأسبان بجيش من مريديه وأتباعه فدافعوا دفاع الأبطال وقاوموا مقاومة الشجعان.

وكذلك فعل مريد وأتباع الشيخ عبدالله الجزولي صاحب كتاب ـ دلائل الخيرات في الذكر والصلاة على النبي صلى اله عليه وسلم ـ وشيخ الطريقة الجزولية في جهادهم للغزاة، ومقاومتهم للمستعمرين.

وما قام به الشيخ عبدالله بن المبارك تلميذ الشيخ الجزولي وصاحب الطريقة المباركية. وهي من فروع الطريقة الشاذلية. في مقاومة البرتغاليين وطردهم من الثغور التي كانوا يحتلونها بالجنوب. بالإضافة إلى ما قام به هذا الشيخ في خدمة الإسلام ونشره وإرساء قواعده، وتثبيت أسسه بين قبائل السوس.

شيوخ الطرق الصوفية في الجزائر

ودورها في الجهاد.

أما في الجزائر فإن الدور الذي قام به شيوخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا في الكفاح ضد الاستعمار ومقاومة حملات الغزو والاحتلال لهو دور عظيم يذكر فيشكر. كما كان دور دولة المرابطين من قبل على مسرح السياسة عظيما، فقد قاد شيوخ ومقدمو الطرق القادرية والرحمانية والسنوسية والدرقاوية (والطيبية) كل الثورات التي نشبت ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر وقبلها ضد الإسبان والبرتغال والعثمانيين، وكان أتباع الطريقتين الدرقاوية والرحمانية أشد الناس عداوة للفرنسيين وأكثرهم حربا لهم.

ويذكر السيد حمدان خوجة أن شيوخ الطرق الصوفية أمروا جميع المواطنين الجزائريين أيام الغزو الفرنسي للجزائر

بالتعبئة العامة والوقوف صفا واحدا للإحاطة بالعاصمة ومقاومة الغزاة الفرنسيين المحتلين.

لذلك نجد كما قلنا كل الثورات التي قامت ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر من صنع وتدبير وتخطيط وقيادة مشائخ الطرق ورجال الزوايا، فقد كانوا إذا جد الجد، وداهم أرض المسلمين الخطر، نادوا للجهاد فيلبي نداءهم العباد، وينفرون خفافا وثقالا لنيل إحدى الحسنين النصر أو الاستشهاد.

وفيما يلي نقدم هذه الفقرات من مصادر فرنسية تؤكد صحة ما قلناه دون تعصب أو تحيز ودون الوقوع تحت تأثير عاطفة حزبية ضيقة ولكنها الحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر أو جحود أو متعصب. فهذا الكابتن دي نوفو الذي كان من ضباط القيادة العامة في قسنطينة وكان يتكلم العربية يكشف لنا في كتابه ـ الإخوان ـ الصادر سنة ١٨٤٥ عن الدور الرئيسي للزوايا في المقاومة الدينية وأهمية هذه المقاومة، أما النقيب ريتشارد المتتبع للدوافع العميقة للمقاومة الجزائرية فقد تحدث عن ثورة الظهرة التي اندلعت سنة ١٨٤٥ مبرزا بوضوح الدور المهم الذي قامت به الجماعات الدينية معترفا بأهمية ما يسميه بالمنظمات الدينية ـ يقصد الطرق الصوفية ـ ومقدرا لجهودها أحسن تقدير.

ومن تقرير للمفتشية العامة حرر بالجزائر سنة ١٨٦٤ ويتعلق بالجماعات الدينية يعترف بالدور الخطير الذي تقوم به الطريقة الدرقاوية فيقول: «لقد كان بفرع المدينة طريقتان: الدرقاوية الذين كانوا معادين لنا كل العداء لأن غايتهم كانت سياسية بوجه خاص، أرادوا أن يشيدوا من جديد صرح امبراطورية إسلامية ويطردوننا، إن هذه الطريقة منتشرة جدا في الجنوب ومن الصعب جدا مراقبتهم، لقد كانت ندوات الإخوان سرية وكانت أغلبية رؤسائهم معروفة» اهـ.

وفي التقرير الذي أعده الملازم أبو سري بالمدينة بعد ثورة ١٨٦٤ أكد على الدور الذي تقوم به الزوايا في ميدان التعليم فيقول: «تسعى الزوايا التي يدير معظمها مقدمون من مختلف الطرق إلى إفساد عقول الأجيال المقبلة وذلك ببث عدم التسامح الديني في قلوب الشباب وحملهم على كراهية الكافر.

إن مشائخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة نصوصا من القرآن معادية لنا، مما يحطم فيهم، وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا وتعتبر التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها ونخطط لها سياستنا، ولقد كانت القبائل الأشد عداء لنا هي تلك التي ينتشر فيها التعليم الإسلامي» اهـ.

وهذا القائد الأعلى ((دي توربيل)) يقول ما يلي في تقريره السياسي بتاريخ ٤ أوت ١٨٥٩ بعد الاضطرابات التي رافقت حروب إيطاليا: «إن مبعوثين وفدوا من مختلف أنحاء الشرق وينتمون إلى مجموعة سيدي عبدالرحمن بوقبرين الدينية. الرحمانية. التي يسكن مقدمها الأكبر سي المختار بواحة أولاد جلال (بسكرة) ليسوا غرباء عما يجري. وقد كانت أشغال لجان التجمعات التي شرع فيها من نواح عدة في نفس الوقت موضوعا لخطبهم ومواعظهم[1].

وقد رحل أناس دون إذن ولقد سبق هذا الاضطراب الذي تسبب فيه أناس بتحريض المرابطين نبأ تمرد الحضنة ولوحظ ازدياد في الاجتماعات التي تقام سنويا في ٢٧ من شهر رمضان فبلغ عدد الحجيج في سيدي احنيف بن علي وهي قبيلة بجبال الأقصر ٢٠٠٠ حاج وفي جهات أخرى أكثر من ثلاثة آلاف حاج» اهـ.

بعد سنة من هذا التقرير يكتب القائد العام الجديد الذي خلف دي توربيل وهو ((دي مارتيري)) في تقرير مؤرخ في ٢٢ ماي ١٨٦٠ قائلا: «إذا رجعنا إلى التقارير الرسمية فإننا نلاحظ أنه تم

---

[1] محاضرة للدكتور إيفون تورين في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي.

إلقاء القبض خلال الصيف الماضي على العديد من الناس المشبوه في أمرهم في مقاطعة الجزائر ووهران أغلبهم أو كليتهم تقريبا قدموا من الغرب وينتمون إلى طريقة مولاي الطيب ونظرا لكون هؤلاء المبعوثين قد أتوا بمعلومات مرضية فقد تم إرسال شخص يدعى محمد بن عبدالله من زوان إلى الشريعة. سهل الطريقة. حيث وصل في ١٠ أوت ونادى بالجهاد المقدس ضد الفرنسيين وفي ليلة ما بين ٣٠ و٣١ أوت تقرر القيام بالجهاد المقدس في جمعية عامة وغداة ذلك تم الهجوم على الجند الذين كانوا تحت قيادة القائد الأعلى بمغنية والذين كانوا يقومون بجولة استطلاعية[1] » اهـ.

لقد كانت السرية التامة التي تحيط بالزوايا وما يجري داخلها من نشاط شيوخها والتي لم يستطع الاستعمار بما لديه من امكانيات ووسائل الاطلاع عليها، كانت الشغل الشاغل للضباط المكلفين بمراقبة الزوايا ونشاط شيوخها وطلبتها أولئك الضباط الذين كانوا دائمي اليقظة سيما في المناسبات التي تنعقد فيها الاجتماعات كالمناسبات الدينية مثل الحج أو العودة منه أو

---

[1] محاضرة للدكتور إيفون توربن في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي.

عندما تقام الأسواق وتتوزع مجموعات من الطلبة بسرعة لجمع الزيارات.

وفي هذا الموضوع يقول ماك ماهون سنة ١٨٥١: «يجب على الإنسان أن يقضي حياته كلها في الزاوية حتى يعرف ما يجري فيها وما يقال فيها».

ويقول المؤرخ الفرنسي مارسيل ايمري: «بالرغم من أن لهذه الطرق الصوفية صبغة دينية متصوفة فإنها كانت بالنسبة لدورها الاقتصادي والاجتماعي أحزابا سياسية بالإضافة إلى أن نظامها الغامض التصاعدي قد جعلها جمعيات سرية من الدرجة الأولى فقد نظمت حملات دعائية سرية محكمة ضد الفرنسيين بواسطة اتصالات خفية، إن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد أعدت ونظمت ونفذت بوحي من هذه الطرق الصوفية، فالأمير عبدالقادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية. ومن بين الجمعيات المشهورة التي لعبت دورا أساسيا هاما في هذه الثورات: الرحمانية ـ السنوسية ـ الدرقاوية ـ الطيبية.» اهـ. والكاتب يقصد بالجمعيات في هذا النص: الطرق الصوفية.

ويؤكد السيد أوكتاف ديفون، المفتش العام للبلديات الممتزجة بالجزائر في تقرير بعث به إلى لجنة مجلس الشيوخ

المكلفة بالجيش والتي كان يرأسها كليما رصو ويؤكد بالنسبة لأسباب الثورات، والانتفاضات التي كانت تندلع من حين لآخر من كل جهات الجزائر على الدور الهام للطرق في تلك الثورات فيقول: «إننا سلفا نجد دائما يد مرابطية وراء كل هذه الثورات التي يقوم بها الأهالي ضدنا».

هذه بعض النصوص المأخوذة من كتب ووثائق فرنسية وهي تقدم شهادات حية عن دور شيوخ الطرق الصوفية والزوايا أو المرابطين في ميدان المقاومة الوطنية ضد الغزاة المحتلين، والمتأمل النزيه في مسلسل الثورات التي نشبت في مختلف نواحي القطر الجزائري يتأكد بما لا يدع مجالا للشك بأنها كانت من إعداد وتنظيم وقيادة أولئك الأبطال المجاهدين من شيوخ الطرق والزوايا.

فالشيخ محي الدين بن الشيخ مصطفى الغريسي مقدم الزاوية القادرية بالقيطنة، نواحي معسكر، تلك الزاوية التي كانت قبلة العلماء والصلحاء والمرابطين قد شن في ١٧ أفريل ١٨٣٢ هجوما على دورية فرنسية استطلاعية في ضواحي وهران وأنزل بها بعض الخسائر، كما وجه انذارا لقائد قوات وهران للجلاء عن المدينة أو الخروج منها للقتال. وكان جيشه مكونا من مريدي الزاوية وأتباعها. ويعلن الشيخ محي الدين في نفس السنة الجهاد ويعد له جيشا من عدة آلاف من المجاهدين وتوجه به إلى وهران

ليهاجم قوة فرنسية كانت تعسكر في المنطقة. كان معه في هذا الهجوم ابنه البطل العظيم الأمير عبدالقادر وقد أبلى في هذه المعركة بلاء حسنا وأوصى الشيخ كل القبائل بضرب حصار على وهران وعدم السماح بمرور المؤن إلى الجيش الفرنسي بها.

ويكرر الشيخ محي الدين الحملة على وهران بجيش مكون من ألف مجاهد، وحملة أخرى بخمسمائة مقاتل، وكانت خسائر الجيش الفرنسي في هذه المعارك والهجومات كبيرة. واستمر الشيخ في قتاله للعدو ومقوامته الباسلة لجيوش الغزو والاحتلال رغم تقدم سنه وذلك بغية تثبيت إرادة الكفاح في مريديه وأتباعه لمواصلة المسيرة من بعده، وكانت زاويته بالقيطنة مركزا هاما للتدريب على السلاح.

ويحمل الراية من بعده ابنه الأمير عبدالقادر خِريج الزاوية القادرية المذكورة، بعد أن بايعته القبائل في نواحي معسكر وما جاورها ليوسّع رقعة المقاومة الشعبية فتعم في عهده كامل أرجاء الوطن من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، فمن معسكر إلى سبدو فتلمسان، ومن جبل بني سنوس جنوب مغنية إلى تاقدمت مليانة بوغار المدية إلى زاوية بلخروب المعروفة التي تنتسب إلى أسرة أحمد بن سالم الفقيه، جنوب شرق الجزائر، ويبسط الأمير سلطان مقاومته على واحات الصحراء من البيض إلى مناطق الزيبان

وعاصمتها بسكرة وتمتد إلى منطقة القبائل حتى شرق مدينة سطيف.

ويستمر الأمير البطل في إنزال أقصى الضربات على جيوش الأعداء لينزل بهم الهزائم في المقطع، والتافنة. وهكذا إلى أن توقفت هذه الثورة العملاقة بزعامة البطل العظيم نتيجة خيانات الداخل والخارج. وقد كان توقف مقاومة الأمير عبدالقادر سببا في اشعال فتيل الثورات عبر مختلف مناطق الوطن وكانت كلها كما قلنا من تحضير وقيادة مشائخ الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا ومريدهم.

وكان الأمير عبدالقادر كما وصفه أحدهم متضلعا في العلم والأدب، سامي الفكر، راسخ القدم في التصوف، لا يكتفي به نظرا حتى يمارسه عملا، ولا يحنُّ إليه شوقا حتى يعرفه ذوقا. وله من التصوف كتاب. المواقد. ذكرى الغافل وتنبيه الجاهل. فهو في هذا المشرب من الأفذاذ وربما لا يوجد نظيره في المتأخرين. إن توقف مقاومة الأمير عبدالقادر لم يضمن للغزاة المحتلين الأمن والاستقرار، ولم يوفر لهم الهدوء والسلام، وهي أهداف كانوا ينشدونها ويعملون على تحقيقها، فقد خابت آمالهم، وتبخرت أحلامهم بعد أن أخذت الثورات تندلع في كل مناطق البلاد الواحدة تلو الأخرى، وأخذت تتسع رقعتها لتعم الوطن شرقه وغربه ووسطه وجنوبه، وصمم الشعب الجزائري البطل على

مواصلة الجهاد، وعدم وضع السلاح والاستسلام لقوى الشر والبغي والطغيان، فقاوم، وقاتل ولم يضعف ولم يستكن إلى أن فجر ثورته التحريرية الكبرى التي كانت الضربة القاضية التي حررت البلاد والعباد.

وكان من أبرز المجاهدين في جيش الأمير عبدالقادر سيدي محمد بن علال بن الوالي الصالح سيدي مبارك، دفين القليعة وشيخ زاويتها الذي تولى قيادة جيوش المجاهدين وخاض بهم كبريات المعارك في نواحي وهران وأبلى البلاء الحسن إلى أن رزقه الله احدى الحسنين فاستشهد في معركة الشرق وقطع الأعداء رأسه ووضعوها في حراب من جلد وأرسلت إلى مريديه وأتباعه ترهيبا لهم وتشفيا فيهم، والحديث عن هذا البطل الشهيد محمد بن علال بن المبارك يقودنا إلى الحديث عن عمه الشيخ محي الدين بن مبارك شيخ زاوية القليعة الذي كان من رجال المقاومة الشعبية في منطقة المتيجة الشاسعة المترامية الأطراف والذي كوّن مع الشيخ علي السعدي سليل أسرة سيدي السعدي المعروف بالجزائر العاصمة بزاويته الموجودة قريبا من ضريح العالم الجليل مفخرة الجزائر سيدي عبدالرحمن الثعالبي. قلت كونا قيادة للمقاومة بمعية بالمجاهد البطل الحسين بن الحاج محمد بن زعموم ضد القوات الاستعمارية الغازية في سهول المتيجة حيث أعلنوا الجهاد في جويلية من سنة ١٨٣٠ على رأس سبعة

آلاف مجاهد واستطاعوا بفضل شجاعتهم واستماتتهم في الدفاع عن الوطن أن يلحقوا جيوش كلوزيل والسفاح رويبثو أفدح الخسائر وأن يردوهم على أعقابهم مدحورين وأن يضربوا عليهم حصارا داخل مدينة الجزائر. وقد تواصلت المعارك في مناطق المتيجة قوية عنيفة.

وفي شهر يناير من عام ١٨٤٥ شهدت منطقة الظهرة معركة من المعارك التاريخية الكبرى التي أطلق عليها الفرنسيون ((انتفاضة الطرق الصوفية)) وذلك لمشاركة العديد من الطرق الصوفية فيها كالقادرية والرحمانية والطيبية وغيرها فما كان من جيش الاحتلال إلا أن ينتقم شر انتقام وبوحشية لم يعرفها تاريخ البشرية من عرش أولاد رياح الساكن جنوب مدينة تنس والذي كان له شرف المشاركة في الانتفاضة المذكورة.

وَمِنَ المرابطين المنتسبين إلى الطريقة الطيبية الشيخ الشريف محمد بن عبدالله المعروف ببومعزة، فقد قام هذا الشيخ المجاهد بثورة تركت بصاماتها في سجل المقاومة الوطنية ضد قوات الغزو الفرنسي وقد أعدّ لها باستنفار القبائل والأعراش في نواحي الظهرة والشلف والونشريس وتعبئتهم لخوض معركة الجهاد المقدس من أجل الدفاع عن الوطن ومقدساته. وقد اتسعت هذه الثورة لتشمل التيطري والحضنة وجبال الديرة نواحي سور الغزلان ثم امتدت إلى نواحي أولاد جلال حيث وجدت

في زاوية المختارية وشيخها الجليل المختار مقدم الطريقة الرحمانية كامل الدعم والمساندة المادية والمعنوية.

وكان بومعزة كثير التنقل والترحال في مناطق الوطن فمن الحدود المغربية إلى الصحراء كان يحرّض المواطنين على الثورة ضد المحتلين ويحثهم على الجهاد والمقاومة إلى أن تصدت له قوات الغزو الاستعماري بما تملك من وسائل القتل والدمار فقضت على هذه الثورة وعلى قائدها بعد أن زرع الرعب والهلع في نفوس الأعداء، رحمه الله ورضي عنه.

ومن الثورات التاريخية العملاقة التي فجّرها شيوخ ومقدموا الطرق الصوفية ورجال الزوايا نذكر ثورة البطل المجاهد الشيخ بو عمامة وهو من أتباع الطريقة السنوسية.

وقد انتشرت ثورته عبر مناطق عين الصفراء وتيارت وفرندة وسعيدة وأحرار الشراقة وعين صالح وتوات وقورارة بني عباس وكرزاز. كما يذكر الأستاذ يحي بوعزيز فإن المجاهد بوعمامة كان رجل دين متحمس وكان متأثرا بدعوة المصلح الإسلامي الكبير جمال الدين الأفغاني، وحركة السلطان عبد الحميد التي كانت تسعى لجمع شتات المسلمين في إطار الخلافة الإسلامية، فكان الشيخ بوعمامة يعمل في نفس الاتجاه، ولتحقيق نفس الأهداف

المتمثلة في تحرير وطنه من براكن الاستعمار، وإصلاح مجتمعه الذي هو جزء من المجتمع الإسلامي الكبير.

تلكم هي أهداف البطل بوعمامة في ثورته التي ألحقت بجيوش الاستعمار ضربات قاسية، كما أنزلت بجيوشه الهزائم مما جعل الاستعمار الفرنسي يقرأ لهذه الثورة ألف حساب، ويَجْمَعُ لها قواته المجهزة بأحدث الوسائل الحربية قصد حصارها، وتطويقها ومنعها من الانتشار والتوسع/ وذلك بوضع جيوشه على طول الخط الممتد من عين الصفراء إلى مدينة فرندة مرورا بعين خليل والعريشة وراس الماء ومشرية والبيض وسبدو والفاية وسعيدة والخيثر.

وقد لعبت الطريقة السنوسية دورا كبيرا في دعم الشيخ بوعمامة وتشجيعه في ثورته ضد الاستعمار الفرنسي. كما كانت وراء الكثير من الثوار في مناطق الصحراء، وهكذا وبعد حوالي ثلاثة عقود من عمره قضاها مجاهدا في سبيل وطنه وشعبه يلبي الشيخ بوعمامة نداء ربه في عام ١٩٠٨ عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

وقد كانت ثورة بوعمامة هذه امتدادا لثورة سبقتها بقيادة أولاد سيدي الشيخ التي انطلقت من واحة البيض حيث توجد زاوية وضريح سيدي عبدالقادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ،

جنوب الشاطئ الشرقي بالسهول العليا الغربية الوهرانية، وكان ميدان هذه الثورة التي تضاف إلى قائمة الثورات الطويلة التي قام بها شيوخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا دفاعا عن الجزائر وعن الإسلام والعربية فيها.

قلت لقد كان ميدانها في البداية، الجنوب الوهراني الذي يعتبر، كما قال الدكتور جيلالي صاري من أهم القواعد للتوغل الاستعماري الفرنسي والسيطرة على البلاد الإفريقية وهذا ما يؤكد أهمية وعظمة ثورة أولاد سيدي الشيخ التي استمرت من ١٨٦٤ إلى ١٨٨٠ والتي امتدت إلى جبل عمور، التيطري، ميزاب الشعابنة، متليلي، ورقلة، أدرار، تيميمون، الهقار، مشرية، سعيدة، غليزان، سبدو، مغنية، بني سناسن، الجلفة، سور الغزلان.

وقد استطاع أولاد سيدي الشيخ بفضل مركزهم الديني، ونفوذهم الروحي، أن يعطوا لهذه الثورة دفعا قويا جعلها من أهم الثورات الي عرفها تاريخ المقاومة الوطنية في الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي والتي استطاعت بصمودها أمام القوة العاتية أن تلحق به أضرارا مادية معتبرة. وكادت بفضل صمود قادتها وحكمتهم أن تبسط نفوذها على كامل التراب الوطني لولا ما كان بحوزة الأعداء من وسائل حربية جدُّ متطورة.

ورغم عدم تكافؤ الوسائل والامكانيات، ورغم الظروف الاقتصادية والاجتماعية القاسية الصعبة فإن قادة ثورة أولاد سيدي الشيخ لم يضعفوا أمام الأعداء ولم يهنوا ولم يستكينوا بل راحوا بكل إيمان وعزم، وثقة بالله كبيرة يجمعون الشمل ويضمون إلى صفوفهم إخوانهم التيجانيين الذين وقفوا إلى جانبهم في خندق الجهاد المشترك في معركة عين ماضي التاريخية عام ١٨٦٩ التي استطاع فيها القائد البطل سيدي الأعلى بن أبي بكر أن يجمع حوله ٦٠٠٠ فارس و٣٠٠٠ من المشاة في معركة استعمل فيها العدو أحدث الأسلحة لأول مرة. واستمرت رغم كل ذلك ثورة أولاد سيدي الشيخ تقاوم الاستعمار، وتحمل راية الكفاحِ المسلح بزعامة قادتها الأبطال من زاوية سيدي الشيخ رحمهم الله جميعا ورضي عنهم جزاء ما قدموا من تضحيات، وما بذلوا من غال ونفيس دفاعا عن أرض الجزائر الغالية.

وتتواصل ثورات هذا الشعب البطل الرافض للاحتلال الأجنبي والذي استجاب دائما لنداء الواجب الوطني الداعي للجهاد والثورة على الغزاة، والالتفاف حول كل من يتوسم فيهم الصدق والإخلاص للبلاد والعباد، ومن بينهم المجاهد ابن ناصر بن شهرة وهو من أسرة تنتمي إلى الطريقة القادرية، وقد بدأ يعدّ للثورة سنة ١٨٤٦ ولكن الاستعمار اعتقله سنة ١٨٥١ ليوضعه رفقة نخبة من

رجال الاربـاع[1] وأعيانهم تحت الإقامة الجبرية في معسكر قريبا من بوغار.

وكان قد اتخذ من الصحراء التي كان خبيرا بها ميدانا لثورته وعملياته ضد جيوش الاحتلال، وهو الذي قال عنه المؤرخ الفرنسي لوي رين: «كان ابن ناصر بن شهرة الملاح الحقيقي للصحراء». وقد لقي من أقاربه وبني عمومته من قبائل المعامرة والحجاج الدعم والتأييد كما وجده في الزاوية الرحمانية في نفطة لشيخها مصطفى بن عزوز البرجي الطولقي تلك الزاوية التي كانت قبلة الثوار والمجاهدين يلجأون إليها عند الحاجة فيجدون فيها ولدى شيوخها كل ما يحتاجون إليه مِنْ أنواع الدعم والتشجيع.

وقد تحدث لوي رين المؤرخ الفرنسي عن ابن ناصر بن شهرة خلال فترة وجوده بالزاوية المذكورة فقال: «في نفطة كان ابن ناصر بن شهرة الذي خلف أباه كآغا على الأرباع سنة ١٨٤٦ يقوم منذ ١٨٥١ بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية ولم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أو قبائلنا التي رضخت لنا».

---

[1] الأرباع قرب مدينة الأغواط.

ومن بين العمليات التي قام بها ضد جيش الاحتلال هجومه على قرية الحيران واستلاؤه على حصنها، وذلك سنة ١٨٥٢، كما شنّ هجوماته وهو بالجنوب التونسي على القوات الفرنسية وشاركه في ذلك المجاهد البطل محمد بن عبدالله، وعند اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ الآنفة الذكر، يعود ابن شهرة خفية إلى ورقلة لينضم إلى تلك الثورة العظيمة ويشترك مع أحد قوادها الأعلى بن أبي بكر بن حمزة في المعارك البطولية التي وقعت بالمنطقة.

واستطاع المجاهدون أن يسيطروا على كل المنطقة الممتدة من الساورة غربا إلى متليلي شرقا، وينتقل المجاهد ابن شهرة رفقة سي الزبير وابن أخيه سي أحمد بن حمزة من قادة ثورة أولاد سيدي الشيخ إلى المنيعة وعين صالح لدعوة الطوارق، والشعابنة إلى إعلان الجهاد ضد المستعمرين. ثم يتصل بالمجاهد بوشوشة في واد مزي فيعينه خليفة له على الصحراء الشرقية حيث اتخذ مدينة تقرت مركزا لقيادته وعملياته ضد جيش الاحتلال.

ويستمر المجاهد ابن شهرة في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي إلى سنة ١٨٧٥ حين يرغمه باي تونس على مغادرة بلاده فيختار التوجه بحرا إلى بيروت ثم دمشق التي توفي بها سنة ١٨٨٤ رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

ومن الثورات الوطنية ضد الغزاة المحتلين تلك التي اندلعت سنة ١٨٥١ في نواحي ورقلة وتقرت ووادي سوف بقيادة المجاهد الشريف محمد بن عبدالله شريف ورقلة والذي بدأ الإعداد لثورته من معتكفه في مسجد سيدي أبي مدين الغوث بحي العباد حيث كان يتصل بأتباعه ومريديه، ويظهر من علاقته الوطنية بالشيخ محمد بن علي السنوسي شيخ الطريقة السنوسية والذي كان إلى جانبه في الحجاز حيث ساعده في تأسيس زاويته المعروفة بجبل أبي قبيس بمكة المكرمة والتي كانت ملجأ لكل الجزائريين المهاجرين والمنفيين من بلادهم، كما يظهر كذلك من المراسلات التي كانت بينه وبين السنوسي بعد عودته من المشرق وتأييد هذا الأخير ودعمه له في ثورته ضد الاحتلال، يبدو من كل ذلك أن الشريف محمد بن عبدالله زعيم الثورة كان سنوسي الطريقة كما أن لهذه الطريقة دورا بارزا في الكثير من الثورات.

وبعد مبايعته من طرف القبائل المتواجدة في نواحي ورقلة وتقرت على السمع والطاعة، أعلن محمد بن عبدالله الثورة على الفرنسيين وكانت له مع جيشهم معارك بطولية خالدة أبلى فيها المجاهدون بلاء حسنا، وأبدوا من ضروب الشجاعة ما جعل الفرنسيين يحشدون قوات كبيرة يأتون بها من وهران ومعسكر

والمدينة لمواجهة هذا الثائر البطل وجيشه من المجاهدين الشجعان.

وفي أكتوبر من سنة ١٨٥٢ استطاع ابن عبدالله وجيشه القضاء على ٢٠٠ جندي من جيش الاحتلال ويغنم ٣٠ ألف رأس من الغنم وألفي جمل. كل ذلك خلال معركة ضاربة مع الأعداء.

شارك هذا الصوفي المجاهد في ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة ١٨٦٤ وقاتل إلى جانبهم قتال الأبطال ثم اتجه إلى تونس ليظهر من جديد في الحدود الشرقية حيث يشارك إلى جانب ابن شهرة، وبوشوشة، والمجاهدين من أولاد خليفة بنواحي تبسة في عمليات المقاومة والهجومات على مراكز الأعداء، كما قاد عام ١٨٧١ حملة كبيرة على نقرين التي استولى عليها رفقة محي الدين بن الأمير عبدالقادر وعلى مدينة تبسة كما استولى ابن شهرة على تقرت وورقلة.

وبعد نهاية الثورة المقرانية وتفرق رجالها في شتى أنحاء البلاد فمنهم من قصد تونس، ومنهم من قصد طرابلس الغرب، في هذه الفترة يغادر المجاهد محمد بن عبدالله أرض الوطن متجها إلى مدينة الكاف التونسية وفيها يلقى عليه القبض بأمر من الباي ويسجن، وهكذا إلى أن توفي سنة ١٨٩٥ بعيدا عن الأهل والوطن حيث دفن هناك. رحم الله هذا الصوفي المجاهد.

وفي عام ١٨٦٤ تنفجر في الشمال القسنطيني في الزواغه وفرجيوه، والبابور بقيادة مقدمي الزاوية الرحمانية الذين استطاعوا تعبئة الجماهير لمقاومة الجيوش الاستعمارية الغازية وبدأوا بقيادة المقدم مولاي محمد بمحاصرة قرية الزغاية واحراق برج القائد، ثم هاجموا قوات الجنرال بريقو حاكم مقاطعة قسنطينة بالواد الكبير واستمرت الثورة على أشدها إلى سنة ١٨٦٥ لتنتهي بفك الحصار على بلدةتاقيطونت.

وفي نواحي تبسة بالشرق الجزائري دائما قام أحد المرابطين وهو الشريف عمر بن قديدة بثورة ضد المحتلين سنة ١٨٥٩، والتف حوله سكان تلك المناطق من أعراش الحراكتة وأولاد سيدي عبيد وغيرهم وشن هجومات عديدة على مواقع جيوش الاحتلال الفرنسي. غير أن المحتلين تصدوا له بجيش يقوده الضابط قابي، وبعد معارك حامية الوطيس، استشهد المجاهد بن قديدة وعمره لا يتجاوز الثلاثين سنة وكان مرتديا الزي العسكري المتمثل في رداء جلدي وخوذة نحاسية وتذكر الروايات أن الفرنسيين وجدوا بحوزة جيشه العديد من الخوذات النحاسية المجلوبة من الزوايا.

ومن علماء الزوايا الذين أعلنوا الجهاد على الفرنسيين نذكر الشيخ محمد بن عبدالله الذي كان مدرسا بالزاوية الكرزازية

بالقنادسة وينتمي إلى الطريقة الطيبية لشيخها الطيب الوزاني رحمه الله.

لقد أعلن هذا المرابط الجهاد في القبائل في الناحية الغربية حيث اتصل ببني سناسن. وانقاد غيرهم من الأعراش وقد لبى جميعهم نداءه وفي طليعتهم زعيم بني سناسن الشيخ الحاج ميمون بن البشير وهو من الوجوه المعروفة في الجهة ويتمتع بين قومه بسمعة طيبة ونفوذ روحي كبير كما انضم إليهم الشيخ محمد بن المكي الذي كلف في هذه الثورة بالتسليح. وكان تاريخ اندلاعها سنة ١٨٥٩ بقيادة الشيخ محمد بن عبدالله فألحقت بجيوش الاحتلال خسائر فادحة لا سيما في معركتي سيدي زاهر وزاوية سيدس العنبري اللتين سقط فيهما المئات من جنود الاستعمار.

ونعود مرة أخرى إلى مناطق الصحراء لنلتقي بالبطل المجاهد محمد بن التومي المعروف ببوشوشة والذي ينتمي إلى الطريقة السنوسية. فقد بدأ بوشوشة حياته النضالية بالسجن ولكنه تمكن من الفرار منه ليلتحق بثورة أولاد سيدي الشيخ التي قاوم ضمن جنودها مقاومة الأبطال ثم ينتقل بعد ذلك إلى منطقة توات حيث يربط علاقات بالزعيم الديني لسكان رقان. وظل ينتقل عبر مناطق الصحراء يدعو إلى الثورة، ويعلن الجهاد، ثم يستقر به المقام في عين صالح في سنتي ١٨٦٩ و١٨٧٠ وفيها بويع

من طرف قبيلة الشعانية وبعد أن أعد العدة توجه بجيشه إلى مدينة المنيعة التي هاجمها في أفريل سنة ١٨٧٠ واستولى عليها وعلى مدينة متليلي بعد حصار دام عدة أيام، كما هاجم حامية من الجيش الاستعماري في ورقلة سنة ١٨٧١ فأنزل بها الهزائم واستولى على المدينة التي عيّن عليها ابن ناصر بن شهرة خليفة له وبذلك استطاع بوشوشة وجيشه تكوين جبهة قوية للدفاع عن الصحراء الجزائرية، كما هاجم في وادي سوف أعوان علي باي ممثل القوات الفرنسية في بلدة قمار، ثم استولى على مدينة تقرت بعد أن شنّ هجوما على جنود الاستعمار بها وولّى عليها بوشمال بن قبّي آغا.

والخطوة التاريخية المهمة الجديرة بالذكر هي تلك القيادة الجماعية التي أنشأها رفقة المجاهدين ابن شهرة ومحمد بن عبدالله للإشراف والسهر على تنظيم الثورة التي أخذت في الاتساع حيث شملت المنطقة الممتدة بين عين صالح جنوبا حتى أولاد جلال شمالا ووادي سوف شرقا.

واستمرت هذه الثورة بقيادة هؤلاء الزعماء الصوفيين الثلاثة قويّة إلى أن جهّزت لها سلطات الاحتلال جيشا بقيادة الجنرال دولاكروا الذي استطاع بما يملكه من عدة وعدد أن يسترد مدينتي ورقلة وتقرت وأن يقضي على ثورة بوشوشة الذي وقع أسيرا سنة ١٨٧٤ حيث أودع سجن قسنطينة ثم حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه

صباح ٢٩ جوان ١٨٧٥ بمعسكر الزيتون في قسنطينة، عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

وهذه ثورة الشيخ الأزرق بن الحاج مقدم الطريقة القادرية الذي أعلن الجهاد، وقاد المقاومة الشعبية في جبال الونشريس ووادي الشلف، واستطاع بفضل ما كان يتمتع به من نفوذ روحي في أوساط الجماهير الشعبية أن يجند عددا كبيرا من سكان القرى والمداشر في تلك الجهة وأن يخوض بهم معارك ضارية خصوصا معركة خنقة العازر التي وقعت في ٢٤ أفريل من عام ١٨٦٤ مع قوات الاحتلال بقيادة الجنرال مارتينو.

كما خاض الشيخ الأزرق معارك عديدة في زمورة بحوض وادي الشلف ليعود بعدها إلى مناطق فليتة قصد توزيع دائرة المقاومة ضد قوات الاحتلال والتنسيق مع مجاهدي ثورة أولاد سيدي الشيخ، وهكذا اضطرت قوات الاحتلال تحت ضربات المجاهدين المتتالية إلى مغادرة القرى بين غليزان ووادي رهيو والفرار بأنفسهم إلى مستغانم بعد أن أصبحت مدينة غليزان مفتوحة أمام المجاهدين من جميع الجهات. كما استطاع المجاهدون بقيادة الشيخ الأزرق أن يخربوا معسكر الرحوية بعد أن أرغموا الفرنسيين على إيقاف العمل في معسكر عمي موسى.

وفي معركة حامية الوطيس بقيادة الشيخ الأزرق وقعت يوم ٣ جوان ١٨٦٤ ضد قوات الاحتلال بقيادة الجنرال روز الذي كان مكلفا بمتابعته للقضاء عليه في هذه المعركة التاريخية استشهد البطل المجاهد الشيخ الأزرق رحمه الله ورضي عنه.

وفي عام ١٨٥١ ظهر بمنطقة سور الغزلان المجاهد الشريف محمد بن عبدالله المعروف ببوبغلة مولى الساعة فأعلن الثورة في بني منصور حيث وقعت معارك ضد قوات الغزو الفرنسي ثم سار بجيشه إلى جبال جرجرة حيث توجه إليه من العاصمة الجنرال روندون بقواته، ومن قسنطينة الماريشال ماكماهون بجيش كبير. وكانت للمجاهدين بقيادة بوبغلة معركة مع تلك القوات في ربوة تميزقيدة أبلوا فيها بلاءً حسنا وقاتلوا قتال الأبطال الصناديد

وَمِنْ تمزقيدة إلى منطقة بني ينّي حيث قام الشريف بوبغلة بدعوة أهلها إلى الجهاد ضد جيوش الاختلال، والدفاع عن الوطن، فلبى دعوته شيوخ الطرق والزوايا والمقدمون والمريدون من أتباع الطريقة الرحمانية. والتفوا من حوله يحملون راية الجهاد في سبيل الله متجهين لمنازلة الجيش الاستعماري بقيادة الجنرال روندون، فوقعت عدة معارك في تلك الجهة من منطقة القبائل.

وهنا يظهر الدور البطولي العظيم للمجاهدة الرحمانية لالا فاطمة نسومر التي وقفت في هذه المعارك الجهادية الكبرى تقاتل وتقاوم وتحرضّ المجاهدين، وتبعث فيهم الحماس، وتقوي فيهم عزيمة الجهاد فقتلت العديد من جنود الاحتلال وضمدت جراح إخوانها المجاهدين وأنقذت بشجاعتها الشريف بوبغلة من الوقع في أيدي الأعداء بعد أن سقط في المعركة جريحا فقدمت له ما يحتاج إليه من علاج واسعافات حتى تمكن من النجاة بنفسه.

وهكذا حمل هذا الصوفي مشعل الثورة ضد الاستعمار إلى غاية ١٨٥٧ رفقة المجاهدة فاطمة نسومر التي نشأت وترعرعت في بيت ينتمي كل أفراده إلى الطريقة الرحمانية. وكان أبوها الشيخ محمد بن عيسى مقدما عن زاوية الشيخ الحداد شيخ الطريقة الرحمانية وأمها لالا خديجة التي عرفت باسمها قمة جبل جرجرة الشهيرة.

لقد أعلنت هذه البطلة الجزائرية الثورة ضد جنرالات فرنسا باسم الإسلام وقاومتهم مقاومة الشجعان باسم الإسلام وماتت من أجل عزّة الإسلام رحمها الله وأسكنها فراديس جنانه.

وفي ١٨٥٦ وفي جبال جرجرة الشماء دائما أعلن الحاج عمر الثورة في نواحي ذراع الميزان ضد الاحتلال الفرنسي.

وتعتبر هذه الثورة دعما ومساندة للمجاهد بوبغلة، وتم إبرام اتفاق مع الشيخ واعراب في آيت إيرائنْ ومحمد بن عبدالرحمن شيخ بني منقور لتكوين قيادة جماعية لجماهير الإخوان الرحمانيين قصد الوقوف جبهة متراصة في وجه قوات الغزو التي«كانت تحضّر، و تعدُّ العدة لاحتلالِ منطقة القبائلِ» وَكانت أولى المعارك في ذراع الميزان بقيادة الحاج عمر واستمرت عشرين يوما، ثم تلتها معارك أخرى ضد قوات الجنرال ورندون سنة ١٨٥٧.

وفي ٧ جويلية من نفس السنة أظطر المجاهد الحاج عمر إلى الاستسلام والنفي مع أفراد أسرته خارج الوطن حيث استقر بمدينة نفطة بالجريد التونسي والتي لجأ إليها العديد من قادة الثورات الرحمانيين نظرا لوجود الزاوية الرحمانية الكبيرة لصاحبها الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي والتي كانت مأوى وملاذا للمجاهدين.

وفي منطقة الأوراس حيث الطريقة الرحمانية وزاويتها نلتقي بالشيخ المجاهد سيدي الصادق بلحاج شيخ زاوية سيدي المصمودي بتبرماسين ومقدم الطريقة الرحمانية بالأوراس الذي أعلن الثورة سنة ١٨٥٨ على الاستعمار الفرنسي، وشملت ثورته هذه المنطقة الواقعة من بلدة سيدي عقبة إلى نواحي منعة والتي كان من أهدافها الاستراتيجية مساندة الثورة بمنطقة القبائل وفك الحصار المضروب عليها.

وقد كانت للشيخ الصادق بلحاج مع جيوش الاحتلال صولات وجولات، وغدوات وروحات أبلى فيها مع أتباعه ومريديه البلاء الحسن، وصمدوا أمام تلك القوات العاتية صمود الجبال الرواسخ كما شارك الشيخ في ثورة الزعاطشة إلى جانب الشيخ بوزيان وقاوم مقاومة الأبطال ولم يفشل ولم يستسلم إلى أن ظفر به الأعداء، واعتقلوه رفقة ٨٨ مجاهدا من إخوانه يوم ٢٠ جانفي ١٨٥٩ وحكم عليه بـ ١٥ سنة سجنا مع الأشغال الشاقة، وعلى ابراهيم بـ ١٠ سنوات، وبنفس المدة على كُلّ إخوانه، وبعد هذه المحاكمة الغاشية التي تمت أمام مجلس حربي في قسنطينة سيق الجميع إلى سجن الحراش بالجزائر حيث توفي الشيخ سيدي الصادق بلحاج سنة ١٨٦٢ وحمل جثمانه الطاهر على ظهر فرس ابتاعها أحد الإخوان الرحمانيين في سوق الحراش لهذا الغرض، ودفن بتربة أسلافه بتبرماسين، رحمه الله ورضي عنه.

أما ولداه ابراهيم والطاهر فقد بقيا في السجن إلى أن تم الإفراج عنهما سنة ١٨٧٢ فاشتغلا بإعادة بناء الزاوية الي كان جيش الاحتلال قد دمرها سنة ١٨٥٩. وهكذا عادت الزاوية من جديد لتقوم بدورها الثقافي والاجتماعي الذي أسست من أجله والمتمثل في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الدينية واللغوية، والفصل في النزاعات والخصومات بين المواطنين، وبقيت كذلك في خدمة الإسلام والمسلمين إلى قيام الثورة

التحريرية المباركة فكان مصيرها كبقية الزوايا في شرق البلاد وغربها التدمير والهدم والإحراق بعد أن أدت رسالتها، وأخرجت أجيالا من طلبة القرآن والمثقفين وقادة الجهاد.

ومن ثورات الأوراس ضد الاحتلال الفرنسي تلك التي دعا إليها وقادها المجاهد البطل الشيخ محمد أمزيان من قرية جار الله نواحي تكوت. والجدير بالذكر أن هذا المجاهد من إخوان زاوية تيبرماسين الرحمانية السابقة الذكر وكان إماما ومدرسا في مسجد سيدي عيسى بوقبرين وكان وثيق الاتصال بالزاوية الرحمانية بتبرماسين والتي اتخذت الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله شعارها.

وكان اندلاع ثورة الشيخ محمد أمزيان يوم ٣٠ ماي ١٨٧٩ في قرية الحمام جنوب ايشمول وأخذت تمتد وتنتشر إلى أن انتهت جنوب جبل شاشار مارة بقرية العناصر وبلدة تكوت متجهة إلى وادي الطاقة ومعرجة على مدينة تيمقاد. وقد التف حولها من الأعراش أولاد داود الثوابة وغالبية بني بوسليمان وأحمر خدو وجماعة من بني أوحانة أولاد عبدي، ومن الزوايا، زاوية بوزينة بقيادة شيخها المجاهد الهاشمي بن ردرور الذي وصف هذه الثورة بأنها ثورة إسلامية حقا، وأن صاحبها ومفجرها كان فعلا منتصِرًا لدفعِ الظُلْمِ وإنهائه، وكان الشيخ محمد أمزيان بن جار الله عازما على توسيع رقعة الثورة والخروج بها من نِطاقها الضيق

فوجه لذلك النداء، وأرسل الرسل إلى الحراكتة في أم البواقي ومسكيانة وصدراتة وهم من الإخوان التابعين للزاوية الرحمانية من مريديها وأنصارها.

ولكن العدو باغت المجاهدين بقوات لا قبل لهم بها من حيث العدّة والعدد والتدريب فكانت الغلبة للقوة وخسر المجاهدون المعركة بعد أن استبسلوا فيها وضحوا بالغالي والنفيس وقد سقط من الشهداء في ساحة الشرف يومئذ ١٢٠ شهيدا رحمهم الله وأسكنهم فراديس جنانه.

أما القائد البطل بن جار الله فقد تسلل إلى تونس مع بقية من المجاهدين حيث أقاموا شهرا بزاوية سيدي ابراهيم ولد شريف وهي زاوية رحمانية لقابس، وفيها كانت عيون فرنسا تلاحقهم فألقت على القائد ابن جار الله وأخيه ونخبة من المجاهدين القبض ونقلوا إلى قسنطينة حيث حكموا وصدرت الأحكام في ٢٦ جوان ١٨٧٩ فكانت كالتالي:

١٤ حكما بالإعدام.

٢٦ حكما أشغال شاقة وإقامة جبرية.

١٦ حكما بالبراءة.

وبعد صدور عفو من رئيس جمهورية فرنسا في ٠٩ نوفمبر ١٨٨٠ خففت أحكام الإعدام إلى الأشغال الشاقة والنفي، وهكذا تم نفي

المجاهدين إلى كورسيكا، وكايان، ومن هذا الأخير فرّ القائد بن جار الله إلى البقاع المقدسة حيث توفي بها سنة ١٨٨٩.

وممن نفوا إلى جزيرة كورسيكا الشيخ الهاشمي دردور شيخ زاوية بوزينة وستة من مقدميه وفيها قضوا عشر سنوات وأربعة أشهر وكان ذلك سنة ١٨٨٠ بسبب مواقفهم المشرفة إلى جانب المجاهدين ودعمهم وتأييدهم الكامل للجهاد والثورة على الاحتلال الفرنسي.

وقبل ذلك وفي ١٨٤٩ قام مقدم الطريقة الدرقاوية البطل المجاهد الشيخ بوزيان بتكثيف الاتصالات وتوجيه الرسائل إلى شيوخ الزوايا الرحمانية كالهامل ببوسعادة، والمختارية بأولاد جلال، والشيخ عبدالحفيظ شيخ زاوية الخنقة، والصادق بلحاج باحمر خدة قصد التحضير لثورة بالناحية.

وانفجرت الثورة بواحة الزعاطشة التابعة لقبيلة أوعرش البوازيد والتي تبعد عن بسكرة النخيل بحوالي عشرين كلم. وقد اتسعت دائرة هذه الثورة فشملت بالإضافة إلى الزاب الغربي نواحي الحضنة والأوراس وكانت بقيادة الشيخ بوزيان وابنه (نائبه) الحاج موسى الدرقاوي الذين دافعوا عن حمى الوطن دفاع الأبطال إلى أن سقطوا شهداء في معركة الشرف. ومثل العدو بجثثهم أشنع تمثيل فقطع رؤوسهم وحملها على السيوف ودخل

مدينة بسكرة ليتأكد الناس من القضاء على الثورة بالقضاء على أبطالها وقادتها.

وقد هبّ لنصرة الثورة ومساندتها الشيخ عبدالحفيظ الخنقي وهو من كبار شيوخ الطريقة الرحمانية وشيخ زاوية الخنقة الشهيرة التي أخرجت العلماء والمجاهدين، وقد كان لهذا الشيخ دور يذكر فيشكر في المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي، والشيخ الصادق بلحاج شيخ زاوية تبرماسين والذي سبق الحديث عنه، والشيخ محمد الصغير بن أحمد ابن الحاج خليفة الأمير عبدالقادر الذي كان له في ميدان الجهاد ضد فرنسا صولات وجولات/ ولكن رغم ذلك شاءت الأقدار أن تسقط الزعاطشة المجاهدة يوم ٢٦ نوفمبر ١٨٤٩ بعد مقاومة باسلة ولسان حال قائدها يقول:

لا تلم كفي إذا السيف نبا   صح مني العزم والدهر أبى

وفي الوقت الذي كانت فيه ثورة الزعاطشة على أشدها يعلن الشيخ محمد بن علي بن شبيرة من الشخصيات الدينية المعروفة والتي تتمتع بنفوذ روحي واسع، يعلن الثورة على الفرنسيين في نواحي بوسعادة فيجد الدعم والمساندة من قبائل أولاد نائل وغيرهم من أعراش الجهة.

قام الشيخ بن شبيرة بشن هجوم على موقع الجيش الفرنسي وتطويقه من جميع الجهات مما اظطرهم إلى اللجوء إلى الجامع العتيق بمدينة بوسعادة، والاستنجاد بقواتهم المتمركزة في مجانة وبرج بوعريريج وقد استطاعت تلك القوات بقيادة الضابط . دوما . مهاجمة المجاهدين وتخليص القوات الفرنسية المحاصرة والانتقام من السكان العزل بنفيهم وتغريمهم.

وتمكن المجاهد ابن شبيرة هذا القائد الديني الثائر من الوقوف إلى جانب الشيخ بوزيان ودعمه في ثورة الزعاطشة تعبيرا عن وحدة المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي.

ونعود إلى الشيخ عدالحفيظ الخنقي لنشير إلى تلك المعركة التاريخية التي قادها الشيخ سيدي الصادق بلحاج، والخليفة محمد الصغير اللذين جندا معه جيشا من المجاهدين في الأوراس.

والتقى الجمعان بوادي براز في معركة حامية الوطيس أبلى المجاهدون فيها البلاء الحسن. وكان النصر حليفهم، وتمكنوا من القضاء على عدد كبير من جنود الاحتلال وضباطه وعلى رأسهم قائد الجيش الرائد سان جيرمان الذي سقط هو الآخر قتيلا تحت الضربات الشجاعة للمجاهدين. وهكذا انسحب المجاهدون

بقيادة الشيخ سيدي عبدالحفيظ الخنقي ظافرين منتصرين، وولى جيش الاحتلال مذموما مدحورا.

وتوفي الشيخ عبدالحفيظ الخنقي عام ١٨٥٠ تاركا عدة مؤلفات نذكر منها. التعريف بالإنسان الكامل. والجواهر المكنونة والعلوم المصونة. وحزب الفلاح ومصباح الأرواح. والحكم الحفيظة. وسر التفكير في أهل التذكير. وغاية البداية في حكم النهاية. رحمه الله ورضي عنه.

ولن نغادر منطقة الزيبان دون الإشارة إلى ثورة العمري التي أعلنها وقادها الشيخ ابن يعيش، وتقع الواحة المذكورة بالقرب من مدينة طولقة حيث انضم إليه المجاهدون من الأوراس وأولاد زيان والصحاري، وكانت المعركة الأولى بقيادة الشيخ محمد بن يحي على رأس جيش المجاهدين والجنرال كارثوري على رأس جيش الاحتلال وشاء القدر أن يسقط الشيخ محمد بن يحي شهيدا في هذه المعركة واستمرت المعارك بمشاركة شيوخ ومقدمي وإخوان الطريقة الرحمانية وهاجم العدو البلدة بعد أن دمر أسوارها واستعمل كل ما يملكه من أنواع الأسلحة للقضاء على الثورة التي أصيب فيها الشيخ ابن يعيش بجروح فألقي عليه القبض وأعدم رميا بالرصاص سنة ١٨٧٦. عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

ولن نغلق ملف المقاومات الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر والثورات التي اندلعت هنا وهناك في أرض الجزائر المجاهدة والتي كانت كما قلنا من تخطيط وتنفيذ وقيادة شيوخ الطرق الصوفية والزوايا. قلت لن نغلق هذا الملف دون الإشارة إلى ما قام به التوارق الأبطال في ميداني الجهاد والمقاومة ضد الغزو الفرنسي، والوقوف في وجهه، لمنعه من التغلغل والاستقرار في أرض الصحراء الجزائرية.

وهكذا تصدى التوارق الذين عرفوا عبر العصور بمقاومتهم لكل غاز دخيل، تصدوا لبعثات الاكتشاف الأوروبية المختلفة، والارساليات والمغامرين الذين كانوا يفدون على الصحراء الجزائرية من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا للبحث عما تخبئه في باطنها من ثروات معدنية ومائية وما تزخر به من امكانيات سياحية خلاقة وكان الهدف للكثير من تلك البعثات هو التجسس من جهة، والعمل على نشر المسيحية في أوساط سكان تلك المناطق، وتنصير أبنائها بمختلف وسائل الإغراء والترغيب من جهة أخرى.

وَمِنْ بين تلك البعثات والارساليات المتعددة المقاصد والأهداف نشير إلى الرحلة التي كلف بها الماجور ألكسندر لان من طرف الحكومة البريطانية إلى مناطق الصحراء والتي قادته إلى عين صالح وأزواد وتمبكتو ولكن التوارق اليقظين الحذرين

رابتهم مهمة هذه البعثة فقتلوا كل أفرادها عند عودتهم إلى أراوان وذلك سنة ١٨٢٥.

كما تمكن التوارق من القضاء على عدة ارساليات وبعثات و على الكثير من المغامرين الذين أوجسوا منهم خيفةً وَ داخلتهم الشكوك في مهماتهم. مثل: إدوارد فوجيل، وبونمان، ودوفيري، وبورمان، وكلهم قتلوا من طرف التوارق الأبطال. كما تم القضاء سنة ١٨٧٢ على دورنو ودوسيري وجوبيد قرب عين أزهار بين غات وغدامس. وبعد مضي عامين أي سنة ١٨٧٦ قتل الرهبان الثلاثة: بوسار، ومينوري، وبوليمي، وهي كما نرى بعثة تبشيرية.

وفي سنة ١٨٨١ تم القضاء على معثة تبشيرية أخرى تتكون من ثلاثة رهبان: ريشارد، وبوبلار، ومورا، بالإضافة إلى ذلك وفي نفس السنة تم القضاء على بعثة عسكرية تتكون من عشرة أفراد يرأسهم الضابط فلاتيرس، وهناك ضابط آخر قبض عليه من طرف المجاهدين التوارق سنة ١٨٨٦ وهو الضابط بالا، وفي سنة ١٨٨٩ قتل الضابط كاميل.

وكان آخر من تم القضاء عليه على أيدي المجاهدين التوارق الراهب شارل دوفوكود الذي أراد قادة جيش الاحتلال الاستعانة به في توغلهم في الصحراء الكبرى فانتقل لهذا الغرض من بني عباس إلى تمنراست لدعم النشاط العسكري بنشاط ديني تبشيري ولكنه يلقى حتفه في تمنراست على أيدي المجاهدين التوارق الذين أعلنوا الجهاد ضد الغزو والاحتلال من نواحي الهقار بقيادة المجاهد الشيخ أمود رحمه الله

وخلال الحرب العالمية الأولى أعلن المجاهدون التوارق الثورة على المراكز العسكرية الفرنسية المتمركزة على الحدود الجنوبية التونسية مثل مركز الذهيبات، ومركز بير غنمش وعلى قوافل فزان وذلك خلال سنة ١٩١٤ وأوائل عام ١٩١٥، كما قام المجاهدون التوارق بتخريب الخطوط الهاتفية وغنموا أسلحة وذخائر في المراكز العسكرية التي كانوا يهاجمونها. مثل الهجوم الذي شنه حوالي ٢٠٠٠ مجاهد على مركز أم سويقة حيث اصطدموا بالقوات الفرنسية بقيادة الضابط ميراند كما اشتبكوا مع قوات الرماة الفرنسيين وقضى فيها المجاهدون التوارق على ٤٠ جنديا من جيش العدو[1] .

---

[1] مقال للدكتور المؤرخ يحي بوعزيز، مجلة الثقافة. جوان ١٩٨٦.

وقد زاد التعاون مع ثوار الشعانبة، والمقاومين السنوسيين في توسيع حركة العصيان، والتمرد، والثورة في أوساط التوارق. فقد أقام العابد السنوسي حفيد وخليفة شيخ الطريقة السنوسية بمعية أحمد سلطان الجانيتي، والشيخ عبدالسلام الترهوني بتكوين قوة عسكرية كبيرة في غات قرب الحدود الجزائرية وذلك في شهر فيفري سنة ١٩١٦ وجهزوها بكل ما تحتاج إليه من وسائل الحرب والمقاومة كالرشاشات والمدافع الحديثة التي غنموها من الجيش الإيطالي الذي هزمه السنوسيون وطردوه من ناحية فزان المجاورة للصحراء الجزائرية.

وقد كان على رأس هذا الجيش من المجاهدين الشيخ العابد السنوسي الإدرسي و عبدالسلام الترهوني وتولى القيادة السياسية الشيخ أحمد سلطان الجانيتي زعيم منطقة جانيت، ومن العمليات المسلحة التي قام بها هذا الجيش هي محاصرة حامية عسكرية في جانيت تحت قيادة صوران لابيير مدة ١٨ يوما وقع خلالها تبادل إطلاق النار، بواسطة المدافع والبنادق وكان النصر فيها حليف المجاهدين، والهزيمة النكراء من نصيب الفرنسيين.

وقامت جماعة من سكان البريبشب، والرقيبات في الجنوب الغربي من الجزائر بثورة ضد قوات الغزو الفرنسي، وقد تزعم هذه الثورة الشيخ خليفة بن ادريس البريبشي وأبناء عابدين الكونتي

شيخ زاوية كونتة بتوات، واستطاع المجاهون أن يطردوا الغزاة الفرنسيين من المنطقة ويبسطوا نفوذهم عليها ويتحكموا فيها.

وقد قام المجاهدون بعدد من الهجومات على المراكز العسكرية الفرنسية في تمبوكتو، وبورنوقاو سنة ١٩١٧ كما ضربوا العدو في تافيلالت وتابلبالة وتعرضوا للقوافل العسكرية الفرنسية بين بني عباس وأدرار. هكذا نرى الأثر الطيب الذي تركته الدعوة إلى الجهاد التي كانت تقوم بها الطريقة السنوسية ضد الاستعمارين: الفرنسي والإيطالي

ولا ننسى أن نسجل ثورة الشيخ ابن الحاج المرابط التي اندلعت سنة ١٩٠١ بقيادة الشيخ المذكور وقد عرفت هذه الثورة بثورة مليانة والتف حولها سكان قرية عين التركي، الذين أعلنوا الجهاد ضد الغزو الفرنسي للبلاد، وقد التحق بها عدد هائل من سكان الأرياف وكان هدفهم القواعد الفرنسية بمليانة. ولكن قوات الاستعمار تصدت لهم بقوة وتمكنت بعد جهد جهيد من القضاء على هذه الثورة التي تعتبر امتدادا لثورة الشيخ بوعمامة.

وفي سنة ١٩٠٦ قام أحد المرابطين من شيوخ الزوايا بدعوة الجماهير في نواحي عين بسام ولاية البويرة إلى الثورة على المحتلين. فلبى المواطنون الدعوة وهاجموا المراكز الفرنسية بالجهة مطالبين بحقهم في الحرية والسيادة.

ونعود إلى الغرب الجزائري لنسجل ثورة بني شقران والمحمدية التي قادها الشيخ عثمان الراشدي الأزهري وهو من مرابطي الجهة وذلك سنة ١٩١٤ وكان لهذه الثورة صداها لدى الكتاب والمؤرخين الفرنسيين الذين وصفوا زعيمها بالمرابط المتعصب.

وقد بلغت هذه الثورة من القوّة حدا جعل المستعمرين يتصدون لها بقوّة ويرسلون النجدات العسكرية للقضاء عليها بسرعة. وأصدرت السلطات الاستعمارية حكمها بالإعدام على بطل الثورة الشيخ عثمان الراشدي الأزهري وتلاميذه وأقاربه.

وما دمنا نتحدث عن ثورات المرابطين ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر يجدر بنا أن نشير إلى ما ذكره مؤرخنا الكبير الدكتور سعد الله من وجود اتصال قديم بين المرابطين في الجزائر والسودان. فقد جاء في تقرير نشرته الصحافة الأوروبية سنة ١٨٨٣ أن مرابطين مبعوثين من مهدي السودان كانوا في طريقهم إلى الجزائر. وقد حذر نفس التقرير فرنسا التي كانت تسحب بعض قواتها من الهند الصينية بأنها معرضة لثورةٍ خطيرةٍ في الجزائر. وهذا يوضح أن الاتصال كان موجودا بين المرابطين في السودان

والجزائر. وقد ثار المهدي على البريطانيين سنة ١٨٨٣ في الوقت الذي كانت في الجزائر ثورة ١٨٨١. [1] اهـ.

وعندما رفض بعض المجندين الجزائريين الالتحاق بميدان القتال في الحرب البروسية، ونظموا حركة تمرد وعصيان، كان إخوان الطريقة الرحمانية بجانبهم يساندونهم، ويتضامنون معهم في هذا الموقف الوطني المشرف، فقد انضم إلى هذه الحركة التمردية حوالي ١٢٠ ألفا من إخوان الطريقة المذكورة، بالإضافة إلى جماعات من الجنوب بقيادة المجاهدين سي سليمان وعمه سي الأعلى من زاوية أولاد سيدي الشيخ المعروفة بمواقفها البطولية في ميادين الجهاد والمقاومة الوطنية.

ومن أمثلة البطولة، والتضحية، والفداء التي سجلها التاريخ لرجال التصوف نذكّر في هذا المقام بما قام به بعضهم عندما احتلَ الإسبان مدينة بجاية في أوائل القرن العاشر الهجري، وتحصنوا بحصونهم حتى يتمكنوا من ضرب المسلمين الذين أخذوا يحاولون بمختلف الوسائل إجلاءهم عنها، فلم يفلحوا بعد أن أمطرهم الإسبان بوابل من قذائف مدافعهم.

---

[1] عن كتاب الحركة الوطنية للدكتور أبي القاسم سعد الله.

وأمام هذا المشهد المريع، والموقف الصعب، احتار المسلمين في أمرهم، وأخذ اليأس طريقه إلى نفوسهم. غير أن هناك ثلة من الشباب لم ييأسوا ولم يفشلوا وبقي أيمانهم بالله قويا، وثقتهم في نصره كبيرة، إنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى وربط على قلوبهم، فقاموا يَخْطُبُونَ في الجماهير اليائسة، ليردوا الأمل إلى النفوس ويبعثوا الحماس والشجاعة في الآلاف المؤلفة من المسلمين، ويذكروهم بأن ما أخذ عنوة، وعن طريق القوّة لا يستردّ إلا بالتضحية والجهاد والمقاومة، وأنه ما ضاع حق وراءه من يطلبه ويناضل من أجله.

إنهم سبعة من الفدائيين الذين فضلوا الموت دفاعا عن سيادة الوطن وحريته، والفوز بالشهادة في سبيل الله عن حياة الذل والهوان والاستعباد في ظل احتلال أجنبي جائر.

نعم إنهم سبعة من فدائيي الصوفية توجهوا بخطى ثابتة، وشجاعة نادرة، ورباطة جأش نحو الحصن واضعين السلالم للصعود عليها، دون أي خوف أو رهبة من أسلحة الفتك والدمار التي كانت بحوزة المحتلين الإسبان. واستطاع أحدهم أن يصعد إلى أعلى الحصن ولكنه لم يلبث أن سقط شهيدا تحت قذائف المدافع ورصاص الإسبان وتبعه إخوانه الذين استشهدوا جميعا الواحد تلو الآخر وكان استشهادهم أمام أعين الناس درسا وأي درس في الشجاعة والبطولة والفداء. فهزّ نفوس الجماهير التي كانت

مصطفة وبعث فيها روح الحماس والتضحية فهجمت على الحصن هجمة رجل واحد ففتحته وقضت على كل من كانَ فيه من المحتلين الإسبان.

وقد قام صالح رايس ببناء ضريح في سفح برج موسى تخليدا لأرواح أولئك الشهداء السبعة الذين استشهدوا دفاعا عن بلاد الإسلام وتحريرها من الاحتلال الإسباني، ولا يزال إلى يوما هذا بالقرب من الضريح حمام يعرف بحمام السبعة رجال، وهو من المزارات التي يقصدها الناس للتبرك بها وتحظى في أوساط الأهالي بكل احترام وتقدير.

ومما يذكر في هذا المقام وترويه العامة أن الأخيار الطيبين من الناس إذا مروا أمام الضريح يشاهدون سبعة أضواء تنبعث من الحصن وأما أشرار الناس إذا مروا فإنهم يقذفون بالحجارة من الضريح ولا ينقذهم منها إلا الفرار والهرب.

هذه لمحة خاطفة عن بعض ما قام به شيوخ التصوف ورجال الزوايا في ميدان الجهاد والمقاومة الوطنية، ولا أريد الاستمرار في الحديث عن هذا الموضوع الذي لا يتسع له مثل هذا الكتاب الذي توخينا فيه الإيجاز ما استطعنا. غير أنه تجدر الإشارة في نهاية هذا العرض السريع لتلك الثورات التي إن ذلت على شيء فإنما تدل على أن شعبنا البطل وقف منذ الوهلة الأولى في وجه

الاحتلال الأجنبي وقفة رجل واحد رافضا أن تغتصب سيادته، وتداس كرامته، وتهان مقدساته، وتصادر حريته. لذلك واصل جهاده ولم يستسلم ولم يضع السلاح حتى استرد بالثمن الباهض حريته واستقلاله.

وقد تحدث شاعر الثورة الراحل مفدي زكرياء رحمه الله عن تلك الثورات وعن قادتها وخلد ذلك في الياذته التاريخية الرائعة. وفيما يلي ننقل للقارئ الكريم بعضا من مقاطعها مع ما جاء في التعليق عليها بدون زيادة أو نقصان:

بلى . . . يا فرنسيس، هذا الحمى صنعنا سيادته بالدما
بلونا السنين الطوال جهادا تباركنا معجزات السما
مضت مائة وثلاثون عاما نذود، ونأنف أن نهزما
صعدنا نقاوم، شرقا وغربا ونجعل أرواحنا سلما
غزا لاموريسيير أحمد باشا فقمنا بسيرنا نصون الحمى[1]

---

[1] اتخذت المقاومة الجزائرية بعد الاحتلال شكلين، سياسي رسمي، وشعبي. فأما السياسي فقد تولى زمام أمره الحاج أحمد، باي قسنطينة (وكان من عائلة المقراني الذي سيثور سنة ١٨٧١)، فالتفت حوله الأمة من الجزائريين ومن بقايا أتراك. وكان احتلال الأموريسيير لمدينة قسنطينة سنة ١٨٣٨ إنذارا بنهاية المقاومة الحكومية المنظمة فانتهى ظاهرا وبقيت النار تحت الرماد وقد سجلت مدينة قسنطينة بدفاعها المجيد صفحة خالدة من

وثُرْنا نقاوم: بيتا فبيتا وشبرا فشبرا، ونسبي الدمى
ولولا تخاذل بعض الكسالى الرعاديد لَمْ نفلت المُجْرِمَا
معسكر فجر عزم الشباب فطاول عملاقها الأنجما
وبويع، شاعرها الها شمي فكان بها القائد الملهما[٢]
يَصوغ النظام، ويبرى الحسام فيقطر ذلك، وهذا .. دما
شغلنا الورة وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر

صفحات البطولة إذ اضطر الفرنسيون لاحتلال المدينة حارة فحارة ودارا فدار، ودام حصارها سبع سنين كاملة

[٢] المقاومة الشعبية في سنة ١٨٣٢ جمعت وجوه القوم ورؤساء القبائل أمرهم في مؤتمر عقدوه بمسجد مدينة معسكر وبايعوا بالإمارة بطلا شابا في الرابعة والعشرين من عمره، عرف بينهم بالشهامة وقوة الشكيمة والرأي الحصين هو الأمير عبدالقادر بن الشيخ محي الدين الهاشمي على أن يؤسس دولة جزائرية إسلامية تصون الأمن وتوطد العدل وتتصدى للمعتدي، والأمير عبدالقادر إلى جانب بطولته الحربية شاعر ملهم تفيض معانيه بالمشاعر النبيلة والحماس والتغني بأم البنين التي كانت مصدرا من مصادر الشهامة.

أيا عبد القادر . . . كنت القدير	وكان النضال طويلا عسيرا
شرعت الجهاد، فلباك شعب	وناجاك رب، فكان النصيرا
ونظّمْتَ جيشا، وسُسْتَ بلادا	فكنت الأمير الخبير الخطيرا
وألهبت في القابعين الحنايا	وأيقظت في الخانعين الضميرا
وحملت ماريان[1] ما لا تطيق	وجرعت بيجو[2] العذاب المريرا
ثمان وعشر[3] . . . تخوض المنايا	وتجزى السرايا، وتبنى المصيرا
وتدمغ بالعلم من جادلوا	ك، فكنت الضليع، وكانوا الحميرا[4]
وكم رام اغراءك العابثو	ن، فلم تكُ غَمْرًا صبيا غريرا[5]
وكم عاهدوك[6] . . . وكم أخلفوا	وكنت بما يضمرون بصيرا . . .

---

[1] ماريان هي فرنسا.

[2].وقائع الأمير مع (بيجو) مشهورة (راجع تحفة الزائر).

[3].دامت مقاومة الأمير ١٨ سنة من ١٨٣٠ إلى ١٨٤٨م.

[4].المجادلات العلمية التعجيزية بين الأمير وجنرالات فرنسا وخصوصا بيجو، معروفة ويوجد لها تفصيل ضاف في. تحفة الزائر..

[5]. من جملة الأساليب المفضوحة الفرنسية محاولة شراء الضمائر وكم حاول الفرنسيون ذلك مع الأمير فأبى واستعصم بإيمانه.

وعبدت للشعب، درب الفدا وما خنت، مذ خطفوك أسيرا

شغلنا الورى، وملانا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

---

(1) تخللت هذه الحرب عدة معاهدات عقدتها فرنسا مع الأمير واعترفت له فيها بالسيادة والاستقلال على البلاد لكنها كانت معاهدات غش وخداع لا تعقدها إلا متى رأت الخطر وأرادت أت تستعد لضربة قاسية. أما الأمير فكان يعقد تلك المعاهدات مع علمه بما تنطوي عليه من خداع ليستريح قليلا ويستعد لتسديد الضربات وتلقيها.

تلقف رايتك ابن الجزائر وعند ابن زيان تبلى السرائر[1]

وهب الزعاطشة الثائرو... نَ ن، فهب لنصرتهم كل ثائر

تحدى ابن زيان سخف اللئام، فمات الشهيد، فداء الجزائر

---

[1]. قاد الثورة الصارمة في واحة الزعاطشة، قرب بسكرة الزعيم الشهيد عبدالرحمن بن زيان سنة ١٨٤٦م وقد ذكرت تفصيلاتها باسهاب (مجلة العالمين) وصورة الواقعة هي الآتية: عقد الزعيم عبدالرحمن بن زيان معاهدة مع قيادة الجيش الفرنسي على أن لا يهاجموا الزعاطشة ويتولى هو امدادهم بما يحتاجونه، وكان ذلك منه حيلة جريئة لربح الوقت والاستعداد لحملة هجوم. إلا أن قبطانا فرنسيا تفطن للحيلة ومال للإستفزاز والتحدي قائلا: هل يوجد جزائري لا يسجد أمام قدمي ؟ ؟ فقيل له: نعم، عبدالرحمن بن زيان، شيخ الزعاطشة فأمر بجلبه فامتنع عن المجيئ إليه وأرسل إليه جيشا فأباده عبدالرحمن وجيشا ثانيا فأباده وثالثا فهاجمه فدامت الحرب سنوات وكانت المقاومة في كل شبر من الأرض، نخلة نخلة حتى استصفت مليون نخلة ومليون شهيد ثم وصل الفرنسيون السور فوقفوا أمامه شهرا يموتون دونه بدون طائل إلى أن فتحوا فيه ثغرة فكانت موتاهم التي من أحجار السور. ثم دخلوا المدينة فكانت الحرب شارعا بشارع وبيتا ببيت إلى أن وصلوا بيت الزعيم عبدالرحمن فكان يدافع حتى خلعوا الباب فجلس يصلي وأولاده وأهل بيته يقاومون غرفة بغرفة وسقيفة بسقيفة وهو يصلي بصحن البيت فجاء القائد الفرنسي وسأل: هل يوجد جزائري لا يسجد أمام قدمي ؟ فقال له عبدالرحمن: أنا عبدالرحمن بن زيان فقال القائد: إن خضعت عاملتك معاملة حسنة، فقال: كلا إني مجاهد في سبيل الله وأفضل أن أموت مجاهدا من أن أعيش خائنا لوطني.

وهل يخفض ابن الجزائر هاما ويحني جبينا أمام الصراصر ؟

لنشهد بسكرة اصرارنا وصدق فدانا أمام المجازر . . .

وتروى النخيل لعقبة عنا وتحك الرمال صمود القساور

ويذكر أبو معزة للجبا[٢] ل صراع أبي بغلة في المغاور

وتحفظ سطيف لأبطالها وأبطال سرتا جليل المفاخر

ودام الصراع، ولم تخب يوما شعا ليله، في القرى والحواضر

وكانوا البغاة، فكنا المنايا وكانوا البغاث، فكنا الكواسر[٣]

شغلنا الورى، وملانا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

---

[٢] ثورة أبي معزة وأبي بغلة وما وقع فيها من معارك بطولية في كل من سطيف وقسنطينة.

[٣]. بغاث الطير: الطيور المهيضة الجناح . والكواسر: جمع كاسر: أي النسور الكاسرة.

وتذكر ثورتنا العارمة بطولات، سيدتي فاطمه[1]
يفجر بركانها جرجرا فترجف باريس والعاصمه
وخلد باسم أمها ذكره فزكى قداسته الدائمه[2]
وفاضت دماء بني راتن تفدي قراراته الحاسمه
نسومر مذ نسبوك لتاكلا رفضت التواكل يا فاطمه !!
وألهبت نارا، تذيبُ الثلو ج، وتعصف بالفئة الظالمه
وجند، يباع ويشترى كما تباع، وتستأجر السائمه[3]
وأرعفت راندون في كبره ودست على أنفه الراغمه
وصعرت للجنرالات خدا فخابت نواياهم الآثمه

(1-2-3) للا فاطمة نسومر ابنة سيدي محمد بن عيسى شيخ الطريقة الرحمانية، والدتها للا خذيجة التي تسمى باسمها قمة جرجرة، وزوجها سيدي الحاج عمر من قرية تاكلا، آيت ايراثن، كانت تسير الثورة في جبال جرجرة أولا مع زوجها ثم بمفردها وهي التي صرعت الباشا غاسي الجودي عميل فرنسا. وصمدت في مقاومتها من ١٨٥٦ إلى ١٨٥٧ على رأس المجاهدين المسلمين ضد ستة جنرالات فرنسيين قاستو، رينو، يوسف، ماكماهون، مبسيا، ديلني، كلهم تحت القيادة المباشرة للماريشال راندون الذي ترأس العمليات في نفس الحين الذي كان فيه واليا على الجزائر. للا فاطمة كانت تسير جيشا يضم سبعة آلاف مجاهد ضد جيش الماريشال راندون الذي كان يضم خمسة وأربعين ألف مقاتل متوفر على جميع المعدات الحربية الحديثة. وشملت ساحة العمليات كل جبال جرجرة إلى قمة للا خديجة، والموقعة الحاسمة كانت في معمعة اشريضن في ٢٤ جوان ١٨٥٧م اعتقلت للا فاطمة في قرية تاكلا يوم ١١ جويلية ١٨٥٧ مع أتباعها إخوان الرحمانية.

أتنسى الجزائر حواءها   وأمجادها لم تزل قائمه ؟
شغلنا الورى، وملانا الدنا
بشعر نرتله كالصلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر

بنو سيدي الشيخ[1] قادوا النضال فهزوا الثرى وأذابوا الجبال

---

[1].أولاد سيدي الشيخ بقيادة الباشاغا سليمان بن حمزة بن بوبكر سنة ١٨٦٤ م والتفت حوله قبائل أولاد سيدي الشيخ وهزموا الفرنسيين شر هزيمة وأعادوا الكرة تحت قادة الكولونيل بوبريتر وكانت نهاية المعركة التي دامت طويلا بموتِ سائر رجال فرق العدو، بما فيها الكولونيل قائدها. وقد تمكن البطل سليمان بن حمزة من قتله بيده أثناء المعركة، ثم استشهد بعد ذلك خلال المعركة وكان من بين الفرق المعتدية القوم أي الجند الجزائري المتطوع مع فرنسا وما كادت المعركة تلتهب حتى أخذت الحمية الإسلامية جماعة القوم فانقضوا على الفرنسيين وانضموا للمجاهدين، وقام بالصحراء، جنوب الأغواط، بوشوشة وفي نفس الصحراء ثار معه المجاهد ناصر بن شهرة وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه بومزراق والمقراني ينظمان المقاومة في الشمال. والشيخ عزيز بن الشيخ الحداد يوجه النداءات الصارخة إلى كل مناطق الجزائر يستنفر الناس للقتال ويقول أن الوقت حان وأن فرنسا فريسة الضعف فيجب انتهاز الفرصة، وذلك في آخر سنة ١٨٧٠. وكان الاتصال وثيقا آنذاك بين المقراني والشيخ الحداد، إذ زار المقراني الشيخ الحداد يوم ٨ يناير ١٨٧١م سرا في صدوق، وتبادل معه النظر في في ضرورة إعلان الجهاد، والتأمت عائلة المقراني كلها في مجانة، وفي ليلة ١٤ مارس ١٨٧١م أعلن المقراني الجهاد رسميا بناء على سياسة الإسلام في عدم مباغتة العدو، وكذلك حسب مبادئ الأمم المتحدة الآن، وقد أرسل المقراني إلى الجنرال الفرنسي في العاصمة يقول له: اعلموا أننا في هذا اليوم قد أعلنا الجهاد عليكم وضدكم وغدا نبتدئ الجهاد. وبعث كذلك باستقالته من وظيفة باشا آغا. ورد المحاولة التي بعثتها له فرنسا. يوم ١٥ مارس هاجم برج بوعريريج، ومن هناك انطلقت الثورة عارمة لا تبقي ولا تذر.

سليمان حمزة آلي يمينا فبرَّ، وأصلى المغير الوبالا

سلوا بوبريت[*] العقيد السجي وحمزة يغرس فيه النبالا

ويستل من صدره روحه بينما يبكي عليه الثكالى

ووهران تصرخ فيها الدماء بساح الفدا تستفزُّ الرجالا

وصحراؤنا ابن شهرة فيها يهيل على الغاصبين الرمالا

وجيش أبي شوشة المستميت بصحرائنا ينسف الاحتلال

وصوت ابن حداد دوى دويا ينادي البدار ويدعو: القتالا

ومن آل مقران في الشاهقا ت نسور بواثق تهوى النزالا

وقال بومزراق حان الجها د فحقق بالمعجزات المحالا

شغلنا الورى، وملانا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

---

[*] العقيد الفرنسي بوبريتر.

فيا آل مقّران أسد الكفاح ونبع الندى والهدى والصلاح

نهد تم تَشقونَ درب الخلو د فعبَّدتُمُوا نهجه بالسلاح

وحداد في السوق ألقى عصاه وأعلنها في الذرى والبطاح[1]

كمثل صدى . . . سألقي الفرنسيين في البحر أركلهم بالرماح

سلام لمقّران يمضي شهيدا بسوفلات رمز الفدا والكفاح[2]

ولابن الثمانين يغدوا أسيرا وما كبل القيد فيه البطاح[3]

ومرحى لمالك[4] يطغى بشر شال بركانه بالأماني الفساح

---

[1]. يوم ٦ أفريل ١٨٧٢م أعلن الشيخ الحداد الحرب وهو يتجاوز الثمانين من عمره، وذلك في سوق صدوق وألقى عصاه بعد صلاة الجمعة في السوق وسط الجمهور وقال: سنرمي الفرنسيين إلى البحر كما رميت أنا هذه العصا إلى الأرض.

[2].استشهد محمد المقراني يوم ٥ ماي ١٨٧١م بسوفلات، قرب عين بسام.

[3].بعد معارك عنيفة طاحنة شاملة، ألقي القبض على الشيخ الحداد قرب بجاية وقد تجاوز الثمانين، وكان مشلولا ومحمولا على نعش، وذلك يوم ١٣ من يوليو ١٨٧١م.

[4].مالك البركاتي ابن أخ عيسى البركاتي أحد خلفاء الأمير عبدالقادر. أعلن الحرب يوم ١٣ يوليو ١٨٧١م في سوق الأحد بنواحي شرشال وجبال مناصر في ولاية الأصنام بنفس الطريقة التي أعلن بها قبله الشيخ الحداد.

وعاشت مناصر راحت تنا جي بوذريس شيخا وريف الجناح[٥]

فردد رجع صداه أبو عمامة يدني خطوط النجاح[٦]

وهقار تزهو بآمودها يذوذ عن الشرف االمستباح[٧]

شغلنا الورى، وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

---

[٥].في الحين الذي كان يدير فيه الحرب مالك البركاتي في جبال بني مناصر والظهرة، كانت هناك حروب يقودها في الشمال أمثال الشيخ الصدقاوي في جبال جرجرة وكان شيخا في زاوية وذريس.

[٦].كان اولاد سيدي الشيخ في الصحراء الوهرانية يواصلون الكفاح الذي بدأوه سنة ١٨٦٠م واشتد وطيسه عام ١٨٨١م تحت قيادة بوعمامة من أولاد سيدي الشيخ واصل الكفاح مدة طويلة ووصلت جيوشه حتى المدية وضواحي العاصمة.

[٧].لما خمدت ثورة أولاد سيدي الشيخ وثورة توات وعين صالح سنة ١٩٠٠م واصل الطوارق الكفاح في الهقار وفي نواحي أخرى من الجزائر تحت قيادة الشيخ أمورد حتى سنة ١٩١٢م. وكلمة أمورد باللغة الأمازيغية معناها السارية أو العرصة.

المتصوفة ودورهم في خدمة الإسلام.

لقد كان للطرق الصوفية في خدمة الإسلام والدعوة إليه في مختلف جهات العالم اليد الطولى، فقد عملت على نشر فضائل الإسلام وبث تعاليمه السامية ونقله إلى مناطق نائية وعرضه عرضا خاليا من كل تعقيد أو تغليف، مما جعل الكثير من الأمم والشعوب يدخلون بفضلهم في دين الله أفواجًا. وهذا بشهادة الكثير من المؤرخين والمستشرقين الأجانب. فهذا بوني موري في كتابه: . الإسلام والمسيحية بإفريقيا . يقول: «إن الإنسان نهض نهضته الثالثة من ١٧٥٠ إلى ١٩٠١م. وقد نهض هذه المرة على أيدي مشائخ الطرق الصوفية أو الإخوان». اهـ.

ويقول نفس المؤلف في موضوع آخر: «في أواخر القرن الثامن عشر لما دخلت الدعوة البرتستانية إلى افريقيا وضاعفت الكنيسة الكاثوليكية فيها مجهوداتها بدافع المنافسة كان لا بد أن ينتبه الإسلام لمقاومة النصرانية وأن يشتد الصراع بين هاتين القوتين المتقابلتين مقرونا بالأهواء السياسية التي تزيده شدة وحدة. وأكثر أسباب هذه النهضة الأخيرة راجعة إلى التصوف وبفضل هذا المجهود الطرقي أصبحت مراكز كثيرة في افريقيا تتأجج فيها حرارة الإسلام». اهـ. ويتابع قوله: «إن أتباع الطرق هم الذين تم

على أيديهم إسلام القسم الأعظم من مسلمي أواسط افريقيا وهم الذين أوقدوا الحمية الدينية بعد أن كادت تفتر، وأدخلوا معظم السودان في الإسلام بطريق الإرشاد والتعليم والأخذ والعطاء والمصاهرات مع ملوك الزنج».

ويقول أحد المبشرين الأروبيين: «إن العالم الإسلامي وقف عن التقدم، والتغلب أمام الدول الأروبية من مدة مديدة، فتطاولت هذه الدول على الممالك الإسلامية وغلبت الكثير منها بالقوة العقلية والمادية ولكن الذي أعجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية.

فالصوفية هم في الحقيقة القوة الدالة الحيوية والنماء في العالم الإسلامي فتراهم في افريقيا وفي الصين والهند وأواسط آسيا في جزائر المحيط يدعون إلى الإسلام ويدخلون الأفواج فيه كل يوم حتى أن الخطوط التي ترسم في افريقيا لبيان حدود الإسلام وراء خط الاستواء تنقل متقدمة إلى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات شيوخ الطرق في مجاهل افريقيا. وما دخل الفرنسيون قرية من الكونغو إلا وجدوا الصوفية قد سبقوهم إليها، وزرعوا بغض الناس لهم فيها» اهـ.

ولنقرأ ونتأمل ما كتبه القائد الفرنسي (رين) في شأن النهضة الإسلامية الحديثة: «وتأتي هذه الحركة الإسلامية من تعدد الطرق

الصوفية التي وجدت من أول هذا القرن وعظم شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس، ولهم رسل ومريدون يطوفون البلاد الإسلامية وغير الإسلامية كمبشرين أو حجاج ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة إلى جغبوب إلى القسطنطنية وبغداد وإلى فاس وتمبكتو إلى القاهرة إلى الخرطوم إلى زنجبار ثم كلكتا وجاوة».

وهذا "كونتانسون" يقول في إحدى مقالاته عن الإسلام: «نرى حركات كثيرة وأعمالا كبيرة يقوم بها المهديون والأمراء في العالم الإسلامي ثم تزول كأن لم تكن، أما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية. فالفضل لهم في انتشار الإسلام شرقا وغربا، شمالا وجنوبا».

ويقول "الشاتيلي" بعد أن أطال البحث والشرح في كيفية انتشار الإسلام في العالم الذي عزاه لمساعي مشايخ الطرق الصوفية: «والخلاصة أن الإسلام مدين بكل فتوحاته السلمية وانتشاره في الأقطار لجماعة الصوفية. فمشايخ الطرق هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الإسلام الحية ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوروبية».

وأما المستشرق الهولاندي "ستوك هرج ونح" في كتابه ـ سياسة هولاندة تجاه الإسلام ـ فإنه يؤكد أن الإسلام بفضل شيوخ التصوف

قد وجد وسيلة صعوده إلى مكانة مرتفعة يستطيع منها أن يرى أبعد من آفاقه الخاصة، أي أن هذا التصوف يشتمل على شيء من دولية الدين. اهـ.

ويرجع المستشرق الفرنسي "لدى ماسينيون" الفضل في انتشار الإسلام عبر العالم إلى شيوخ الطرق فيقول: «انتشر الإسلام عبر العالم بفضل الأعمال المتقنة التي قام بها الصوفية في زيارتهم لبلاد غير المؤمنين أي بفضل المثل الرائع الذي قدمه نساك المسلمين من شيوخ الطرق: الكبروية، والشطرية، والنقشبندية الذين كانوا يتعلمون لغات الهنود وسكان جزائر الهند الشرقية ويندمجون في حياتهم». اهـ.

ويقول أحد الإنجليز وهو متأثر بما قامت به الطرق الصوفية من عمل عظيم في نشر الدعوة الإسلامية في افريقيا، أن الإسلام ليفوز في افريقيا فوزا عظيما حيث تختفي الوثنية من أمامه اختفاء الظلام في فلق الصبح وحيث الدعوة النصرانية باتت كأنها خرافة من الخرفات. اهـ.

وفي كتابها . أسرار الصحراء . تصرح الرحالة الإنجليزية "روزيتا فوربس" بما قامت به الطريقة السنوسية في افريقيا فتقول: «إن القوة السنوسية في إفريقيا تقوم وتقعد لها كل دولة مستعمرة هنالك». اهـ.

ونختم هذه السلسلة من الشهادات التي لو تتبعناها لضاق بنا المقام بما قاله أمير البيان شكيب أرسلان في حق الدعاة السنوسيين: (أي دليل أقطع من المبشرين السنوسيين الذين خرجتهم زاويا الصحراء وهم يعدون بالألوف المؤلفة وما انفكوا يجوبون كل بلاد وثنية، مبشرين بالوحدانية، داعين إلى الإسلام وهذه الأعمال التي قام بها المبشرون السنوسيون في غرب إفريقيا وأوسطها خلال القرن التاسع عشر إلى اليوم لعجيبة من العجائب الكبرى. اهـ.

الطرق الصوفية تاريخ ظهورها

ونعود إلى الحديث عن تاريخ الطرق الصوفية التي ظهرت كما قلنا في أواخر القرن الثالث الهجري بأنظمتها، وطقوسها. ومن الوظائف التي لها علاقة بالتنظيم الهيكلي للطرق الصوفية والتي تمثل أهم جزء فيه هي وظيفة شيخ الشيوخ التي لقب بها اسماعيل بن أبي سعد المتوفي سنة ٥٤١هـ كما لقب به ابنه من بعده.

وبقي هذا اللقب أو الوظيفة (شيخ الشيوخ)؛ امتد أولا إلى سنة ٦٥٩هـ حين أطلق على شيخه الخانقاه (الزاوية) الصلاحية في عهد الأيوبيين والممالك كما انتشر هذا اللقب وأطلق على الكثير ممن تولوا هذه الوظيفة في دمشق وهذا في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله[1] .

ويذهب المؤرخ الجزائري الشيخ عبدالرحمن الجيلالي إلى أن انتشار الطرق الصوفية وتعددها وتفرعها إلى فروع عديدة يعود إلى

---

[1] نقلا عن تاريخ الجزائر العام ـ عبدالرحمن الجيلالي.

القرن الثامن الهجري وقد فاق عددها الثمانين طريقة. وقد تحدث الشيخ حسن بن علي الفجيجي في رسالة له مخطوطة عن أربعين طريقة. وذكر في رسالته هذه ما يتميز به أهل كل طريقة ونقل عنه ذلك تلميذه أبو سالم العياشي الرحالة المغربي المعروف في رحلته.

وفي الجزائر توجد من بين هذا العدد المذكور للطرق الصوفية: الرحمانية وهي أكثر تلك الطرق انتشارا والسنوسية، والقادرية والتجانية والطيبية والشاذلية والعلاوية والدرقاوية والعيساوية والعمارية والحنصالية والزيانية والموساوية. وسنتعرض بإيجاز لكل واحدة من هذه الطرق في الصفحات التالية.

وقبل ذلك نشير إلى أنه باستثناء الطريقتين القادرية والشاذلية اللتين كانتا موجودتين قبل قدوم العثمانيين إلى الجزائر فإن الطرق الصوفية الأخرى أخذت بعد مجيئهم في التعدد والتكاثر حتى بلغ عددها ٢٣ طريقة تضم ٢٩٥,١٨٩ من المريدين والإخوان، ويقوم بتسييرها والإشراف عليها سبعة وخمسون شيخا بمساعدة حوالي ستى آلاف من مقدم ووكيل وعامل، يقومون بشتى أنواع الخدمات.

وتمتلك هذه الطرق ٣٤٩ زاوية يتبرع الإخوان لها سنويا بمبلغ سبعة ملايين من الفرنكات، وأكثر الطرق الصوفية وأوسعها انتشارا

هي الطريقة الرحمانية التي ينتمي إليها ١٥٦,٠٠٠ من المريدين بينهم ١٣ ألف إمرأة[1].

وننبه إلى أن هذه الاحصائيات الواردة في تاريخ الجزائر العام نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية يعود تاريخها إلى مطلع القرن الحالي وبخصوص عدد الزوايا الصوفية المنتشرة عبر أقطار الشمال الإفريقي يقدم لنا بوكسي في كتابه . الإسلام المغربي . إحصائية يعود تاريخها إلى سنة ١٩٣٠ وهي موزعة كالتالي:

الجزائر:	٢٥٠	زاوية
المغرب:	٢٠٠	زاوية
تونس:	٦٠	زاوية.

ودائما مع الشيخ عبدالرحمن الجيلالي نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية هذه إحصائية لأتباع هذه الطرق الصوفية في الجزائر مع قليل من التصرف، أن أكثر هذه الطرق اتباعا في الجزائر هي الرحمانية التي تتفرع إلى عدة فروع ويمتد نفوذها إلى جميع أنحاء القطر وبيوتها الكبرى منفصلة بعضها عن بعض. ولعل المقصود بالبيوت هنا الزوايا:

---

[1] نقلا عن تاريخ الجزائر العام . عبدالرحمن الجيلالي.

- شاطودان ـ شلغوم العيد حاليا ـ: ٤٠,٠٠٠ عضوا
- قسنطينة: ١٠,٠٠٠ عضوا
- الهامل ـ بالقرب من بوسعادة ـ: ٤٣,٠٠٠ عضوا
- طولقة: ١٦,٠٠٠ عضوا
- آقبو: ٩,٠٠٠ عضوا.

ويلي الرحمانية في الأهمية، التجانية التي يوجد مركزها في عين ماضي بالقرب من مدينة الأغواط وينتشر أتباعها البالغ عددهم ٢٦,٠٠٠ في الصحراء وفي جنوب وهران. ويليها:

- القادرية وتضم ٢٤,٠٠٠.
- الطيبية التي لا تزال تنشط في الغرب الجزائري وتضم ٢٢,٠٠٠ وشيخها شريف وزان بالمغرب الأقصى.
- الشيخية (أولاد سيدي الشيخ) وتضم ١٠,٠٠٠.

الدرقاوية ويبلغ عدد أتباعها ٩,٠٠٠ والدرقاوية لها يد في جميع الثورات التي نشبت في البلاد ضد الأتراك والفرنسيين.

- العمارية ٦,٠٠٠.
- العيساوية ٣,٥٠٠.
- الحنصالية، أتباعها من المنشقين على الطريقة الشاذلية وينتشرون في أنحاء ولاية قسنطينة ٤,٠٠٠.
- الزيانية ٣,٠٠٠.
- الزروقية ٢,٧٠٠.

وتأتي بعدها الكرزازية، واليوسفية، والسنوسية التي لا يكاد يبلغ أتباعها ألفا.

وجاء في إحصائية ١٩٣٩ أن مجموع عدد المنخرطين في سلك الطريقة بالجزائر بلغ ٤٠٠,٠٠٠ نسمة.

هـذا رسـم يعطيـنا إحصـاء لأتـباع الطـرق الصـوفيـة بالجـزائـر لـسـنة ١٨٩٧م.

الطريقة	الزوايا	وكلاء	طلبة	شيوخ	مقدمون	شواش	إخوان	أحوات	أحباء	خلفاء	فقراء	خدمة	مجموع الأتباع
القادرية	٣٣	١	٥٢١	٤	٣٠١	/	٢١٠٥٦	٢٦٩٣	/	/	/	/	٢٤٥٧٨
الشاذلية	١١	-	١٩٥	٩	٩٩	/	١٣٣٥١	٦٥٣	/	/	/	/	١٤٣٠٦
الرحمانية	١٧٧	١١	٦٧٦	٢٣	٨٧٣	٨٤٩	١٤٠١٦	١٣١٨٦	/	/	/	/	١٥٦٢١٤
التيجانية	٣٢	٩	-	٢	١٦٥	١٦٣	/	/	١٩٨٢١	/	/	/	٢٠١٥٩
الشيخية	٤	١١	-	←	٤٥	/	١٠٠٢٠	١٤٠	/	/	/	/	١٠٣١٦
الطيبية	٨	٢١	١٢٨	-	٢٣٤	١٠٨	١٩١١٠	٢٥٤٧	/	/	/	/	٢٨١٤٨
الدرقاوية	١٠	-	١٣٤	٩	٧٣	٣	٨٣٣٣	١١١٨	/	/	/	/	٩٥٦٧
العيساوية	١٠	٥	-	١	٣٩	٥٨	٣٤٤٤	٣٣	/	/	/	/	٣٥٨٠
العمارية	٢٦	٣	٧٩	٣	٤٦	١٨٨	٢٨٤	٢٢	/	٣٦	٥٧٧٤	/	٦٤٣٥
الحنصالية	١٨	٩	١٧٦	١	٤٨	١٠٣	٣٤٨٥	٤٣٨	/	/	/	/	٤٣٥٣
السنوسية	1	١	٣٥	١	٣٠	٥	٨٧٤	١٣	/	/	/	/	٩٤٩

إحصاء لأتباع الطرق الصوفية بالجزائر لسنة ١٨٩٧م (تابع)

الطريقة	الزوايا	وكلاء	طلبة	شيوخ	مقدمون	شواش	إخوان	أخوات	أحباء	علماء	فقراء	خدمة	مجموع الأتباع
الزيانية	٢	–	–	–	٧٦	٤	٢٦٧٣	٣٦٤	/	/	/	/	٣١١٧
الدرولية	١	–	٥٥	١	١٦	١٣	٢٦١٤	٣٥	/	/	/	/	٢٧٣٤
العروسية	٢	–	–	–	٣	٦	٧٧	٥	/	/	/	/	٩١
الناصرية	٣	–	–	١	٣	٤	٤٦٨	١٦٥	/	/	/	/	٦٤١
الشابية	٢	–	–	–	–	/	/	/	/	/	/	٢٥٠٠	٢٥٠٠
الكرزازية	–	–	–	–	٧٨	/	١٦٧٣	٢٦٣	/	/	/	/	٢٠١٤
اليوسفية	١	–	–	١	٨	/	١٤٣٧	/	/	/	/	/	١٤٤٦
المدنية	٣	١١	–	–	١٤	١	١٦٧٣	/	/	/	/	/	١٦٩٩
الدردورية	١	–	–	١	١	/	١٠٢٠	٢٥٠	/	/	/	/	١٢٧٢
	٣٤٩	٧٦	١٩٩٦	٥٧	٢١٤٩	١٥١٣	٢٢٤١٤١	٢٢١٧٣	١٩٨٢١	٣٦	٥٧٧٤	٢٥٠٠	٢٩٣٤٦ ٨

نقلا عن تاريخ الجزائر العام لفضيلة الشيخ عبدالرحمن الجيلالي.

وفي الصفحات التالية أقدم للقارئ الكريم تعريفا موجزا ببعض الطرق الصوفية المعروفة والتي كان لشيوخها وأتباعها دور يذكر في مجال التعليم والمقاومة ضد الاستعمار مثل القادرية والسنوسية والرحمانية والدرقاوية. تلك الطرق التي قال بشأنها فقيد العروبة والإسلام الإمام عبدالحميد بن باديس طيب الله ثراه: «نحن نريد إصلاحها لا هدمها». وقال عنها الإمام الشهيد حسن البنا قدس الله سره: «لو أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية بقوة الطرق الصوفية الروحية، بقوة الإخوان العملية لكانت أمة لا نظير لها». اهـ.

إن للطرق الصوفية تاريخا يزخر بالبطولات والأمجاد، وهذا رغم انحراف بعض المنتسبين إليها، أو المحسوبين عليها الذين لم يلتزموا، ولم يلزموا أنفسهم بالسير قدما في النهج القويم الذي سار عليه أسلافهم رضوان الله عليهم بل غرتهم الحياة الدنيا، وغرهم بالله الغرور فحرفوا وبدلوا وغيروا فشوهوا بذلك وجه الطرق الصوفية المشرق، تلك الطرق التي اعترف لها بالفضل النزهاء المخلصون من المؤرخين والباحثين الذين لم يكن لهم من غرض سوى خدمة العلم والحقيقة.

وإلى شيوخ التصوف الصادقين وإلى أتباعهم المخلصين أهدي هذه القصيدة الرائعة لشاعرنا الكبير النقي المتصوف محمد آل خليفة طيَّبَ الله ثراه.

كن أبدا مع الأبرار

لأرباب القلوب عهود صدق ... وأقوال تصدقها الفعال
على القلب السليم بنوا وشادوا ... لهم ملكا وبالملكوت جالوا
وبالظن الجميل جنوا ثمارا ... زكيات بها زكت الخلال
رضوا أبدا بِقسم الله حظا ... وهل في قسمه إلا الكمال
على السراء شكران وحمد ... وفي الضراء صبر واحتمال
فليس لهم على القدر انتقاد ... وليس لهم على الفعل اتكال
جمال الله أذهلهم فهاموا ... وأدهش بالهم مِنْهُ الجلال
فما سكنوا إلى الدنيا قلوبا ... وما ركنوا لزخرفها ومالوا
وبالهمم الكبار غدوا كبارا ... لسطوة بأسهم يعنو الرجال
ترى الأحوال حائلة عليهم ... وليس يغرهم بالله حال
وتشتد الزوابع عاصفات ... بما عصفت به وهم الجبال
لذاك أعزهم أبدا بعز ... رفيع لا يحوم به انخذال

وكيف يذوق طعم الذل قوم ... لهم عز به ولهم دلال
إذا أبصرتهم أبصرت قوما ... عليهم من مهابته ظلال
فكن أبدا مع الأبرار واجنح ... لهدي إمامهم فهو المثال
رسول سن سنته طريقا ... معبدة ينال بها الوصال
ولا يفتنك بالدنيا هواها ... وزخرفها فأكثره ضلال
وكيف تريد في الدنيا خلودا ... وعن قرب تسير بك الرحال
دع الدنيا وزخرفها وعرج ... إلى الأخرى هوى فهي المآل

أهم الزوايا بالقطر الجزائري

الطريقة القادرية

أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق تأسيسا، وأولها ظهورا على مستوى العالم الإسلامي وهي أقدمها وجودا في الجزائر حيث وجدت أرضا خصبة استطاعت أن تنمو فيها وتزدهر خصوصا أثناء الحكم العثماني وهي تنتسب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني نسبة إلى جيلان من بلاد فارس التي ولد بها سنة ٤٧٠هـ ١٠٧٧م ومنها انتقل إلى بغداد والتي كانت تعج بكبار الفقهاء وأعلام المحدثين، والقمم العوالي من أهل التصوف، كما كانت محط أنظار طلاب الدنيا والدين.

وفيها تتلمذ وتخرج على كبار شيوخها ومتصوفيها فكان علما في الفقه والحديث فانتصب للوعظ والإرشاد، وتصدى للتدريس والتأليف وترك للثقافة العربية الإسلامية ثروة لا يستهان بها من الكتب والرسائل نذكر منها:

. الفتح الرباني

. الغنيمة لطالب الحق

. فتوح الغيب

. الفيوضات الربانية

كتب عنه وترجم له الكثير من العلماء المسلمين والأجانب من بينهم المستشرق الأنجليزي مرجليوت، والشيخ موسى اليونيني الذي خصه بكتاب سماه . مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني . وقد تحدث عنه ابن كثير قائلا: «كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للخلفاء والوزراء والسلاطين والقضاة والخاصة والعامة. يصدعهم بذلك على رؤوس الأشهاد وعلى المنابر وفي المحافل وينكر على من يولي الظلمة ولا تأخذه في الله لومته لائم».

ويقول عنه صاحب قلائد الجواهر: «ولما ولي أمير المؤمنين القاضي أبا الوفاء يحي بن المظفر المشهور بابن المترجم الظالم قال الشيخ عبد القادر يخاطب أمير المؤمنين على المنبر: وليت على المسلمين أظلم الظالمين فما جوابك غدا عند رب العالمين أرحم الراحمين ؟ فارتعد الخليفة وبكى وعزل القاضي المذكور لوقته».

انتشرت الطريقة القادرية في جهات عديدة من العالم الإسلامي انتشارا واسعا وكان لها نشاط كبير في نشر الإسلام. ففي إفريقيا الغربية استطاع أتباعها ومريدوها أن ينشئوا الزوايا ويفتحوا الكتاتيب القرآنية في القرى والمداشر حيث التجمعات السكانية. وتمكنوا من تعليم الأطفال قراءة العربية وكتابتها وتلقينهم الدين الإسلامي وإرسال النجباء منهم بعد ذلك إلى

معاهد طرابلس والقيروان وجامع الزيتونة والقرويين والأزهر الشريف على نفقة الزوايا القادرية قصد إتمام دراستهم والعودة إلى أوطانهم للعمل في سلك نظام الفرق الصوفية التي كانت تقاوم حملات التبشير المسيحي في تلك الديار.

وكان للطريقة القادرية دورها العظيم في حمل راية الجهاد والمقاومة دفاعا عن الإسلام وأوطان المسلمين والتصدي للاستعمار بكل شجاعة وبجميع أنواع الأسلحة. وقد تزعم شيوخها ومقدموها الكثير من الثورات التي اندلعت في بلاد العروبة والإسلام ضد الغزاة المحتلين. وغداة الاحتلال الفرنسي للجزائر استطاعت هذه الطريقة أن تندمج في تيار الحركة الوطنية وتستعمل نفوذها الروحي للدعوة إلى الجهاد ضد الفرنسيين.

ومن أبرز مقدميها الذين كان لهم في ساح الْوَغَى، ومعارك الجهاد دور يذكر المجاهد الشيخ محي الدين وابنه البطل الثائر الأمير عبدالقادر الذي قاوم الاحتلال الفرنسي وقاد الكفاح المسلح مدة سبعة عشرة سنة كاملة.

أما عن دخول هذه الطريقة إلى الجزائر فيعود إلى الشيخ سيدي أبي مدين شعيب دفين تلمسان والمتوفي سنة ٥٩٤هـ فهو الذي أدخلها بعد أن تتلمذ على شيخها وأخذ عنه التصوف وألبسه

الخرقة كما هو معمول به عند المتصوفة وكان ذلك بعد عودته من البقاع المقدسة حيث أدى فريضة الحج.

كما كان قدوم ابراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقاله إلى الجزائر ليستقر بالأوراس حيث أسس الزاوية القادرية ببلدة منعة كان ذلك من العوامل التي ساعدت على نشر الطريقة القادرية في شرق البلاد وغربها على الخصوص حيث يوجد ما يربوا على المائتي زاوية تخلد اسم الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

والزاوية القادرية بمنعة في الأوراس والتي تشرف عليها أسرة ابن عباس المعروف في تلك النواحي هي التي لجأ إليها الحاج أحمد باي سنة ١٨٤٤ بعد سقوط مدينة قسنطينة في أيدي جيوش الاحتلال الاستعماري كما لجأ إليها الكثير من المجاهدين خلال الثورات التي قامت بالأوراس الأشم.

وهناك بالغرب الجزائري وبالضبط بالقرب من مدينة معسكر توجد زاوية القيطنة التي أسسها الشيخ مصطفى الغريسي جد الأمير عبدالقادر حوالي سنة ١٢٠٠هـ ١٧٨٥م وذلك قبل وفاته وهو عائد من أداء فريضة الحج من عين الغزال بالقطر السليبي.فخلفه فيها ولده الشيخ محي الدبن وكان كأسلافه من

العلماء الأعلام الذين يرجع إليهم في حل مشكلات الأحكام وبقي بها إلى سنة ١٢٥٠هـ.

ونعود إلى انتشار الطريقة القادرية في إفريقيا لنشير إلى أنها استطاعت الدخول إلى السودان عن طريق جنوب المغرب (مراكش) وأغلب الظن أنها لم تنتشر في السودان قبل القرن الخامس عشر وتوجد أغلبية أتباع الطريقة القادرية في غرب السودان حتى "سوكوتو" وهم الجانب الأعظم من المغاربة والسوناري والفولبا، وكذلك غالبية سكان غرب تومبوكتو كما انتشرت القادرية في "فوناجاكون" وفي قبائل المالينكة وفيانا الفرنسية سابقا وشرقها حتى ساحل العاج والكونغو. لذلك تعتبر القادرية من أنشط الطرق في نشر الإسلام بواسطة التجار من أتباعها ومريديها.

ومن شيوخها الشيخ أحمد بن ادريس الفاسي الذي كان على وفاق في الرأي والتفكير مع الشيخ السنوسي وقد تحدثنا عنه أثناء ترجمتنا لهذا الأخير، والقادرية ثلاث فرق:

الأولى: القادرية البكائية وهي منتشرة في تمبوكتو.

الثانية: القادرية التي توجد في بعض واحات الصحراء الغربية.

الثالثة: القادرية الذين في ولاته وقد انتشروا في السودان الغربي ووصلوا إلى سيراليون.

ويمتاز أتباع هذه الطريقة بالتسامح متأثرين بأقوال شيخ الطريقة وتعاليمه ومواعظه مثل قوله لهم: «اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تخالفوا واصبروا ولا تجزعوا واتحدوا ولا تتمزقوا وانتظروا ولا تيأسوا واجتمعوا عَلَى الذكر ولا تتفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تتناطحوا وعن باب مولاكم فلا تبرحوا».

ومن أقواله: «إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه وإن كانت مكروهة فاكرهه لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك.» وسئل الجيلاني عن الدنيا فقال: «أخرجها من قلبك إلى يدك فإنها لا تضرك».

توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني عام ٥٦١هـ ١١٦٦م وضريحه مشهور ببغداد يقصده الزُّوَّارُ من كل جهات العالم رحمه الله وطيب ثراه.

الطريقة الشاذلية.

مؤسس هذه الطريقة هو الشيخ أبو الحسن على ابن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المولود بالمغرب الأقصى في بلدة غمارة القريبة من مدينة سبتة سنة ٥٩٣هـ وفي مسقط رأسه أكب على حفظ القرآن الكريم ودراسته للعلوم الدينية واللغوية التي برع فيها براعة كبيرة. وكان من أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم علوم الظاهر والباطن الصوفي الكبير الشيخ عبدالسلام بن مشيش الذي يعد من أكابر المتصوفة بالمغرب الأقصى.

وبتوجيه منه غادر أبو الحسن المغرب إلى تونس حيث تتلمذ على كبار علمائها فازداد بذلك علما وفقها وتصوفا ثم انتقل منها ليستقر ببلدة شاذلة التي نسب إليها وعرف بها فيما بعد. وهي من مدن تونس المعروفة. وبعد مضايقات تعرض لها من بعض منافسيه، يغادرها نهائيا ليحط الرحال بمدينة الاسكندرية إلى أن توفاه الله سنة ٦٥٦هـ وهو في طريقه إلى بيت الحرام، فدفن في خميشرة بصحراء عيذاب بين قنا والقصير بالصعيد المصري، رحمه الله وطيب ثراه.

ويعود تاريخ تأسيس هذه الطريقة إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، وتعتبر هذه الطريقة مع سابقتها ـ القادرية ـ

من أقدم الطرق الصوفية استقرارا بالمغرب حيث كان مركزها بوبريت في مراكش وهي من الطرق الأولى التي ادخلت التصوف إلى منطقة المغرب.

وانطلقت الطريقة الشاذلية من مركزها المذكور لتنتشر انتشارا واسعا في الجزائر، واستطاعت بمرونة تعاليمها، واعتدال نهجها أن تؤثر تأثيرا ملحوظا في أكثر الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن السابع عشر الميلادي، وتفرعت عنها عدة طرق كالدرقاوية والطيبية، واليوسفية، والزيانية، والزروقية، والشيخية، كما استطاعت أن تستقطب إليها الكثير من كبار العلماء الذين أصبحوا ينتسبون إليها أمثال الشيخ عبدالرحمن الثعالبي وأحمد بن يوسف الملياني، وابراهيم التازي وغيرهم ممن كتبوا عنها، وخصوها بالتأليف والترجمة لأعلامها.

وأما عن نهج الطريقة الشاذلية الذي رسمه شيخها أبو الحسن فقد تحدث عنه هو بنفسه قائلا: «ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة، ولا ببقبقة الصناعة وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في البداية كما قال تعالى: "وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون"».

وقد عرف عن أبي الحسن الشاذلي أنه لم يكن متشددا ولا متزمتا في ملبسه ومأكله ومشربه بل كان يلبس الفاخر من الثيَاب،

ويركب الفارِهَ من الدواب، ويتخذ من الخيل الصفنات الجياد لأنه كان يحبها ويقتنيها ويركبها فارسا وفي المواسم الدينية.

دخل عليه في يوم من الأيام أحد الفقراء وعليه لباس خشن من شعر فدنا من الشيخ وأمسك بملبسه قائلا: «يا سيدي ما عند الله بمثل هذا اللباس وكان الشيخ لابسا ثيابا حسنة جميلة». فأمسك الشيخ الشاذلي بدوره بلباس الفقير وكان كما قلنا من شعر خشن وقال له: «وَلاَ عبدالله بمثل هذا اللباس الذي عليك، لباسي يقول أنا غني عنكم فلا تعطوني، ولباسك يقول أنا فقير إليكم فأعطوني[1] ». ودخل عليه مرة تلميذه أبو العباس المرسي رحمه الله وفي نيته أكل الخشن، ولبس الخشن فقال له الشيخ أبو الحسن: «يا أبا العباس، أعرف الله وكن كيف شئت. ومن عرف الله فلا عليه أن يأكل هنيئا ويشرب هنيئا وهذا كله مصداقا لقوله جل شأنه وعزت قدرته: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة"».

وللطريقة الشاذلية كغيرها من الطرق الأخرى دورها في الجهاد في سبيل الله، وحرب المعتدين على الإسلام والمسلمين من

---

[1] لطائف المنن لابن عطاء الله.

الحاقدين الصلبيين، وتعاليم الشاذلي لمريديه وأتباعه مليئة بالحث على الجهاد الذي أصبح صفة لازمة لشيوخ الطرق الصوفية وأتباعها ومن أقوله في هذا الموضوع: «لا بد للمريد من الجهاد، لا بد من جهاد العدو، ومن أراد أن لا يكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل، والعبودية لله وليستعذ به سبحانه».

وفي هذا المقام نذكر بما وقع في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري، تاريخ وقوع معركة المنصورة بين جيوش الصليبية المتكالبة الحاقدة على الإسلام الذي أخذ يتأهب لملاقاة الأعداء وكله ثقة في الله وإيمانٌ بنصره.

وكان في مصر حينئذ جماعة من كبار أعلام الصوفية كأبي الحسن الشاذلي، الذي لم يمنعه كبر سنه وعجزه من أن يكون في مقدمة المتوجهين إلى المنصورة للمشاركة في المعركة الفاصلة بين الإسلام والصليبية متخذا مكانه كسائر الجنود المجاهدين من خيام المعسكر.

هكذا كان شيوخ التصوف ورجاله في كل عصر ومصر مضرب الأمثال في الحركة والمقاومة والجهاد في سبيل المصلحة العليا للإسلام المسلمين ولم يكونوا كما يظنهم البعض خاملين جامدين كسالى متزمتين.

ذكر الإمام ابن كثير أن الشيخ عزالدين بن عبدالسلام سلطان العلماء كان يحضر مجلس الأستاذ أبي الحسن الشاذلي فيسمع منه ويشاهد حسن إفصاحه عن العلم اللدني فيركض طربا مع المريدين قائلا: «تأملوا هذا التقرير فإنه قريب من ربه». وقد وصفه الإمام البوصري صاحب البردة بأنه بحر العلم في قصيدة مدحه بها. ومدحه ابن المبلق فقال:

لقد كان بحرا في الشرائع راسخا ولا سيما علم الفرائض والسنن
ومن منهل التوحيد عب وارتوى فلله كم روى قلوبا بها محن
وَحَازَ علوما ليس تحصى لكاتب وهل يحضر الكتاب ما جاز من فتن

وقال ابن عياد في المفاخر العلية: «كان أبو الحسن عالما عارفا بالعلوم الظاهرة، جامعا لدقائق فنونها، ومفتضا لأبكار المعاني وعيونها من حديث وتفسير وأصول ونحو وصرف ولغة ومعقول وحكمة وآداب وأما علوم المعارف الآلهية، فقطب رحاها، وشمس ضحاها».

لقد تخرج بصحبته وعلى يديه جماعة من كبار العلماء وشيوخ التصوف وأعلام نذكر من أبرزها أبا العباس المرسي دفين الاسكندرية والذي قال عنه الشاذلي عند وفاته: «إنه الخليفة من بعدي وسيكون له بينكم مقام عظيم وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى»، وأبا العزائم ماضي وغيرهم.

يقول شارح القاموس المحيط السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس، وممن كان يحضر مجلسه: «العز بن عبدالسلام وابن دقيق العيد، وناهيك بهما والحافظ المندري وابن الحاجب وابن الصلاح وابن عصفور وغيرهم بالكاملية بالقاهرة».

ولأبي الحسن الشاذلي من الآثار والمؤلفات: الحزب المشهور:

- حزب الشاذلي،
- رسالة الأمين في آداب التصوف،
- السر الجليل في خواص حسبنا الله نعم الوكيل.

وقد خصه أحمد بن عياد بكتاب عنوانه: المفاخر العلية في المآثر الشاذلية. ونختم هذه الكلمة بقول ابن دقيق العيد: «ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه».

الطريقة الرحمانية

وتنتسب إلى العالم الجزائري الشيخ محمد بن عبدالرحمن القشوطي الإدريسي الحسن الأزهري الذي جاء بها من المشرق حيث كان يدرس. وقد ظهرت هذه الطريقة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري وعرفت انتشارا واسعا وكان لها في المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي اليد الطولي بفضل شيوخها وأتباعها الذين أعلنوا الجهاد المقدس على الغزاة المحتلين في القطاع القسنطيني، ومن آعالي جرجرة، وقمم أوراس الشامخة ضاربين للأجيال أروع الأمثلة في الشجاعة والبطولة، وملقنين الأعداء أعظم الدروس في التضحية والفداء رحمهم الله وقدس أرواحهم.

ولد مؤسس هذه الطريقة الشيخ محمد بن عبدالرحمن في قرية بوعلاوة من قبيلة - آيت اسماعيل - بجبال جرجرة حوالي ١١٢٦هـ وبعد تعلمه في زاوية الشيخ الصديق بن أعراب في قرية آيت إيراتن غادر الجزائر في طريقه إلى البقاع المقدسة قصد أداء فريضة الحج وبعد أداء المناسك قفل راجعا وفي طريق عودته توقف بالقاهرة ليستقر بالجامع الأزهر الشريف مجاورا برواق المغاربة مدة ربع قرن تقريبا.

وقد تتلمذ خلال تلك الفترة على مجموعة من كبار أعلام مصر من الفقهاء والمحدثين نذكر منهم: علي بن أحمد الصعيدي، وسالم النفراوي، وعمر الطحلاوي، وحسن الجداوي، والعمروسي، وأحمد الدربرومي، ومحمد بن سالم الحفناوي. وعن هذا الأخير تلقى الشيخ محمد بن عبدالرحمن الطريقة الخلوتية أصبح فيما بعد من المبشرين بها الناشرين لها في الهند والسودان بأمر من شيخه المذكور.

وبعد عودته إلى أرض الوطن سنة ١١٨٣هـ ١٧٦٩م يقوم بتأسيس زاويته في مسقط رأسه بآيت اسماعيل والتي ينطلق منها في نشر تعاليم الطريقة الخلوتية التي عاد بها إلى الجزائر فعرفت باسمه فيما بعد . الرحمانية . والخلوتية تنسب إلى عدد من الشيوخ كالشيخ عمر الخلوتي المتوفى سنة ٩٨٦هـ ١٥٧٨م والشيخ محمد البالسي الخلوتي وقطب الدين أحمد الأبهري.

وقد لقيت تعاليم الطريقة الخلوتية إقبالا كبيرا من طرف مواطني المنطقة، الأمر الذي لم يرق بعض مرابطي الجهة الذين شاروا عليه فقرر الشيخ الانتقال إلى العاصمة والاستقرار بالمكان المعروف إلى يومنا هذا بالحامّة.

وفي هذا الحي من العاصمة قام الشيخ بتأسيس زاوية لنفس الغرض، وأخذ يبث تعاليمه فيها، فلقيت دعوته نجاحا كبيرا في

أوساط المواطنين الذين التفوا حوله وثاروا به، وأخذت دعوته تنتشر لتعم مختلف نواحي الوطن مما عرضه للمكائد والدسائس، وأثار حوله الكثير من الشبهات والتهم، حتى اضطر إلى تلبية استدعاء المجلس العلمي والمثولُ أمامه برئاسة الشيخ علي عبدالقادر، ابن الأمير المفتي المالكي. وبعد مناقشة فيما اتهم به والاستماع إليه تأكدت براءته من طرف المجلس المذكور.

وهكذا استأنف الشيخ نشاطه من جديد، وتفرغ لنشر الطريقة الخلوتية التي عرفت كما قلنا فيما بعد بالطريقة الرحمانية نسبة إلى الشيخ محمد بن عبدالرحمن المذكور مع محافظتها على مبادئ وأصول الطريقة الخلوتية.

وأهم المناطق التي انتشرت فيها الطريقة الرحمانية انتشارا كبيرا هي وسط وشرق وجنوب الجزائر، وفي منطقة الجريد بالقطر التونسي الشقيق ويعود الفضل في ذلك إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي الرحمانية. وأكثر أتباع الطريقة الرحمانية من الطبقات الشعبية الفقيرة عمال، فلاحين، تجار صغار. وهي الفئات التي تتحمل دائما العبء الأكبر من التضحية في الأوقات الصعبة ولعل هذا من أهم العوامل التي جعلت الطريقة الرحمانية تحتل المكان البارز في المقاومة الوطنية ويتحمل أتباعها وشيوخها جسيم التضحيات من سجن ونفي وتشريد وتغريم أبان الثورات التي قامت ضد الاحتلال الاستعماري لبلادنا.

وبناء على إحصائية عام ١٨٩٨ والتي سجلها المستشرق رين فقد بلغ عدد الزوايا للطريقة الرحمانية ١٧٧ زاوية وعدد أتباعها ١٥٦,٢١٤ خونيا.

وقد لعبت الزوايا الرحمانية الكثيرة والمنتشرة في جهات مختلفة من الوطن دورا عظيما في نشر الثقافة الإسلامية، والحفاظ على القرآن يتلى اناء الليل وأطرق النهار، وبالتالي فقد حافظت الزوايا الرحمانية على مقومات شخصيتنا العربية الإسلامية طيلة عقود وعقود من الزمن.

ومن أبرز الزوايا الرحمانية المعروفة منذ أواخر العهد العثماني نذكر الزاوية الأم التي ظلت تقوم بأداء رسالتها على أكمل الوجه بفضل شيوخها الأجلاء الذين نذكر منهم: أحمد بن الطيب الرحموني وهو صاحب الرجز المعروف في الفقه والذي ظل مصدرا مهما من مصادر القضاء ومراجعه في منطقة جرجرة. وزاوية الحامة في العاصمة التي يوجد بها ضريح الشيخ ابن عبدالرحمن طيب الله ثراه. وزاوية المجاهد الشيخ الحداد ببلدة صدوق، والزاوية العثمانية بطولقة التي ظلت مركز اشعاع ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا، وزاوية الشيخ عبدالحفيظ الخنقي المجاهد الثائر في خنقة سيدي ناجي نواحي بسكرة.

وهنا لا بد من التذكير بما قام به شيوخُ الطريقة الرحمانية ومقدموها، ورجال زواياها في مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر والتصدي لمحاربته بكل الوسائل وفي مقدمتها تعبئة الجماهير وتوعيتها، وقيادتها، وإذكاء روح الجهاد فيها من أجل حماية الوطن والدفاع عن حياضه، وهي حقيقة تاريخية لا ينكرها إلا مكابر أو مغرض.

إن ثوراتهم في منطقة القبائل الكبرى والصغرى وفي جبال أوراس الأشم لا تزال تملأ كتب التاريخ الحديث فليرجع إليها من يريد الاطلاع عليها فالشيخ الحداد، وفاطمة نسومر، والصادق بلحاج، وبن جار الله، وعبدالحفيظ الخنقي، وغيرها من الأسماء التي لا يتسع لذكرها المقام ستظل منقوشة في ذاكرة التاريخ تروى بطولاتها للأجيال.

ومن الذين أخذوا عن الشيخ محمد بن عبدالرحمن وتتلمذوا عليه نذكر أحمد التيجاني مؤسس الطريقة الرحمانية بالصحراء ودفين برج طولقة وصاحب الطريقة العزوزية، والشيخ عبدالرحمن باش تارزي شيخ الطريقة والزاوية الرحمانية بقسنطينة عليهم جميعا رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

وعلى ذكر الشيخ باش تارزي نشير إلى المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية. وهي من نظم

الشيخ المذكور وقد تم طبعها سنة ١٩٢٣ بمطبعة النجاح بقسنطينة وأشرف على تصحيحها وكتابة خاتمة الطبع الإمام عبدالحميد بن باديس رحمه الله وطيب ثراه.

وفي شوال عام ١٣٣٥هـ جلس على سجادة الطريقة الخلوتية بعد وفاة عمه الشيخ البركة سيدي الحاج أحمد عليه الرحمة والرضوان وله في الأذن بتلقين الذكر في الطريقة الخلوتية إجازتين بسندين يتصلان بالقطب الأكبر والغوث الأشهر الشيخ سيدي محمد (بفتح الميم) بن عبدالرحمن القشطولي الأزهري دفين الجزائر الذي أتى بالطريقة الخلوتية إلى وطن الجزائر من ديار مصر.

الإجازة الأولى.

أجازه بها أبوه الشيخ سيدي محمد عن أبيه الشيخ سيدي الحاج محمد عن عمه العلامة الشيخ سيدي مصطفى شارح الرحمانية عن أبيه الولي الكامل الشيخ سيدي الحاج عبدالرحمن باش تارزي ناظمها عن القطب الأكبر سيدي محمد بن عبدالرحمان دفين الجزائر رحمه الله تعالى ورضي عنه.

الإجازة الثانية.

والإجازة الثانية أجازه بها ابن عم جده الشيخ سيدي الحاج السعيد باش تارزي عن الولي الصالح الشيخ سيدي علي بن عيسى

عن القطب الأكبر سيدي محمد بن عبدالرحمن رحمهم الله تعالى، رضي عنهم وهذا السند عال ليس فيه بين القطب الاكبر والشيخ المجاز إلا واسطتان ولا يعرف مثله اليوم لمقدم خلوتي في وطن الجزائر.

ندبني الشيخ المذكور إلى إعانته على نشر المنظومة الرحمانية بالوقوف على تصحيحها فلبيت طلبه راجيا من وراء ذلك أن يتذكر الإخوان ما عليهم في هذا الطريق الشرعي من الأدب العملي والعلمي ويعلموا أنهم في ترقية نفوسهم مجرد الانتساب الأسمى فيدعوهم ذلك إلى العلم والتعلم اللذين لا سعادة في الدارين بدونهما. فيفقهوا حينئذ حقيقة الدين وينتفعوا بنصائح المرشدين ويكونوا يوم ذاك إن شاء الله تعالى من المهتدين وإليه المسؤول أن يهب التوفيق والنفع والثواب لكل ساع في خير المسلمين آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تلكم هي المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية التي وقف الإمام ابن باديس على تصحيحها ونذكر بعض الأبيات منها. يقول ناظمها رحمه الله:

باسم نبدا يا معين   والصلاة على الأمين

من أتانا باليقين   في طريق الأوليا

يا من تريد الشفا واتباع المصطفى
ادخل طريق الوفا طريق الخلوتيا
يا من تريد التوفيق وسلوك أهل التحقيق
اخدم هده الطريق طريقة الصوفيا
يا من تريد الأوراد وبلوغ ما يراد
ادخل طريق الإسناد طريقاً ازهريا

ولولا خشية التطويل الممل على القارئ الكريم لأتيت بالمنظومة كلها. ونعود لمترجمنا الشيخ محمد بن عبدالرحمان في ميدان التأليف إلى شرحه على رسالة الشيخ عبدالله محمد الرفاوي الأزهري في آداب طريق الصوفية (مخطوط) وَلَهُ أيضاً قصيدَتُهُ المعروفة في الحنين إلى المدينة المنورة وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام عنوانها، تحريك الساكن بين الشوق الكامن في زيارة طيبة وَمَنْ بها ساكن والتي يقول في مطلعها.

دعاني الهوى والشوق افلق ما بيا وحادى الركاب حن بالعيش غاديا
فحرك ضمني في حشاي سواكنا إلى ساكن الحمى وهاج فؤاديا
وطار قلبي من شحوني ؟ ؟ وفاضت دموعي في عيوني سواقيا
شغفت عبدا لو يساعدني الهوى بزورتها أعطيت نفسي وماليا

وما الحب حتى يسلم العبد نفسه ويسمع من يفنى بما كان فانيا
ولو كانت الدنيا لدى بأسرها وأنفقتها فيكم لما كنت وافيا
ولو كان طوقي لجئت دياركم على حدق الأجفان والخد ساعيا

وهي قصيدة طويلة يمكن الرجوع إليها في الجزء الرابع من تاريخ الجزائر العام للشيخ عبدالرحمن الجيلالي.

توفي الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري بمسقط رأسه سنة ١٢٠٨هـ ١٧٩٤م ويذكر أن جماعة من مريديه بالعاصمة نقلوه من قبره خفية إلى مكانه المعروف حاليا بالحامة قريبا من حي بيلكور حيث ضريحه مزار. وهذا وجة تسميته ببوقبرين رحمه الله وطيب ثراه.

ولتعميم فائدتها بين القراء الكرام نثبت خاتمة الطبعة المحررة بقلم الإمام ابن باديس في قسنطينة عشية الأربعاء ١٤ من شوال عام ١٣٤١هـ يقول رحمه الله:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والآل والصحابة أجمعين وجميع التابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد تم طبع المنظومة الرحمانية ذات الأسرار الربانية الجامعة لأصول الطريقة الخلوتية وآداب التربية الشرعية الدالة

على علم ناظمها وبركته بما نفع الله بها من أتباعه وتلامذته حتى نفدت طبعتها الأولى مع شرحها، فكثرت الرغبات وتوالت الطلبات في إعادة طبعها لتعميم نفعها فقام بذلك على نفقته العالم البركة ؟؟؟ الخير الثقة شيخ شيوخ الطريقة الخلوتية بقسنطينة اليوم، المتحلي من أخلاق أسلافه بالنفائس الغالية السوم، الشيخ سيدي مصطفى بن الشيخ سيدي محمود بن الشيخ سيدي الحاج محمد بن الشيخ سيدي محمود ابن الشيخ الأكبر سيدي الحاج عبدالرحمن باش تارزي زاد الله من بركة توفيقه وسدده في سلوك طريقه بمنِّهِ آمين».

ولنحل هذا الخاتمة بكلمات وجيزة في ترجمته فنقول لازال هذا الرجل معروفا من شبابه بجمال العفة حسن السمت ومكارم الأخلاق والحياء التام والتواضع الفطري مع جميع الناس. اعتنى بتربيته أبوه الشيخ سيدي محمود ثم ابن عم جده الشيخ سيدي الحاج السعيد فحفظ القرآن وقرأ العلم وتأدب بأدب الطريق وشب على الأخلاق الكريمة اللائقة بمثله في كرم محتده وشريف تربيته ما هو مترشح من الجلوس على سجادة الطريق وتهذيب الإخوان حتى نال بذلك المنزلة الرفيعة في قلوب عارفية عموما وأهل الطريقة خصوصا.

وفي رجب من عام ١٣٢٩ ولي خطة الخطابة والإمامة بالجامع الأخضر الحنفي بعد وفاة الشيخ سيدي السعيد الذي كان إماما خطيبا بالجامع الكتاني الحنفي.

قائمة بأسماء بعض مؤلفات

الطريقة الخلوتية الرحمانية

ولنبدأ أولا بما اشتهر من أورادها ونستفتح بأوراد الشيخ سيدي مصطفى البكري:

ورد السحر ويقال هو باب الفتح وشروحه له.

ورد الإشراق اللامع نوره البراق له.

ورد المسافر ذو النور السافر له.

الدر الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق له.

المنهل العذب السائغ في صلوات الطريق وأوراده له.

ورد الضحى وأوراد سائر الأوقات له. وله غير ذلك.

ورد الستار ليحي الباكورى وشرحه للشيخ شاه ولي.

صلوات الوردين وشرحها للصاوى وعبدالبر الشافعي.

أرجوزة الشيخ سيدي عبدالملك لحمادي مع اسم اللطيف.

بهجة الشائقين للشيخ مصطفى بن عزوز وشرحها للشيخ الحفناوي بن علي بن عمر والحاج الأخضر.

غنية الفقير للشيخ عبدالحفيظ الخنقي وشرحه له.

حزب الفلاح ومصباح الأرواح له.

حزب الشيخ محمد بن أبي القاسم.

شرحه: المطلب الأسنى لابن أخيه محمد بن الحاج محمد.

شرحه: فوز الغانم للشيخ محمد بن عبدالرحمن حفيد سيدي ابراهيم الغول.

التوسلات النافعات للشيخ أحمد العزوزي بن عبدالملك الحمادي.

حزب النووي.

حزب البحر.

المشيشية.

المؤلفات

كتاب السير والسلوك للشيخ مصطفى البكري.

الألفية الكافية الوافية له.

النصيحة السنية في آداب كسوة الخلوتية له.

حواشيها تسمى الكلمات الخواطر على الضمير والخاطر له.

تسلية الأحزان وتسلية الأشجان له.

هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب له.

بلوغ المرام وخلوة خلوتية الشام له.

السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد له.

الوصية الجلية للسالكين طريق الخلوتية له.

بلغة المريد ومشتهى الموفق السعيد له.

الوارد الطارق واللمح الفارق له.

تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة له.

فواتح أبواب العرفان وفوايح أطياب الإحسان له. وله غير ذلك.

كتاب السر المصون للشيخ محمد الحفني شيخ الطريقة.

رسالة آداب الذكر له.

رسالة فتح الباب للشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري.

طي النفوس من تكلم بها جال في بحر ملكوت القدوس له.

كتاب ـ الزفاقية ـ ألفها بإذن الشيخ الحفني.

دفتر الدفاتر له.

زلزلة النفوس له. وكان لا يفارقه لعزته عليه.

شرح الريفاوي له.

وله غير ذلك من الرسائل العديدة التي كتبها إلى الإخوان في البلدان كالجزائر والبليدة وقسنطينة وتونس.

روض الجنان في شرح رسالة ابن عبدالرحمن للشيخ ابن الفخار المداني.

منظومة الرحمانية للشيخ عبدالرحمن باش تارزي وشرحها لولده الشيخ مصطفى وقد طبعت بمطبعة النجاح تحت إشراف وتصحيح إمام النهضة الإصلاحية عبدالحميد بن باديس طيب الله ثراه.

غنية المريد للشيخ عبدالرحمن باش تارزي.

شرح الشيخ عبدالقادر المجاوي على نظم للشيخ مصطفى باش تارزي.

نظم قواطع المريد وشرحه للشيخ محمد بن عزوز.

رسائله إلى علماء الخنقة وغيرهم.

رسالة في السلوك ومناقب الشيخ علي بن عمر للشيخ مصطفى بن عزوز.

رسالة في خطاب بعض المعارضين له.

تكملتها للشيخ علي بن عثمان.

رسالة في أن حب الدنيا قاطع للسائر للشيخ علي بن عثمان.

النبذة اللطيفة فيما يلزم السائر في الطريقة المنيفة له.

الرد على من اكتفى بنسبة الطريقة دون أخذ العهد له.

فاكهة الحلقوم للشيخ عبدالحفيظ بن علي بن عمر.

غنيمة المريدين للشيخ عبدالحفيظ الخنقي.

نزهة الطريقة الخلوتية له.

وصية الشيخ للإخوان في كل زمان له.

كمال الكمال للشيخ الصادق بن الحاج الممودي.

رسالة في التحرك حال الذكر للشيخ محمد بن أبي القاسم.

رسالة في أن الخلوتية والشاذلية طريقة واحدة له.

رسالة النهي عن التصدر للطريقة بلا إذن وبذل الأسماء للتلقين بدعوى التسليك بلا أساس له.

الزهر الباسم لابن أخيه محمد بن الحاج محمد.

الهواتف للشيخ التارزي بن عزوز.

رسالة في السماع ونقاء الطريقة من البدع للشيخ المدني بن عزوز.

رسالة في استقامة هذه الطريقة للشيخ محمد الصالح بوحجر، شرح الشيخ عمار البوطالبي القسنطيني.

تحفة السالكين ودلالة السائرين لمنهج العقربيين للمنير السمنهودي.

السلوك لأبناء الملوك للعارف الشيخ محمد الكردي بطلب من ابن الطريف.

تحفة الإخوان والخلان في بعض آداب أهل العرفان للشيخ الدردير.

منهج الصادقين له. حاكى به أحياء الإمام الغزالي.

ربيع الفوائد للشيخ عبدالله الشرقاوي.

تأليف للشيخ ابن الحداد.

حكمة المغانم في جميع النعائم للشيخ ابراهيم بن أدهم بن محمد الصادق بن الحاج بن منصور ومن التآليف العتيقة:

آداب المريدين لأبي النجيب السهرودي.

الوصايا السهرودية وشرحها: إرشاد الطالبين لأرشد اليورسوي.

عوارف العوارف للشهاب السهرودي وحواشيها واختصارها.

رسالة السلوك للنجم الكبرى.

الوصايا القدسية للزين الخوافي.

منهج الرشاد له.

الانالة العلمية لأبي جعفر بن ليون.

بغية السالك للإمام الساحلي المالقي.

وسيلة للغلط مزيلة لعبد اللطيف المقدسي.

واهب المواهب في المقامات والمراتب له وشرحه لابن يونس.

رسالة النور للشيخ آ شمس الدين.

رسالة النور للشيخ أحمد الزاهد في مجلدين.

منح المنة لتلميذه محمد الغمري في ستة مجلدات.

منهج السالك إلى أشرف المسالك لعلي المرصفي.

نزهة الأسرار لمحمد الجمالي.

مصقل القلوب لعبد المجيد السيواسي.

ميار العلوم وشرحه لعمر الفؤادي.

منظومة أحمد القرشي البكرى الرائية.

رسالة كريم الدين الخلوتي.

الرسالة النصحية لطالب الطرق الفتحية لجمال الدين القرماني.

رسالة أطوار السلوك السبعة له.

الرسالة البيرامية للشيخ بيرام الانقروي.

الحجة المنيرة في الطريقة المنيرة للشيخ عمر الحنفي.

الرسالة لطلاب الإيقان للشيخ سنبل أفندي.

حياة الأرواح ونجاة الأشباح للشيخ محمد أفندي الاسكندري.

طريقة محمدية له.

كشف القناع عن وجه السماع له.

رسالة فتح الباب ورفع الحجاب له.

جا مع الفضائل له.

الواردات له.

نقلا عن كتاب: النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية للعلامة الكبير الشيخ المكي بن عزوز طيب الله ثراه.

وقد بقي كثير من كتب الطريقة لم نتعرض لذكرها.

الطريقة التجانية

أسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني، والتيجاني نسبة إلى قبيلة بني توجين التي اسقرت قديما بعين ماضي ومنها تنحدر السيدة والدته عائشة بنت أبي عبدالله محمد بن السنوسي التيجانية.

ولد الشيخ مؤسس هذه الطريقة في عين ماضي الواقعة بالقرب من مدينة الأغواط سنة ١١٥٠ هـ وفيها حفظ القرآن الكريم وتلقى على شيوخها علوم العربية والفقه المالكي. وبعد وفاة والديه في يوم واحد بسبب وباء الطاعون الذي أصاب يومئذ تلك المنطقة غادر المترجم مسقط رأسه متنقلا بين بو سمغول وتوات والأبيض سيدي الشيخ وتلمسان وكان خلال تنقلاته هذه يتصل بالعلماء يأخذ عنهم ويستفيد منهم.

وبعد إقامته بتلمسان شد الرحال إلى المغرب الأقصى حيث حل بمدينة فاس التي كانت ولا تزال حاضرة علم يقصدها طلابه من كل مكان، وفيها التقى بأعلام التصوف فتتلمذ عليهم وأخذ منهم ومن هؤلاء الشيوخ نذكر الشيخ الطيب الوزاني شيخ الطريقة الطيبية وشيوخ الطريقة القادرية والصديقية التي استقر بزاويتها مدة طويلة أخذ خلالها عن شيوخها.

عاد من جديد إلى مدينة تلمسان ومنها توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج وفي طريقه اتصل بالصوفي الكبير والعالم الشهير الشيخ محمد بَنْ عبدالرحمن الأزهري فأخذ عنه من فنون الحكمة ما كان في حاجة إليه.

ثم واصل طريقه حيث حل بتونس فاتصل بشيوخها وأخذ عنهم وتابع طريقه إلى القاهرة التي نزل بها ضيفا على الشيخ المربي الكبير محمد الكردي العراقي الذي أذن له بتأسيس الطريقة وتلقين الذكر.

ووصل بعد هذه الرحلة الطويلة إلى مكة المكرمة وأدى فريضة الحج وزار المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام وأخذ عن علمائها. وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان الذي أخذ عنه أحزاب الشاذلي والوظيفة الزروقية ودلائل الخيرات والدور الأعلى بعد أن أخذ المسبحات العشر مُشافَهَةً عن شيخه محمد الكردي. وبذلك جمع الشيخ التيجاني خلاصة الطرق الشاذلية والطيبية والرحمانية والناصرية.

وبعد رجوعه إلى الوطن من البقاع المقدسة نزل بتلمسان التي غادرها سنة ١٧٨٢ بسبب مضايقته من طرف باي وهران يومئذ محمد بن عثمان. وأخذ يسيح في الصحراء متنقلا من بلدة إلى أخرى وقد اجتمع خلال تنقلاته هذه بالرحالة المغربي

المعروف الشيخ محمد بن عبدالسلام الناصري الدرعي صاحب الرحلة والموفي سنة ١٨٣٣ الذي تحدث عنه في رحلته قائلا: «أنه في سنة ١٧٨٢ بالقنادسة ورد علينا رجل ينتمي للعلم والصلاح من شرفاء عين ماضي اسمه سيدي أحمد التيجاني رفض سكن بلده بعد تطليق زوجته وانقطاعه للجولان شرقا وغربا. وقدومه الآن كان من تلمسان مزعجا من بعض أمراء الترك بها. زعم أنه أخذ عن السمان المدني وأجازه وأخذ العهد عن الكردي في مصر وتذاكرنا معه في مسائل حتى انجر الكلام بعدم تحسين الظن بمتمربطة الزمان إلخ».

ولم يزل الشيخ التيجاني يتنقل من بلدة إلى أخرى إلى أن حط عصا الترحال بقصر بوسمغول جنوب البيض وفيه أسس الطريقة التيجانية ووضع لها أسسها. وبعد مضاياقته المتكررة من طرف الباي عثمان بن محمد قرر الهجرة مع أهله وأتباعه إلى المغرب الأقصى واستقر به القرار بمدينة فاس حيث لازم جامع القرويين لتدريس علوم الشريعة به ولا تزال السارية التي كان الشيخ يجلس إلى جوارها تدعى إلى يومنا هذا بسارية الشيخ أحمد أبي العباس الماضوي التيجاني. وكان من أعماله التي قام بها بناء زاوية له بمدينة فاس بحي البليدة فاس البالي.

وقد منحه سلطان المغرب مولاي سليمان قصرا (بحوش المرايا) لإقامته الخاصة مع راتب يكفيه ومن معه، وتفرغ الشيخ لنشر

طريقته وبث تعاليمه بين الناس الذين لازموا مجالسه وحلقات دروسه.

وممن أخذ عنه الطريقة بفاس يومئذ العلامة التونسي الكبير الشيخ ابراهيم الرياحي الذي كان يومئذ في سفارة للدولة التونسية لدى البلاط المغربي سنة ١٨٠٣. وقد ألف الشيخ ابراهيم الرياحي رسالة دافع فيها عن الشيخ أحمد التيجاني سماها – مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التيجاني عن دائرة أهل السنة – رد بها على الشيخ علي بن محمد الميلي المصري التي اعترض فيها على الشيخ التيجاني في مسألة تتعلق بصفة الكلام القديم وهي من مسائل علم الكلام.

وللشيخ التيجاني بعض المؤلفات نذكر منها:

الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمدية التيجانية وهي شرح لقصيدة الهمزية للبوصيري في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام.

جواهر الحقائق في شرح الصلاة المسماة بياقوتة الحقائق والتعريف بحقيقة سيد الخلائق.

وقد تلقاها عنه بعض أتباعه ومريديه أمثال الشيخ علي حرازم والشيخ محمد بن محمد بن المشري السائحي.

كانت وفاته رحمه الله يوم الخميس ١٧ شوال سنة ١٢٣٠ هـ الموافقف لـ ٢٢ سبتمبر ١٨١٥ وشيعت جنازته في مدينة فاس حيث ضريحه في زاويته المعروفة باسمه في حي البليدة تاركا ولدين محمد الكبير ومحمد الصغير.

وقد كتب بعض أصحابه سيرته في كتاب سماه - جواهر المعاني وبلوغ الأماني عن فيض الشيخ التيجاني - ويعرف كذلك بالكناش. وقيل أن هذا الكتاب أملاه الشيخ نفسه وهو من أهم المصادر التي تجمع أخبار هذه الطريقة. وهناك أيضا معجم يضم أسماء أعوان الطريقة التيجانية عنوانه - كشف الحجاب عمن إلتقى مع التيجاني من الأصحاب - ألفه أبو العباس أحمد العياش سكيرج رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم.

وللطريقة التيجانية فضل كبير في نشر الإسلام ببلاد السودان والسينيغال والقابون والكونغو وغينيا وفي الصحراء الكبرى ومصر وبلاد العرب وبعض أجزاء آسيا، ومن أبرز أعلام هذه الطريقة الذين عملوا على نشرها وجاهدوا في سبيل الدعوة الإسلامية جهادا حقيقيا، والذيم وقفوا إلى جانب الشيخ التيجاني وساعدوه وأزروه نذكر الحاج عمر المولود بالسينيغال سنة ١٧٩٧ والمتخرج من الجامع الأزهر الشريف.

هذا الداعية الكبير نشر الإسلام ودعا إلى عقيدة السلف الصالح بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن بمشاركة أخيه أحمد وذلك في بورنو وبلاد الهاوسة بحيث استطاع أن يكوّن جيشا من الأتباع والمريدين حارب به الوثنيين والملاحدة فهزمهم شر هزيمة، ولم يمت سنة ١٨٦٥ إلا بعد أن ترك للإسلام سلطة عظيمة في إفريقيا.

وهنا تحضرني كلمة رائعة لأحد المؤرخين يقول فيها: «أن افريقيا كادت تكون كلها مسلمة لولا قضاء فرنسا على سلطة التيجانية كما أن أروبا كادت تكون كلها مسلمة لولا انتصار شارل مارتيل على العرب في موقعة بواتي». ونحن نقول أن الإسلام بحمد الله وعونه لا يتوقف زحفه، وانتشاره، رغم كل المؤامرات والمكائد التي تحاك ضده، ولن يوقفه انتصار شارل مارتيل في أروبا ولا محاولات الاستعمار في افريقيا وهذا وعد من الله ولن يخلف الله وعده.

أما بالنسبة لأتباع الطريقة التيجانية المعروفين بالأحباب فإن تعاليم الطريقة تمنع عليهم الإنخراط في سلك طريقة أخرى، ومن المعلوم أن أهم مراكز التيجانية هي عين ماضي حيث توجد الزاوية الأم، تأتي بعدها تماسين ثم الأغواط وسوف وورقلة وتوقرت.

وذكر - رين - في إحصاء رسمي لسنة ١٨٨٢ أن عدد الزوايا التيجانية في الجزائر بلغ ١٧، و١٠٠ مقدم، و١١٠٨٢ مريدا.

الطريقة السنوسية

تنسب هذه الطريقة لمؤسسها الإمام الصالح محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسن الإدريسي، وهو سليل أسرة تمتد جذورها إلى ملوك الأدارسة مؤسسي الدولة الإدريسية بالمغرب. وقد نشأ المترجم له في بيت علم ودين وصلاح معروفة بمدينة مستغانم ببيت آل عبدالله الخطابي نسبة إلى الشيخ عبدالله خطاب الشلفي المجاهري.

وقد ولد في الثاني عشر من ربيع الأول ١٢٠٢ هـ الموافق لـ ٢٢ ديسمبر ١٧٨٧م ببلدة يلل المعروفة بنواحي مستغانم والقريبة من غليزان وسبب اشتهار هذا البيت الكريم بالسنوسي يعود إلى جدهم الذي لقب نفسه بذلك تبركا بالشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي صاحب التآليف المعروفة وعالم تلمسان المشهور.

حفظ القرآن الكريم وتلقي دراسته الأولى في معسكر ومازونة وتلمسان على كبار الشيوخ وقتئذ، أمثال الشيخ محمد بوراس عالم معسكر وصالحها، والشيخ محي الدين بن شهلة، والشيخ محمد بن عبدالقادر بن أبي روبنة والشيخ ابن القندوز صاحب

المواقف الشهيرة من الحكام والذي قتله حسن باي سنة ١٨٢٩ نتيجة مواقفه المشرفة من الحكام في وقته.

وكان مترجمنا معروفا بحبه للتنقل والأسفار في طلب العلم، والاطلاع على أحوال المسلمين التي كانت في تدهور مستمر، وهكذا عقد العزم على الرحيل إلى مدينة فاس التي كانت قبلة طلاب العلم والمعرفة، وكان جامع القرويين بها يعج بكبار العلماء فدرس به علوم الشريعة، واللغة العربية، والمذاهب الإسلامية والفلسفة والمنطق والفلك وغيرها من العلوم والفنون وبقي بها سبع سنوات من ١٨٢٢ إلى ١٨٢٩. كما كانت رحلته إلى فاس فرصة للاجتماع بكبار شيوخ التصوف والأخذ عنهم أمثال الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي الذي تلقى عنه الطرق الصوفية كالقادرية والشاذلية والدرقاوية والناصرية والجزولية والزيانية والتيجانية، ونال الإجازة، وحصل على المشيخة الكبرى وعين مدرسا بجامع القرويين اعترافا بمكانته العلمية.

غادر الإمام السنوسي مدينة فاس مودعا من طرف علمائها وشيوخها عائدا إلى موطنه الجزائر حيث شرع في التجوال كعاداته في أنحاء الصحراء الجزائرية متوقفا في العديد من المدن كالأغواط والجلفة ومسعد التي تزوج بها وعين ماضي وبوسعادة التي استراح فيها قليلا ليواصل فيها رحلته نحو المشرق مرورا بتونس فالقيروان وطرابلس وبرقة فالقاهرة فمكة

المكرمة التي حط بها الرحال ليجتمع بالكثير من علمائها ويطلع على حركة الإصلاح الوهابية، ثم انتقل إلى عسير التي التقى فيها بالإمام أبي العباس أحمد بن عبدالله الإدريسي الفاسي الذي كان على رأس طريقة صوفية هناك تدعى الطريقة الخضيرية ولازمه الإمام السنوسي إلى أن انتقل الشيخ إلى جوار ربه سنة ١٨٣٥ ، فبايع أتباعه ومريدوه الإمام شيخا لطريقتهم التي أصبحت فيما بعد تعرف بالسنوسية.

عاد إلى مكة ليؤسس بها سنة ١٨٣٧ أولى زواياه في جبل أبي قبيس. ومما يسجل لهذا الإمام العظيم وهو بمكة موقفه التاريخي من تلك الفتوى التي خطط لها الاستعمار الفرنسي بالجزائر وأوفد من أجلها الجاسوس المعروف ليون روش على رأس جماعة من المسلمين الجزائريين إلى القيروان ومصر والحجاز لموافقة العلماء عليها، وجاء في هذه الفتوى ما معناه يجب على المسلمين إيقاف معركة الجهاد ضد الغزاة إذا علموا أنهم لا يستطيعون التغلب عليهم، وأن مواصلة الجهاد والحالة هذه تعد انتحارا يجب الابتعاد عنه وأنه يجب الرضى بقضاء الله وقدره في هذه الحالة.

وفعلا فقد وافق عليها علماء القيروان والأزهر والحجاز ولكن العالم الوحيد من بين علماء الحرم الذي حضر المجلس العلمي التابع لأمير الحجاز وعارض الفتوى ولم يوافق عليها إنما هو

الشيخ محمد بن علي السنوسي كما ذكر الجاسوس ليون ورش. وكان ذلك سنة ١٨٤٢.

غادر الإمام الحجاز بعد زيارة اليمن عائدا إلى أرض الوطن ولما وصل إلى مدينة قابس بالجنوب التونسي علم بمساعي الفرنسيين الجادة للقبض عليه فعاد من حيث أتى ليستقر به المقام ببرقة. وقد كان اختياره لها موقفا مصيبا حيث تعتبر تلك المنطقة مكانا استراتيجيا لوقوعه وسط الأقطار التي عزم على نشر دعوته بين سكانها، وبث أفكاره وتعاليمه بينهم.

وفي الجبل الأخضر قريبا من درنة أنشأ الإمام زاويته التي عرفت بالزاوية البيضاء، وهي الزاوية الأم، وقد سميت بذلك لبياض جدرانها وقد تحولت بمرور الوقت إلى مدينة تعرف بمدينة البيضاء وقريبا منها مقام الصحابي الجليل سيدي رافع الأنصاري رضي الله عنه، الذي كان ممن شاركوا في الفتح الإسلامي لهذه الديار.

وقد اختار الإمام لبناء الزاوية البيضاء مكانا بعيدا عن المخاطر الخارجية التي كان دائما يتوقعها ويعد العدة لها عملا بقوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (الآية ٦٠ من سورة الانفال). وقد كان فعلا ما

توقعه الإمام من غزو البلاد الليبية من طرف الاستعمار الإيطالي، وهذا دليل واضح على عمق تفكير الرجل، وبعد نظره.

لذلك كانت الدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا تعتبر السنوسية ومؤسسها العدو الأول لها في افريقيا وكانت فرنسا تحرض الخلافة العثمانية التي كانت يومئذ تلفظ أنفاسها الأخيرة لمحاربة السنوسية والقضاء عليها كما فعلت مع الحركة الوهابية في الحجاز، وكانت الدول الأوربية تعلن أن الطريقة السنوسية خطر على الخلافة العثمانية قبل أن تكون خطرا عليها وذلك قصد إثارة الفتنة وإشعال فتيل الحرب والاقتتال بين المسلمين.

وقد ظلت الدول الاستعمارية تشن حملاتها الصحافية على الطريقة السنوسية وتعلن عن تخوفها منها، وأنها تهدد مصالحهم وهذا منذ تأسيسها إلى أن دخلت في معارك حقيقية مع الاستعمار الإيطالي دامت قرابة نصف قرن من الزمن.

وواصل الإمام السنوسي إنشاء الزوايا في العديد من نواحي القطر الليبي، ونقل مقر زاوية البيضاء إلى الجغبوب التي أنشأ بها أكبر الزوايا السنوسية سنة ١٨٥٦م بعد أن ازدهرت دعوته وانتشرت تعاليمه لتعم كل أرجاء ليبيا فأخذ الحكم القائم يومئذ يشعر بخطر هذه الحركة السنوسية ويعمل على القضاء عليها، واخماد

أنفاسها قبل أن تشتد شوكتها، وتجنبا لكل صدام ومغامرة لا يعلم عواقبها إلا الله، قرر الإمام المعروف بنظرته الحميمة وتفكيره البعيد نقل مركز دعوته إلى الجغبوب في قلب الصحراء بعيدا عن نفوذ الحكم القائم وبعيدا عن كل مراكز الرقابة التي أقامها الاستعمار لترصد تحركات الإمام وأتباعه وتراقب نشاطه، وتحاصر دعوته.

وبانتقال الإمام السنوسي، طيب الله ثراه، إلى الجغبوب التي كانت فيما مضى واحة يقطنها اللصوص، ويقصدها قطاع الطرق، فأصبحت بعد انتقال السنوسية إليها مكان أمن وطمأنينة وسلام. وفيها بدأ الإمام مرحلة جديدة من مراحل نشاطه تتمثل في الإعداد الجاد لكل الطوارئ، وبدأ تدريب الإخوان على صناعة السلاح واستعماله في الوقت المناسب للدفاع عن أوطان الإسلام والمسلمين. وهكذا لأول مرة في التاريخ، تشهد الجغبوب جيشا من جنود الطريقة السنوسية المجاهدة يحمل السلاح، لا ليقطع الطريق ويتعرض للذين لا حول لهم ولا قوة كما تعودت من قبل ولكن ليحارب به الغزاة المعتدين أعداء الشعوب، المتحكمين في رقابها، المتسلطين على حريتها وسيادتها.

والجانب النضالي والاستعداد للمعركة ضد الاستعمار لم ينسه المهمة الرئيسية للزاوية والمتمثلة في نشر العلم والمعرفة ومحاربة الجهل والأمية في أوساط الجماهير لذلك أنشأ بالزاوية مكتبة علمية ضخمة تضم ثمانية آلاف مجلد في الفقه الإسلامي

والتفسير والحديث والتاريخ والأدب والفلك وغيرها من مختلف العلوم والفنون.

وهكذا لم تطل مدة إقامته بالجغبوب حتى لبى داعي ربه[1] ورجعت تلك النفس المطمئنة إلى ربها راضية مرضية، الجغبوب التي جعل منها مأوى للعلم، والدين، والصلاح، وطهرها من أعمال الشر والجريمة والفساد.

وللإمام السنوسي مؤلفات علمية قيمة تفوق الأربعين كتابا ورسالة مختصرة نذكر منها:

ايقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن (وفيه دعوة من مؤلفه لفتح باب الاجتهاد).

بغية السول في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول.

السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين.

الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية.

المنهل الروحي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق.

---

[1] كانت وفاته رحمه الله يوم الأربعاء، التاسع من صفر سنة ١٢٧٧هـ الموافق لـ ٧ سبتمبر ١٨٥٩م ودفن بمقامه المعروف بالجغبوب.

البدور الساحرة في عوالي الأسانيد الفاخرة.

الكواكب الشارقة في أسانيد بعض شيوخها المغاربة والمشارقة.

السلسل المعين في السلاسل الأربعين.

نزهة الجنان في أوصاف تفسير القرآن.

منظومة السلوك إلى ملك الملوك.

لوامح الخذلان على من لا يعمل بالقرآن.

الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية.

التحفة في أوائل الكتب الشريفة.

سوابغ الأيدي بمرويات أبي زيد.

هذه عناوين بعض الكتب والرسائل التي ألفها الإمام السنوسي وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى تبحر الرجل في مختلف العلوم والفنون وعلى أنه كان بحق من رجال السيف والقلم وقد كتب لبعض هذه العناوين أن يطبع، بينما بقي البعض الآخر دون طبع. وقد شهد له بالفضل والعلم والحكمة كبار العلماء والمفكرين من الأجانب، فقد قال عنه ايفانز بريتشارد في كتاب ـ السنوسيون في برقة ـ: «أن السيد محمد بن علي السنوسي كان رجلا عظيما وأن عمل حياته كان إنجازا رائعا». ويقول عنه

آدفر: «كان السنوسي الكبير ذا مظهر متميز، طويل القامة، متكلما فصيحا، ومعلما حكيما». وقال عنه أيضا: «لم يكن السنوسي الكبير عالما كبيرا، ومؤلفا بارزا فحسب، بل كان مغرما بالكتب أيضا، لذا نجده يمتلك مكتبة طيبة تحوي ثمانية آلاف مجلد».

لقد عرف المغرب العربي الكبير انتشارا واسعا للطرق الصوفية المختلفة، وقد استطاع الإمام السنوسي باحتكاكه ببعضها، واجتماعه بشيوخها، أن يستفيد منها الكثير الذي يساعده على اكتشاف مواطن القوة والضعف فيها مما جعله يعيب على بعضها اهتمامها بالجانب الروحي وحده، وانحراف البعض عن الصراط السوي الذي سار عليه أئمة التصوف وشيوخه الأولون.

لقد استفاد الإمام من ذلك كله في تأسيس طريقته على أساس الكتاب والسنة وكان رحمه الله يقول: «أعلم أن سبيل القوم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم من الجليل والحقير، وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة». وقد تحدث بريشارد عن الطريقة السنوسية فقال: «ومن بين جميع الطرق الصوفية، كانت السنوسية أكثرها تمسكا بالسنة».

ومن الأهداف الروحية التي تعمل الطريقة السنوسية على تحقيقها، ويسعى مريدوها بفضل قراءة الأوراد الوصول إليها هي الاتصال المباشر بين المريد والرسول عليه الصلاة والسلام وهي

بذلك تخالف بعض الطرق الصوفية الأخرى في دعواها للاتحاد مع الله وهو ما لم يؤمن به شيوخ السنوسية ومريدوها.

أما عن أوراد الطريقة السنوسية فتتلخص في تلاوة القرآن الكريم وهي أفضل عبادة كما ورد في الحديث: «أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن»، ثم الاستغفار والتهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وهناك مجموعة أخرى من الأوراد التي يواظب المريدون على قراءتها وهي موزعة على أيام الأسبوع نذكر منها: الحزب السيفي، والحزب المغني، ودعاء الاختتام بعدهما، وحزب النور الأعظم والكنز المطلسم وحزب التجلي الأكبر والسر الأفخر والأوراد الأحمدية. وكل هذه الأوراد من تأليف أحمد بن إدريس إلا حزب السيفي فقد عزاه بعضهم إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وأتباع الطريقة السنوسية ومريدوها يؤمنون بأن الإمام السنوسي كان على اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، وقد ذكر الإمام بأن الرسول أمره بتأسيس الزوايا والدعوة إلى الله.

وبعد وفاة الإمام تولى رئاسة الطريقة السنوسية من بعده ولده محمد المهدي بمساعدة مجلس وصاية ثم تولاها بنفسه مباشرة إلى أن لقي ربه سنة ١٩٠٢ وقد ولد محمد المهدي بماسة بالجبل

الأخضر في ذي القعدة من عام ١٢٦٠هـ الموافق لـ نوفمبر ١٨٤٤ ودامت مدة رئاسته للطريقة أربعين عاما تقريبا.

وقد تسلم محمد المهدي رئاسة الطريقة في ظروف جد صعبة فقد كان للانتشار الواسع الذي حققته السنوسية، وتمركزها على أماكن ذات أهمية استراتيجية في افريقيا الأثر السيئ العميق في نفوس الدول الأوروبية الاستعمارية التي تخطط في الخفاء لتقسيمها فيما بينها، ومحاولة كل دولة الفوز بنصيبها منها. وكانت في مقدمة تلك الدول بريطانيا التي احتلت مصر والسودان، وفرنسا التي استولت بدورها على أقطار المغرب العربي وإيطاليا التي ترك لها احتلال ليبيا.

وكان على الشيخ محمد المهدي السير على نهج والده في نشر الدعوة، والعمل على تشييد الزوايا، وهذا ما وقع فعلا فقد تحمل المسؤولية وكان أهلا لها وجد الشيخ المهدي في انشاء الزوايا وتوسيعها وتنظيمها وحسن سيرها وإعطائها كل ما تستحقه من عناية واهتمام حتى بلغ عدد الزوايا التي أنشأها المائة.

وبالإضافة إلى قيام تلك الزوايا برسالتها المقدسة في نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم، والدعوة إلى الإسلام، أخذ الجانب العسكري فيها حيزا كبيرا يقول لوي رين القائد الفرنسي: «إن السنوسيين بهذه الزوايا كانوا على أهبة الاستعداد، فكان كل

رجل منهم مزودا بالسلاح الكامل، وربطوا بين جميع هذه الزوايا المتفرقة والبعيدة برباط متين من المخابرات وفق نظام دقيق تلتقي أسبابه عند زاوية الجغبوب الكبرى». وقد صدق الشاعر الجزائري الفحل محمد العيد آل خليفة رحمه الله إذ يقول:

إن السنوسيين شهب دجنة　　　وعتاق ميدان وأسد نزال

إن البطولة في الوغى عهد لهم　　　عهدت به الآباء للأطفال

وبما أن الزوايا السنوسية كثرت وانتشرت في العديد من الأقطار العربية والإسلامية بدأ من الجزائر وتونس وفاس وبرقة ومصر والحجاز واليمن والسودان وتوات وتركيا والهند، فقد أصبحت التقارير الواردة من مختلف الوكلاء في تلك البلاد القاصية البعيدة تصل إلى بني غازي لترسلها هذه إلى زاوية الجغبوب الأم على جناح السرعة.

وهكذا وبفضل حنكته وحكمته ونظره الثابت، وجده واجتهاده في العمل، كما كان والده الإمام من قبل عرفت الطريقة السنوسية في عهده قوة كبيرة وأصبح لها بين الشعوب والقبائل الإفريقية المكانة المتميزة جعلتها تفرض الأمن وتوفره في الطرق التي كان التنقل فيها مغامرة تؤدي بصاحبها إلى الموت المحقق.

وأصبحت بفضل الطريقة السنوسية تنعم بالأمن والهدوء والطمأنينة وأصبحت القوافل التي تحمل جوازات مرور موقعة من

شيوخ الزوايا السنوسية لا تتعرض لأي أذى من طرف قطاع الطرق وبذلك أصبحت الطريقة السنوسية المتحكم الوحيد في تلك المناطق مما جعل الدولة العثمانية وقتئذ تعترف لها بالسيادة عليها وبذلك تحولت السنوسية من طريقة دينية بحتة إلى دولة إسلامية استمرت في الحكم إلى غاية ١٩٦٩ تاريخ إعلان الجمهورية من طرف العقيد معمر القذافي.

الدور الجهادي للطريقة السنوسية في نشر الإسلام ومقاومة الاستعمار:

الطريقة السنوسية طريقة إصلاحية تجديدية تأثر مؤسسها بالحركة الوهابية التي قامت في أرض الحجاز في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي لصاحبها محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه، وتهدف السنوسية فيما تهدف إليه إلى نشر الإسلام وإصلاح عقيدته مما علق بها من أنواع البدع والضلالات. وقد كان لها الأثر الكبير في نشر الإسلام والدفاع عن حياضه في القارة الإفريقية.

وبفضل حصافة مؤسسها الإمام السنوسي استطاعت السنوسية تحقيق هدفها في تأسيس دولة إسلامية كانت تتويجا مشرفا

لجهاده وجهاد أتباعه ومريديه بينما لم تثبت حركتا الوهابية في الحجاز والمهدية في السودان بل سقطتا.

ولعل من أسباب نجاحها التزام كل أفرادها من أتباع ومريدين بالطاعة والولاء لشيوخها، وتقيدهم بتعاليم الكتاب والسنة وعدم الانحراف عنها. ومن مظاهر الولاء والطاعة لتعاليم الطريقة فقد أوجب الأتباع والمريدون على أنفسهم الامتناع عن التدخين وشرب القهوة ليتبرعوا بنفقاتها على الجماعة التي تصرفها في مشاريع خيرية اجتماعية وعسكرية كما ألزموا أنفسهم بوقف كل أعمالهم ونشاطهم على خدمة الإسلام وقضايا المسلمين وعاهدوا الله على المقاومة المستمرة لأي لون من ألوان الخضوع للنفوذ الأجنبي.

وقد استطاعت الزاوية المركزية بالجغبوب أن تخرج كل عام المئات من الدعاة الذين ينتشرون في القارة الإفريقية وفي بلاد العرب يبشرون بالإسلام وينشرون دعوته في أوساط الشعوب المختلفة انطلاقا من شمال إفريقيا إلى أواسطها حتى بحيرة تشاد ومن سواحل الصومال شرقا إلى السينيغال غربا حيث استطاع أولئك الدعاة الرواد من السنوسيين تخليص الأطفال الأرقاء بشرائهم من القوافل التي كانت تمارس التجارة بالرقيق والقادمة من السودان قصد السهر على تربيتهم تربية إسلامية في الزوايا السنوسية على أساس منهج تربوي تعليمي أعد إعدادا

دقيقا خصيصا لذلك ليعودوا بعد ذلك إلى بلدانهم لدعوة أقوامهم إلى الإسلام وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وهكذا أصبحت عدة قبائل إفريقيا، كانت من قبل تدين بالوثنية بعد أن اتصل بها دعاة السنوسية، من المسلمين المتحمسين وهو ما تمّ مع قبيلة بيلي و شعب التيدا في جنوب واحة فزان وفي بلاد الحبشة وفي وادي غربي بحيرة تشاد. وهكذا دخل ملايين الأفارقة إلى الإسلام عن طريق الدعوة السنوسية خصوصا في النيجر والكونغو والكامرون.

هذا بإيجاز عن دورها في التبشير بالإسلام وأما عن دورها في الجهاد فقد قامت السنوسية بدور عظيم وحققت عملا جبارا امتد قرنا وأكثر، حرر ليبيا من الغزو الاستعماري الإيطالي، ووقف سدا منيعا في وجه كل المحاولات والأطماع الاستعمارية وقدم قوافل من الشهداء الأخيار وفي مقدمتهم البطل الشهيد عمر المختار خريج الطريقة السنوسية وأحد مقدميها. وقد صمدت السنوسية خلال فترة المقاومة الطويلة صمودا أدهش الأعداء وأقض مضاجعهم وحسبوا لها ألف حساب حتى حاولوا بشتى وسائل الإغراء والترغيب استمالتها وكسبها فلم يجدوا من شيوخها الأبطال الأشاوس إلا الصدود والإعراض والابتعاد.

ولما تولى أحمد الشريف رئاسة الطريقة السنوسية بعد وفاة المهدي، وكان ذا كفاءة وخبرة بما يجري في عالمه آنذاك فقام بدور كبير في مقاومة الاستعمار الإيطالي من سنة ١٩٠٢ إلى ١٩١١ تاريخ اعتزاله رئاسة الطريقة وترك المكان للأمير إدريس السنوسي الذي أصبح فيما بعد ملكا على ليبيا والذي سار على نهج أسلافه في الدين والورع والتقوى والصلاح والجهاد وهي صفات يشهد له بها أصدقاؤه وأعداؤه، كافح من أجل حرية وطنه وشعبه ووقف، طيب الله ثراه، حياته وأحواله لخدمة القضايا الإنسانية العادلة وقضايا الأمة العربية الإسلامية بصفة خاصة.

ومواقفه المشرفة الخالدة من ثورة التحرير الجزائرية المباركة لا تنسى ودعمه المادي والمعنوي للجهاد والمجاهدين يسجل له بأحرف من ذهب ووقوفه إلى جانب الجزائر في كل المناسبات يعترف له به العام والخاص وقد حدثني عنه مؤرخ الجزائر الكبير الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله فأثنى على مواقفه الثناء الكبير وقد سألت عنه الأخ الرئيس أحمد بن بلة حفظه الله فأجابني بمثل ذلك.

وأترك لفقيدنا الراحل أحمد توفيق المدني المجال ليحدثنا عنه ويصفه بقلمه الرائع في مقابلة له مع وفد جبهة التحرير الوطني سنة ١٩٥٦ والثورة المباركة في عهدها الأول، يقول رحمه الله:

«أدخلنا التشريفاني وكان مكتبه عند الباب، دارًا متواضعة جد التواضع ليس بها أي شيء من رونقِ الحياة ولا من أبهة الإمارة ولا من حركة الملك كان السكون مخيما بصفة مخيفة، رهيبة ثم أدخلنا غرفة لا تتجاوز مساحتها ٣ x ٤ مترا وكان الملك بلباسه العربي وشاشية التونسية ذات الرز الغليظ يجلس جانبا فوق أريكة متواضعة سوقية وأمامه منضدة صغيرة وحوله عدد من الكراسي، جلست على واحد منها تجاهه وجلس الشيخ عمر دردور عن يميني وجلس الدكتور محمد الأمين دباغين عن شمالي.

تكلم الملك مرحبا كان صوته رقيقا جدا، كانت عبارته بسيطة سهلة لكننا كنا ونحن نسمع إلى كلماته نلمح من خلال حديثه ذكاء وقادا وإيمانا صادقا وعزيمة جهادية متينة العود. وأجبته وذكرت كفاح الجزائر بما يستحقه من تقدير وعرجت على آمال المجاهدين فيه وخاصة من حيث مرور السلاح حرا إلى الجزائر عن طريق ليبيا.

وكان يجيب عن كل قضية أذكرها جوابا فوريا لطيفا حاسما وكان حديثه وكانت جواباته تحوم حول النقط التالية:

أولا: إن الجهاد في الجزائر ليس جهادا جزائريا بل هو جهاد إسلامي عام فمن كان مستطيعا ولم يشارك فيه فقد خان الله ورسوله.

ثانيا: إن ليبيا ملكا وحكومة وشعبا لا تؤيد الكفاح التحريري الجزائري فقط، بل هي تشترك فيه روحا وبدنا ولو أن ثورتكم فتحت أبوابها لقبول المتطوعين لرأيتم أن رجال ليبيا ربما فاق عددهم في جيش التحرير عدد الجزائريين.

ثالثا: إن الرئيس مصطفى بن حليم قد أطلعه على تفاصيل مذاكراتنا معه واتفاقنا في قضية المطارات بين أيديكم الآن فمى أتم الأخصائيون المصريون إصلاحها فهي مطارات جزائرية وما علينا إن علمت فرنسا بذلك، أما السلاح الجزائري فقد أصدرت أمرا لقائد الجيش وهو أصدر أمرا لقائد الحدود بأن يدخل حرا طليقا لا يعترض عليه معترض وأن خذوا حذركم كي لا يطلع على ذلك ما هو موجود من جواسيس مختفين عندنا.

رابعا: اعتبروا حكومة ليبيا حكومتكم الخاصة، ما طلبتموها في إعانة أو من سعي إلا قامت به وبأمر مني بكل سرعة وبأكثر ما لدينا من قوة ومن جهد وما أردتم أن تتوسط لكم في شراء سلاح أو في مسعى سياسي أو ديبلوماسي إلا كانت مستجيبة لكم فورا.

هذه بغاية الدقة وبدون أن أترك فكرة أو معنى هي خلاصة جواب الملك كما حررتها فور خروجي، مما يدعي بالقصر. وكان الملك يأبى أن يخاطب بلقب صاحب الجلالة لأن صاحب الجلالة

هو الله وحده يقول أما لقبي الرسمي فهو السيد إدريس السنوسي لا غير ولا أرضى أن أخاطب بصيفة أخرى.

خرجنا ونحن مبتهجون حقا بتلك المقابلة الحاسمة أما الشيخ عمر دردور الفاضل فقد سالت عَبَراته تأثرا وأما الدكتور الأمين الدباغين فقال أنه قلّما تأثر من روعة موقف ومن إيجابيته كما تأثر ذلك اليوم أما أنا فقد رأيت المجاهد على حقيقته ونسيت مثواه تحت حماية أسطول الإنجليز وقلت في نفسي: "لعل له عذرا وأنت تلوم".

ورجعنا فائزين من تلك المقابلة الملكية الثرية[1] » اهـ.

الزوايا السنوسية:

تختلف الزوايا السنوسية في مهامها ووظائفها عن الزوايا المعروفة منذ زمن بعيد فهي كما خطط لها مؤسسها الإمام السنوسي زيادة على رسالتها المتمثلة في التربية الروحية والتعليم وبعض الأعمال الخيرية والاجتماعية فهي مؤسسات لتكوين الدعاة، ومراكز عمل وجهاد يدرب فيها الأتباع في كل يوم

[1] الجزء الثالث من حياة كفاح للأستاذ أحمد توفيق المدني.

جمعة على استعمال السلاح، وتعقد لذلك مسابقات تخصص فيها الجوائز للفائزين، كما يتعلم فيها الفروسية والرماية وركوب الخيل، كما تعلم فيها مختلف الصناعات كالنجارة والحدادة والسباكة والنساجة والزراعة وغرس الأشجار.

لقد كان الإمام السنوسي يولي لهذه الزوايا اهتماما كبيرا وعناية خاصة يختار لبنائها الأماكن الاستراتيجية ويوزعها توزيعا مبنيا على تخطيط دقيق روعيت فيه ظروف السلم والحرب، بحيث تبعد كل زاوية عن التي تليها بمسافة ست ساعات حتى إذا داهم الخطر إحداها، ينتقل الأتباع إلى التي تجاورها. يقول بريتشارد عن موقع الزوايا: «إن من يدرس توزيع الزوايا السنوسية في برقة يلاحظ أنها أقيمت وفق خطة سياسية اقتصادية». ويتحدث عنها الأمير شكيب أرسلان قائلا: «إن أغلب هذه الزوايا تختار لها أجمل البقع وأخصب الأراضي وفيها الآبار التي لا تنزح من كثرة مائها وفي الجبل الأخضر هي بجانب عيون جارية وأنها صافية قل إن مررت بزاوية ليس لها بستان أو بساتين فيها من كل أنواع الفواكه؟».

إذنْ فالزوايا السنوسية كانت بيوتا للعبادة ومدارس للعلم ومحاكم لفض الخصومات بين الناس والحكم فيها بعدل الإسلام ومراكز تزدهر حولها الزراعة والصناعات المختلفة وتحيط بها تجمعات سكنية تجعل البدوي يألف حياة الاستقرار ليرتبط

بالأرض ويحرس على بقائه فيها إذا ما داهمه الخطر الذي كان الإمام رحمه الله يتوقعه ويعد العدة له.

وتتكون الزاوية السنوسية من بيت خاص لإسكان شيخها وبيوت خاصة بالضيوف وبوكيل الزاوية وبمعلم الأطفال والمسجد للصلاة والوعظ والإرشاد والمدرسة القرآنية ومعهد لتدريس العلوم الإسلامية ومساكن للطلاب الغرباء ومكتبة علمية بالإضافة إلى مساكن للعمال ومخازن لحفظ المؤن ومتجر وفرن وحجرة خاصة بالفقراء الذين لا مأوى لهم. فهي مركز اشعاع ثقافي يجمع فيه بين العبادة والعمل والتعلم والدعوة الى صلاح شؤون الإسلام والمسلمين.

أما عن الموارد المالية للزاوية السنوسية فمصدرها الزراعة وتربية المواشي والهبات وجباية الزكاة وهذا بعد أن أعفت السلطات العثمانية الزوايا من دفع الضرائب وأعطت لها الحق في جبايتها وهذا لأغراض سياسية بحتة قصد استمالتها وكسب مؤازرتها ودعمها.

أما عن تسييرها والإشراف على إدارتها فيعود لشيخ الزاوية المسؤول الأول ومجلس يضم وكيل الزاوية وشيوخ وأعيان القبيلة الموجودة بها. ويطلق على شيخ الزاوية ـ المقدم ـ كما يقول شكيب أرسلان: «وهو القيم على الزاوية الذي يتولى أمور القبيلة

ويفصل الخصومات ويبلغ الأوامر الصادرة من رئيس النظام، ويليه وكيل الدخل والخرج وإليه يعود النظر في زراعة الأراضي وفي جميع الأمور الاقتصادية».

ولم يلتحق الإمام السنوسي بالرفيق الأعلى حتى بلغ عدد الزوايا ٥٢ منها في ليبيا ٣٧ وخارج ليبيا ١٥ منها ستة في الحجاز و ٣ في مصر وواحدة في تونس ويذكر أشهب: «أن هذه ليست كل الزوايا التي بنيت في عهد السنوسي».

إذن، فقد كان للزوايا السنوسية سلطان كبير على المناطق المتواجدة بها. فللمقدم والوكيل سلطة على أهل الزاوية جميعا والقبيلة كافة فإذا صَدَر الأمر من أحدهما باسم السيد السنوسي فإن طاعته واجبة على الجميع.

السنوسية في الجزائر

يقول الأستاذ أنور الجندي: «إذا كانت الطريقة السنوسية قد بدأت خطواتها في برقة فإنها بدأت فعلا من الجزائر ولم يتوقف امتدادها منذ ظهورها حتى شملت المغرب العربي كله وتخطته إلى الجزيرة العربية وغيرها. وذلك أن محمد علي السنوسي كان جزائريا أصيلا ولد في مستغانم وكان قد تخطى الأربعين عندما

احتل الفرنسيون بلاده، وكان هذا الحادث هو نقطة البدء في عمله الضخم». اهـ.

نعم لقد ولدت السنوسية في الجزائر ومنها انطلقت انطلاقتها الموفقة، وتمكنت من التمركز والانتشار بالرغم من مضايقات الاستعمار الفرنسي لها لأنه كان يعتبرها خطرا عظيما عليه وكان يشرف على رئاستها في القطر الجزائري الشيخ أحمد الشارف بن تكوك رئيس قبيلة المجاهر نواحي مستغانم والتي ينتسب إليها الإمام السنوسي. ولا تزال زاويتها قائمة إلى يومنا هذا في مدينة مستغانم ويتولى مشيختها أحد أفراد أسرة الشيخ ابن تكوك وقد زرناها وتحادثنا مع شيخها الذي قابلنا مقابلة طيبة غير أننا لم نجد عنده من المعلومات ما يفيدنا في بحثنا فودعناه شاكرين له حسن الاستقبال.

هذه كلمة موجزة عن الطريقة السنوسية التي حملت لواء الجهاد بالسيف والقلم فقاومت أعداء العروبة والاسلام، وحاربت الاحتلال الإيطالي، وكان لها مع الإروبيين المستعمرين صولات وجولات، وفرضت هيبتها واحترامها على الخلافة العثمانية، رحم الله مؤسسها وشيوخها وأتباعها الذين جاهدوا في الله حق جهاده. وللشريف أحمد السنوسي كتاب ضخم في تاريخها.

ونختمها بهذه القطعة الشعرية الرائعة للأمير شكيب أرسلان في مدح السنوسية:

لا يرى العلم في سوى العمل الصالح فالعلم آلة ووعاء

فلهذا نرى الطريق السنوسي على الفعل قام منه البناء

بات فعلا هدى مريد السنوسي وأن ليس بالكلام اكتفاء

كلهم عالم لذلك فيهم تتبارى العقول والأعضاء

كم تولى بالكف سكة حرث حَبْرُ علم حظت به القراء

حققوا سنة المعلم للخير الرسول الذي به الاقتداء

بث ما بين مطلع الشمس والمغرب رشدا أضاءت به الأرجاء

وزوايا في كل غور ونجد ليس يستطيع حصرها الإحصاء

وبدا بالبناء في الجبل الأخضر حيث البناية البيضاء

الطريقة الزيانية

الطريقة الزيانية وزاويتها

شيخ هذه الطريقة ومؤسسها هو الرجل الصالح الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن أبي زيان الإدريسي الحسني رحمه الله وقدس سره، وقد عرف بالقندوسي نسبة إلى القنادسة تلك الواحة الجميلة التي تقع جنوب غربي مدينة بشار بحوالي ١٧ كلم وحوالي ثلاثين كلم شرقي وادي قير.

وقد ولد الشيخ محمد بوزيان مؤسس الطريقة وشيخها الأول في قصر من قصور تاغيث التي يسكنها بنو كوبي على الضفة اليمنى من نهر زوزفانة سنة ١٠٦٢ هـ الموافق لـ ١٦٥٠م بعد أن انتقلت عائلته من القنادسة إلى بني كومي حيث استقرت هناك للقيام بشؤون نخيلها الذي امتلكته مع قبائل ذوي منيع. وبعد حفظه للقرآن الكريم، وحصوله على مبادئ في اللغة والدين، شد الرحال في طلب العلم قاصدا زاوية الشيخ مبارك بن عزي السجلماسي مزودًا بما يحتاج إليه أثناء السفر وكان الشيخ مبارك المذكور قد عرف واشتهر بالعلم والورع والصلاح وكان على رأس الطريقة الشاذلية فبقي الطالب بوزيان في هذه الزاوية مدة من الزمن جادا

مجتهدا من أجل العلم والمعرفة لا تراه إلا متنقلا من حلقة إلى أخرى ومن مناظرة علمية إلى مثلها مما جعل شيخه يهتم به ويوليه عناية خاصة.

ولما توفي الشيخ مبارك بن عزي سنة ١٨٧٧ إثر وباء الطاعون غادر بوزيان سلجماسة متوجها إلى فاس تنفيذا لوصية شيخه الذي كان قد أخذ عنه سر الطريقة الشاذلية، وقام بغسله وتكفينه والصلاة عليه بوصية منه أيضا.

وفي فاس التي بقي بها ثماني سنوات في مدرسة سيدي مصباح يدرس العلم على كبار علمائها أمثال الشيخ أحمد الحبيب اللمطي والشيخ محمد ابن عبدالقادر الفاسي وعبد السلام جسوس.

وفي وقت وجوده بفاس يظهر وباء الطاعون سنة ١٠٨٩ فيأتي على سكان المدينة وما جاورها ولم ينج منه إلا القليل حتى بلغ عدد الهالكين في اليوم الواحد من ٤٠٠ إلى ٨٠٠ ضحية.

لقد كانت الفترة التي قضاها بفاس من أخصب فترات حياته وأحبها إلى نفسه فكان لذلك كثير الحديث عن شيوخه بفاس، والتنويه بهم، والإشادة بذكرهم، فقد ذكر أنه أخذ الحكم لابن عطاء الله السكندري عن الشيخ محمد بن عبدالقادر الفاسي وعن الشيخ عبد السلام جسوس الذي أخذت عنه النحو واللغة والفقه

والأصول والحديث وكان إماما للمسجد الأعلى من العقبة الزرقاء في فاس القرويين كما أخذ عنه التصوف.

وقد قتل هذا الشيخ شنقا بأمر من الملك مولاي اسماعيل سنة ١١٢١ هـ الموافق لـ ١٧٠٩م.

أما عن الشيخ أحمد بن العربي المعروف بابن الحاج والذي ذكره عبد الرحمن اليعقوبي في كتابه فتح المنار فكان من العلماء العاملين والصالحين والواصلين ومن الكتب التي أصبح معروفا بتدريسها متخصصا فيها: ألفية ابن مالك في النحو والصرف، وشمائل الترمذي وموطأ الامام مالك، والشفاء للقاضي عياض وتوفي عام ١١٠٩هـ - ١٦٩٧م.

ومن شيوخه بفاس نذكر كذلك أبا العباس أحمد الشهير باليمني المصري الصعيدي الذي وفد على مدينة فاس حيث انتصب بها للتدريس في جامع القرويين وقد تحدث عنه هو الآخر الشيخ ابن أبي زيان قائلا: «اني أكون في بيت العبادة وإذا برجل يسأل عني ليناولني طعاما جيدا، قائلا: إن سيدي أحمد اليمني بعث به إليك».

وهكذا بعد أن ملأ الشيخ ابن أبي زيان وطابه علما ومعرفة وتصوفا بحيث بلغ فيها ما لم يبلغه غيره، وأصبح حديث العام والخاص لما رأوه فيه من الخير والصلاح، وظهور بعض الكرامات

على يديه أرغم من طرف الملك المغربي يومئذ مولاي اسماعيل على مغادرة البلاد والعودة إلى وطنه فخرج من فاس عائدا إلى موطن أسلافه القنادسة حيث استقر به المقام وكان ذلك سنة ١٠٩٧هـ ليشرع بمجرد وصوله إليها في تأسيس طريقته الزيانية التي هي فرع من فروع الشاذلية وبناء زاويته العامرة التي أصبحت فيما بعد قبلة المريدين والأتباع والزائرين يؤمونها من كل حدب وصوب حتى بلغ عدد زائريها أربعمائة زائر.

وعاشت القنادسة في ظل الزاوية الزيانية عهدا ذهبيا لم تعرفه من قبل وأصبحت الخيرات تأتيها من كل الجهات. فالقمح والشعير والعسل وغيرها من المواد الغذائية الأخرى التي يأتي بها الزوار هدية طيبة إلى الزاوية وطلبتها والقائمين عليها كما أصبحت القنادسة بها كنار على علم بعد أن كانت مغمورة لا يعرف الناس عنها شيئا.

ومن مآثر الشيخ محمد بن أبي زيان بالقنادسة زيادة على تأسيس الزاوية الزيانية بها، قيامه بحفر الكثير من الآبار التي صارت مصدر خير ومورد بركة لسكان البلدة وما جاورها من المناطق الذين كانوا في أمس الحاجة إلى الماء.

ومن صفات الشيخ بوزيان الوفاء لشيوخه وأصدقائه ومحبيه فقد كان يتردد على صديقه الشيخ عبدالرحمن الكرزازي صاحب

الطريقة الكرزازية الذي كان يرحل ليزور أضرحة شيوخه في سجلماسة حيث دفن الشيخان ابن عزة، وابن ناصر الدرعي. وكان في الوقت نفسه لا يزور الحكام، ولا يتمسح بأعتابهم، ولا يخشى سطوتهم فكان محل تقدير واحترام من طرفهم.

حج بيت الله الحرام ثلاث مرات راجلا وكان خلالها وعلى طول الطريق يقوم بالدعوة يعظ ويرشد، يعلم ويتعلم، يؤثر ويتأثر، يأخذ ويعطي، يتلقى ويلقن، فأصبح له بذلك أتباع ومريدون في جميع الأقطار العربية يأتون لزيارته والتماس البركة منه، وطلب الورد خصوصا بعد ظهور الكرامات على يديه صار من أقطاب أهل التصوف.

وكان، طيب الله ثراه، يقضي أغلب أوقاته في الخلوات التي اتخذها خارج القرية خصوصا في وادي بشار وحمادة فيلقصد التعبد والذكر والتأمل، وكان زاهدا متقشفا لا تفارق جيبه الإبرة والخيط لترقيع ثوبه الذي كان من الصوف الخشن وكان يضع على رأسه طربوشا من الصوف بدل العمامة ويرتدي البرنوس الأسود. وكان يركب الحمار أو يمشي حافي القدمين أما فِراشُهُ فالأعشاب وأوراق الشجر، وكان يغسل ثيابه بنفسه. وأثر عنه أنه كان يختفي فجأة من حين لآخر ليرجع بعد أسبوع.

وكان، طيب الله ثراه، قد تزوج مرات عديدة وأنجب البنين والبنات وكان يقبل الهدايا ولا يردها، وكانت السبحة لا تفارقه وكان يقول بشأنها: «السبحة واللوح إلى خروج الروح» وهو بذلك يجمع بين أداة الذكر التي هي السبحة وأداة القرآن الكريم التي هي اللوح.

وكانت الطريقة الزيانية وهي كما قلنا فرع عن الشاذلية تقوم على أداء الذكر ومعرفة السلسلة الشاذلية وسلسلة أهل التصوف فقد ورد عن سند الشيخ محمد بن أبي زيان في التصوف قوله في منهل الضمآن: لقد أخذ رضي الله عنه عن شيخه المعظم سيدي مبارك بن محمد بن عبد العزيز السجلماسي الغرفي:

عن شيخه القطب محمد بن ناصر

عن شيخه سيدي عبد الله بن أحسين

عن شيخه سيدي أحمد بن علي

عن شيخه سيدي الغازي الراشدي

عن شيخه سيدي أحمد زروق

عن شيخه سيدي أحمد بن عقبة الحضري

عن شيخه سيدي يحي القادري

عن شيخه سيدي علي بن وفا

عن والده سيدي وفا

عن شيخه سيدي داود الباخلي

عن شيخه بن عطاء الله

عن شيخه سيدي أبي العباس المرسي

عن شيخه سيدي أبي الحسن الشاذلي

ويتصل الزيانيون كذلك في سندهم بالشيخ الجزولي عن طريق سيدي محمد بن ناصر الدرعي محمد الدادسي أبو بكر المجاطي الدلائي أبو عمر القسطلي عبدالكريم بن عمر الشيكي المعروف بالفلاح وعبد العزيز التباع. ويذكر الذين أرخوا لابن أبي زيان أنه كان يحث مريديه وأتباعه على قراءة دلائل الخيرات. ونستنتج من ذلك أن الطريقة الزيانية كانت زروقية جزولية شاذلية.

وهذا سند تلك الطريقة المذكورة:

الشيخ أحمد زروق البرنسي

الشيخ محمد بن سليمان الجزولي أحمد بن يوسف الراشدي

عبد العزيز التباع علي بن عبدالله جبار

عبد الكريم الفلاح	بلقاسم الغازي
أبو عمر القسطلي	أحمد بن الحاج الدرعي
أبو بكر المجاطي الدلائي	عبد الله بن حسين
محمد الدادسي	أحمد بن ابراهيم

محمد بن ناصر الدرعي

مبارك بن عبد العزيز

الحاج محمد بن عبد الرحمن بن أبي زيان

ومن الأوراد التي تركها ابن أبي زيان لأتباعه مع بعض الوصايا الأكيدة هي:

ملازمة الاستغفار مائة مرة في كل يوم مع النية بتجديد التوبة.

الصلاة على النبي صلعم «اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما».

الهيللة: ألف مرة وعند تمام كل مائة من اسم الجلالة يقول: «محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم».

المواظبة على ذلك كل يوم والأحسن أن يكون بعد صلاة الصبح.

قراءة القرآن ولو خمسة أحزاب في اليوم.

قراءة دلائل الخيرات في كل يوم مرة وإن لم يتيسر ذلك فنصفه أو ربعه. وأقل ذلك مرة كل جمعة.

صيام الإثنين والخميس إن تيسر وإلا فثلاثة أيام في كل شهر، الأيام البيض.

مطالعة كتب القوم وخص منها الحكم لابن عطاء الله السكندري وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزال وقوت القلوب لأبي طالب المكي.

ملازمة قيام الليل بخمس تسليمات ولو بحزبين وقبلها بركعتين خفيفتين الأولى بالفاتحة وسورة الكافرون والثانية بالفاتحة وسورة الإخلاص.

إن الزاوية الزيانية بالقنادسة قد اشتهرت بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الدينية واللغوية، اشتهرت بإطعام الطعام للفقراء والمساكين وابن السبيل. ولا يزال أحفاد الشيخ محمد بن أبي زيان يحافظون على هذه المكرمة رغم ما أصاب الزاوية على مر السنين من ثوابت الدهر، وغير الزمان، ولكن الشيء من مأتاه لا يستغرب فهم على حد قول القائل:

بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الكَرَمْ ومَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ

ولا تزال الزاوية تقدم خدماتها الاجتماعية لمن هُمْ في مسيس الحاجة إليها ومن بين تلك الخدمات ما تقدمه من كميات من الحبوب للفلاحين لمساعدتهم على زرع أراضيهم ليردوها للزاوية إذا كان المنتوج حسنا وإذا لم يكن المنتوج كذلك فالزاوية لا تطالبهم برده.

وهذا لَعُمْرِي عمل من أعمال البر والإحسان التي عرفت بها الزاوية الزيانية منذ عقود من الزمن. وَهُوَ ما جعل الناس من سكان الجهة ومن الجهات المجاورة لها يقدمون لها الهبات والعطايا، ويتبرعون لها بكل ما يملكون من غال ونفيس لأنها في نظرهم لم تعد مركز تعليم فقط بل أصبحت مركزا للتكافل والتضامن الاجتماعي وبيت مال المسلمين تدخر فيها الأموال لوقت الشدة وأيام الحاجة.

التنظيم الهيكلي للطريقة الزيانية وزاويتها:

بعد انتشارها الواسع داخل الوطن وخارجه، وبعد تزايد مريديها وأتباعها والمتعاطفين معها، نظمت الطريقة الزيانية صفوفها في إطار لا يختلف عما توجد عليه بقية الطرق الصوفية وزواياها.

فالشيخ وهو المسؤول الأول على رأس الطريقة يتخذ من الزاوية الأم مقرا لسكناه وهذا ما فعله الشيخ ابن أبي زيان وأبناؤه وحفدته

من بعده ولا تزال المشيخة متوارثة بين أبناء سيدي محمد الأعرج ابن الشيخ سيدي محمد بن أبي زيان وذلك تنفيذا لوصية خطية.

وعندما يتسع نفوذ الطريقة الزيانية ويزداد عدد أتباعها كثرة في المناطق البعيدة يقوم الشيخ بتعيين نواب عنه على رأس الزوايا التي تتفرع عن الزاوية الأم بالقنادسة المقر الرئيسي للطريقة الزيانية يساعدونه في مهامه الكثيرة. ويشترط في الخليفة أن يكون عالما صالحا وفي هذا يقول الشيخ ابن أبي زيان: «وقد منعنا المقدمين من إعطاء اسم الله الأعظم إلا للخلفاء العلماء العاملين بالسنة المحمدية فهم حلفائي في ستر الله العظيم.

وبخصوص المقدمين وهو منصب له أهميته وحيويته فقد كان الشيخ رحمه الله يحتاط كثيرا ويتشدد في تعيين أصحابه وكان يعينهم بواسطة تزكية مكتوبة على شكل إجازة وهذه الإجازة ذات أهمية بالغة من حيث محتواها ومضمونها.

ومن المناصب المهمة في التنظيم الهيكلي للطريقة الزيانية وزاويتها القيم على خزائن الزاوية، وكان الشيخ رحمه الله قد عين في هذه الوظيفة لأول مرة ابن أخيه سيدي الحاج عبدالرحمن وكان رجلا يتصف بالورع والصلاح ومن نصيحته له قوله: «أحرص على مال الله وأصرفه في عبيده وأحسن تصريفه فإن الله سائلني

وأنا سائلك وكلنا مسؤولون أمام الله اللهم أي خرجت من تبعاته وخلفتك فيها».

وتنفق تلك الهدايا والأموال على الفقراء والمساكين والمحتاجين وعلى الضيوف الوافدين على الزاوية لزيارة الشيخ، وفي بناء مخازن تحفظ فيها تلك المواد التي يجب أن تصرف في وجوهها الشرعية وحسب الأولويات.

أما خدمة الضيوف والإشراف على إطعامهم كمّا وكيفا فمن اختصاص زوجة الشيخ رحمها الله وطيب ثراه والتي يقول عنها صاحب فتح المنان: «وكانت أم الأولاد الكرام السيدة الفاضلة أم كلثوم صالحة عارفة بأمور الضيافة وكانت رضي الله عنها رفيقة وملجأ للأيتام وكانت تصل الرحم.

ومن الوظائف الهامة في هيكل الطريقة الزيانية: الرقاب وهو ما يعرف اليوم بساعي البريد الذي يقوم بربط الصلة بين شيخ الطريقة والزاوية وبقية المقدمين وبين هؤلاء والمريدين ونقل الأخبار والمعلومات والوصايا والرسائل ولابد أن يكون صاحب هذه الوظيفة رجل ثقة لأنه الممثل الشخصي وأمين سره لذلك فهو محل حفاوة وتقدير واحترام حيثما حل وارتحل. ومن بين تلك الرسائل التي كان يحملها الرقاب تلك التي كان شيخ الطريقة يوجهها للحكام ويتوسط فيها لخير الرعية وحل المشاكل.

ويختار الرقاب عادة من بين أكثر المريدين إخلاصا وتشبُّعاً بمبادئ الطريقة الزيانية، وأكثرهم التزاما بأمور الشريعة عَارفًا بها فقد كان خلال تنقلاته ورحلاته المستمرة يقوم بإمامة المصلين ونشر مبادئ الطريقة وقيادة القوافل.

وهناك في هيكل الطريقة المدّاح وهو بمثابة الداعية المتجول الذي ينشر أخبار الطريقة بواسطة قصائد من نظمه أو من نظم غيره يمدح بها شيخ الطريقة بأبلغ الألفاظ والكلمات، وأجمل العبارات، واصفا إياه بأسمى الصفات ويعتبر عرش أولاد سيدي علي بوشنافة من أكثر الناس ولوعا بقصائد مدح الشيخ سيدي محمد بن أبي زيان. ومن القصائد التي لاتزال تردد لحدّ الآن نقتطف هذه المقطوعة التي يقول فيها صاحبها:

منك حالي يزيان يا ابن بوزيان   منك حالي يزيان يا ابن بوزيان
أنا قابض في الله وفيك   يا شيخي يا بن بوزيان
أنا قابض في الله وفيك
في هذي الدار وفي ذيك
القندوسي عاري غليك   يا طواع العصيان
حبك من لا عندو شريك   أوهب ليك البرهان
يا عنايتي يا قطب الخضرا   يا مغيث اللهفان

بدواك داوني نبرا يا شيخي يا بن بوزيان

وهي قصيدة طويلة نكتفي منها بهذه الأبيات.

ويشكل الإخوان والأخوات الأعضاء العاديين للطريقة والرعية المخلصة للشيخ ويعرفون بالمريدين والأصحاب. ويتلقى هؤلاء الذكر مباشرةمن الشيخ أو نوابه أو من المقدمين المفوضين من الشيخ ويلزمون بقراءته في أوقاته المعينة.

أما عن شروط الانخراط في الطريقة فتبدأ بصيام المريد واعتكافه وكثرة الصلاة والإكثار من الصدقات وأعمال البر والإحسان. وهي عملية تهدف إلى تطهير الذي يريد الإنخراط في الطريقة من السيئات لأن الله يقول: «إن الحسنات يذهبن السيئات»، ويقول الرسول (صلعم): «واتبع السيئة الحسنة تمحها».

ثم بعد ذلك يحضر بصفة رسمية في جلسة علنية بقصد الانخراط وأخذ السر بعد أداء اليمين على السمع والطاعة وعدم افشاء أسرار الطريقة وأهلها والالتزام بأداء الشعائر كلها وينتهي الجمع بقراءة الفاتحة وتبادل السلام بين الإخوة.

وكان الشيخ رحمه الله يتشدد كثيرا في قضية الاختلاط حتى أنه كان يقول: «هن كالعقارب الكبيرة تلدغ والصغيرة تلدغ لذلك حرّم على نفسه لقاءهن وأذن لهن أن يقصدن أهله وبناته حين يتعلق الأمر بالتلقين وأخذ السر.

ونعود إلى الزاوية الزيانية بالقنادسة لنشير إلى أنها تعلم إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم الذي هو المادة الأساسية والرئيسة والعلوم الشرعية كالتفسير والحديث والقراءات والفقه والأصول والفرائض واللغة العربية والعروض والإنشاء والرياضيات والهندسة والمنطق.

وتوجد بالزاوية المكتبة الزيانية التي تضم بين جدرانها مجموعة من الكتب القيمة نذكر منها:

الجامع الصحيح للإمام البخاري.

الشمائل المحمدية للترميذي.

الشفاء للقاضي عياض.

الترغيب والترهيب للمندزي.

حاشية الزركشي على صحيح البخاري.

إرشاد الساري للشرح صحيح البخاري للقسطلاني.

حاشية ابن حجر على الشمائل.

طراز المجالس ونسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للخفاجي.

البيان والتحصيل لابن رشد.

لباب التأويل في معاني التنزيل لابن جزي.

الاكتفاء بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفاء لسليمان بن فوسي الكلاعي.

عيون الآثر لابن سيد الناس.

الروض الفائق في المواعظ والرقائق لشعيب بن عبدالله.

الأنوار في آيات النبي المختار لعبد الرحمان الثعالبي.

قوت القلوب لابن طالب المكي.

الرسالة.

بحر الدموع لابن جزي.

رياض الصالحين للنووي.

التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله.

الطبقات والعهود للشعراني.

الرسالة لابن أبي زيد القيروان.

مختصر خليل.

ألفية ابن مالك.

ولا نغادر الزاوية الزيانية بالقنادسة دون ذكر بعض من درّس بها من العلماء الأعلام ونذكر منهم: الشيخ إدريس المنجرة وقد تحدث عنه صاحب مورد الظمآن وأثنى عليه ووصفه بالشريف

والقدوة والبركة وقد ألف كتاب ـ أعذب الموارد في رفع الأسانيد ـ أثنى فيه عن الشيخ، ابن أبي زيان ثناء كبيرا. ومن الشيوخ الذين زاروها ودرّسوا بها، الشيخ محمد بن عبدالله التلمساني العالم الفاضل ومن علماء تلمسان البارزين.

ومن أراد المزيد عن الطريقة الزيانية وزاويتها بالقنادسة فليرجع إلى كتاب ـ طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية ـ لمصطفى بن الحاج بشير. وكتاب فتح المنان في سيرة الشيخ سيدي الحاج محمد بن أبي زيان للشيخ عبدالرحمن اليعقوبي.

وقد توفي الشيخ محمد بن أبي زيان رحمه الله وقدس سره بالقنادسة سنة ١١٤٥هـ وتولى من بعده مشيخة الطريقة والزاوية ابنه الشيخ محمد الأعرج الذي توفي سنة ١١٧٥هـ رحم الله الجميع وأسكنهم فراديس جنانه.

الطريقة اليوسفية

وتنسب إلى الشيخ أحمد بن يوسف الهواري وطنا الملياني وفاة، عرف رحمه الله بالخير والورع والصلاح، وأصله من قلعة بني راشد وتخرج من مدرسة الإمامين: محمد بن يوسف السنوسي العالم الشهير وصاحب التآليف المفيدة، وأحمد زروق البرنسي المتوفي سنة ٨٤٥ وصاحب الطريقة الزروقية.

تعرض الشيخ أحمد بن يوسف للسجن والمطاردة ومختلف أنواع المضايقات نتيجة الأوضاع المتدهورة في أواخر العهد الزياني. فقد كان الحكام الزيانيون يخشون نفوذه الروحي الذي أخذ في الاتساع في البوادي والحواضر والقرى والمداشر حتى أمر السلطان بقتله أو اشخاصه إليه وكتب عامل وهران إلى حاكم هوارة بذلك فلم يستطع واكتفى بأمره بالخروج.

يقول أبو راس: «فلما ارتحل الشيخ من وطنه قال: شوشوا علينا شوش الله عليهم من البر والبحر فلم يكن إلا قليل حتى أخذ الكفرة وهران والأتراك تلمسان». واعترض طريق الشيخ بحّارون مِنْ سويد فأخذ ثلاثة أحجار وحكها بيده قائلا لهم بعد أن صارت رمادا: إن تعرضتم لنا سيسحقكم الله مثل هذه الأحجار. فأتوه تائبين،

وكل هذا من الكرامات التي ظهرت على يد الشيخ أحمد بن يوسف الملياني مؤسس الطريقة اليوسفية.

وكان الشيخ رحمه الله في أول أمره في اتباع الطريقة الشاذلية التي أسس طريقته على مبادئها وتعاليمها فهي إذن فرع منها. وكان يلقن الأسماء للعامة رجالا ونساء. وقد قدسه أصحابه إلى حد الغلوّ فيه مما لا داعي لذكره والإفاضة فيه.

لقد حج الشيخ بيت الله الحرام وطاف بالمشرق متصلا بالعلماء والصالحين فيه، خلف العديد من الأبناء بعد أن تزوج عدة مرات.

عرفت الطريقة اليوسفية انتشارا واسعا بالجزائر والمغرب الأقصى وكثر أتباعها ومريدوها الذين تعرضوا بدورهم للمضايقات بعد إتهامهم بالإلحاد من طرف بعض العلماء كما اتهموا شيخهم ابن يوسف قبل ذلك فراسل الشيخ أهل توات في قضية أتباعه المظطهدين هناك وكانوا يسمون بالفقراء.

وقد لعبت الطريقة اليوسفية دورا سياسيا بارزا داخل الجزائر وفي المغرب الأقصى، زعزع سلطة الدولة في البلدين وأثر عليها تأثيرا كبيرا مما جعل أمير فاس يشن على أتباع هذه الطريقة حربا لا هوادة فيها، كما كان للتحالف بين الطريقة اليوسفية والحكم العثماني دور كبير في تدهور الأوضاع لدى الزيانيين.

كان الشيخ ابن يوسف يعلم مريديه الأذكار والأوراد التي يقرأونها في حلقات جماعية وكان يقول عن السبحة: «إنها كالمهماز للفرس وأن الله قد أحيا به طريق أهل التحقيق»، ويقول: «إن الله قد استجاب له، في ثلاثة أمور هي:

العلم بدون مشقة.

بلوغه فوق مبلغ الرجال.

رؤية الرسول في اليقضة لا في المنام».

كان الشيخ ابن يوسف رحمه الله شاذليا في سلوكه، ولباسه، ومأكله، ومشربه، وكانت له زاوية في المكان المسمى برأس الماء، يلتقي فيها بمريديه وأتباعه، ويستقبل فيها زواره إلى أن توفي سنة ٨٣١هـ بمليانة التي يوجد بها ضريحه وهو من أعظم المزارات.

ومن بين المصادر التاريخية للشيخ بن يوسف كتاب: ربح التجارة، مغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة: للشيخ علي بن موسى. وكتاب بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار لسيدي أحمد بن يوسف الراشدي. النسب والدار وهو من تأليف محمد الصباغ القلعي، وكتاب سلوة الأنفاس للشيخ الكتاني، ودوحة الناشر لابن عسكر. وغيرها من المصادر الكثيرة التي أرخت

لحياة وسيرة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني صاحب الطريقة اليوسفية رحمه الله وأسكنه فراديس جنانه.

الطريقة الطيبية

قام بتأسيس هذه الطريقة الصوفي المغربي المعروف مولاي عبدالله بن ابراهيم الوزاني من أشراف المغرب الأقصى الملقب لذلك بالشريف والمتوفي سنة ١٠٨٩هـ الموافق لـ ١٦٧٨م، غير أن الطريقة نسبت إلى أحد أبنائه مولاي الطيب. وقد كانت ولادة الشيخ في قبيلة برج عروس أما دراسته ففي تطوان ثم فاس حيث انخرط في سلك طلبة جامع القرويين وأخذ عن كبار علمائه.

وقد عرف الشيخ بالتقشف والزهد في ملذات الحياة وزخارفها ومتعها. فعاش لذلك فقيرا معدما لا يملك من حطام الدنيا قليلا ولا كثيرا حتى أنه عجز عن دفع مهر زوجته.

أسس الشيخ زاويته الأولى التي ازدهرت في عهده ونشطت نشاطا كبيرا وكانت تطعم الطعام، وتؤوي الأيتام، حتى بالغت بعض الزوايا في عدد الذين تطعمهم فبلغ أربعة عشر ألف نسمة. وكانت حركة التعليم بها مزدهرة و بعد وفاة الشيخ تولى إدارة هذه الزاوية ابنه محمد الذي عرفت الطريقة الطيبية في عهده توسعا كبيرا داخل المغرب ثم تخطت حدوده لتنتشر داخل الجزائر حيث أصبح لها فروع ومقدمون ومنها الزاوية الطيبية بمعسكر.

وجاء بعده أخوه الطيب الذي عمل بدوره على نشر الطريقة والنهوض بالزاوية الأم وظل كذلك في سنة ١١٢٧هـ إلى ١١٨١هـ، وهكذا تعاقب الأبناء والحفدة على مشيخة الطريقة والزاوية.

والطريقة الطيبية شاذلية الأصل وقد دخلت الجزائر كما قلنا في عهد الشيخ محمد بن مولاي عبدالله مؤسس الطريقة، وكان دخولها كبقية الطرق الأخرى: القادرية، الشاذلية، الدرقاوية، بواسطة الرحلات والاتصالات التي كان يقوم بها شيوخ مختلف الزوايا والتي كان الغرض منها تبادل المعلومات والأفكار والفتاوي والنظر في بعض القضايا الفقهية.

وكانت الطريقة الطيبية مشكلة في الغرب الجزائري من طرف مقدمها الحاج التهامي بن عمر الذي سجن من طرف بايات الغرب العثمانيين الذين تعرض كثيرا لمضايقاتهم لعدم ارتياحهم لأعماله ونشاطاته. وهذا بالرغم من أن هذه الطريقة تسترضيهم كما هو الشأن بالنسبة للطريقة الدرقاوية السابقة الذكر، على أننا نجد أحد بايات الغرب الجزائري وهو الباي حسين قام بشراء دار بستين مثقالا من الذهب وجعلها وقفا على الزاوية الطيبية بتلمسان وذلك سنة ١١٧٣هـ.

وقد كانت لهذه الطريقة علاقات طيبة مع سلاطين المغرب الذين جعلوا منها سلاحا سياسيا يستعملونه ضد أعدائهم ومنافسيهم من أبناء عمومتهم المتطاولين عليهم.

وقد مثلت الطريقة الطيبية في الشرق الجزائري من طرف الشيخ محمد بن بكر وهو مقدم الطريقة الطيبية في قسنطينة ١٣١٤م ومن أبطالها البارزين في الجزائر نذكر البطل المجاهد محمد بن عبد الله الملقب بـ بومعزة صاحب ثورة ١٨٤٥ بنواحي الظهرة، وادي الشلف، الونشريس التيتري، الحضنة، مستغانم.

وللمزيد من المعلومات عن هذه الطريقة يستحسن الرجوع إلى كتابي: . تحفة الإخوان بمبادئ مناقب شرفاء وزان . للشيخ حمدون بن محمد الفاسي و. الكوكب الأسعد في مناقب علي بن أحمد . للشيخ محمد بن محمد المكناسي.

الطريقة الدرقاوية

من الطرق الصوفية المعروفة على مستوى المغرب العربي، هذه الطريقة التي تنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الإدريسي المولود حوالي ١١٥٠هـ الموافق لـ ١٧٣٧م والمتوفي سنة ١٢٣٩هـ الموافق لـ ١٨٢٣م في زاويته ببوريح من بني زروال.

عمل الشيخ العربي مدرسا بمدينة فاس وكان يلازم دروس الصوفي الكبير الشيخ علي بن عبدالرحمن الجمل الذي يعتبر الحلقة الأخيرة في سلسلة الصوفية التي تتصل بالقطب الرباني أبي مدين الغوث. وعنه قام الشيخ العربي بتأسيس زاوية له في بوبريح من بني زروال بضواحي مراكش يجتمع فيها أتباعه ومريدوه الذين كثر عددهم حول طريقته ـ الدرقاوية ـ التي تستمد أصولها من الطريقة الشاذلية والتي وضع لها برامجها ونظامها وقواعدها الخاصة بها.

ومن تلك الزاوية انطلقت الطريقة الدرقاوية تشق طريقها في أوساط الجماهير التي أقبلت عليها إقبالا كبيرا سواء في المغرب الأقصى، الموطن الأصلي لهذه الطريقة أو في الجهة الغربية من الجزائر مثل وهران، تلمسان، مستغانم ومنطقة الونشريس حيث

تأثر بتعاليمها عدد كبير من علماء الجزائر وأصبحوا من مريديها وأتباعها، مثل: عبدالقادر بن الشريف الفليتي الذي رجع إلى الجزائر بعد إنهاء دراسته بالمغرب الأقصى حيث تتلمذ على الشيخ العربي الذي أجازه وأذن له في نشر الطريقة الدرقاوية. وإليه يعود الفضل الكبير في نشرها وتكاثر أتباعها الذين كان يتمتع بينهم بالتقدير والاحترام لما كان يتصف به من أخلاق وآداب كالاستقامة في السلوك، والتمسك بالصلاح والزهد.

وقد لقيت هذه الطريقة من سلطان المغرب مولاي سليمان من وسائل الدعم والمؤازرة والمساندة لأنه كان يرى فيها سدا منيعا يقف في وجه الحكام العثمانيين بالجزائر الذين شرع الدرقاويون يقاومونهم ويعملون على إضعافهم وزعزعة حكمهم بمختلف الوسائل بما في ذلك الثورة عليهم وتحريض الناس ضد سلطانهم.

وفعلا فقد أعلنت الطريقة الدرقاوية الثورة على الأتراك بقيادة محمد بن الأحرش في شرق الجزائر، وقد حَظِيَ ابن الأحرش بدعم وتأييد بعض المرابطين أمثال الشيخ عبدالله الزبوشي مقدم الطريقة الرحمانية بنواحي قسنطينة وابن بغريش، والشيخ مولاي الشقفة، كما أعلنت الثورة ضد الأتراك في الغرب الجزائري بقيادة الشيخ عبدالقادر بن الشريف شيخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر والذي استمرت ثورته أكثر من عشر سنوات.

وبقيت الطريقة الدرقاوية وراء الكثير من الثورات التي وقعت في جميع أرجاء الوطن ضد الحكم العثماني، والاحتلال الفرنسي فيما بعد. ويكفينا فخرا أن يكون من مقدميها الشيخ بوزيان قائد ثورة الزعاطشة العظيمة ١٨٤٩ بنواحي بسكرة.

ومن الذين عملوا على نشرها بجهات الغرب الجزائري أبو المواهب الشيخ محمد بن قدور الوكيلي الشريف الحسني الذي كان من مريدي الشيخ الهبري المتوفي سنة ١٣١٧هـ والشيخ الصالح محمد بن الحبيب البوزيدي الشريف المستغانمي المعروف بسيدي حمو الشيخ الذي أخذ عنه الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي صاحب الطريقة العلاوية بمستغانم. على الجميع رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

وقد ظهرت الطريقة الدرقاوية في مدينة تلمسان في أواخر القرن التاسع عشر تحت اسم الهبرية وذلك بواسطة الشيخ الدكالي الذي استقر به المقام في تلمسان حيث درس بها وكانت له اتصالات برجالاتها كالشيخ الجليل محمد بن يلس، والعربي الشوار الذي أصبح فيما بعد مقدما للطريقة العلاوية بها، ومحمد بلقايد، وزين الدين الذي كان مقدما على الزاوية الهبرية طوال حياته وقد توفي سنة ١٩٣٩.

والزاوية الهبرية لا تزال قائمة إلى يومنا هذا ومنها انطلقت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان حيث كان فقيد العروبة والإسلام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله وقدس روحه يلقي دروسه الأولى سنة ١٩٣٣ حين أغلقت كل الأبواب في وجهه وفي وجه الحركة الإصلاحية وهذا قبل انتقاله إلى زقاق الرمان ثم دار الحديث فيما بعد. ومن الوجوه البارزة التي أنجبتها هذه الزاوية نذكر السيد أحمد مصالي الحاج زعيم الحركة الوطنية في الجزائر رحمه الله.

ومن أبرز مريدي الزاوية الهبرية الشيخ محمد بن يلس الذي قام هو الآخر بتأسيس زاويته الخاصة حوالي ١٩٠٣ ليهاجر بعد ذلك، أي سنة ١٩١١ إلى الشام بعد صدور القانون القاضي بالتجنيد الإجباري. وهناك في عاصمة الأمويين دمشق أسس الشيخ بن يلس زاويته وبجانبها المدرسة التس لا تزال قائمة إلى يومنا هذا.

وقبل مغادرته أرض الوطن كان للشيخ بن يلس نشاط علمي عظيم، حيث كان كثير الاتصال بالعلماء والأدباء والصلحاء الذين كانت تعج بهم مدينة تلمسان يومئذ أمثال المفتي الشيخ الحسين البزناسي، والمحدث الكبير محمد بن الأعرج الفاسي.

كما قام بالتدريس في جامع القرويين بفاس وبالجامع الكبير بوهران حين نفي إليها سنة ١٩٠١.

وقد أخذ الشيخ ابن يلس الطريقة الدرقاوية عن شيخه الدكالي ثم اتصل بالوالي الصالح الشيخ محمد بن الحبيب البوزيد المستغانمي الذي أذن له في إرشاد المريدين وفتح زاويته الخاصة. كما كانت له لقاءات ومذاكرات مع الشيخ أحمد العلاوي شيخ الطريقة العلاوية في تلمسان ومستغانم. وتوفي رحمه الله سنة ١٩٢٧ أما ولادته ففي سنة ١٨٥٥.

وللطريقة الدرقاوية مصادر ومراجع تجمع أخبارها وتؤرخ لمؤسسها ولبعض أصحابه منها كتاب: كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار لمحمد بن أحمد المعسكري المعروف بأبي زيان كما يوجد كتاب آخر للشيخ أبي راس الناصر عنوانه درء الشقاوة في حروب درقاوة، وهو كتاب يخص حروب الدرقاويين ضد العثمانيين في إقليم وهران. وكذلك كتاب الحسام المشرفي لأبي حامد المشرفي.

الطريقة الحنصالية

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ يوسف الحنصالي من نواحي مدينة قسنطينة، وقد كان يتمتع في أوساطها وبين سكان تلك المناطق بتقدير واحترام الجميع حتى أن بيته كان مهابا وكان مثابة أمن وسلام لكل من يلجأ إليه فلا يصيبه أذى من أحد.

وقد أسس الشيخ يوسف الحنصالي طريقه هذه في نواحي قسنطينة وبها تمركزت وفيها انتشرت حتى بلغ عدد أتباعها حسب بعض الإحصائيات القديمة حوالي ٤٠٠٠. وتعتبر هذه الطريقة فرعا من الطريقة الشاذلية ولها علاقة بالرحمانية.

ومن أبرز أعلام هذه الطريقة . الحنصالية . الشيخ أحمد الزواوي الحسني الذي كانت له مع صالح باي موافقة فقد سانده وآزره ووقف إلى جانبه مؤيدا حين توجه هذا الأخير إلى الجزائر للمشاركة في مقاومة الغزو الإسباني واضعا فرسه الرقطاء تحت تصرف جيش المسلمين.

ولكن موقفه يتغير بعد نهاية هذه الحرب والانتصار على الإسبان فإننا نجده يعلن الثورة على صالح باي الذي حاول بكل الوسائل استرضاءه وإرسال من يأتي به إلى قسنطينة ولكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل الذريع وظل الشيخ أحمد الزواوي

كذلك إلى أن توفاه الله ودفن في سفح جبل شطابة المطل على مدينة قسنطينة من ناحيتها الغربية قريبا من قرية بني زياد على بضع كيلومترات من قسنطينة.

وقد ترك الشيخ الزواوي كتابا مخطوطا يشتمل على أذكار وأوراد الطريقة الحنصالية. وقد بقيت علاقات هذه الطريقة بالحكام العثمانيين على ما يرام منذ ثورة الشيخ الزواوي على صالح باي.

ومن رجالات هذه الطريقة نذكر الشيخ أحمد المبارك العطار وهو من علماء قسنطينة المعروفين ومؤرخيها المشهوربن صاحب كتاب: - تاريخ قسنطينة - وكذلك أبناؤه وحفدته من بعده الذين تولى بعضهم رتبة مقدم في الطريقة الحنصالية كالشيخ عبدالمومن رحمه الله. وقد خدم جميعهم الطريقة وعملوا على نشرها وقد دفن الشيخ أحمد بن المبارك العطار بتربة الشيخ أحمد الزواوي شيخ الطريقة في جبل شطابة المذكور آنفا.

وقد ترك الشيخ ابن العطار منظومة في الطريقة الحنصالية سماها - نصيحة الإخوان - في أصول التربية وآداب السلوك وقد تولى شرحها والتعليق عليها العلامة الكبير الشيخ الصالح بن مهنا القسنطيني رحمه الله، وهي مطبوعة كما ألف سلسلة في طريقة الشيخ الزواوي وخليفته حمو بن الزواوي وتلميذه الشيخ بلقاسم بوحجر صاحب الزاوية المعروفة في بلدة سيقوس طريق

عين البيضاء والمتوفي سنة ١٨٥٢. وكانت له، رحمه الله، مواقف مشهورة مع الحاج أحمد باي ذكرها ابن العنتري في تاريخه وذكر أسبابها.

وممن كتب عن الطريقة الحنصالية من الأجانب السيدان: كابولوني وديبون. ولا تزال في قسنطينة إلى يومنا هذا زاوية حنصالية وهي عبارة عن مسجد للصلوات الخمس والجمعة.

الطريقة العزوزية

وهي من فروع الطريقة الرحمانية وتنسب إلى الولي اكبير الشيخ محمد بن عزوز البرجي المولود بالبرج قريبا من طولقة ولاية بسكرة سنة ١١٧٠ هـ والمتوفي به سنة ١٢٣٣ هـ وقد حفظ القرآن في صغره ثم أكب على تحصيل العلم حتى صار من كبار العلماء وألف عدة كتب منها: شرح على التلخيص.

تتلمذ على القطب الكبير الشيخ سيدي محمد بن عبدالرحمن باش تارزي الذي لازمه إلى وفاته.حج بيت الله الحرام رفقة وفد من العلماء والصلحاء أمثال الشيوخ الأجلاء: علي بن عمر، عبدالحفيظ الخنقي، مبارك بن خويدم، وكلهم من تلاميذه ومريديه. وكان في نفس سلطان المغرب مولاي عبدالرحمن الذي كانت له مع الشيخ قصة إن دلت على شيء فإنما تدل على ولاية الشيخ وقطبيته واستجابة دعوته. وقد توفي الشيخ بعد عودته من الحج نتيجة وباء أصاب الجهة ودفن قدس الله روحه بقرية البرج وضريحه بها يعرفه العام والخاص ويقصده الزوار من كل حَدْب وصوب.

وللشيخ ابن عزوز رحمه الله ورضي عنه أرجوزة بعنوان: رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته. وشرحها شرحا وافيا ومفيدا. وهذه بعض أبيات منها:

الحمد لله الذي ألهمنا ... نظم أصول وقواطع لنا
ثم صلاته على سر الوجود ... محمد أكرم واف بالعهود
وآله والصحب والأتباع ... وكل قطب للرشاد داع
وبعد أن المرء ليس يشرف ... إلا بأحكام الذي سيوصف
من التجنب لكل قاطع ... والارتدا بكل أصل جامع
وقد نظمت ما أفاد شيخنا ... من أمهات وسوالب المنى
إذ طال ما بالغ في تفصيلها ... فعند ذا شرعت في تحصيلها
سميتها رسالة المريد ... فيها له من كل ما يفيد

وقد انتشرت الطريقة العزوزية في الجنوب الجزائري بفضل أتباعها الداعيين إليها، والمعرفين بها وبشيخها. وفي مقدمتهم العلامة الجليل الشيخ الطاهر العبيدي المولود بوادي سوف سنة ١٨٨٥ والمتوفي سنة ١٩٦٨ وهو من أعلام الجزائر الأجلاء المعروفين بالتبحر في العلم والمشهود لهم بالتقى والصلاح وهو

صاحب الأرجوزة الشهيرة المعروفة بنصيحة الشباب المزيحة للحجب والضباب والتي يقول فيها:

إن ترد عزة وفضل مزية فتلق الطريقة العزوزية

وتعرف في أوساط الأدباء والصالحين بالنصيحة العزوزية وقد طبعت ونشرت في بداية الخمسينات. وقد كانت للشيخ الطاهر العبيدي علاقات أخوية طيبة مع رائد النهضة الإصلاحية الإمام عبدالحميد بن باديس يعود تاريخها إلى عهد الدراسة بجامع الزيتونة المعمور وبقي الاتصال بينهما متينا بواسطة المراسلات الأدبية التي كان يعبر فيها كل منهما لأخيه عما يكنه له من مشاعر الحب والوفاء والإخلاص، وهي رسائل جديرة بأن يطلع عليها تلاميذ الشيخين ومحبوهما وهذه واحدة من تلك الرسائل التي أرسلها الإمام ابن باديس إلى أخيه ورفيقه في طلب العلم الشيخ الطاهر العبيدي يعبر له عن عميق إعجابه بالمنظومة المذكورة آنفا حيث يقول رحمه الله ورضي عنه:

ذي درر حسنة التّنضيد

جامعة للقصد والمزيد

من نظم زين العلماء العبيدي

جازاه رب الناس بالمفيد

والعلم والعمل والتّأييد

وهذه رسالة أخرى بعث بها فقيد العروبة والإسلام الشيخ عبدالحميد بن باديس إلى الشيخ الطاهر العبيدي راحمهما الله وقدس رحمهما، سنة ١٣٣٧هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

إلى حضرة علم العلم والفضل، ومعلم الكرم والنبل، التقي الطاهر الأثواب، السري البارع الآداب، مستحق الشكر منا بما له علينا من سابق الأيدي، العلامة سيدي أبي الطيب الطاهر العبيدي. أدامه الله بدرا طالعا في هالة درسه، وغيثا هامعا في ربع العلم من بعد طمسه حتى يبدل وحشة فطره بأنسه، ويحقق من بساتين تلاميذه ثمرات غرسه. آمين.

وبعد: سلام كما تفتحت الأزهار في نسمات الأشجار، وتحية تحيي قديم التذكار، وإن شطت الدار. فإني كتبته إليكم من حضرة قسنطينة يوم قدومي من رحلة كنت عملتها ناحية الجزائر وتلمسان لزيارة الأحياء والأموات من العلماء والصلحاء وأعيان الزمان فتشرفت بسادات كثيرين من العلماء والصالحين.

ومن أعظم الجميع قدرا وأشرفهم ذكرا سيدي أبي مدين الغوث، وسيدي محمد السنوسي بتلمسان، وسيدي محمد بن عبد الرحمن، وسيدي عبدالرحمن الثعالبي بالجزائر، ودعونا لنا

وللمؤمنين عامة وإخواننا أمثالكم خاصة بما نرجو من الله تعالى فيه القول والبلوغ المأمول. وذكرت لكم هذا لما أعلمه فيكم من محبة الصالحين.

وإن أمكنتني الفرصة إن شاء الله تعالى سأكاتبكم عن هذه الرحلة بمزيد تفصيل. ووافي كتابكم في غيابي في هذه الرحلة فلما قدمت وقلبته كرمته على غيره وقبلته. وكان ما داخلني من السرور لحلو خطابه، مخففا لما غشيني من الخجل لمس عتابه ولك العتبي يا سيدي فيما ذكرت ومنك الفضل فيما به ابتدأت وتفضلت. فقد باغتتني القصيدة الغراء التي راقت ورقت واستوجبت الحمد واستحسنته فنظرت إلى أوصافك الكريمة فحيلتني بها ونسبتني إليها ببركة محبتك الخالصة ما ظننت ويجازيك بالخير الجزيل على ما فعلت.

هذا وإني ما أخرت الجواب متهاونا استغفر الله ولا متكاسلا ولكني حسبت أنني أجبتكم فيمن أجبت حتى جاء كتابكم فعلمت أني غالط فيما ظننت فبادرت بهذا متحاملا على حلمك معتمدا على فضلك والعفو يا سيدي من شيم أمثالكم لا أعدمني الله من أفضالكم وأقول:

إن كنت قصرت في الكتابة والله ما ملتُ عن ودادي

وإنما كان ذاك مني غفلة ليس عن مرادي

فسامحوا طاهري بفضل وحلم سكنا فؤادي

ويعود من العبد وجماعته السلام عليكم وعلى جماعتكم وأحبائكم كلهم لديكم داعيا لكم بالخير طالبا منكم مثله.

أخوكم وشاكر فضلكم ومملوك إحسانكم عبدالحميد بن باديس في منتصف جمادى الثانية ١٣٣٧هـ.

الطريقة الهبرية

تنسب هذه الطريقة لشيخها محمد الهبري الذي تتلمذ وأخذ عن الشيخ سيدي محمد بن قدور شيخ زاوية بمنطقة كركر بالمغرب الأقصى الشقيق. وكان رفيقه في التلمذة الصوفي المعروف الشيخ حمو البوزيدي رحمه الله صاحب الزاوية المشهورة بمدينة مستغانم وهو الذي أخذ عنه الشيخ أحمد بن عليوة صاحب الطريقة العلاوية.

وللشيخ محمد الهبري شيخ الطريقة الهبرية زاوية معروفة ببلدة الضريوة بركان من إقليم أحفير بالمغرب. وهي زاوية قديمة يعود تاريخها إلى أكثر من قرنين ولها أتباع كثيرون في المغرب والمشرق. وقد بلغني من بعض الشيوخ أن عدد مريدي الطريقة الهبرية يفوق الخمسة ملايين مريدا. ومن تلاميذ الشيخ الهبري رحمه الله نذكر الشيخ البودالي الذي يوجد ضريحه وزاويته بعرش عيون البرانير دائرة بالول بولاية سعيدة ولهذه الزاوية أتباع كثيرون وقد أنجبت العديد من الشيوخ نذكر من بينهم:

الشيخ الورع محمد بلقائد الذي أخذ الورد والاسم الأعظم عن محمد الهبري ابن صاحب الطريقة المذكور.

الشيخ ميمون الذي أخذ الورد والاسم الأعظم عن الشيخ البودالي.

الشيخ السعيد الذي يوجد ضريحه وزاويته في أولاد عوف ولاية معسكر.

الشيخ محمد بن عطية الموجود بدائرة زمورة ولاية غليزان.

الشيخ عبدالقادر بن منور الموجود بوادي الأبطال دائرة تغنيف ولاية معسكر.

الشيخ محمد بن حمو الذي توجد زاويته وضريحه بمنطقة بنو سعيد بريف المغرب، أما زاوية أحفير الهبرية فيرأسها حاليا الشيخ عمر حفيد الشيخ الهبري مؤسس الطريقة ونائبه فيها هو الشيخ محمد بن المختار.

ونعود إلى زاوية الشيخ البودالي لنشير إلى أن شيخها الحالي هو بوضربة محمد حفيد مؤسس الزاوية المذكور. وتقوم الزاوية بتعليم القرآن الكريم وتدريس العلوم الإسلامية والعربية.

ويعمل أتباع الطريقة الهبرية حيثما وجدوا على تربية الناس وتعليمهم والدعوة إلى الله، والقيام ببناء المساجد ودراسة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على فعل الخير وتربية النشئ، تربية إسلامية صحيحة ويمتاز أتباعها بالخلق الطيب الكريم.

وهذه قصيدة للشيخ المتولي الشعراوي رضي الله عنه، في الطريقة الهبرية تنشر لأول مرة:

نور القلوب وري روح الوارد | هبرية تدني الوصول لعابد
تزهو بسلسلة لها ذهبية | من مشاهد للمصطفى عن شاهد
طوفت في شرق البلاد وغربها | وبحثت جهدي عن إمام رائد
أشفي به ظمأ لغيب حقيقة | وأهيم منه في جلال مشاهد
فهداني الوهاب جل جلاله | حتى وجدت بتلمسان مقاصدي
واليوم آخذ نورها عن شيخها | محي الطريق محمد بلقائدي
دقنا مواجيد الحقيقة عنده | وبه عرجنا في صفاء مصاعد
عن شيخه الهبري در كنوزه | فاغنم لالئه وجد وجاهد
دندن بما لقنته بورده | بصفاء نفس متمم متواجد
إياك من لفت الفؤاد لغيره | واجعل سبيلك واحدا للواجب
شاهد رسول الله فيه | فإنه إرث تورث ماحدا عن ساجد
فإذا وصلت به لنور المصطفى | فالمصطفى لله أهدى قائد
وهناك تكشف كل سر غامض | وتشاهد الملكوت مشهد راشد
وإذا البصائر أينعت ثمراتها | نالت بها الأبصار كل شوارد

لا تلق بالا للعذول فإنه | لا رأي قط لقائد في واجد
لو ذاق كان أحر منك صبابة | لكنه الحرمان لج بجاحد
سر في طريقك يا مريد ولا تعر | أذنا لصيحة منكر ومعاند
لا يستوي عند العقول مجاهد | في الله قوام الدجى بالراقد
الله قل يحوك الهيام وذرهموا | يتخبطون بكل زور فاسد
ثابر أخي على تجارة رابحة | واترك بحزبهم تجارة كاسد
والله قصدك والرسول وسيلة | وخطاك خلف محمد بلقائد
يا ربي خذ بيدي الهباري كلهم | وأعذهم من كل شر الحاسد
وأنل شيوخهم مقامات الرضى | واختص آلهم بهدي سائد
وأجعل صلاتك والسلام مباركا | قرب محمدك الحبيب الخالد

الطريقة العروسية

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن عروس الهواري، المولود عام ٧٧٨هـ في قرية المزاتين بوادي الرمل من الوطن القبلي بتونس الشقيقة. وكان هذا الشيخ الجليل قد انتقل في صغره إلى تونس ومكث بها زمنا طويلا كان يقضي غالبه في مقام الشيخ سيدي محرز بن خلف، ثم رحل إلى مدينة باجة ومنها إلى ميلة حيث انتصب لتعليم الصبيان القرآن الكريم.

ولم يطل مقامه بميلة ليرحل إلى القطر المغربي الشقيق حيث أقام به مدة تردد أثناءها بعلمائه ورجال التصوف فأخذ عنهم واستفاد منهم. ثم يعود إلى مدينة تونس التي يشيع بها خبره فالتف حوله الأتباع والمريدون. ويطلق عليه اسم سلطان المدينة وتوفي سنة ٨٦٨هـ رحمه الله.

وقد بنى له الأمير الحفصي الثامن عشر محمد المنتصر زاوية بالقرب من سوق العطارين اعترافا بفضله وصلاحه. وهي الزاوية التي دفن بها. وقد حظي الشيخ بمكانة محترمة لدى أمراء الدولة الحفصية كما كان لزاويته مكانة معتبرة حتى أن أحد أمراء الحفصيين لازمها مدة طويلة. وكانت من المقامات التي يواضب ملوك تونس على زيارتها في المناسبات الدينية كليلة السابع

والعشرين من رمضان، وليلة المولد النبوي الشريف، وقد أصبحت فيما بعد مقرا لجمعية المحافظة على القرآن الكريم.

الطريقة الشابية

عرفت هذه الطريقة باسم مؤسسها الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي نسبة لقرية الشابة القريبة من مدينة المهدية بتونس التي ولد بها عام ٨٠٣هـ، تلقى دراساته بمدينة تونس التي استقر بها عدة أعوام. كما أخذ عن شيوخها التصوف وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن عروس الهواري. التحق بعد ذلك بالصوفي المعروف الشيخ علي المحجوب الذي أخذ عنه ولازمه حتى تحقق له مرغوبه.

رحل بعد هذه الفترة بمدينة القيروان التي نال بها شهرة واسعة في أوساط سكانها الذين التف الكثير منهم حوله وكثر فيها أتباعه ومريدوه فكون منهم فرقة الشابية وأصبح بها إماما ومعلما فتزوج وأنجب أولادا نذكر منهم: الشيخ محمد الأكبر، والشيخ عرفة، والشيخ أبا الطيب.

وانتشرت طريقته ـ الشابية ـ انتشارا واسعا، أثار عليه جماعة من المعارضين له ولطريقته ولكنه تمكن من التغلب عليهم بفتوى من قاضي القضاة الشيخ محمد الرصاع. وفي سنة ٨٨٧هـ التحق الشيخ بالرفيق الأعلى رحمه الله.

وبعد وفاته خلفه على رأس الطريقة الشابية ابنه الشيخ محمد الأكبر الذي وافته المنية سنة ٨٩٠هـ ليتولى أمرها من بعده أخوه الشيخ عرفة الذي عرفت في عهده توسعا كبيرا وازدهارا لم تعرفه من قبل. فقد جعل من مدينة القيروان مركزا دينيا وسياسيا لها.

ومما سجل له تاريخها أنه تعرد على السلطة وأعلن الثورة على الأمير الحفصي الثاني والعشرين (الحسين بن محمد) واستطاع على رأس أتباعه ومريديه أن ينتصر على قوات الحفصيين وكان يطمح إلى تأسيس إمارة لولا أن الظروف لم تكن في صالحه فيما بعد حيث إزداد عدد المعارضين له.

توفي رحمه الله سنة ٨٤٩هـ.

وبعد وفاة الشيخ عرفة أصبح على رأس الطريقة الشابية أخوه الشيخ أبو الطيب وقد كانت تونس وقتئذ تحت الحماية الإسبانية وقد بلغت الفوضى والغليان الشعبي أشدهما. وزادت حدة الدعاية ضد الطريقة الشابية وأخذت المعارضة تقوى وتتسع دائرتها. ولم يبق لشيخها ما كان يتمتع به قبل ذلك من التقدير والاحترام والطاعة والولاء في أوساط الجماهير التي استنجدت بالقائد التركي درغوث باشا الذي كان واليا على طرابلس بعد تحريرها من الإسبان فجاء إلى القيروان على رأس قوة عسكرية وقضى على

الشيخ أبي الطيب وطارد أتباعه فتفرقوا في البلاد واستقر أكثرهم قريبا من مدينة توزر حيث تكونت منهم بلدة الشابية.

الطريقة العامرية

تنسب هذه الطريقة إلى الصوفي التونسي المعروف الشيخ عامر بن الحاج سالم المزوغي وهو من مواليد قرية الساحلين التي تبعد عن مدينة سوسة بحوالي عشرة أميال جنوبا. وكانت ولادته سنة ٩٢٠هـ في عهد الأمير الحفصي أبي عبدالله محمد. ويتصل نسبه بالإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء البتول رضي الله تعالى عنها وأرضاها.

وكان أحد أجداده الأوائل قد قدم من مكة المكرمة واستقر بالمغرب الأقصى الشقيق وتزوج فكان من نسله ولديه عن ابراهيم ولد ببلدة - مزوغة - التي ينسب إليها فأصبح لفظ المزوغي لقبا له ولما جاء بعده ومن بينهم الحاج سالم والد المترجم له الذي توفي والده خلال أدائهم لفريضة الحج حيث توفيت والدته بالمدينة المنورة، وتوفي والده بمصر أثناء عودتهم.

وبعد إقامة في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، رحل الحاج سالم إلى القطر التونسي حيث أقام مدة بالعاصمة ثم القيروان، وأخيرا حط عصا الترحال في قرية الساحلين حيث نزل عند الولي الصالح الشيخ نصر الشارف الذي زوجه من ابنته ريانة التي أنجبت منه مترجما عامرا الذي ولد بعد وفاة أبيه.

فنشأ يتيما في كنف خاله الذي سهر على تربيته وتعليمه فحفظ القرآن الكريم في زاوية جده ثم التحق بمدينة سوسة حيث اتصل بالشيخ محمد الريفي مفتي المدينة ولازم دروسه مدة ثلاث سنوات، انتقل بعدها إلى العاصمة ليواصل دراساته على الشيخ الصوفي أبي الغيث القشاش التونسي مدة عشر سنوات أجازه بعدها وأذن له في نشر الطريقة الشاذلية. فشمر على ساعد الجد وأخذ يطوف أنحاء البلاد ناشرا لتعاليم الطريقة إلى أن استقر به المقام في مكان يعرف باسم هنشير الوحيشي قريبا من قرية الساحلين حيث ولد، وفيه ساعده أتباعه ومريدوه على بناء زاوية للخلوة والعبادة فذاع خبره في الأرجاء فقصدوه من كل حدب وصوب للزيارة والتماس البركة ويأخذون عنه الطريقة العامرية.

ثم ساعدوه على بناء بيت ومسجد وتزوج بابنة الشيخ أحمد بن محمد الرحاي المرابط المعروف بالجهة فزادت شهرته وذاع صيته وأصبح الزائرون من صفاقس، والقيروان، وتالة وغيرها.

كما أخذ عنه بعض المسؤولين في الدولة الحفصية الطريقة العامرية وقام أحدهم ببناء زاوية له وذلك سنة ٩٧٠هـ وكانت البلاد وقتئذ تحت حماية الإسبان الذين لقي منهم السكان كل أنواع المعاملات السيئة وسلطوا عليهم ألوانا من الظلم والجور والقهر والاذلال.

وكان للشيخ عامر موقف وطني مشرف فقد قام بإنشاء فرق من أتباعه ومريديه لمحاربة الاحتلال الإسباني لبلاده فقتل منهم عددا لا بأس به. وفي العهد العثماني حظي الشيخ عامر بمكانة مرموقة اعترافا له بموقفه أثناء الاحتلال الإسباني وأصبح له نفوذ وكلمة مسموعة لدى الحكام العثمانيين الذين كانوا ينظرون إليه بعين الإكبار والتقدير وجددوا بناء زاويته التي استقر حولها الأتباع والمريدون فأصبحت بمرور الزمن بلدة سيدي عامر حيث توفي الشيخ سنة ١٠٤٠هـ ودفن بزاويته رحمه الله.

وقد وردت ترجمته في كتاب . شجرة النور الزكية . للشيخ مخلوف.

الطريقة العيساوية

مؤسس هذه الطريقة هو الشيخ أبو عبدالله محمد ابن عيسى الذي ينحدر من قبيلة سفيان وهي إحدى القبائل المعروفة بالجزيرة العربية. وقد عاش الشيخ المذكور في القرن التاسع الهجري أي حوالي ٨٧٢هـ بالمغرب الأقصى الشقيق وكان أبوه رحمه الله قد انتقل إلى مدينة فاس لحفظ القرآن الكريم ودراسة علوم اللغة والدين حيث تتلمذ على يد علماء فاس المتمكنين في علوم الفقه وأصول الدين.

وكانت وفاة الشيخ ابن عيسى سنة ٩٣٣هـ حيث دفن بمدينة مكناس بالمكان المعروف بباب البرادين حيث توجد الزاوية العيساوية المركزية التي يقصدها أتباع الطريقة العيساوية للزيارة والتماس البركة إلى اليوم.

وتقوم الزاوية العيساوية بتعليم الأطفال مبادئ الدين الإسلامي كما تقدم مختلف أنواع المساعدة والعون للفقراء والمحرومين.

وأفادنا بعض المنتسبين لهذه الطريقة أن شروط الانخراط فيها تلزم المريد أن يكون دائما على طهارة وأن يقسم اليمين على البقاء وفيا للطريقة العيساوية، وأن يحترم الدين الإسلامي، ويكبر الله وحده المعبود لا شريك له، وأن يعتقد بولاية وصلاح شيخ

الطريقة، الشيخ ابن عيسى رحمه الله. ولا تزال المصطلحات الصوفية جارية على السنة العيساوية ومستعملة عندهم كالشيخ، والمقدم، والقطب، والسر.

وللشيخ ابن عيسى شيخ الطريقة الصوفية ألقاب أخرى عرف بها مثل أحمر العين، وشايب الذراع، وفحل الفحول، وابن عيسى العربي.

وفي الأخير نشير إلى أن فرقا عديدة انتسبت إلى هذه الطريقة لتمارس نشاطات بعيدة كل البعد عن تعاليم الطريقة العيساوية الإسلامية الأصلية التي نشرها شيوخ هذه الطريقة في الكثير من البلدان ولكننا نجد في الوقت نفسه فرقا أخرى لا تزال تحافظ على مبادئ الطريقة وتعاليمها. وفي مدينة عنابة الجميلة تلتقي تلك الفرق.

الطريقة الحبيبية

من المعلوم أن الطرق الصوفية وإن تعددت أسماؤها، واختلفت تعاليمها فهي في الحقيقة تلتقي في أصل واحد هو طريقة الجنيد السالك إمام السادة الصوفية الذي يستمد أصول طريقته من الكتاب والسنة. وهذا ما يقرره الشيخ الإمام محمد بن الحبيب، مؤسس الطريقة الحبيبية التي نحن بصدد الحديث عنها، في إحدى قصائده، حيث يقول رضي الله عنه:

يقول أفقر الورى محمد ... ابن الحبيب قوله مسدد
الحمد لله الذي بخيره ... عم الورى في بره وبحره
وأرسل بالشرائع ... ومعجزات ما لها من دافع
فلبها تصوف محرر ... على كتاب سنة مقرر

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها العالم الرباني الشيخ محمد بن الحبيب الامغاري الإدريسي، ويتصل نسبه بالحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت سيد الكائنات، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وكان الشيخ ابن الحبيب رحمه الله مالكي المذهب شاذلي الطريقة درقاويها، محمدي الفيوضات والشمائل. وهو من

أشراف مدغرة بناحية فقيق، وكان من آيات الله في الطريق إِذْلَهُ اليد البيضاء في العلوم الظاهرية والباطنية والإرشاد والنصيحة.

ولد بفاس على ما بلغني من أحد مريدي الطريقة دون ضبط لتاريخ ولادته نشأ بها وفيها حصل على ما يكفيه من العلوم العقلية والنقلية ثم انتقل إلى مكناس. أخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن علي الصوفي المعروف الذي شبهه بابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم المشهورة في التصوف. فقد قال الشيخ المذكور للشيخ ابن الحبيب: «فكما أن الله أحيا الطريقة الشاذلية بابن عطاء الله كذلك يحيي الله هذه الطريقة المباركة بك إن شاء الله».

ويقول الشيخ ابن الحبيب: «وقد حقق الله رجاء شيخنا فينا فوالله ثم والله ما مررنا على مدينة ولا قرية ولا بادية إلا وشهد أهلها بوصول المدد إليهم، وسريان الحياة في قلوبهم وذلك سر الإذن، وما جلس معنا والحمد لله فقيرا إلا وازداد علما لم يكن عنده، ولا جلس معنا مريد الطريقة إلا وقويت فرحته، علت همته لطلب معرفة الله، ولا شيخ من مشايخ العصر إلا وازداد ذوقا إلى ذوقه، واستفاد منا شيئا لم يكن عنده. وذلك كله من سر الإذن وبركته».

قال ابن عطاء الله في حكمه: «من أذن له في التعبير فهمت في سامع الخلق عبارته، وجليت إليهم إشارته، والمأذون هو الذي

يتكلم بالله ولذلك أثر كلامه في القلوب وانقادَ إليه كل خصوص وعموم». وفي كلام الشيخ ابن الحبيب وحكمه نقتطف ما يلي: «إن اتخاذ الشيخ الحي واجب على كل مريد طالب بحضرة الله ودليل الوجوب قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين. والمعية تقتضي المصاحبة بالأشباح لا بالأرواح. وقال تعالى: واتبع سبيل من أناب إلي. فأمر تعالى في هذه الآية الولد بمتابعة والد الأرواح دون متابعة والد الأشباح لأن والد الروح يربي المعنى ووالد الجسم يربي لك الحس وشتان ما بين مَنْ همته الحس ومن همته المعنى. وقال صلى الله عليه وسلم: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل، ووقع الاتفاق من هذه الأمة المحمدية سلفا عن خلف على أن أول ما يجب على المريد بعد انتباهه من الغفلة أن يعمد إلى شيخ ناصح مرشد عالم بعيوب النفس ودواعيها وأدوية أمراضها فارغ من تهذيب نفسه وأغراضها، يبصره بعيوب نفسه، ويخرجه من دائرة حسه، لأن من لم يكن له شيخ يقوده إلى طريق الهدى قاده الشيطان لا محالة إلى طريق الردى». ا هـ كلام الشيخ.

وقد قيل قديما من لا شيخ له فالشيطان شيخه. ويقول ابن عاشر في هذا المعنى:

يصحب شيخا عارفا لمسالك ... يقيه من طريقه المهالك

يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه

وللطريقة الحبيبية سندها المتصل بالإمام الحسن البصري رضي الله عنه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن سيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام عن سيدنا جبريل الأمين عمن جلت عظمته، وتقدست أسماؤه، وصفاته رب العالمين.

وقد اطلعنا على بند هذه الطريقة منظوما في قصيدة طويلة تسهيلا لمن يريد حفظه ومطلع القصيدة:

فإن شئت أن تعزى إلى خير فرقة

فصاحب إمام العارفين الأجلة

وقد انتشرت الطريقة الحبيبية انتشارا واسعا وفي ظرف قصير في المغرب والجزائر ولعل ذلك راجع إلى سهولة تعاليمها وبساطتها ولها بالجزائر زوايا وأتباع ومريدون بورقلة وعنابة ومعسكر ووهران وتنس وقصر البخاري وغيرها من المدن وتوجد الزاوية الأم للطريقة الحبيبية بمدينة مكناس بالمغرب الأقصى الشقيق. والزاوية المعروفة في قصبة النوار بفاس ولها بالمغرب الأقصى أتباع كثيرون بمكناس وفاس وزرهون رفقيق.

وللطريقة الحبيبية كما لغيرها من الطرق الصوفية الأخرى أوراد وأذكار يحفظها ويرددها مريدوها وأتباعها وقد اجتمعت

بالبعض منهم فتوسعت فيهم الفضل والخير والصلاح ورأيت فيهم الأخلاق الطيبة والسلوك الحميد نتيجة التربية الروحية الطيبة التي تلقوها على أيدي مقدمي الطريقة وشيوخها.

للشيخ محمد بن الحبيب ديوان مطبوع يسمى بغية المريدين السائرين وتحفة السالكين العارفين وقد اطلعت على نسخة منه عند بعض المريدين. ونقتطف للقارئ الكريم من هذا الديوان هذه القطعة من قصيدة طويلة يقول في مطلعها:

أيا من يرد قربا من الله عن فور　　عليك بذكر الله في السر والجهر
وعمر به الأوقات تسمو بسرعة　　إلى ذروة العرفان مع خالص الفكر
بتصقيل مرء القلب ينكشف الغطا　　وتبدو له الأنوار من خالص الفكر
بذكر الله العرش تزهد في الورى　　وتفنى عن النفس المعطلة السير
وتضحى جليس الله من غير كلفة　　وتسلم من شك وشرك ومن غير
وترحل من كون إلى حضرة الصفا　　وتشهد فعل الله في الخلق والأمر
وترقى إلى الأسماء تسقى بنورها　　فتبدو لك الأوصاف من غير ما ستر
ويظهر معنى الذات من كامل الفنا　　فتبقى غنيا بالإله مدى العمر
فإن عبقت في الغرب أنفاس ذكره　　وفي الشرق معلول تعافي من الضر

. . . إلخ

الطريقة العلاوية

أسست هذه الطريقة من طرف الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي رحمه الله سنة ١٣٣٣هـ الموافق لـ ١٩١٤م في مدينة مستغانم المقر المركزي للطريقة العلاوية وللزاوية الأم.

والطريقة العلاوية هي أحدث الطرق الصوفية عهدا، وآخرها تأسيسا، وأكثرها دقة وتنظيما، فقد استعملت منذ تأسيسها أحدث وسائل الاتصال العصرية، وأحسن الأساليب النظامية في نشر العلم، وهداية الناس، والدعوة إلى الإسلام، وبث تعاليم الطريقة ومبادئها كإصدار الجرائد، وطبع الكتب، وتنظيم الملتقيات، وإلقاء المحاضرات، وإنشاء النوادي، والجمعيات للدفاع عن الإسلام والدعوة إليه داخل الوطن وخارجه.

فقد أصدر الشيخ العلاوي رحمه الله أول صحيفة بعنوان ـ لسان الدين ـ التي صدر أول عدد منها يوم الثلاثاء ١٤ جمادي الأول سنة ١٣٤١هـ الموافق لـ ١٩٢٣م بعاصمة الجزائر تحت إدارة الأستاذ مصطفى حافظ الذي كان يشغل يومئذ منصب مدير مدرسة قرآنية بالعاصمة، وقد ظهرت هذه الجريدة في وقت كانت الجزائر في أمس الحاجة إلى صحف عربية تدافع عن الإسلام، ولغة الإسلام. فقامت ـ لسان الدين ـ بهذا الواجب خير قيام.

ومما جاء في مقالها الافتتاحي نقتطف هذه الفقرات حتى يطلع القارئ العزيز على اتجاهها: «ما أحوج الأمة إلى من يجبر ما انصدع من كسرها، ويجمع ما تشتت من شملها، وبالأخص أمة الجزائر التي نحن من أفرادها، فإنه مر عليها حين في الدهر أو نقول دهر طويل وهي على ما هي عليه من الدعة والسكون لا تحس من نفسها في كل ساعة إن لم نقل في كل حين إلا تحليلا في أجزائها وتفريقا في موادها كأنها ما خلقت إلا للتلاشي والاضمحلال وأنها إن دامت على هذه الحال، وسارت حسب هذه المنوال كما نرى، لا قدر الله فلا بد وأن ينتهي بها السير إلى نقطة يعبرون عنها الجسران الدنيا والآخرة ذلك الخسران المبين.

إن الحكيم المبصر الماهر، لا يألو جهدا في استجاب المنافع لأمته، ودفع المضار عنها، ما بقيت فيها بقية الحياة كما تعتقده في أمتنا، هذا معتمدنا في هذا المشروع، بل ومعتمد كل من يروم الإصلاح ويتوقى أسباب النجاح والله ولي التوفيق».

ثم أصدر الشيخ العلاوي رحمه الله صحيفة ـ البلاغ الجزائري ـ في ١٧ جمادي الثانية سنة ١٣٤٥ هـ فكانت خير خلف لخير سلف. والمتتبع لبعض أعداد هذه الصحيفة وما كانت تنشره من مواضيع دينية واجتماعية متنوعة لا يسعه إلا أن يكبر فيها نهجها الثابت القويم في الدفاع عن الإسلام، والدعوة إليه، والرد على

أعدائه من رجال الكنيسة، والملاحدة، والعلمانيين، والشيوعيين الذين ابتليت بهم أمم الإسلام مشرقا ومغربا.

بالإضافة إلى مقالات وقضايا تمس واقع المسلمين، ولها علاقة بالإسلام كقضية التجنيس التي شنت عليها ـ البلاغ ـ حربا لا هوادة فيها بواسطة تلك المقالات القيمة التي كان يحررها العالم الجليل الشيخ المولود الحافظي الأزهري الذي أبان بالأدلة الشرعية القاطعة وأثبت بالحجج الساطعة حرمة التجنس بالجنسية الفرنسية.

كما عالجت البغاء الذي انتشر بدوره في كل المدن والقرى الجزائرية والذي كانت السلطات الاستعمارية تشجعه وتدعمه وتعمل على نشره وإبقائه سرطانا في جسم المجتمع العربي المسلم بالجزائر.

كما كانت تجيب عن المسائل الدينية التي تهم المسلمين كالصيام، وحكم الشرع في الإفطار بواسطة التيلفون، والنصاب الشرعي لأنواع الزكاة، وقضية اختلاط النساء بالرجال وغيرها من المواضيع الدينية الأخرى.

وكما كانت جريدة البلاغ تهتم بقضايا الشعب الجزائري المسلم في الداخل، كانت تهتم كذلك بقضايا المسلمين في الخارج، فقد رافعت عن الإسلام في تركيا مندّدة بموقف الأتراك

الكماليين منه ولأعمالهم ضده، كما ندّدت في عدد من المقالات بزعماء الإلحاد الذين ظهروا على الساحة في مصر وغيرها من بلاد العرب أمثال سلام موسى وغيره.

ولإعطاء القارئ الكريم صورة عما كان ينشر في جريدة البلاغ من مقالات ذات أهمية بالغة ننقل إليه عناوين بعض المواضيع التي وقفنا عليها عند تصفحنا لبعض أعدادها، لعله يستشف من خلالها أهمية تلك المواضيع التي كانت تعالجها أقلام العلماء الذين كانوا يكتبون فيها وفي مقدمتهم مؤسسها الشيخ العلاوي رحمه الله.

العناوين

في السلفية الإصلاح.

الإصلاح ومن ذا الذي يدري ما معنى الإصلاح.

كيف نتوخى الإصلاح.

الإصلاح والمصلحين.

أحب الأمور إلى الدين التآلف وأبغضها إليه التخالف.

أبناء الإسلام ما لكم لا تشعرون؟

شعور الأمة بواجبها نحو دينها وقوميتها.

إلى الوطنيين من أبناء ملتنا.

يا أمة الإسلام استحفظي بالقرآن وعلّميه أبنائك ذلك حبل الله فاعتصموا به.

حافظوا على القرآن الكريم.

الشريعة منبع السعادة.

شأن المرأة المسلمة والسفور.

إلى زعماء الأمة ومفكريها.

تبعة الصحافة والصحافيين.

الإسلام يشكو إلى الله شجونه.

كل مصيبة قد يقع التسلي عنها إلا المصيبة في الدين.

هل يشعر المسلمون بما يراد بهم وهل يستدركون ما فاتهم؟

أخطار التبشير على العالم الإسلامي وعلى إفريقيا الشمالية بالخصوص.

واجب المسلم أن يهتم بشؤون المسلمين.

الانتصار للحق وأهله.

وقد اختارت جريدة البلاغ من كلام الله العزيز الحميد هاتين الآيتين الكريمتين: «إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين»، «وقل

اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»، شعارا لها. فصدرت بهما صفحتها الأولى بالإضافة إلى بيتين من الشعر للأستاذ محمد المهدي وهما:

يا من تحب المعالي لست تدركها ما لم تكن لسبيل الدين متبعا

فالدين إن تتبع حقا أوامره تلق النجاح لدى الأزمان متسعا

أما الذين تعاقبوا على رئاسة تحريرها وإدارتها فنذكر منهم حدوني محمد بن محي الدين وعدة بن تونس والأخضر عمروش. وقد استمر صدورها من ١٩٢٦ إلى ١٩٤٣ بين مستغانم والجزائر العاصمة.

وقد تحدث عن هذه الصحيفة المؤرخ الجزائري الراحل الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله فقال عنها: «وقد كانت جريدة البلاغ الغراء وهي لسان الزاوية العلاوية رغبت في جمعية العلماء النظر في أحوال الاحتفالات التي تقع على بعض الأضرحة ويحصل بها من اختلاط النساء بالرجال وغير ذلك مما شأنه أن يفتك بالأخلاق ويحط بالسمة القومية والدين في آن واحد» ا هـ.

وهي شهادة تثبت بما لا يدع مجالا للشك النهج الإصلاحي الذي سلكته تلك الجريدة.

وبعد ثلاث سنوات من توقف جريدة البلاغ وقبلها ـ لسان الدين ـ قام الشيخ عدة بن تونس خليفة الشيخ العلاوي على رأس الطريقة العلاوية بتأسيس مجلة المرشد سنة ١٩٤٦ لتكون لسان حال الطريقة فعنيت كسابقتها بمختلف القضايا الدينية والاجتماعية والأحداث التي جدت على الساحة العربية والإسلامية.

وقد صدر العدد الأول من هذه المجلة في شهر شوال ١٣٦٥هـ الموافق لـ ١٩٤٦م وكانت مجلة المرشد شهرية ناطقة باللغتين العربية والفرنسية قصد تعميم فائدتها. وفي مقالها الافتتاحي للعدد الأول شرح الشيخ عدة بن تونس الهدف من إصدار هذه المجلة قائلا: «لا غرض لنا من إصدارها إلا إحياء القلوب وتنوير البصائر والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة عساه ينتبه الغافل.

ومن القضايا التي تبنت الدفاع عنها، والعمل على نشرها: التصوف الإسلامي المبني على الكتاب والسنة، وصريح المعقول والمنقول، غرس الروح الدينية، إيقاظ الوعي الإسلامي في نفوس أبناء الأمة الإسلامية، الدعوة إلى التمسك بالمبادئ الدينية الصحيحة، والتحلي بالمثل العليا والقيم الإنسانية التي دعا إليها الإسلام، والسعي لحل وإيجاد حلول لمشاكل المسلمين المعاصرة، الرد على مزاعم المغرضين ومقاومة الإلحاد وأعداء الإسلام.

تلكم هي أهم القضايا التي عالجتها مجلة المرشد طيلة المدة التي عاشتها والتي استمرت من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٢ وقد نشرت خلال هذه الفترة أكثر من ٢٣٠ مقالة في مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية والسياسية، وبذلك يمكن اعتبارها وثيقة تاريخية لفترة من فترات تاريخ الجزائر الذي يجب على مؤرخينا وباحثينا الاهتمام به.

ونعود إلى الحديث عن الطريقة العلاوية التي عرفت، منذ أن أسسها المغفور له الشيخ أحمد العلاوي، انتشارا كبيرا في جميع أنحاء القطر الجزائري، كما استطاعت أن تتخطى حدود الوطن لتحقق انتشارا أكثر في مناطق وجهات مختلفة من العالم: أروبا، أمريكا، آسيا، إفريقيا، حيث قامت بمجهود كبير في الدعوة إلى الإسلام، ونشر مبادئه، وتعاليمه السامية في أوساط سكان تلك المناطق.

ومما يسجل للطريقة العلاوية تأسيسها للكثير من الزوايا داخل الوطن وخارجه، وما قامت به هذه الزوايا بالإضافة إلى وظيفتها التعبدية من نشاط كبير في تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس االعلوم الإسلامية، وتنظيم الملتقيات للتعريف بالإسلام وشريعته السمحة الطاهرة.

وقد دخل بفضل هذه الجهود المشكورة العشرات بل المئات من الأجانب في الإسلام وأصبحوا من الدعاة إليه العاملين على نشره والتعريف به بين بني جنسهم، وهذا ما يؤكد لنا أن الطريقة العلاوية ليست طريقة سلوك وتعاليم وطقوس خاصة فحسب بل هي حزب تبشيري يعمل على نشر الإسلام، وبث مبادئه وأخلاقه وقيمه. وقد أسلم كما قلنا بواسطته أشخاص لهم مكانتهم في قومهم ولهم مركزهم في مجتمعاتهم ومن بين هؤلاء أفراد من رجال الكنيسة الذين أقروا أمام الملأ وعلى صفحات الجرائد بوحدانية الله بعد التثليث الذي كان صميم عقيدتهم، معترفين بأخطائهم، كل ذلك بفضل ما بذلته الطريقة العلاوية من مجهود كبير في هذا المجال.

ومن بين الوسائل التي تستعملها الطريقة العلاوية في خدمة الإسلام مطبعتها القائمة بمدينة مستغانم بطبع مختلف الرسائل، والنشرات، والكتب الدينية باللغتين العربية والفرنسية للمطبوعات الموجهة للأجانب.

وفي مدينة مستغانم حيث مركز الطريقة العلاوية وحيث الزاوية العلاوية الأم زرنا رفقة الفاضل المحترم الشيخ خالد عدلان شيخ الطريقة الحالي، المركز المتعدد الخدمات الذي قام بإنشائه الشيخ المذكور. وهو مركز لتعليم الشباب مختلف الصناعات والعلوم كالنجارة والميكانيك، والإعلام الآلي وغيرها، وقد نظم

أحسن تنظيم، وجهز بأحدث الوسائل العلمية فجازى الله مؤسسه خير الجزاء.

إن شبابنا الذي هو مستقبل الوطن وعماده في الشدائد والمحن، سيجد في هذا المركز مبتغاه، وسيحقق فيه أمنيته المتمثلة في الحصول على مهنة تمكنه من العيش سعيدا كريما في بلده وبين أبناء شعبه دون التفكير في الهجرة إلى بلدان ضاعت فيها كرامة الجزائري، وديست شخصيته، وأهينت فيها سمعته. وأصبح الجزائريون فيها مصداقا لقول القائل: «كالأيتام في مأدبه اللئام».

إن إنشاء مثل هذه المراكز عمل يستحق التشجيع، ومبادرة تستحق الدعم والمؤازرة خصوصا وهي موجهة لشبابنا وأبنائنا، يتلقون فيها تكوينا مهنيا يساعدهم على ضمان مستقبل زاهر لهم. ونحن نتمنى - والتمني شيء حسن - أن تقوم الجمعية الوطنية للزوايا بمثل هذه المشاريع التي تعود بالخير على البلاد والعباد وأن تساهم بذلك في مساعدة الشعب على الخروج من أزمته التي يعيشها.

شيوخ الطريقة العلاوية:

تعتبر الطريقة العلاوية فرعا من الطريقة الدرقاوية الشاذلية وقد تعاقب على رئاستها منذ تأسيسها الشيوخ:

أحمد بن مصطفى العلاوي، مؤسسها،

عدة بن تونس،

محمد المهدي،

عدلان خالد.

وما دمنا بصدد التأريخ للطرق الصوفية ورجالها فلا بد من التعريف بهؤلاء الشيوخ تعميما للفائدة. ونبدأ طبعا بمؤسس الطريقة الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، المولود بمدينة مستغانم سنة ١٢٩١هـ الموافق لـ ١٨٦٩م، والمتوفي بها يوم ١٤/٠٧/ ١٩٣٤ رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه.

وقد نشأ الشيخ في أسرة من الأسر المعروفة في مستغانم بالعلم والتدين والصلاح، واشتهر جل أفرادها بممارسة مهنة القضاء. فقد تولى هذا المنصب من هذه الأسرة ثلاثون قاضيا طيلة الحكم العثماني.

شب الشيخ العلاوي محفوفا برعاية والده الذي بذل كل ما في وسعه من أجل تربيته وتعليمه غير أن المنية لم تمهله حتى يتمتع بثمار غرسه فقد شاء القدر أن يستقبل والده إلى جوار ربه وهو لم يتجاوز السابعة عشر سنة. فشمر على ساعده للقيام بمسؤولياته العائلية خلفا لوالده بالإضافة إلى مواصلة دراسته.

وكان في مقدمة الشيوخ الذين أخذ عنهم وتأثر بهم الشيخ محمد البوزيدي المستغانمي المعروف بسيدي حمو الشيخ مقدم الطريقة الدرقاوية والذي كان يومئذ يتمتع بمركز روحي كبير في أوساط مدينة مستغانم فتلقى عنه الشيخ العلاوي ولازمه إلى أن أذن له في فتح زاويته وتأسيس الطريقة العلاوية المتفرعة كما سبق أن أشرنا عن الطريقة الدرقاوية الشاذلية.

عرف الشيخ أحمد العلاوي بالجد والنشاط والعمل، وكان محبا للعلماء والصالحين، كثير العطف على الفقراء والمساكين والمحتاجين يساعدهم ويرعاهم. كثيرا التنقل والأسفار لفتح الزوايا، أو حضور حفل، وتلبية دعوة لإلقاء درس، عمل على نشر الطريقة العلاوية داخل الوطن وخارجه حتى أصبح لها في ظرف قصير أتباع ومريدون في مناطق كثيرة ومختلفة.

وبالإضافة إلى نشاطه الديني المكثف كمؤسس وشيخ للطريقة العلاوية فإن الشيخ لم يهمل ميدان الإعلام كوسيلة عصرية ناجحة

وكسلاح عظيم لنشر أفكاره وتعاليمه، وقد تحدثنا عما قام به في هذا الميدان الحساس من إنشاء جريدتي لسان الدين والبلاغ الجزائري اللتين نشر فيهما عشرات المقالات الدينية والإصلاحية والاجتماعية.

ولم يمنعه نشاطه في المجالات السابقة من التأليف، فقد قام بتأليف العديد من الكتب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، طبع سنة ١٩٠٤ وفيه رد على الملاحدة والمنكرين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول، تناول فيه موضوع التوحيد وقد ألف سنة ١٩١١.

لباب العلم في تفسير سورة والنجم، تناول فيه موضوع القدرة الإلهية والعظمة الربانية من خلال المظاهر الكونية.

الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية.

الأجوبة العشر، أظهر فيه بالدليل القاطع بطلان ما جاء في كتاب العهد القديم والجديد من خلال تعارض نسخها الثلاثة: العبرانية، اليونانية، و السريانية.

الديوان، ويشتمل على أربعة وسبعين قصيدة، حسب نسخة مطبعة مستغانم وهي في مدح الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأهله أجمعين.

المنح القدسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، وهو كتاب مفيد في التصوف، ألف سنة ١٩٠٧ وطبع بتونس سنة ١٩١١.

مبادئ التأييد فيما يحتاج إليه المريد في علمي الفقه والتوحيد، وهو خلاصة ما يجب على المسلم أن يعرفه من أمور دينه، ألف سنة ١٩٢٦.

وقد توفي الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي مؤسس الطريقة العلاويةوشيخها، يوم ١٩٣٤/٠٧/١٤ عن عمر يناهز ٦٥ سنة، رحمه الله.

وقد ترجم العلامة الجليل. الشيخ بلهاشمي بن بكارة المفتي الأكبر بالعمالة الوهرانية ورئيس الجمعية الدينية بحاضرة معسكر، رحمه الله ورضي عنه، في كتابه المعروف: مجموع الحسب والنسب. ومما قاله عنه: «تصدر، رحمه الله تعالى، للإرشاد والتربية بعد موت شيخه وأسس زاويته العظيمة في مستغانم، وشيد عدة زوايا في مدينة الجزائر وقبائل زواوة وفي وهران ومعسكر وغليزان، وانقادت له فحول الرجال وسلم له العلماء ودخل الناس في طريقته حتى من الريف الغربي ووفد عليه العلماء وطار صيته في

الآفاق، واشتهر بالإخلاص والنصيحة في الدين وكان في مقدمة جماعة المسلمين من الزوايا وغيرهم في دفاع اغازين، وصيانة عقائد المسلمين السنيين، وأسس مطبعة لطبع كتب القوم وطبع الردود على المنكرين، وأنشأ جريدة البلاغ الجزائري، تصدر كل جمعة بالمسائل الفقهية والقصائد الحكيمة في الوعظ وغيره والأكثر من فصولها في الرد على المنكرين، سواء كان الرد منه أو من غيره من فحول العلماء العظام على أهل الزيغ المفسدين، المشوشين المدخلين الشك في عقائد الدين على المؤمنين قبحهم الله.

وقد سافرت مع الشيخ سيدي أحمد بن عليوة لمدينة الجزائر فرأيته شهما غيورا عالما عاملا من المفتوح عليهم الفتح المبين، رحمه الله ونفعنا ببركاته، آمين». اهـ

ومن الذين تحدثوا عن الشيخ أحمد بن عليوة، الدكتور أبو القاسم سعد الله، المؤرخ الجزائري الكبير، حيث قال عنه في كتاب الحركة الوطنية، ج٢، ما يلي:

«ولكن الحركة الإصلاحية الجزائرية لا يمكن أن تفهم وتقدر دون الإشارة إلى شخصية أحمد بن عليوة. ولد ابن عليوة في مدينة مستغانم (موطن السنوسيين) وتلقى تعليمه الديني على أستاذه الشيخ بوزيد الذي كان ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية.

وبعد وفاة الشيخ بوزيد سنة ١٩٠٩ هاجر ابن عليوة أيضا إلى الشرق الأدنى وقد تنقل طويلا بين مصر، وسوريا، وإيران، والهند، وهي الرحلة التي دامت عشر سنوات. وابن عليوة كزملائه وجد نفسه خارج وطنه أثناء أكثر العهود إنقلابية في هذا القرن. ولكن خلافا لهم، يبدو أنه سافر أكثر وتورط بعمق في قضايا الساعة ولا سيما قضية الدين.

وبعد الحرب عاد ابن عليوة آمنا إلى الجزائر، وشرع في حملة واسعة لبث أفكاره، فأوجد أولا جريدة البلاغ الجزائري التي كانت من أكثر الجرائد العربية الأسبوعية انتشارا في ذلك الوقت والتي حملت أفكاره ليس فقط داخل الجزائر ولكن أيضا في كامل إفريقيا الشمالية والشرق الأدنى وانكلترا والأمريكتين. ويسمى أوغسطين بيرك ابن عليوة (مبشرا حديثا) يجمع إلى الثقافة الإسلامية الانضباط الأروبي.

وعلى أية حال فإن ابن عليوة قد انفصل عن زاويته الدرقاوية وخلق (أسس) زاوية خاصة به. وبينما كان العلماء الأخرون ما يزالون يفكرون في إنشاء منظمة، أسس ابن عليوة زوايا لا في الجزائر فقط ولكن في فرنسا أيضا. وقبل وفاته في ١٤ جويلية ١٩٣٤ كان لابن عليوة أتباع في تونس، والمغرب، وليبيا، واليمن، وسوريا، بالإضافة إلى الجزائر.

وزيادة على كتاباته الصحفية ومحاضراته التوجيهية، كان ابن عليوة ينظم الشعر، ويكتب في الفلسفة، والدين، وقد نشر بعض أعماله أثناء حياته، في تونس، وسوريا. ويصفه بيرك بأنه سيد القلم والحرف وبأنه كان خطيبا مؤثرا.

ويبدو أن ابن عليوة كان مؤمنا بفكرة الجامعة الإسلامية تحت غطاء جزائري. وبدلا من طرح مذهبه خلال منظمة اجتماعية دينية، كما فعل الإصلاحيون، استعمل ابن عليوة الطريقة الجزائرية القديمة، خلق جمعية (طريقة) باسمه الخاص مع زاوية، وطقوس غامضة، ودرجات كهنوتية.

وبناء على رأي بيرك، فإن ابن عليوة قد نادى بالوحدة الإسلامية بغض النظر عن السلالة أو الشيع. وقد أبقى صلات وثيقة مع زعماء الجامعة الإسلامية والقومية العربية. وكانت جريدته تحتوي على بعض المقالات لهؤلاء الزعماء، بما في ذلك مقالات من عبدالعزيز الثعالبي، والأمير شكيب أرسلان السوري.

وشجب معاملة الفرنسيين للجزائريين كسلالة ناقصة، واضطهادها للنظم العربية. وقد هاجم كلا من البعثات التبشيرية والشيوعية في الجزائر. كما هاجم الحضارة الأوروبية المادية والخطة الفرنسية لتجنيس الجزائريين.

كان ابن عليوة يعتقد أنه يستطيع أن يحارب الحكم الفرنسي بالطريقة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر (أي الطريقة والصلات السرية والنظم الدينية) بينما كان العلماء الآخرون يعتقدون أن وقت الطريقة انتهى وأن طريقة التنظيم الحديث قد أصبحت ضرورية ولكن ابن عليوة قد نما شيئا فشيئا محافظا، بينما كان العلماء يحاولون أن يسايروا الزمن» اهـ. كلام الدكتور سعد الله.

وقد ربطت الشيخ العلاوي بالكثير من العلماء والمصلحين روابط أخوية صادقة أساسها التعاون على خدمة الإسلام والمسلمين، ونشر روح الأخوة والمحبة والتضامن بين أبناء الشعب. ونذكر من بين أولئك العلماء الشيوخ أبا يعلى الزواوي، المولود الحافظي الأزهري، عبدالحميد بن باديس، محمد العاصمي، توفيق المدني، وكانت له مع هؤلاء وغيرهم مراسلات وتبادل زيارات ومذاكرات.

ومن ذلك الزيارة التي قام بها الإمام عبدالحميد ابن باديس للزاوية العلاوية في إطار رحلته للغرب الجزائري والتي كانت تلبية لدعوة من شيخها أحمد العلاوي وحضوره حفلة العشاء التي أقامها الشيخ العلاوي على شرفه بحضور أعيان مدينة مستغانم وطلبة الزاوية والتي قرئ فيها القرآن، وأنشد فيها الطلبة قصائد من كلام الشيخ ابن الفارض بأصوات حسنة ترنحت لها الأجساد ودارت مذاكرات أدبية في معاني بعض الأبيات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإمام عبدالحميد بن باديس عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه، كتب عن هذه الحفلة قائلا: «وكانت حفلة العشاء عند الشيخ سيدي أحمد بن عليوة حضرها من أعيان البلد ومن تلامذة الشيخ ما يناهز المائة وبالغ الشيخ في الحفاوة والإكرام وقام على خدمة ضيوفه بنفسه. فملأ القلوب والعيون وأطلق الألسنة بالشكر، ثم يواصل الشيخ عبدالحميد وصفه لهذه الحفلة قائلا: «ومما شهدته من أدب الشيخ مضيفنا وأعجبت به أنه لم يتعرض أصلا لمسألة من محل الخلاف يوجب التعرض لها على أن أيد رأيًا أو دافع عنه. فكانت محادثاتنا كلها في الكثير مما هو محل اتفاق دون القليل الذي هو محل خلاف.

ويتابع الإمام ابن باديس وصفه لهذه الحفلة بقوله: «أنه رأى في وجه الشيخ أحمد بن عليوة الإنكار لشخص من الحاضرين أراد أن يفسد هذا الجو الأخوي الذي ساد الحفلة وبعد رد ابن باديس عليه بالحكمة والموعظة الحسنة وبالبيان العلمي والحجة القاطعة أجابه الشيخ العلاوي بقوله: هذا مما لا يخالف فيه أحد. فرد عليه الشيخ عبدالحميد: مثلكم من يقول هذا.

تلكم هي أخلاق العلماء في علاقاتهم ببعضهم، وإن اختلفت مذاهبهم وتعددت مشاربهم، وكان الإمام ابن باديس يدعو إلى التمسك بتلك الأخلاق أينما حل وارتحل وكان شعاره دائما: محبة، أخوة، تعاون، تآلف، تسامح. وكان يؤكد دائما أن جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين ليست ضد الزوايا ولا غيرها، وكان يشرح وصايا الجمعية التي تتلخص في الكلمات الثلاث: تعلموا، تحابوا، تسامحوا.

وكان رحمه الله يقول: يجب أن يكون التعاون والتفاهم على أساس المحبة والأخوة وأن لا نجعل القليل مما نختلف فيه سببا في قطع الكثير مما نتفق عليه وأن الاختلاف بين العقلاء، لابد أن يكون، ولكن الضار والممنوع المنع البات هو أن يؤدينا ذلك الاختلاف إلى الافتراق.

لقد كان الشيخ أحمد العلاوي على اتصال وثيق برائد النهضة الإصلاحية الإمام ابن باديس، وكان كثير التردد على مكتب إدارة الشهاب بقسنطينة لتشاور معه فما يخدم الإسلام والمسلمين. رحم الله الجميع وأسكنهم فراديس جنانه جزاء أعمالهم التي قدموها للبلاد والعباد وجزاء اجتهاد كل واحد منهم في خدمة الصالح العام.

كما كانت للشيخ العلاوي علاقات وطيدة ومراسلات مع العلامة المصلح الكبير الشيخ ابن يعلى الزواوي وهو من أعضاء جمعية العلماء البارزين وعلمائها العاملين بالقلم واللسان. وكان يثني على الشيخ العلاوي في العديد من المقالات التي نشرت على صفحات الجرائد الإصلاحية. ولم تتأثر تلك العلاقة الأخوية

الطيبة بما كتب يومئذ من مقالات وبحوث حول بعض القضايا الإسلامية التي كان لكل فريق رأي واجتهاد فيها مصداقا لقول الشاعر الجزائري الفحل محمد العيد آل خليفة رحمه الله:

خصمان فيما يفيد الأمة اختصموا إياك أن تظلم الخصمين إياكا

كلاهما في سبيل الله مجتهد فلا تذمن لا هذا ولا ذاكا

فكلهم يخدم الأمة والوطن بأسلوبه الخاص وطريقته الخاصة، في إطار الدفاع عن الإسلام والعروبة، والحفاظ عليهما وقد تركت تلك المعارك الصحفية ثروة أدبية وعلمية تشكل اليوم جزءا هاما من تراثنا الثقافي العربي الإسلامي. ولم يكن لتلك المعارك من هدف سوى إصلاح حال المسلمين ومحاربة الانحراف والفساد وتغيير المنكر بجميع ألوانه وأشكاله والقضاء على أسباب الضعف والتأخر والانحطاط. ونشر الأخلاق الفاضلة بين الناس وبث العلم الصحيح الذي تسعد به البلاد والعباد.

وقد عبر عن كل ذلك أصدق تعبير مقدم الطريقة الشاذلية، الشيخ فرقاني عبدالسلام بن أحمد من البرواقية في كلمة وجهها إلى الإمام الكبير والمصلح الكبير الشيخ الطيب العقبي ونشرت في

العدد الرابع من جريدة البصائر ٢٤ جانفي ١٩٣١ حيث يقول: إلى جناب الفاضل الأستاذ الكامل الشيخ الطيب العقبي أوجه كلمتي مشفوعة بالضراعة إلى الله أن يتوج عمله وعمل إخواننا العلماء المسلمين بالظفر بالمقصود، والفوز والنجاح المستمر.

يا حضرة الأستاذ: إني في اغتباط وارتياح بما قمتم به في خدمة أمتكم في نشر العلوم، وبث الاخلاق الفاضلة، ولا يسعني إلا إعلان السرور وإنشاء الثناء عليكم والتحدث بما اسديتموه من الارشادات القيمة والخدمة الجليلة لأمتكم وقد أدخلتم على الأمة فرحا جديدا بإبراز جريدة البصائر.

قرأت العدد الأول والثاني منها بإمعانٍ فوجدتها حافلة بالمقالات النفسية، والإرشادات الحكيمة، ومحاربة ما يضر بالدين بالرفق واللين إلى أن تبدد المحدثات وتزهق الشبهات ويلتئم شمل المؤمنين والمؤمنات.

وكم أحدث سوء التفاهم، وحسب الأغراض، والجمود بين الأمة وعلمائها من هرج لا ردّه الله وكثرت حملة التعصب، وحب الرئاسة وتقديس ما يهوى على ردّ نصيحة العلماء، وردّ السنة الصحيحة أيضا، بل وردّ الأحكام الدينية التي لا يمتري فيها اثنان.

والغرض المرغوب من كتاب البصائر الكرام أن ينتقدوا المحادثات الفاشية في بعض الطوائف الإسلامية ولا يعمموا فإن في كل طائفة كثيرا من أهل التقوى والصلاح والإصلاح.

وهؤلاء ممن يناصرون البصائر خصوصا وجمعية العلماء المسلمين عموما على الضالة المنشودة وهي: بث العلوم ولمّ شت المسلمين واستعمال الدين الذي هو أقطع من السيف، والتجلد لتحمل الأذى وكفه ومواصلة من قطع، والعفو عمن ظلم، والاغضاء والمسامحة فيما يرجع للأشخاص». اهـ.

كما عبر الشيخ أحمد بن عليوة في احتفال العلاويين الذي أقيم بمسجد سيدي رمضان بالعاصمة أمام جمع من أتباع الطريقة العلاوية ونخبة من أعلام الجزائر الأجلاء نذكر منهم: العلامة الشيخ المولود الحافظي، والشيخ أبا يعلى الزواوي، والشيخ السعدوني، حيث توجه لأتباعه قائلا: «أيها الحاضرون، ليبلغ شاهدكم غائبكم أن من رأى منا أو سمع أو أمرناه بشيء مما يخالف الشرع الشريف فالله حسبه أن وافقنا على ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وما أنا إلا معلم خير فيما أعتقده، فمن رأى مني خيرا فليعني عليه ومن رأى مني شرا فلينبهني إليه، فإن انتهيت فذاك وإلا فعليه بخوصية نفسه، ثم قال: إن غرضنا الوحيد من هذا الاجتماع هو الاتفاق والعمل بما في الكتاب والسنة، واتباع المرشدين من العلماء الأحرار المصلحين،

ونحن مصلحون قبل كل شيء. فمن رأى فينا من العلماء الحاضرين والغائبين نقصا أو مخالفة للإسلام فلينبهنا ولكن بالتي هي أحسن وليعلمنا ولكن بلين فنحن له تلامذة مستمعون طائعون». وكرر الشيخ العلاوي الأمر لأتباعه ومريديه باتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأوصاهم بالإمتثال لكل ما يسمعونه من العلماء الأحرار المرشدين الناصحين وتبرأ أمام الجميع ممن يخالف ذلك[1].

وقد أكد المصلح المعروف العلامة أبو يعلى الزواوي في كلمة نشرت في جريدة البلاغ عدد ٣٨ بتاريخ ١٩٢٧/١٠/٣٠ أن الشيخ أحمد بن عليوة يحب الإصلاح والرقي العصري الموافق للشريعة الإسلامية ويحب الاجتماع والجماعة ويتفانى في ذلك وأن مريديه شديدو الانقياد والامتثال.

[1] جريدة البلاغ، ٢٠ يناير ١٩٢٧.

وختاما لهذه الترجمة الموجزة لحياة الشيخ أحمد بن عليوة رحمه الله يسرنا أن ننشر جملا من مراسلاته مع بعض أقطاب الإصلاح في الجزائر ليتبين للقارئ الكريم مدى حرص الجميع على خدمة الإسلام وإصلاح حال المسلمين.

هذه رسالة موجهة إلى المصلح الكبير والعلامة اَلنّحْرِيرُ الشيخ الطيب العقبي طيب الله ثراه، جاء فيها:

إلى مدير جريدة الإصلاح ورئيس تحريرها فضيلة الشيخ الطيب العقبي: هذا أيها الأخ المحترم، فإننا نحمد الله لنا ولكم حمد مخلص أواب، ونشكره شكر من رجع إلى الحق وأناب بما هدانا وإياكم لمعاضدة السنة والكتاب، ونصلي ونسلم على من جاء بالحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه ومنْ تبعهم بإحسان إلى يوم المآب، وسلام الله علينا وعليكم وعلى كل من استغفر لذنبه وأناب.

أما بعد فإن الباعث على تحرير هذا المكتوب لسيادتكم هي الفرصة في توطيد دعائم الأخوة الدينية، والروابط القومية. رجاء أن تتكون روح جديدة وعلائق مفيدة بين أفراد قطرنا على الاجمال وبين رجال الصحافة منهم على الخصوص ليتسنى لهم العمل على تنمية التضامن فيما بينهم.

وأنت تعلم يا حضرة الأخ ما في التخادل من المذلة، وما في التنازع من المضرة، حقيقة أنه لا يفوتكم ذلك ما دام يتلى قوله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)، وقد أدركتم بالتجربة ما وقع في السنوات الفارطة من ضروب السباب والشتائم المتنوعة، وما رمى الكتاب به بعضهم بعض من الموبقات والعظائم، الأمر الذي عابه على الصحافة الجزائرية القريب والبعيد، وكل من ألقى السمع وهو شهيد حتى رجال الصحافة أنفسهم، وأنتم من جملتهم، لما أدركتم وأدركه غيركم من وخامة الحال، وخبث المآل، وهو الأمر الذي دعاكم إلى أن دعوتمونا إلى المناظرة، وترك المشاجرة، ثم دعوتمونا إلى الهدنة المرة بعد المرة، ثم دعوتمونا إلى الحسنى، فأجبنا في جميع ذلك، وما لنا لا نجيب الداعي إذا دعانا لما يجمعنا ... إلخ.

هذا جزء يسير من رسالة طويلة يكتشف القارئ الكريم، من سطورها، كيف كان الجميع يسعى للصلح والصلح خير. وهذه رسالة ثانية وجهها الشيخ أحمد ابن عليوة رحمه الله إلى الشيخ الإمام عبدالحميد بن باديس رحمه الله:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده.

الجناب المحترم، فضيلة الشيخ عبدالحميد بن باديس سدد الله عملنا وإيّاكم، وسلام من الله يغشاكم.

هذا أخي، أنه وافانا شريف كتابكم، المنبئ عن كمال اعتنائكم، فلكم الفضل ولحضرة الأخ المفضل الشيخ عبدالعلي فقد أفاد الاجتماع به نظير ما أفادكم فلنعم ما عرفتم.

أما ما جرى به القدر، فالأمر موكول فيه لحسن المقاصد، فما علينا وعليكم إلا تصحيح النية فيما نراه مستجلبا لرضى الله عز وجل، ولا يخفاكم كون الله جلت قدرته لم يكلفنا وإياكم إصابة الصواب، إنما يكلفنا الظن فيما نعمله، أو نقصده، كونه صوابا، فإن نحن أصبنا فالمنة لله، وإذا نحن أخطأنا فرجاؤنا من الله أن يأخذ بيد المخطئين غير المعمدين لنكون في جملة من أخذ الله بيده والسلام.

ومن رسالة موجهة إلى العلامة المصلح، الشيخ أبي يعلى الزواوي، نقتطف هذه الفقرة:

من عبد ربه، وأسير دينه، ابن عليوة إلى صديقنا الملاطف الأستاذ أبي يعلى دام علاكم وسلام الله عليكم ورحمته تغشاكم.

أما طريقتنا فلا شك أنكم عاملون على سلوكها، ما دامت هي عبارة عن محاولة تطييب أحوال المكلف الظاهرة والباطنة على ما جاء به الشرع الشريف تطبيقا محكما، حتى يصح للمسلم أن يقول أنا مسلم بكل معنى الكلمة، والواقع بالنظر لأحواله وأفعاله يصدقه. وعليه فمن كان سائرا وراء غير تحصيل هاته الغاية الشريفة، فهو يعتبر خارجا عن طريقتنا، ولو كان متظاهرا لنا بكل محبة، وهذا ما نعتمده طريقا موصلا إلى الله عز وجل ونأمل من كل مؤمن سلوكه.

وبعد وفاة الشيخ العلاوي تولى مشيخة الطريقة العلاوية بوثيقة خطية موثقة من شيخها ومؤسسها، الشيخ عدة بن تونس المولود بمستغانم سنة ١٨٩٨ والذي أشرف على رعايته وتربيته الشيخ العلاوي الذي لازمه منذ صباه وتتلمذ عليه فحصل من العلوم الروحية والدينية حتى أصبح من أعلام الطريقة العلاوية البارزين ورجالها السالكين وكان بذلك خير خلف لخير سلف.

وقد عرفت الطريقة العلاوية في عهده توسعا وانتشارا كبيرين وفتحت في عهده عدة زوايا في جهات مختلفة. كما قام وهو على رأس الطريقة العلاوية بإنشاء مجلة المرشد التي صدر العدد الأول

منها في شهر شوال ١٣٦٥هـ أوت١٩٤٥م وقد سبق الحديث عن هذه المجلة.

وقد كان للشيخ عدة بن تونس في هذه المجلة نشاط كبير حيث حرر بها العديد من المقالات الدينية والاجتماعية والسياسية بالإضافة إلى كتاباته الكثيرة في جريدة البلاغ الجزائري وفي صحيفة لسان الدين التي كان شيخه يصدرها من قبل ثم توقفت عن الصدور فأعاد الشيخ عدة إصدارها من جديد.

كما كان للشيخ نشاط كبير في ميدان التآليف حيث ألف مجموعة لا بأس بها من الكتب التي تؤرخ للطريقة وتعرف بمؤسسها، وله مجموعة من القصائد جمعت في ديوانه المسمى: آيات المحبين في مقامات العارفين، ويبلغ عدد القصائد ٤٦ قصيدة ومن كتبه نذكر العناوين التالية:

وقاية الذاكرين من هواية الغافلين.

الدرة البهية في أوراد الطائفة العلاوية.

الروضة السنية في المآثر العلاوية.

تنبيه القراء.

مجالس التذكير.

وقد كانت وفاة الشيخ عدة بن تونس يوم ١٢ جويلية ١٩٥٢ بعد حياة حافلة بالنشاط والعمل الدؤوب، رحمه الله.

وبعد وفاته تولى رئاسة الطريقة العلاوية ابنه الشيخ محمد المهدي بن تونس المولود سنة ١٩٢٨ بمدينة مستغانم وكانت تربيته كوالده، تحت إشراف ورعاية الشيخ أحمد العلاوي الذي أحاطه بعناية كاملة، وكان يصحبه معه إلى مجالس وعظه وذكره وهو يقول للمريدين: إن لولدي هذا شأنا عظيما عند الله. كما صحبه معه سنة ١٩٣٠ إلى البقاع المقدسة وهو لم يتجاوز العامين.

أدخل الزاوية في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ لما كان يتميز به من حافظة قوية، وذكاء حاد كما حصل على نصيب وافر من العلوم العربية والإسلامية.

وقد وفق كل التوفيق في القيام بمسؤولية المشيخة الملقاة على عاتقه خير قيام مقتفيا آثار والده في خدمة الطريقة العلاوية التي ترأسها منذ وفاة والده سنة ١٩٥٢ وذلك بوصية مكتوبة من مؤسس الطريقة الذي أوصاه بها بعد وفاة أبيه الحاج عدة.

ولعل أبرز حدث يواجه شيخ الطريقة الجديد هو اندلاع ثورة التحرير الكبرى التي كان الشيخ محمد المهدي من الملبين لندائها، المنطوين تحت لوائها، الداعين إليها. فجند لها الأتباع والمريدين والطلبة يدعمونها بالنفس والنفيس إلى أن تحررت

البلاد وذهب الاستعمار إلى غير رجعة. وقد تعرض الشيخ رحمه الله للسجن ابان ثورة التحرير مع بعض أفراد أسرته. وبمجرد تسلمه مشيخة الطريقة العلاوية قام ببعض الإصلاحات الهامة منها إيقاف الخلوة المعهودة في الطريقة على الشكل المعروف لتعوض بعمل صالح مفيد يقوم مقام الذكر في الخلوة. كما حث مريدي الطريقة وأتباعها على التمسك بالجد والاستقامة والعمل الصالح لخدمة البلاد والعباد عملا بقوله جل شأنه: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. وقد وجد المريدون في هذا العمل الإصلاحي خيرا كثيرا.

وقام الشيخ محمد المهدي بتجديد وبناء الزاوية الكبرى بمستغانم والتي تخرج منها الكثير من حفظة القرآن الكريم وأهل العلم والمعرفة وقام بتأسيس العديد من الزوايا داخل الوطن وخارجه واشترى الكثير من الأراضي الفلاحية وجعلها وقفا على الطريقة.

وكانت للشيخ المهدي مجالس للوعظ والإرشاد والتذكير يعقدها لمريدي الطريقة وأتباعها ومحبيها. كما كان كثير التفقد لزوايا الطريقة في الداخل والخارج قصد القيام بتبليغ الدعوة الإسلامية لغير المسلمين، وقد أسلم على يده الكثير من الأروبيين.

توفي الشيخ محمد المهدي بن تونس يوم الخميس ٢٤ أفريل ١٩٧٥، تغمده الله برحمته وغفرانه، ليـنهض بمشيخة الطريقة العلاوية من بعده ابنه الشيخ عدلان خالد بن تونس المولود بمستغانم سنة ١٩٤٩ وقد نشأ وترعرع في كنف والده الشيخ المهدي الذي كان يحبه ويعطف عليه ويوليه العناية والاهتمام، فأدخل الكتاب لحفظ القرآن الكريم كما انضم إلى تلاميذ المدارس لمتابعة دراسته.

وبعد حفظ القرآن الكريم وحصوله على نصيب وافر من العلوم الدينية واللغوية قرر والده إرساله إلى فرنسا حيث انضم إلى كلية الحقوق وخلال دراسته بها كان الطالب عدلان خالد لا يألو جهدا في القيام بواجب الدعوة إلى الإسلام، والتعريف به وسط الطلبة الذين ينتمون إلى مختلف الأجناس والأديان.

وظل الأستاذ عدلان خالد يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة الدافعة إلى أن التحق والده بالرفيق الأعلى فانتقلت المشيخة إليه وقد تحملها بكل ما تتطلبه من جد وعمل وتضحية وكانت مبايعته من طرف كل المريدين والأتباع الذين جددوا له العهد والتفوا حوله.

وهكذا أخذ الشيخ خالد يعمل ليل نهار من أجل نشر الطريقة العلاوية والإكثار من زواياها داخل الوطن وخارجه كما قام بإنشاء

مراكز أحباب الإسلام في العديد من أقطار المعمورة وتنظيم الملتقيات، وإلقاء المحاضرات في الدعوة إلى الإسلام والتعريف به. كما كانت له مبادرة العمل على إحياء تراث الطريقة العلاوية بطبع كتبها وترجمة ما ينبغي ترجمته لتعميم الفائدة.

ومن إنجازات الشيخ عدلان خالد شيخ الطريقة العلاوية في ميدان الإعلام الإسلامي، إنشاؤه لمجلة - الرسالة - باللغة العربية، ومجلة - أحباب الإسلام - بالفرنسية في باريس حيث أسلم على يده الكثير من الأوروبيين ولا يزال يعمل بجد وحماس لنشر الدين الإسلامي في جهات مختلفة من العالم.

ومن أعماله العظيمة التي تستحق الذكر والشكر تأسيسه للمركز المتعدد الخدمات الذي تحدثنا عنه في بداية هذه الكلمة وهو بحق مفخرة من مفاخر الطريقة العلاوية.

وقد مددت الطريقة العلاوية مختلف نشاطاتها الدينية والاجتماعية إلى خارج الحدود الجزائرية حيث تقوم بتقديم المساعدات للمهاجرين والمعوزين في الجهات التي تكون في أمس الحاجة إليها مثل مالي والسنيغال، وغيرهما. حيث يعانون من الفقر المدقع، والأمراض الفتاكة وهذا بفضل ما تحصل عليه من تبرعات محسني الطريقة ومحبيها، جازهم الله خير الجزاء وهو من مظاهر التعاون الذي لا يعرف القيود والحدود.

ومما يسجل في آخر هذه الكلمة تلك الرحلة التي قام بها الشيخ عدلان سنة ١٩٨١ إلى البقاع المقدسة. وقد رافقه فيها جمع غفير من أتباع الطريقة العلاوية والمتعاطفين معها من الجزائر والمغرب وفلسطين واليمن ومصر ومن المغتربين الجزائريين والمغاربة بأروبا.

وكانت تلك الرحلة بمثابة مظاهرة سلام وأخوة ومحبة وقد تخللتها حلقات الوعظ والإرشاد، ومجالس التذكير. كما تم خلالها تمتين روابط الأخاء، وتقوية أواصر التعارف والمحبة بين أبناء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها عملا بقوله تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا.

وبهذه الرحلة الميمونة نطوي صفحة الحديث عن الطريقة العلاوية ونشاطها وشيوخها الأفاضل طيب الله ثراهم وأصلح حال شيخها الذي لا يزال يعمل بكل جد وإخلاص من أجل صالح الإسلام والمسلمين وفقه الله.

الجزء الثاني

كلمة عن الزوايا:

نشرت هذه الكلمة في العددالرابع والأربعين من جريدة العصر التي يديرها المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ الخميس ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ الموافق لـ ١١ فيفري ١٩٨٢م. ونحن نقتطف منها هذه الفقرات التالية:

كانت الزوايا بتعاليمها القرآنية حصنا للشخصية الوطنية ومدرسة حافظت قدر الإمكان على قيم الشعب الجزائري وأفكاره وأصالته، وقاومت الوجود الاستعماري بتعليمها العربي الإسلامي رغم غلبة الدروشة على بعضها ومهادنتها الاستعمار. وإذا كان الاستعمار قد انتصر عسكريا واستولى على الجزائر واحتل مدنها وقراها وانهزمت أمامه سياسيا فإنها لم تنهزم روحيا وحافظت على قلبها حيا قويا سليما من المرض والوباء والوهن الذي يصيب القلب ويجعله فريسة لليأس والقنوط وهذا ما حير الاستعمار الفرنسي وأقلقه وجعله غير مطمئن على نفسه ومصيره في الجزائر ومستقبله بين أبناء الاسلام في إفريقيا لأن الجزائر قلب إفريقيا لم تستعمر إفريقيا إلا باستعمارها ولم تتحرر إلا بتحرر الجزائر.

فهناك فضل لبعض الزوايا البسيطة المتواضعة التي كانت متناثرة كالنجوم في قمم الجبال الشاهقة وفي أقصى الصحراء المترامية الأطراف وكانت تعمل في صمت وخفاء تعد الجيل القرآني داخل تلك القلاع المغلقة.

وفي تلك الزوايا المنعزلة في الجبال والأرياف الهادئة البعيدة عن الضوضاء والصخب كان أبناء الجزائر يحفظون القرآن الكريم ويتعلمون دينهم ولغتهم وشريعتهم على شيوخ رباهم القرآن وهديهم الإسلام. ولولا القرآن ما بقيت اللغة العربية في الجزائر بعد احتلالها واستعمارها قرنا وأكثر من ثلاثين عاما حوربت فيها العربية وأغلقت مدارسها ومنع استعمالها وتعاليمها وعذب أصحابها وسجنوا وطردوا من البلاد لأنها لغة الإسلام ولغة القرآن ولسان الأمة المعبر عن آلامها وآمالها وطموحها.

الزوايا وتاريخ ظهورها

للزوايا رسالة سامية، ومهمة نبيلة، وعمل شريف يتمثل في المحافظة على الإسلام والعربية في هذه الديار، والحرص على صيانة عقيدة المسلم وحمايتها من الزيغ والانحراف بواسطة نشر الوعي الديني في أوساط الجماهير في المدن، والقرى، والجبال، والتركيز على تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، والعناية بدراسة العلوم الإسلامية واللغوية. بالإضافة إلى ما تقوم به من خدمات اجتماعية كإطعام الفقراء والمساكين وابن السبيل، ومساعدة المحتاجين وإصلاح ذات البين وغيرها من الخدمات المختلفة.

والزوايا جمع زاوية وهي مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل كما في كتب اللغة، وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها، والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء، والسكون اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت الزاوية.

هذا عن معنى الزاوية من الناحية اللغوية، أما إصطلاحًا، فتطلق، ويراد بها مأوى المتصوفين والفقراء، والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر كما جاء في المعجم الوسيط، وقد أطلق هذا اللفظ قديما على موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج وعبدالرحمن بن الأشعث، وعلى بلد بالموصل، وقرية قرب المدينة بها قصر أنس، وبلد بواسط، وقرية بالأندلس، كما جاء في أساس البلاغة لجار الله الزمخشري رحمه الله وهو من أعلام القرن الخامس الهجري، وفي القاموس المحيط. كما سميت بها مدينة من مدن القطر الليبي الشقيق.

وقد ظهرت الزوايا بمغربنا العربي الإسلامي ابتداء من القرن الرابع الهجري كما جاء في بعض الروايات، ويذكر العلامة الجزائري الشيخ المهدي البوعبداللي رحمه الله في مقال كتبه في الموضوع أن الملك الموحدي يعقوب المنصور الذي عرف بعمله، ودينه، وسياسته بنى زاوية بدار الضيوف كتلك التي أسسها الملك المريني أبو عنان خارج مدينة ـ سلا ـ وقد تحدث عنها الرحالة المغربي ابن بطوطة في رحلته وتلك التي دفن فيها الملك المذكور والده أبا الحسن بالرباط والتي عرفت بزاوية شالة. وقد زارها لسان الدين بن الخطيب. اهـ. بتصرف.

وفي عنوان الغبريني نجد لفظ الزاوية قد ذكر في ترجمته العلامة أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي المتوفي سنة ٦٦١ما يؤكد وجودها في ذلك التاريخ في بجاية.

أما بالنسبة للمشرق فقد ذكر المؤرخون أن بعض خلفاء المسلمين الأوائل قد بنوا للمتصوفة بيوتا ملاصقة للمساجد خصصت للذكر والعبادة، والاعتكاف، والانقطاع للتأمل، والتفكر، والرياضة الروحية، وأطلقوا على تلك البيوت اسم ـ الخانقاه ـ وهي التي تعرف عندنا بالغرب ـ الزاوية[1] ـ.

وقد كثر إقبال الناس على تلك البيوت، وعرفت بمرور الوقت تطورا كبيرا، فانفصلت عن المساجد، وأصبحت قائمة بذاتها، تستقبل الطلاب وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والتوحيد والعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة كما تقدم للطلبة الطعام، وتوفر لهم الإقامة مجانا كما هو الحال في الزوايا عندنا.

وما أن حل القرن الثامن عشر حتى عرفت الزوايا انتشارا أوسع من ذي قبل، وأصبحت مؤسسات تربوية وتعليمية تسهر على تربية

---

[1] تاريخ الجزائر العام للشيخ عبدالرحمن الجيلالي.

المريدين، وتعليمهم، كما تعمل على نشر التعليم العربي الإسلامي الصحيح بين الجماهير، وبث مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومحاربة الجهل والأمية والآفات الاجتماعية التي كانت السبب المباشر في ضعف المسلمين وتأخرهم وانحطاطهم.

وفي العهد المريني لقيت الزوايا الدعم والمساعدة من الملوك الذين أمدوها بكل ما تحتاج إليه، بل عملوا على تنظيمها وتطويرها. ومن المعلوم أن ملوك الدولة المرينية عرفوا بحبهم للعلم، والعمل على نشره، وتشجيعهم للعلماء وتقريبهم منهم وحضورهم الدائم في مجالسهم.

وقد تحدث العلامة الجزائري المعروف ابن مرزوق التلمساني الذي عاصر الدولة المرينية، تحدث في كتابه الذي ألفه في سيرة السلطان أبي الحسن والذي سماه:المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا أبي الحسن في الفصل الثاني والأربعين عن الزوايا العلمية التي بناها السلطان أبو الحسن[1] .

وبحلول القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، ازداد عدد الزوايا خصوصا في المغرب الأقصى الشقيق الذي أصبح فيه عدد

---

[1] تاريخ الجزائر العام للشيخ عبدالرحمن الجيلالي.

هائل يوازي عدد المساجد. وقد اشتهرت منها الزاوية الدلائية لشيخها سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي، والفاسية لشيخها سيدي عبد القادر الفاسي، والناصرية لشيخها سيدي محمد بن ناصر الدرعي وأخيرا العباسية التي كان لها شأن عظيم في منحدرات الأطلس المطلة على أرض تافيلالت وواحات الصحراء. ولا تزال تحتفظ بمكتبتها الزاخرة بأمهات الكتب القيمة. ومن المعروف لدى المؤرخين أن العلم بالمغرب الأقصى إنما أحياه وحافظ عليه شيوخ الزوايا الثلاثة السابقة الذكر.

وفي الجزائر تزايد عدد الزوايا على مر السنين، وانتشرت انتشارا واضحا. فعمت كل جهات البلاد وخاصة غربها، ووسطها. ففي الناحية الغربية يرجع الدكتور سعدالله سبب كثرتها إلى كثرة زوايا المرابطين في المغرب الأقصى، وإلى حجاج ورحالة المغرب الذين كانوا يعبرون الجزائر ويغذون فكرة المرابطية وينشرون مبادئ زواياهم وشيوخهم[1] . اهـ.

كما انتشرت الزوايا في منطقة القبائل الكبرى والصغرى انتشارا كبيرا، خصوصا بعد الاحتلال الإسباني لبجاية، وخروج الكثير من أهلها خاصة أولئك اللاجئين الأندلسين.فقد قام هؤلاء

---

[1] تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور سعدالله.

بتأسيس الزوايا في بني وغليس، وبني يعلى وغيرها من الأماكن وقد بلغ عدد الزوايا بمنطقة القبائل حوالي ٦٠ زاوية حسبما أخبرنا بعض شيوخ الناحية.

وفي العهدين العثماني والفرنسي قويت شوكة الزوايا، وعظم نفوذها الروحي، واتسعت دائرة عملها، وتعددت أنشطتها، وصار الحكام يتقربون منها، ويطلبون ودها، ويتحالفون معها لما كان يتمتع به شيوخها من شعبية في أواسط الجماهير، وما كانوا يحظون به من سمعة طيبة، وتقدير واحترام، وما كانوا يتصفون به من استقامة وتقوى، وصلاح، وعزة النفس، وترفع عن شهوات الحياة، وعزوف عن متعها وزخارفها.

وفي جنوب ا[illegible]ائر ظهرت زوايا قام بتأسيسها رجال عرفوا بالعلم والتقوى والصلاح كالزاوية الزيانية بالقنادسة، وزاوية الأعمش في تندوف، وزاوية الشيخ بن الكبير بأدرار. للزوايا نظامها الداخلي، وقوانينها المحكمة التي يسهر الشيخ والطلبة على تطبيقها، مثلها في ذلك مثل سائر المؤسسات التعليمية، وفي حالة الاخلال بتلك القوانين، كان لعلماء الجهة المتخرجين من الزاويةالحق في التدخل السريع لفرض النظام وجعل حدلكل فوضىقد تترتب على ذلك.

وقد عرفت بذلك على وجه الخصوص زوايا منطقة القبائل حيث تطبق فيها القوانين بكل صرامة وشدة. وحيث النظام الرائع الدقيق الذي جعلها تحتل مكانة معتبرة، وجعل شيوخها مضرب المثل وموضع القدوة، ولعل من ثمار الزوايا في تلك المنطقة الغالية من بلادنا، ذلك النظام الرائع المعروف هناك باسم - تجمعات - أو مجلس القرية والذي يشبه في كثير من وجوهه نظام العزابة المعمول به في منطقة وادي ميزاب.

إن مجلس القرية بمنطقة القبائل هو الحكم الفصل فيما يتعلق بالقضايا الدينية لذلك نجد إمام القرية عضوا دائما فيه وحضوره ووجوده في كل المناسبات أمر ضروري لا يمكن الاستغناء عنه لأنه يعتبر المرجع الأساسي في كل القضايا الهامة، وإذا لم يستطع البث في قضية من القضايا فإنها تحال على رجال العلم من شيوخ الزوايا المتبحرين في الفقه والفتوى.. وهذا ما يؤكد أصالة شعبنا، وتمسكه بتعاليم وقيم دينه الحنيف رغم محاولات الاستعمار الفاشلة في إبعاده عنه، وصده عن التقيد بآدابه.

ليس للزوايا في القطر الجزائري من مورد لتسييرها سوى تلك الأوقاف والأحباس كالأراضي، وغابات الزيتون بمنطقة القبائل وغابات النخيل بالجنوب، والعقارات وغيرها، أو الهبات والتبرعات التي يقدمها المحسنون من أبناء الشعب لهذه الزوايا. وقد صادر

المستعمرون تلك الأوقاف غداة الاحتلال ووزعوها على المستوطنين الجدد لتصبح ملكية خاصة لهم ولأبنائهم.

وقد بلغ عدد الزوايا حسب آخر الاحصائيات حوالي ٥٠٠ زاوية في القطر الجزائري كله. غير أن أغلبها تعرض للهدم والتخريب أثناء حرب التحرير المظفرة نتيجة مواقف شيوخها المؤيدة والمدعمة للثورة وتحول هذه الزوايا إلى ملاجئ للمجاهدين، ومراكز لاجتماعاتهم، وإمدادهم بكل ما يحتاجون إليه.

وقد تعرض شيوخها للسجن، والنفي، والتشريد، ومنهم من استشهد ولا تزال زواياهم تنتظر إلى يومنا هذا يد الإصلاح والترميم تمتد إليها لتستعيد نشاطها، وتقوم برسالتها في نشر العلم والثقافة الإسلامية الصحيحة.

وما ذكرناه عن دور الزوايا وشيوخها في حرب التحرير ليس جديدًا، فقد أشاد الكثير من العلماء والمؤرخين قديما، وحديثا بدور الزوايا في ذلك. فهذا العلامة المشرفي يقول عن زاوية الشيخ محمد بن علي المحاجي أبهلول الواقعة نواحي تنس بأنها كانت زاوية ومدرسة ورباطا، وكانت مركزا لاقراء الضيوف، ولمن يجاهدون في سبيل الله، ويقول أن حوالي ١٣٠٠ مجاهد خرجوا لقتال الكفار بثغر تنس وكانوا جياعا فمروا بزاوية المحاجي

فأطعمهم جميعا حتى شبعوا. وكان شيخها المذكور من العلماء الذين شاركوا مشاركة فعالة في الجهاد ضد الإسبان.

وهذا ابن صعد في كتابه ـ النجم الثاقب ـ يذكر أن زاوية الشيخ سيدي ابراهيم التازي رحمه الله بوهران كانت بها خزائن الكتب وآلات الجهاد، وجاء في رحلة بير رايس العثماني أن زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية كانت ملجأ للمجاهدين وغزاة البحر وأن شيخها المذكور كان يحمي المدينة من غارات الأشباح[1].

ولما توالت حملات البرتغال والإسبان، وتعددت هجماتها على شواطئ مغربنا، وتعرض مسلموا الأندلس لاضطهاد الصلبيين الذين أذاقوهم من القتل والتشريد ألوانا يعجز أبلغ الأقلام عن تصويرها. ووقفت الدولة أمام كل ذلك عاجزة ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن البلاد والعباد، وحماية السواحل المهددة بالغزو من طرف البرتغاليين والإسبان، في هذا الوقت بالذات، هبت الزوايا تستنفر المسلمين، وتبعث فيهم الحماس الوطني، وتدعوهم إلى الجهاد. وكان شيوخها الميامين في مقدمة الجيوش المحاربة يتسابقون إلى الظفر بإحدى الحسنين، النصر أو الاستشهاد.

---

[1] تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور سعدالله.

ومما يسجل للزوايا، ونحن نتحدث عن دورها الجهادي الذي تكلمنا عنه فيما سبق وآثرنا إعادة الحديث عنه مرة أخرى حتى نزيل ما علق بأذهان البعض من أفكار وأحكام مسبقة عن الزوايا عموما، نتيجة انحراف بعضها عن الغرض الشريف الذي أسست من أجله. والقرآن الكريم يقول: ولا تزر وازرة وزر أخرى.

إن الزوايا كما قال أحد الكتاب، كانت الصرح الوطني الذي أجَّجَ الثورات على الدخلاء المحتلين وخرج القيادات للجهاد يمدها بالروح ويرفدها بالقوة تارة على الغزو الإسباني والبرتغالي وعلى الوجود التركي وتارة على الاحتلال الفرنسي بقيادة علمائها وشيوخها ومريديها.

وعندما أعلن السعديون بالمغرب الجهاد ضد الصليبيين، وقفت الزوايا إلى جانبهم تجاهد، وتدعو الجماهير إلى قتال الغزاة الحاقدين إلى أن طردوهم من الثغور المغربية، وأجلسوا السعديين على عرش المملكة بالمغرب الأقصى الشقيق وكان في مقدمة تلك الزوايا، الزاوية الدلائية التي سبق الحديث عنها.

كما استطاعت بعض الزوايا بفضل جهادها، وصمودها في وجه الغزاة أن تتحول إلى دول وممالك كما هو الشأن بالنسبة للزاوية السنوسية التي استطاعت أن تؤسس دولة إسلامية قوية الأركان، في القطر الليبي الشقيق، حظيت بتقدير واحترام كل الدول لها.

وحسب هذه الزوايا فخرا أنها ساهمت مساهمة كبيرة ومعتبرة في محاربة الجهل والأمية ونشر التعليم العربي الإسلامي، وإخراج أجيال من المثقفين والمتعلمين حتى لم يبق بين أبناء الجزائريين من يجهل القراءة والكتابة وهذا بشهادة تقارير الاستعمار غداة الاحتلال والفضل ما شهدت به الأعداء.

ومما يؤكد دور الزوايا العظيم في مجال التعليم ما قاله العلامة المصلح الأستاذ با عزيز بن عمر رحمه الله في محاضرة ألقاها بنادي الترقي بالجزائر العاصمة قال بعد أن قسّم الزوايا إلى مدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد علمية أسست لقراءة القرآن وما إليه من العلوم الموصلة إلى استخراج كنوز أسراره ومعانيه ويضيف قائلا: "ونحن لم نعرف ببلاد الزواوة مدرسة غير هذه الزوايا فتاريخها في الجملة يرجع إلى عصر قديم وهو ازدهار الإسلام بشمال إفريقيا عموما وبالزواوة خصوصا. وإليها يعود الفضل في إعلاء شأن الإسلام وحفظه بهذه البلاد لا إلى شيئ آخر"اهـ

وبفضل جهودها الجبارة، ونشاطها المستمر في مختلف جهات الوطن ظل التعليم العربي الإسلامي قائما رغم ضعف مستواه وظل إقبال الجزائريين على تلك الزوايا كبيرا حتى جاوز عدد الطلاب في بعضها الألف طالب.

وقد ظهرت الزوايا في المدن الكبرى كالجزائر العاصمة ووهران وتلمسان وقسنطينة. فمن بين الزوايا الهامة في مدينة الجزائر نذكر زاوية سيدي أحمد بن عبدالله الزواوي من أبناء القرن التاسع الهجري وهو صاحب المنظومة الجزائرية وكانت زاويته تشمل على بيوت للعلماء، وتقع بنهج الأندلس بالجزائر وتقع بسوق السمن في الجهة السفلى من نهج الباي الجديد. وقد أسست هذه الزاوية سنة ١٦٢٣م لتحفيظ القرآن وتعليم الكبار مع مصلى لإقامة الصلوات الخمس، وكان يشرف على تسييرها الشيخ محمد الأبلي وبقيت هذه الزاوية إلى سنة ١٨٤٣م زاوية سيدي عبدالرحمن الثعالبي التي أمر ببنائها حاكم الجزائر الحاج أحمد بن المصلي سنة ١١٠٨هـ/١٦٩٦م، وزاوية سيدي محمد بن عبدالرحمن الأزهري التي بنيت بالحامة سنة ١٢٠٦هـ في عهد الداي حسن باشا المعروف ببابا حسان. هذا بالإضافة إلى زوايا أخرى كانت تزخر بها مدينة الجزائر مثل زاوية سيدي عبدالقادر الجيلاني وزاوية سيدي محمد الشريف وزاوية والي دادة وغيرها.

وقد بلغ عدد الزوايا بمدينة الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي ١٢ زاوية تعرض أغلبها للهدم والتخريب تحت غطاء توسيع الطرقات تارة، وإقامة مصالح عمومية تارة أخرى. كما قال الأستاذ المحقق نور الدين عبدالقادر رحمه الله في كتابه القيّم. صفحات من تاريخ

مدينة الجزائر. ومن تلك الزوايا التي تعرضت للهدم والحيازة أو التحويل نذكر في عاصمة الجزائر:

. زاوية القشاش: حولتها سلطات الاحتلال العسكرية إلى مصلحة من مصالحها.

. زاوية سيدي الجدي. زاوية يوب. زاوية الشرفة:

طبق على هذه الزوايا الثلاث قانون الحيازة من طرف الغزاة لهدمها والبناء على أنقاضها.

. زاوية الشبارلية: استولى عليها الدرك سنة ١٨٣٠.

. زاوية شختوت: حولت إلى ثكنة عسكرية.

. زاوية الصباغين: هدمت.

وقد كانت هذه الزوايا بالإضافة إلى وظيفتها الدينية تقوم بمهمة التعليم كتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الإسلامية واللغوية وقد تخرج منها عدد كبير من العلماء والفقهاء والأدباء. وعرفت المدن المحيطة بالعاصمة عدد لا بأس به من الزوايا، ففي مدينة البليدة مثلا نجد زاوية ابن الباي، وسيدي المهدي الذين درس بهما المرحوم الشيخ العرباوي، وفي القليعة زاوية سيدي علي مبارك، وفي الأربعاء زاوية المربوسي، وفي بني موسى زاويتي النملي وخير الدين وغيرها.

وفي مدينة بجاية العظيمة التي كانت مركز إشعاع ونور قرونا طويلة في هذه المدينة، وفي سنة ١٨٣٣ داس الغزاة المحتلون مقدسات المسلمين الدينية والثقافية بوحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا. فقد هدمت المساجد والزوايا والمدارس وحول الكثير منها إلى أغراض عسكرية ومن بين الزوايا التي أصابها الهدم والتحويل نذكر:

. زاوية سيدي التواتي، . زاوية لالة فاطمة:

حولتا إلى مرقد للحرس الاستعماري.

. زاوية سيدي البصروني، . زاوية سيدي عبدالهادي،

. زاوية سيدي الخضر، . زاوية سيدي المليح:

هذه الزوايا هدمت هدما كاملا.

. زاوية سيدي أحمد النجار: حولت إلى ثكنة.

أما مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري وحاضرة العروبة وقلعة الإسلام التي صال فيها أعلام الجزائر وجالوا أمثال: صالح بن مهنا، والمولود بن الموهوب، وعاشور الخنقي، وحمدان الونيسي، وعبدالقادر المجاوي، وعبدالحميد بن باديس، وعبدالعالي الأخضري، وعبدالحفيظ بن الهاشمي وغيرهم. هذه المدينة بلغ عدد الزوايا بها حسب بعض الإحصائيات ١٦ زاوية.

ويلاحظ أنها تحمل أسماء الأسر والعائلات التي قامت بوقفها على تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين وإلى جانب إقامة الصلوات بها مثل: زاوية ابن الفقون، وزاوية مولاي الطيب، وزاوية سيدي جليس، وزاوية سيدي راشد، وزاوية سيدي عفان، وزاوية عبدالمومن، وزاوية ابن محجوب، وزاوية الرقاقين.

وبالنسبة لزاوية ابن الفقون والمعروفة بالزاوية التيجانية الفوقانية فإنها تضم ضريح العلامة الشيخ عبدالكريم الفقون وهو من أعلام القرن العاشر الهجري، وكانت هذه الزاوية تنشر العلم وتطعم الطعام، لمن يقصدها من الزوار الذين لا ينقطعون طوال أيام السنة يأتون إليها من كل حدب وصوب. وقد تخرج من هذه الزاوية الكثير من أهل العلم والمعرفة. ومن زوايا مدينة قسنطينة نذكر زاوية ابن نعمون وهي لأسرة تنحدر من سلالة بايات قسنطينة وفيها مقابرهم وبها تقام الصلوات الخمس وتؤدى الجمعة وتلقي الدروس. وزاوية النجارين المعروفة بزاوية حنصالة وفيها يعلّم القرآن الكريم للأطفال. وزاوية الشيخ باش تارزي لمؤسسها الشيخ عبدالرحمن ابن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بباش تارزي وهو دفين هذه الزاوية. وزاوية بن رضوان وقد تحولت إلى محكمة اباضية.

وقد أصاب الكثير من زوايا قسنطينة ما أصاب مثيلاتها في الجزائر وبجاية وغيرها من المدن الأخرى. فقد هدمت زاوية

سيدي العلوي كما هدمت زاوية نعمان التي أقاموا على أنقاضها دار الإسعاف الصحي، وتعرضت زاوية التلمساني للاستيلاء عليها من طرف جيش الاحتلال الفرنسي لتصبح تابعة لفرقة الهندسة العسكرية وسنخصص لها ولزاوية ابن محجوبة نبذة عن تاريخها.

وفي مدينة وهران عاصمة الغرب الجزائري التي كانت تعج بالعلماء والصالحين قام بعض أهل الخير والبر والإحسان بتأسيس وإنشاء زوايا لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الدينية واللغوية، وقد كثر عدد الزوايا بالغرب الجزائري ولعل مردّ ذلك علاقته وقربه من المغرب الأقصى الشقيق الذي تكثر فيه الزوايا ويكثر فيه عدد المرابطين كما علّل ذلك بعض المؤرخين المعاصرين كالدكتور سعدالله الذي أشرنا إليه آنفا.

أما تلمسان ونواحيها فقد بلغ عدد الزوايا بها أكثر من ثلاثين زاوية أواخر العهد العثماني نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: زاوية سيدي الطيب، وزاوية سيدي بومدين، وزاوية محمد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري، وزاوية عين الحوت، وزاوية سيدي الحلوي.

وما دمنا نتحدث عن زوايا تلمسان، تجدر الإشارة إلى ما قام به الباي حسين سنة ١١٧٣ من شراء دار بستين مثقالا ذهبا ووقفها على زاوية مولاي الطيب الوزاني، وفي سنة ١١٧٤ بنى الباي

إبراهيم الملياني بأمر من باشا الجزائر ضريحا للولي الصالح محمد ابن علي حفيد الولي عبدالله بن منصور. كما قام الباي مصطفى المانزالي بتجديد ضريح عبدالله بن منصور السابق الذكر.

وفي مازونة بالغرب الجزائري والتي كانت حاضرة علم ومركز إشعاع ونور شيد المصلح الكبير سيدي محمد بن علي السنوسي زاويته الأولى قبل مغادرته أرض الوطن والتحاقه بالصحراء الليبية، حيث بنى معاقله الكبرى، ونشير ونحن في غرب الوطن إلى الزاوية القادرية بوادي الخير نواحي مستغانم لشيخها ابن الأحول، وزاوية سيدي حمو الشيخ الولي الصالح المعروف بالمدينة المذكورة، وزاوية سيدي عدة في بلدية سيدي خطاب نواحي غليزان، وزاوية الشيخ المدني في بلدية وادي الجمعة، وقد أشرنا إليها فيما سبق.

وفي وسط وشرق وجنوب البلاد أسس الشيوخ الزوايا وفتحوا أبوابها للطلبة والمريدين يتلقون فيها العلم والمعرفة ويحفظون القرآن الكريم رواية ودراية على أيدي شيوخ عرفوا بحفظه وتجويده وعلماء في الفقه المالكي والأصول وعلوم العربية كما يتلقون فيها التربية الروحية الكاملة ومن بين تلك الزوايا:

الزاوية الشاذلية للشيخ الميسوم بقصر البخاري.

زاوية الشيخ عبدالرحمن النعاس، بحوش النعاس، دار الشيوخ بالجلفة.

زاوية الشيخ بو الأرباح ببلدية عين الشهداء.

زاوية الجلالية ببلدية عين معبد.

الزاوية الطاهرية (القاهرة) بمسعد.

زاوية سيدي مرزوق نواحي بيرين.

زاوية ابن تونس بعين بسام.

زاوية سيدي عبدالسلام ببني سليمان بالمدية.

زاوية القصيعات للشيخ عبدالجبر بأولاد درّاج.

زاوية الحاج سعيد بن الأطرش ومن المتخرجين منها العلامة الشيخ موسى الأحمدي صاحب التآليف القيمة المفيدة. ومن الذين عملوا بها نذكر الشيخين الجليلين: محمد أرزقي بن البدوي، ويحي الطالبي.

زاوية الشيخ بن دادة نواحي العلمة.

زاوية سيدي ثابت.

زاوية سيدي الجودي.

زاوية القابية.

والزوايا الثلاثة الأخيرة يعود عهد تاريخها إلى العهد العثماني حيث كان لها دور كبير، ونفوذ روحي واسع مثل زوايا:

زاوية ابن سيدي سعدون القريسي فرجيوة.

زاوية سيدي ورتيز للشيخ محمد بن فيالة.

زاوية بني حافظ بجيجل.

زاوية مولى الشقفة الشيخ الحسين الشريف.

زاوية الشيخ بلقاسم بوحجر التي درس بها العلامة الشيخ الصالح بن مهنا رحمه الله.

زاوية ابن عبدالصمد.

زاوية سيدي الزيتوني.

زاوية الشيخ الخياري.

زاوية سيدي خالد السناني.

الزاوية السنية بتبسة.

زاوية الزبوش الرحمانية في رجاص نواحي ميلة.

زاوية سيدي حسن بوقاعة.

زاوية عبدالحميد حمادوش بلدية قجال بسطيف.

هذا واشتهر الجنوب الجزائري بالعديد من الزوايا التي كانت منارات تشع أنوارها على صحراءنا الشاسعة ومن بين تلك الزوايا نذكر:

الزاوية الرحمانية بوادي سوف وشيخها المقدم سالم العايب.

الزاوية التيجانية ببلدة قمار.

الزاوية التيجانية بعين ماضي وهي المركز الأم لكل الزوايا التيجانية.

الزاوية التيجانية بتماسين لشيخها الحاج علي.

زاوية سيدي محمد الصالح الأنصري الخزرجي نواحي الأغواط.

زاوية أولاد سيدي الشيخ التاريخية المعروفة بالجهاد والمقاومة ضد المحتل.

الزاوية الزيانية التاريخية بالقنادسة.

زاوية سيدي عبدالله بن طمطم.

زاوية الشيخ ابن الكبير بأدرار.

زاوية العلامة الجليل الشيخ بن الأعمش في تيندوف.

زاوية الغيارنة بخميس الخشنة طريق الجبل.

زاوية سيدي يحي ببومرداس.

وهناك زوايا أخرى منتشرة في غرداية والمنيعة وحاسي لفحل ومتليلي الشعنابة والمنصورة، وتشرف عليها الزاوية الرحمانية باعتبارها تنسيقية عامة تقودها بزعامة الشيخ مقدم حسين. وقد ازدهرت كل تلك الزوايا وعظم شأنها وزاد نفوذها الروحي وتحول البعض منها إلى مدن.

الزاوية والرباط

يذهب الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن الزاوية كانت في الأصل رباطا تحول مع مرور الزمن إلى زاوية. ومن المعروف لدى الخاص والعام أن للرباط في تاريخ الإسلام مكانة مقدسة، إذ هو الثكنة التي تحمي الثغور الإسلامية من أي خطر خارجي كالحملات الصليبية على أرض الإسلام، ومحاولات الغزو الاستعمارية المتكررة ضد أوطان المسلمين.

بذلك كان الرباط وقتئذ ملتقى الرجال وحتى النساء الذين طلقوا الدنيا ووقفوا حياتهم للعبادة والذكر في هذه الرباطات التي كانوا لا يبرحونها إلا لجهاد في سبيل الله، وصد عدو طامع في بلاد الإسلام. وقد عرفت سواحل مغربنا العربي خلال القرنين الخامس والسادس الهجري عدة رباطات بعد أن صبحت عرضة للغارات والهجومات من القسطنطينية، وصقلية، وسردنيا، وجنوب إيطاليا.

ونذكر من تلك الرباطات: رباط المنستير، وصفاقس، وبنزرت، وبونة، وشرشال، ورباط الفتح وغيرها. وقد نشطت حركة الرباطات وزادت قوتها وأصبحت بعد تطورها مراكز ينطلق منها الدعاة إلى

الإسلام في القارة الإفريقية يبشرون به ويدعون إليه. وبذلك كانت تلك رباطات عظيمة الآثر في خدمة الإسلام والمسلمين.

ولعل تاريخ هذه الرباطات يرجع إلى أواخر القرن الثاني الهجري حيث أسست على طول الساحل الجزائري من ميناء القالة شرقا إلى ميناء الغزوات غربا. ومن أشهرها رباط عنابة الذي يوجد به ضريح أبي مروان كما ذكر ذلك مؤرخنا الكبير الشيخ عبدالرحمن الجيلالي.

وقد وعد الإسلام أولئك المرابطين في تلك الثغور بما وعد به المجاهدين من عظيم الأجر وجزيل الثواب على ما قاموا به في هذه الرباطات من واجب الدفاع عن أرض الإسلام.

وبالإضافة إلى ذلك كانوا يتلقون داخل هذه الرباطات تربية روحية عالية تغرس في المرابط مكارم الأخلاق، وجميل الخصال، وتوجهه نحو الفضائل، وتبعده عن الرذائل، وتساعده على مراقبة نفسه مراقبة دقيقة تقيه اقتحام مواطن الهلكة، والانغماس في حمأة الشهوات، كما تعوّده حب التضحية والفداء في سبيل الواجب والتفاني في خدمته.

ولهذه الأغراض الشريفة كانت الرباطات ملتقى المئات والآلاف من جال العلم والمعرفة والأدب، يتسابقون إليها ليفوز كل واحد منهم بمكان فيها، وفي مقدمة هؤلاء كان المتصوفة، لأنهم وجدوا

في هذه الرباطات ما يتمنونه من لذة الخلوة، والاعتكاف، ومتعة التجرد للعبادة والذكر والتأمل، وحلاوة الانقطاع للتعلم والتعليم ما لم يجدوه في غيرها من الأماكن الأخرى.

وقد اكتظت تلك الرباطات بالنخبة من أبناء الإسلام وأصبحت ابتداء من القرن الرابع الهجري تعرف تحوّلا كبيرا، فلم تعد مهمتها قاصرة على العبادة والجهاد كما كانت فيما مضى بل أصبحت مؤسسة تعليمية يقصدها العلماء للتدريس بها، وتأليف الكتب والرسائل القيّمة في مختلف العلوم والمعارف.

وبعد انقضاء زمن الجهاد تحوّل بعض تلك الرباطات إلى زوايا وغادرها حينئذ بعض المتصوّفة لإنشاء مراكز شبيهة لها لنشر العلم، ومحاربة الجهل، وإيواء المرابطين المتفرغين للعبادة، تكون مبعثا لأشعة أنوار الشريعة والطريقة فكان لهم ما أرادوا. ومن بين الأسباب التي أوحت بفكرة إنشاء الزاوية، رغبة الشيخ الصوفي المربي في الاجتماع بمريديه وتلاميذه، وهو ما لا يتيسر له في الرباط حيث توجد مختلف شرائح المجتمع. وقد ذكر ابن السبكي في طبقاته أن حجة الإسلام العز إلى رحمة الله قد بنى في أخريات أيامه مدرسة للفقهاء وخانقاه - زاوية - للصوفية بالقرب من بيته وذلك بغية الاجتماع بتلاميذه ومريديه.

وهنا يتساءل المؤرخون: هل غيّرت عملية تحويل لرباطات إلى زوايا مجرى التاريخ الإسلامي؟ فقد أصبحنا نرى أعداء الإسلام يعتدون على البلاد الإسلامية بل يغزونهاويحتلونها دون أن يجدوا مقاومة تذكر بعد أن استطاع المسلمون في أيام عزّهم المحافظة على أوطانهم قرونا طويلة ولم تستطع أية قوة في الأرض مهما بلغت قوتها أن تتخطى حدودها بفضل تلك الرباطات.

لقد أصبحت تلك الزوايا بعد تأسيسها تسيّر من طرف شيوخ الصوفية أو بعبارة أدق ـ المرابطين ـ الذين لا يزالون إلى يومنا هذا يعرفون بهذا الإسم وهو اسم شرعي مشتق أصلا من الرباط الذي تحدثنا عنه. وقد حظي هؤلاء المرابطون في أواسط الجماهير الشعبية بالاحترام والتقدير حتى أنهم كانوا يحبونهم كحب آبائهم وأبنائهم نظرا لما كانوا يقومون به من نشر للعلم، ومحاربة للجهل، وإصلاح بين الناس، وإطعام للفقراء والمساكين وعابري السبيل، ونشر آداب الإسلام وأخلاقه من رحمة وأخوة وتسامح وتعاون وتضامن، وإذا جدّ الجد وتعرض الوطن للخطر كانوا في مقدمة المدافعين عنه، المجاهدين في سبيله، المضحين بالنفس والنفيس من أجله.

وبهذه الأخلاق والآداب الإسلامية التي كانوا يتحلون بها استطاع أولئك المرابطون أن يفتحوا قلوب الناس، وينفذوا إليها، ويوجهونها توجيها إسلاميا صحيحا. والمرابطون بهذا المعنى

السامي الرفيع هم الذين حملوا لواء الجهاد للدفاع عن الوطن وصانوا وحدته وهم الذين تخرج من زواياهم الفقهاء والعلماء والقضاة والمصلحون الذين قادوا الكفاح ضد الاحتلال الفرنسي وساهموا في تفجير ثورة التحرير المباركة.

وكانت فرنسا لذلك تنظر إليهم بعين الحذر، واليقظة، وتتابع حركاتهم وسكناتهم وتراقب عن كثب تصرفاتهم وعلاقاتهم بجماهير الشعب التي كانت لها بشيوخ الزوايا علاقات حب وتقدير واحترام تتجلى أكثر ما تتجلى في المواسم والأعياد الدينية أو عندما يدعو داعي الجهاد لذلك.

إن الزوايا كانت عبر تاريخها الطويل قواعد روحية استطاعت بما لها من قوّة ونفوذ أن تلعب دورا هاما في أحرج فترات التاريخ حفاظا على أهمّ مقوّمات شخصيتنا الوطنية: اللغة العربية والإسلام. وكانت محاكم إسلامية يلجأ إليها المتخاصمون فتحلّ قضاياهم على هدي الكتاب والسنة فيخرجون منها إخوة متحابين، ويقصدها الطلاب من كل حدب وصوب ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

تلكم هي حقيقة الزوايا، وتلكم باختصار مهامها، ووظائفها. وقد حافظت على طريقتها التقليدية في التعليم إلى مومنا هذا، فهي تعتمد على نظام يتميز بأقصى درجات الاقتصاد والتقشف

والبساطة. فالطلبة لا يزالون يجلسون على حصائر صنعت من الحلفاء، وفي أحسن الحالات على فرش صنعت من الصوف والوبر.

أما الوسائل البيداغوجية التي لا تزال تستعمل فهي اللوحة للكتابة وهي مصنوعة من الخشب، وقطعة من القصب لصنع القلم، أما الحبر فما يسمى بالصمغ وهو عبارة عن الصوف المحروقة مع قليل من الماء ولا ننسى ما يسمى بالصلصال وهو نوع من الطين يستعمل بعد محو اللوحة بغرض تبييضها. ويستعمل كل ذلك لحفظ القرآن الكريم الذي يعتبر مادة أساسية في الزوايا لا يمكن التخلي عنها أو التفريط فيها.

غير أن محاولات عديدة، ومبادرات كثيرة قام بها أعلام أجلاء قصد تطوير التعليم بالزوايا وإدخال بعض الإصلاحات عليه. من ذلك ما كتبه الشيخ الزواوي في العدد ١٩٤ من جريدة البلاغ ٠٢/ ٠١/ ١٩٣٠ تحت عنوان: زوايا الزواوة وإصلاحها. يقول فيه: "وبالجملة أن زوايا الزواوة اعتراها ما اعترى زوايا العالم الإسلامي وقد اعترى الأزهر كثير من النقصان لو لم يقيض الله له أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده. ولكن زوايا الزواوة بالزيادة في السقوط والانحطاط حتى بلغنا عن بعضها منع دراسة الفقه سيد العلوم ويقول أهلها وطلبتها أنها مؤسسة للقرآن فقط، وقد يمضي فيها طالب القرآن عشرا أو عشرين سنة في القرآن فقط يتغنى به ولا يعرف فرائض الوضوء، والطهارة ولا فرائض الصلاة، والزكاة، والصوم،

والحج، والعمرة ولا عربية بنحوها، وصرفها، وبيانها، ولا يستطيع أن يكتب سطرا أو سطرين بلا لحن، وقد بلغ في الكبر عتيا. أبعد هذا كله يتوقف في لزوم إصلاحها وتدارك سقوطها والحال أنها مساجد تلزم عمارتها وتحديدها والذي سعى في خرابها عليه ما ذكر الله في ذلك من أنه لا ظلم أكبر منه والعياذ بالله.

وعليه فنوجه خطابنا هذا إلى سائر أرباب الزوايا وولاتها وملاكها فنقول: إنكم معشر المرابطين بني الوطن الزواوي مسؤولون وموقوفون لدى الله ومحاسبون على أعمالكم تعرض عليكم في قبوركم وأنتم وهي تعرضون على ربكم ويلزم أن تأخذوا بالإصلاح والتجديد على مقتضى الزمان والمكان، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون". وهنا أقول: "يضيق صدري ولا ينطلق لساني وقلمي بل أقول حال الجريض دون القريض".والله لو شئتم أن تصلحوها لأصلحتموها ولكن كما قال البوصيري:

تمادت على التّجاهل آباء وتقفت آثارها الأبناء

ما يمنعكم أن تحصروا إيراد الزوايا سنويا من الطعام والدراهم وغيرها من ميزانيتها ثم تجعلوا المصروف على قدر ذلك؟ وما يمنعكم أن تجعلوا لها مديرا ومدرسا ومفتشا؟ وما يمنعكم أن تجعلوا قانونا للقدر الذي تقدر الزاوية على تموينه؟ وما يمنعكم أن تجعلوا شروطا للقبول في سكناها أي الدخول إليها ويكون من شروط الطالب أن تكون فيه أهلية من حيث السن والتعلم وأن

تعيّنوا مدة الإقامة عشرة أعوام وتعيّنوا لتلك الأعوام الفنون والمعارف اللازمة للطالب في تلك المدة ثم يخرج مقبولا وهذا من أسهل السهل لو أردتم الإصلاح، ثم أن الطلبة المتخرجين على هذه القاعدة وبأيديهم الإجازات للفقه والنحو والصرف والفرائض والحساب.

ويشدد في الفقه كلزوم حفظ رسالة ابن أبي زيد القيرواني مالك الثاني وفهمها فهما مستقيما بشارحها أبي الحسن ويكون ذلك شرطا للإمامة في القرى، مع شروط الإمامة الأخرى من العدالة ولا يجوز أن يتولى الإمامة غير من ذكر فيحصل الرقي والتقدم وينشط طلبة العلم من العقال والكابوس الذي أصابهم بسبب تقدم الجهال والأميين والخرافيين والفساق وأرباب البدع والضلال وتخلي ذوي الفضل. إلى أن يقول: وأما البقاء على هذه الحالة فعقم ثم عقم ولا أظن أن يخالفنا أحد في هذا أي بأن التعليم المخيف الساقط في تلك الزوايا عديم الجدوى وهو معنى العقم والعياذ بالله"اهـ. هذا بعض ما كتبه الزواوي في جريدة البلاغ الجزائري العلاوية بخصوص رأيه في إصلاح التعليم بالزوايا.

وقد ألف العلامة الجليل الشيخ محمد السعيد بن زكري مفتي الجزائر وهو من خريجي الزوايا ألف كتابا في الموضوع سماه. أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا ببلاد القبائل. وهو كتاب قيّم في بابه. كما كانت هناك محاولات في بعض الزوايا لإدخال إصلاحات

على برامج التعليم بها وإثرائها كما وقع في زاوية الشيخ عبدالرحمن اليلولي حيث عمل الشيخان: محمد بن علي بن مالك ومحمد الطاهر الجنادي على إدراج بعض العلوم والفنون التي لم تكن تدرس بالزاوية المذكورة. ثم جاء بعدهما العالمان الأزهريان: المولود الحافظي، والرزق الشرفاوي فقاما بتعديل البرنامج التعليمي للزاوية. كما ساهم في هذه العملية . إصلاح التعليم بالزوايا . علماء آخرون بمقالاتهم أمثال الشيخ السعيد اليجري رحمه الله.

ومنهم من تقدم باقتراحات بناءة قصد إعطاء وجها جديدا لهذه الزوايا التي كانت الغاية من وجودها هي الحفاظ على اللغة والدين ؟؟؟ ومن هذه الاقتراحات:

أن تكون الزوايا معاهد دينية.

أن تعلّم فيها اللغات والرياضيات والآداب والعلوم.

أن يكون حفظ القرآن كله أو نصفه شرطا في قبول الطالب بالزاوية.

أن تكون الدراسة بها خمس سنوات يركز فيها على اللغة والدين حتى يكون محصول المتخرج منها كبيرا.

وعلى كل حال فنحن نتمنى مخلصين لهذه الزوايا أن تطّور برامج تعليمها، وأسلوب تدريسها، مع الحفاظ على أصالتها لأنه لا

يمكنها أمام هذا التقدم العلمي السريع أن تبقى جامدة على القديم، وألا تواكب العصر في تقدمه وتطوّره المستمرين. وإن كنا على يقين من أن الزوايا بشكلها القديم ورغم ما كانت وما هي عليه من جمود أجدى وأنفع للدين والوطن والعباد من هذا المسخ والتشويه الثقافيين اللذين أصيبت بها بلادنا اليوم.

إن جل الذين امتلأت صفحات التاريخ الجزائري بذكرهم، والإشادة بأعمالهم، من مصلحين، وسياسيين، وقادة، ومجاهدين هم من خريجي الزوايا، ومن الذين نشأوا وترعرعوا في أحضانها، وشبّوا على حب الإسلام والوطنية بين جدرانها. ولا بأس من تذكير القارئ الكريم ببعض الأسماء على سبيل المثال:

فالشيخ محي الدين وَهُوَ من هو علما وجهادا كان مقدّم الطريقة القادرية وشيخ زاويتها بالقيطنة قريبا من مدينة معسكر، وهو الذي أنجب البطل المجاهد الأمير عبدالقادر قائد المقاومة الوطنية ضد المحتلين وهو ضريح الزاوية المذكورة، والطريقة القادرية هي التي أنجبت المجاهد ابن ناصر بن شهرة قائد ثورة الصحراء.

والطريقة السنوسية التي دكت الاستعمار الغربي، ودمرت قلاعه، وقضت على أحلامه وأطماعه. وأخرجت زواياها كبار القادة والمجاهدين وكان من أتباعها أبطال ثورات عرفوا بشجاعتهم

وبطولاتهم أمثال الشيخ بوعمامة قائد ثورة الجنوب الوهراني، والشريف محمد بن عبدالله قائد ثورة الواحات الذي سانده ودعمه الشيخ محمد بن علي السنوسي شيخ الطريقة المذكورة، والبطل الشهيد عمر المختار في ليبيا الشقيقة.

وهذا الشيخ بومعزة قائد ثورة الشلف والونشريس من أتباع الطريقة الطيبية، وأما الطريقة الرحمانية التي تعتبر أشد الطرق الصوفية عداوة للاستعمار فإن زواياها المنتشرة في منطقة القبائل والأوراس والشرق الجزائري أحرجت كبار القادة والمجاهدين ويكفي أن نذكر على سبيل المثال الشيخ الحداد، وفاطمة نسومر البطلة التي أقضت مضاجع كبار جنرالات فرنسا، والشيخ الصادق بلحاج، والشيخ بن جار الله، والشيخ عبدالحفيظ الخنقي، والخليفة الحسن بن عزوز، والشيخ بوزيان قائد ثورة الزعاطشة وغيرهم.

أما قائمة العلماء الذين تخرجوا من الزوايا فطويلة جدا ولا يمكن حصرها في مثل هذه العجالة ولكن يكفي أن نذكر منهم بعض الأعلام الذين عرفتهم الساحة الوطنية بنشاطهم في مجالات التعليم والتأليف والإصلاح أمثال: محمد الحفناوي ابن الشيخ صاحب التعريف خريج زاوية الهامل، وعاشور الخنقي صاحب المنار وخريج زاويتي الخنقة ونفطة، ومحمد بن عبدالرحمن

الديسي صاحب التآليف الكثيرة القيّمة وخريج زاوية ابن أبي داود التاريخية.

ومن زعماء الإصلاح في العصر الحديث نذكر الشيخ البشير الإبراهيمي الذي تعلم وعلّم بزاوية ابن علي الشريف بشلاطة والتي كان قد سبقه إليها عمه الشيخ المكي، ومن رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين تعلموا في الزوايا نذكر المجاهد الشهيد والمصلح الصنديد الشيخ العربي التبسي الذي كانت دراسته الأولى وحفظه للقرآن الكريم في زاويتي الخنقة والنفطة، ومحمد خير الدين الذي تعلم في الزاوية العثمانية بطولقة والتي تعلم بها أيضا كل من الشيوخ: عبداللطيف سلطاني، وأحمد سحنون، وعمر دردور. وتعلم بزاوية أولاد جلال المختارية الرحمانية كل من الشيخين: نعيم النعيمي، والمجاهد المصلح محمد العابد الجلالي. وفي زوايا بني يعلى بمنطقة القبائل تعلم الشيوخ: السعيد الصالحي، والهادي الزروقي، والداعية الإسلامي الكبير الشيخ الفضيل الورتلاني وغيرهم رحم الله من مات منهم وأطال في العمل الصالح عمر الباقين.

وعن الزاوية الهبرية بتلمسان تخرج زعيم الحركة الوطنية الجزائرية المرحوم أحمد مصالي الحاج الذي يقول عنه السيد محمد حربي في كتابه ـ الثورة الجزائرية ـ: "فتكوين مصالي

الحاج زعيم هذا التيار يستمد مرجعيته من إسلام الطرق الصوفية". وقد سمعت من السيد أحمد بودرة رحمه الله أن المرحوم مصالي الحاج كان إذا سئل عن برنامجه أجاب: القرآن.

ومن أبطال الجزائر الذين تلقوا دراستهم الأولى وتكوينهم الروحي في الزوايا نذكر البطل الشهيد العربي بن مهيدي الذي تتلمذ بالزاوية المهايدية بعين طيلة، والبطلين الشهيدين: مصطفى بن بولعيد وأحمد بن عبدالرزاق ـ سي الحواس ـ اللذين كانا من نتاج الزوايا الرحمانية بالأوراس. وغير هؤلاء كثيرون رحمهم الله جميعا.

إن فضل الزوايا في تكوين الرجال عظيم وعظيم جدا ولا يستطيع إنكاره إلا جحود أو مكابر، وقد اعترف به كل النزهاء والمخلصين. وقد شذت بعض الزوايا وانحرفت عن مهمتها الأصلية التي أسست من أجلها والمتمثلة في تعليم الأجيال، وتربية الناشئة، ونشر الثقافة العربية الإسلامية، وتحوّل البعض منها إلى بؤر للشعوذة والتدجيل، وأوكار لنشر الخُرَافات والأباطيل. فلله الأمر من قبل ومن بعد.

فعلى الزوايا الصالحة الملتزمة بالخط المستقيم للتصوف الإسلامي الطاهر النقي المستمد من الكتاب والسنة، المتمسك بتعاليمها، عليها أن تقوم برسالتها في النصح والإرشاد والتوجيه

للأخوة الضالين المنحرفين الذين يعرفون من الإسلام إلا اسمه ومن التصوف إلا رسمه حتى يعودوا إلى جادة الصواب ويساهموا بدورهم في نشر العلم والفضيلة وبث تعاليم الإسلام السمحة من أخوة وتسامح وتعاون على البر والتقوى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

زاوية التلمساني بقسنطينة

زاوية ابن محجوبة بقسنطينة

١٦٤٧ - ١٦٤٤

بنيت زاوية التلمساني في عهد حسن آغا وسكنها بعد الاحتلال الفرنسي "سيدات الراعي الصالح" ثم هدمت فيما بعد وأسس في مكانها معبد لليهود ولم يبق منها إلا لوحة من الخشب المطلي محفوظة بمتحف المدينة عليها كتابة تذكارية على أصلها تماما.

جاء في الجزء الأيمن: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله.

هذه زاوية سيدنا محمد الشيخ رحمه الله.

وجاء في وسط اللوحة: نصر من الله وفتح قريب.

وجاء في جزءها الأيسر: بني هذا المسجد على يد سيدنا ومولاناً القطب الرباني سيد علي التلمساني تاريخ ستة وأربعين خلت من القرن العاشر.

أما زاوية ابن محجوبة فشيدت في سنة ١٥٩٤ وأخذت اسم مفتي قسنطيني توفي سنة ١٦٠٨ ولم يبق في هذا البناء إلا الكتابة

التذكارية المنقوشة على لوحة من خشب الأرز على شكل تساوي الأضلاع محفوظة بمتحف الآثار بالجزائر وجاء فيها:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والإصال رجال،

بيت معرفة بالذكر عامرة

فلَهُ قائمة يغفر لمن فيها

وللذي قد أنشأها وأقام البنا

يحي بن محجوبة لله مهديها.

أغفر له ما مضى

وأدخله دار السلام منعما فيها.

هبه الرضى والأمان يوم الزحام.

وامنحه أعلى الجنان يا فوز ما فيها

في عام جش كمل منها البناء وأتم

بالله يا قاري أدعي لمنشئها بالعفو والمغفرة تجاه خير الوَرَى.

اجعلها دائما يتلي للحج حديث بها.

عن سلسلة الفن والثقافة

قسنطينة.

الزاوية الحملاوية الرحمانية

تعتبر الزاوية الحملاوية الرحمانية من الزوايا التاريخية في القطر الجزائري، كما تعتبر الأسرة الحملاوية من الأسر الدينية التي كان لها دور يذكر في تاريخ الجزائر منذ العهد التركي. فقد جاء في كتاب محمد الصالح العنتري . تاريخ قسنطينة . مراجعة وتقديم وتعليق المؤرخ الجزائري المعروف الدكتور يحي بوعزيز أنه عندما تولى جمال يوسف باشا السلطة عام ١٦٤٠/٤٢ قاد حملة في الجنوب الجزائري وسافر معه في هذه الحملة زعماء أولاد مقران، وزعماء عائلة الحملاوي الدينيون، وعندما وصلوا إلى مدينة بسكرة استقبلهم السكان بحفاوة وفرحوا بمقدمهم.

إذن، فالأسرة الحملاوية عرفت منذ تاريخ بعيد بالدين والعلم، والفضل والصلاح، ويرتفع نسبها إلى الأدارسة الحسنيين الأشراف الذين حكموا المغرب الأقصى وأسسوا به الدولة الإدريسية. وقد قدمت هذه الأسرة من مدينة تازة المعروفة بعلمائها المهاجرة، لتحط رحالها في الجزائر وبالتحديد في المكان المعروف . بوفولة . دائرة شلغوم العيد حاليا وكان ذلك في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، التاسع الهجري، ضمن تلك الأسر من المرابطين الذين جاؤوا من المغرب وانتشروا في مختلف جهات الجزائر

واستقروا بين القبائل، وقاموا بدور عظيم في تعليم السكان وتربيتهم تربية إسلامية هذبت نفوسهم، وَوَحَّدَتْ صفوفهم، وجمعت على الخير والصلاح كلمتهم، ونشرت بينهم روح الأخوة والمحبة والتعاون على البر والتقوى وأنشأوا أماكن للعبادة والتعليم.

وفي بوفولة حيث نزلت أسرة ابن الحملاوي تم تأسيس الزاوية. المقر الأول. قبل أن تتحول إلى مكانها الحالي بعين العرس بلدية وادي سقان دائرة التلاغمة ولاية ميلة، وقد أسسها المغفور له الشيخ علي بن الحملاوي بعد تخرجه من الزاوية الرحمانية بصدوق نواحي آقبو. حيث تتلمذ على شيخها البطل المجاهد محمد أمزيان بن علي الحداد شيخ الطريقة الرحمانية الذي لقنه الذكر على طريق أسلافه، وتلقى من الطريقة الرحمانية التي عينه مقدما عليها، وأوصاه بتعليم القرآن الكريم عملا بقول الصادق الأمين. خيركم من تعلم القرآن وعلمه. كما أوصاه بخدمة الإسلام والعربية وحثه على نشرهما والحفاظ عليهما، كما تتلمذ على الشيخ سيدي خليفة تلميذ الشيخ علي بن اعمر رحم الله الجميع.

شارك الشيخ علي بن الحملاوي في ثورة ١٨٧١ إلى جانب زعيمها الروحي الشيخ الحداد، ونفي فيمن نفتهم السلطات الاستعمارية إلى جزيرة كالدونيا حيث بقي هناك أربعة سنوات عاد

بعدها إلى أرض الوطن حيث زج به سجن تبسة وبعد قضاء ثلاث سنوات أطلق سراحه ليسجن مرة أخرى بقسنطينة. وبعد مدة قضاها على رأس الزاوية الحملاوية في خدمة الإسلام والعربية، توفي الشيخ علي بن الحملاوي سنة ١٣١٧هـ ودفن بالزاوية المذكورة.

تولى شؤون الزاوية بعد وفاة مؤسسها ابنه الشيخ الحفناوي الذي لم تتجاوز مدة رئاسته العامين لتنتقل مشيختها إلى أخيه أحمد الذي بقي على رأسها مدة ١٢ سنة ثم أسندت إلى الشيخ عبدالرحمن الذي عرفت الزاوية في عهده تطورا كبيرا، ونشاطا متزايدا.

فبالإضافة إلى تطوير برامج التعليم ومناهجه، واستقدامه لأساتذة أكفاء من شيوخ جامع الزيتونة المعمور، قام الشيخ عبدالرحمن بتوسيع وتجديد المكتبة، وتنظيمها، وإثرائها بنفائس المخطوطات، وأمهات الكتب القيّمة في مختلف أنواع العلوم والفنون ويستفيد من كنوزها العلماء والدّارسون.

وقد قمنا أثناء زيارتنا للزاوية بزيارة هذه المكتبة رفقة الأستاذ الفاضل الشيخ عبدالمجيد شيخ الزاوية الذي فتح لنا خزائنها للاطلاع على بعض ما حوته من عناوين، وكان حفظه الله يقدم لنا

نبذة تاريخية عن كل كتاب أو مخطوط. ومن بين العناوين التي وقفنا عليها نذكر:

نزهة المجالس ومنتخب النفائس.

الفتوحات المكية.

كشف الظنون.

هدي الساري مقدمة فتح الباي على شرح البخاري.

الزرقاني على الموطأ.

ومن المخطوطات نذكر:

مخطوط في الحديث وهو هدية للزاوية الحملاوية من العلامة المحدث الشيخ عبدالحي الكتاني.

الجزء الأول من صحيح البخاري يعود تاريخه إلى ثلاثة قرون.

مخطوط في علم المدفعية يعود تاريخه إلى الحملة الإسبانية على جيجل وفيه خمسون بابا.

كما قام الشيخ عبدالرحمن بوقف ٢٥٠ هكتارا من الأراضي الزراعية الخصبة على الزاوية ولا يزال هذا الوقف المورد الرئيسي لنفقاتها. وقد بلغ عدد الطلبة في عهده ٦٠٠ طالب. توفي الشيخ عبدالرحمن سنة ١٩٤٢ بعد حياة حافلة بالعمل الصالح وخدمة الإسلام والمسلمين.

تولى شؤون الزاوية من بعده ابنه الشيخ عمر المتخرج من جامع الزيتونة المعمور وقد بقي على رأس الزاوية إلى سنة ١٩٦٦. وفي عهده، وبسعي منه ومن ثلة من أهل الخير والصلاح تم فتح المعهد الكتاني في قسنطينة ليكون فرعا للزاوية الحملاوية ويقوم بدور عظيم في نشر الثقافة العربية الإسلامية.

وبمناسبة افتتاح المعهد الكتاني أقيم حفل بهيج أشرف عليه نيابة عن الشيخ عمر الحملاوي الأستاذ البشير صفية من شيوخ تونس الأجلاء الذين درّسوا بالزاوية الحملاوية والذي ألقى بالمناسبة خطابا جاء فيه: "لهذا الغرض وحده فارقت أعز مكان عندي وباشرت التعليم بالزاوية الحملاوية المحفوفة بأسرار القرآن، المزدانة بنغماته المزدهرة بحلقات الدروس العلمية الصحيحة التي صيّرتها قطعة من الزيتونة موضوعة هناك، ولا تسأل عن مسرحها التمثيلي ومكتبتها المزخرفة.

زاولت فيها التدريس عامين في فنون مختلفة، ورتب متعددة، فانتخبت عددا كبيرا من التلاميذ ذهب بعضهم إلى تونس والبعض دخل معمعة الحياة. وفي تلك المدة كانت الفكرة متجهة إلى هذه البلاد وتنظيم التعليم فيها، نشرا للعلم، وإظهارًا للدين، وتوسعة للأفكار، وتسهيلا لتناول الثمرة، وتطهيرا لأخلاق الشباب.

إلا أن هذه الفكرة كانت خيالا وكنا نعمل في عالم هذا الخيال زمنا، والناس بين مفند ومعاند، ونسوا: "لو تعلقت همة المرء بما وراء العرش لناله" وغفلوا عن قول الأديب:

إذا شعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

وقد استجاب القدر والحمد لله. وفي هذا المعهد الكتاني الشريف وهذه المدرسة العتيقة، تُكْسَى قلوب الشباب طهارة، وتهذب نفوسهم بمشفر الوعظ الفرقاني، وتشحذ أذهانهم بمصهر الآداب الإسلامية والأخلاق النبوية، وبهذا العمل الجليل تجتمع إن شاء الله كلمة الأمة، وترفع عنها عوامل التشتيت وعلى كواهل العلماء الأجلاء الأبرار تحمل مسؤولية بث الوفاق، وبعث روح التوادد والتراحم في نفوس أبنائها الذين بهم يكون صلاح هذه الأمة.

فهذا المشروع الذي كان الركوب في شراعه باسم الله هو الذي سيرصّع سماء البلاد الجزائرية بكواكب لمّاعة مشرقة، إذ وظيفته التعليم، وتهذيب الأنفس، وصقل العقول، وتعويد الأمة بالمعروف".

هذه بعض الفقرات التي وردت في خطاب الافتتاح للشيخ البشير صفية التونسي. أما الهيئة العلمية العاملة في المعهد والمدرسة والمشرفة عليهما فتتركب كالتالي:

شيخ الكلية والتمدرس بالمعهد:الشيخ المولود الحافظي الأزهري.

نائبة: الشيخ أحمد الجيلالي.

مدرس: الشيخ الزواوي بن الشيخ الفقون.

مدرس: الشيخ عبدالحفيظ بن الهاشمي
صاحب جريدة النجاح.

مدرس: الشيخ عبدالعالي الأخضري.

شيخ المحراب: الشيخ الطاهر زقوطة.

المسير والمشرف والمدير: الشيخ عمر بن عبدالرحمن بن الحملاوي.

مدير المدرسة والمعلم بها: الشيخ البشير صفية التونسي.

الكاتب العام للمعهد والمدرسة: السيد أحمد بسام.

وكانت المواد التي تدرس في المعهد الكتاني هي: بالإضافة إلى حفظ القرآن، القراءات رواية ودراية، الحديث، التوحيد، الفقه، أصول الفقه، السيرة النبوية، النحو والصرف، والبلاغة، المنطق، الفرائض، التاريخ، الجغرافية، الجبر، الهندسة، الأدب، الإنشاء، الأخلاق وغيرها.

والمتتبع لما ورد في خطاب الشيخ صفية يتبين ضخامة الجهود التي بذلت في سبيل فتح المعهد الكتاني، والمرحلة الصعبة التي تم فيها إنجاز هذا العمل العظيم، الذي أخرج

للجزائر نخبة من الإطارات في كل المجالات العلمية والأدبية والسياسية والإدارية والتي احتلت مناصب سامية في الدولة الجزائرية المستقلة.

ونعود لمواصلة الحديث عن الزاوية الحملاوية في عهد شيخها عمر بلحملاوي الذي تزايد عدد الطلبة في وقته حتى بلغ حسب بعض الإحصائيات ١٠٠٠ طالبا.

دور الزاوية الحملاوية في ثورة التحرير:

كانت الزاوية الحملاوية في مقدمة المؤسسات التعليمية التي لبت داعي الجهاد. فقد أمر الشيخ عمر طلبة الزاوية بالالتحاق بالثورة وهكذا وفي سنة ١٩٥٥ التحق الطلبة زرافات ووحدات بإخوانهم المجاهدين في ثورة التحرير المباركة وتحولت الزاوية من بعدهم إلى مركز يؤوي جنود الثورة ويزودهم بما يحتاجون إليه من غذاء وألبسة وأدوية وسلاح.

وليس هذا مجرد إدعاء ولكنها الحقيقة التي يؤكدها واحد من المجاهدين المعروفين، وهو الشيخ الأخ المجاهد الأستاذ عمار النجار من ضباط الولاية الثانية، ونائب بالمجلس الوطني الشعبي، والكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين بتونس سابقا

في مقال له نشر في جريدة النصر ٨٩/١٢/١٢ حيث يقول عند حديثه عن مؤلف الطريقتين من الثورة التحريرية:

"لقد كانت زواياهم في مختلف جهات الوطن وهذا لا يمكن إنكاره موئلا وملجأ لوحدات جيش التحرير، وأذكر هنا على سبيل المثال زاوية بلحملاوي بوادي سقان ولاية ميلة. لقد كان يلجأ إليها جنودنا بالولاية الثانية وأن رئيسها الشيخ عمر رحمة الله عليه قد فرضت عليه الإقامة الجبرية ونقل إلى مدينة قسنطينة.

كما كانت الكتانية مباءة علمية يؤمها الطلبة التابعون لحزب الشعب وكان من بين هؤلاء الطلبة الأخ العقيد علي كافي أحد رؤساء ولايتنا الثانية" اهـ.

وفي كتابه ـ مجموع النسب والحسب ـ ترجم العلامة الجليل الشيخ بلهاشمي بن بكار مفتي حاضرة معسكر رحمه الله ترجم للشيخ عمر بن الحملاوي فقال:

"هو الشيخ سيدي عمر بن الشيخ سيدي عبدالرحمن الحملاوي رحمه الله، وقد اجتمعت بهذا الرجل العظيم في مدينة الجزائر فرأيت ملكا في صورة مسكين تلذه الأعين وتعظمه القلوب وترضاه الأرواح والعقول ولما هو قائم به في زاويته من العمارة العظيمة ونفع الأمة بتعليم القرآن العظيم ودروس علوم الشريعة في فنون عديدة على وجه منظم، وقد تواتر تخريج

الكثير من التلامذة الناجحين في حفظ القرآن العظيم وتحصيل العلوم من هذه الزاوية. مع ماله من الإرشاد وحسن التربية والنصيحة في الدين من أتباع الكثيرين لهذه الزاوية من المؤمنين عباد الله الصالحين، نفعنا الله ببركاتهم. آمين".

وبعد وفاة الشيخ عمر تولى مشيخة الزاوية أخوه الأستاذ الفاضل عبدالمجيد الذي حفظ القرآن الكريم وتلقى دراساته الأولى في الزاوية، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس لمواصلة الدراسة. وفي سنة ١٩٥٧ انضم إلى صفوف جيش التحرير الوطني إلى سنة ١٩٦٢ ليواصل بعدها العمل في الجيش الوطني الشعبي إلى سنة ١٩٩٢ التي خرج فيها إلى التقاعد برتبة رائد وتفرغ لخدمة الزاوية والسهر على حسن سيرها وتدبير شؤونها.

وأثناء زيارتنا الزاوية وجدناه في استقبالنا، وحظينا لديه بكرم الضيافة وحسن الاستقبال، وجدنا فيه كل صفات الصالح المجاهد، والوطني الغيور على دينه، ولغته، وتاريخه، وتجاذبنا معه أطراف الحديث في مواضع مختلفة دارت كلها حول تاريخ الأسرة الحملاوية والزاوية.

ثم طاف بنا في مختلف أقسام الزاوية، ومرافقها، ومكتبتها، واجتمعنا بطلبتها الذين يبلغ عددهم حوالي ١٥٠ طالبًا جاءوا من نواح مختلفة من الوطن وكانت لنا معهم محادثة قصيرة ولاحظنا

بأن الزاوية قد وفرت لهم بالإضافة إلى التعليم كل ما يحتاجون إليه من أكل ومبيت مجانا وبدون أي مقابل.

وبعد حفظهم القرآن الكريم، وحصولهم على المبادئ الأساسية في علوم اللغة والدين يمنح الطالب شهادة النجاح من طرف الزاوية، تلك الشهادة التي تساعده على مواصلة دراسته ومتابعة تكوينه في الميدان الديني مستقبلا.

والحق أن الأستاذ عبدالمجيد حملاوي يقوم بعمل جبار من أجل توفير كل الشروط اللازمة لمساعدة الطلبة على متابعة دراستهم في ظروف جد حسنة وفي جوّ يحقق لهم النجاح.

والحديث عن الزاوية الحملاوية يجرنا طبعا إلى الحديث عمن درّس بها. فمن الطلبة الذين حفظوا القرآن أو جزء منه وتلقوا بها دراستهم الأولى نذكر: عبدالمجيد الشافعي، والعربي سعدوني، وتركي رابح، وسليمان بشنون، ومحمد بوخروبة المعروف بـ هواري بومدين الرئيس الجزائري الراحل. ومن الشيوخ الذين علموا بها نذكر: العلامة الجليل والفلكي الشهير الشيخ المولود الحافظي الأزهري، والعلامة الشيخ عبدالحفيظ بن الهاشمي، والعلامة الشيخ عاشور الخنقي، والشيخ أحمد الخالدي من بلدة سيدي خالد وخريج جامع القرويين بفاس، والشيخ السعيد اليعلاوي،

والشيخ محمد بلحكيمي. ومن علماء تونس نذكر الشيخين: محمد قريبع، والبشير صفية. رحم الله من مات منهم.

ولا يفوتني أن أشير في هذه العجالة إلى بعض أفراد الأسرة الحملاوية الذين كان لهم دور مشكور في المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي. فمن هؤلاء أذكر الشيخ محمد الشريف بن الحملاوي الذي كان يحتل منصب قائد عامر الغرابة[1] في أواخر العهد العثماني، والذي استشهد مع جماعة من المجاهدين في المعارك الأولى التي سبقت الاستلاء على مدينة قسنطينة سنة ١٨٣٧. وفي تلك المعارك استشهد الحاج رجم الشيخ الحركاتي وعبدالله الأحرش.

ومنهم الآغا أحمد بن الحاج محمد بن الحملاوي الذي كان مستشارا لأحمد باي في ولايته الثانية سنة ١٨٢٢ وكان من القادة المقربين إليه ومن رجال الحرب المعروفين في إدارته وقد ولاه منصب آغا الدايرة كما عيّنه سنة ١٨٣٢ على رأس الجيش في الهجوم على عنابة، وكان يرافق أحمد باي في كل تنقلاته وقد تحدث عنه في مذكراته وعدّه من بين القادة الذين رافقوه إلى الجزائر سنة ١٨٣٠ عند زيارته للباشا كما جرت العادة بذلك وكان

---

[1] وتحته ٥ قبائل.

الرجل محل ثقته وكان من المدافعين عن مدينة قسنطينة في الحملتين. وقد سبق له أن احتل منصب قائد الزمالة في عهد إبراهيم باي الكريتلي (١٨١١-١٨٢٤). وفي عهد محمد مناني باي، الذي ظهرت فيه الفتن، وعمت الفوضى تمّ إيقافه من طرف الباي المذكور، و عند تولي الحاج محمد باي على بيليك قسنطينة وإبرام العقد بينه وبين أعيان البلدة المذكورة نجد إسم الآغا احمد بلحملاوي من بين الاسماء الواردة في نص العقد.

وبعد احتلال مدينة قسنطينة قام الحاكم الفرنسي . نيفريه . بتعيينه خليفة على منطقة فرجيوة قَصْدَ كسبه إلى صفه كما فعل مع غيره من أعيان البلد. ولكن الوالي العام الماريشال فاليه لم يوافق على هذا التعيين وأنحى بالائمة على نيفرية وحَذَّرَهُ من خطورة ابن الحملاوي وسوء نواياه المشبوهة نحو الفرنسيين وأرسل إليه نسخة من التقرير الذي يثبت إدانته والذي جمع معلوماته من أعوانه بالجزائر ومن بين تلك المعلومات أن ابن الحملاوي قد بقي على اتصال بالباي أحمد بعد مغادرته قسنطينة والتحاقه بالأوراس.

كما أنه كان على اتصال بالأمير عبدالقادر بواسطة جمعية سرية كانت تعمل بمدينة قسنطينة لدعم المقاومة الوطنية ومدها بكل ما تحتاج إليه من أموال ومعلومات عن تحركات الجيش الفرنسي وكان من أعضاء هذه الجمعية: عبدالقادر بن

وطاف مسؤول عن المالية، والمفتيان: المالكي والحنفي أحمد بن المبارك، ومحمد بن فتح الله الذي عزلته السلطات الفرنسية في عهد ، تيفريه ـ بسبب انتمائه لهذه الجمعية. وقد بقي الآغا أحمد بن الحملاوي على اتصال بالأمير عبدالقادر بالرغم من تعيينه خليفة على فرجيوة سنة ١٨٣٧ من جهة، وبالرغم من محاولات أحمد باي المتكررة بواسطة المراسلات لصده عن العمل مع الأمير.

وفي الحملة الكبرى التي قام بها بيجو ضد الذين حاربوا فرنسا، وحملوا في وجهها السلاح والتي وقعت بين سنتي ١٨٤١-١٨٤٣ والتي نفي فيها إلى جزيرة سانت مارغريت ما يزيد عن الثمانين شخصية، وكان أكثر المنفيين إليها من قسنطينة وعنابة ومعسكر ومستغانم ثم تلتها بعد ذلك حملات أخرى مست مناطق الأوراس والقبائل. وقد كانت التهم الموجهة إلى تلك الشخصيات تنحصر في المشاركة في المقاومة الوطنية ضد الغزو الفرنسي، وحمل السلاح في وجه فرنسا، والعمل السري مع الأمير عبدالقادر.

ومن بين الشخصيات التي وجدت أسماؤها مسجلة في ملفات المنفيين إلى جزيرة سانت مارغريت سنة ١٨٤٢ بأمر من بيجو نجد السادة: أحمد بن الحملاوي، وعلي بن عيسى الفرجاني، والحسن بن عزوز البرجي. وبالنسبة للخليفة أحمد بن الحملاوي

فقد وجهت إليه التهم المذكورة فكان الحكم عليه بالنفي وبالأشغال الشاقة عشرين سنة من طرف مجلس حربي.

وأثناء مدة نفيه في "سانت مارغريت" قامت زوجة الآغا أحمد بن الحملاوي رفقة ابنها بحملة كبيرة دفاعا عن زوجها مما جعل السلطات الاستعمارية تنقله وتحدد إقامته في أماكن أخرى مثل: . "نوجينت لوروترو" . و . "مو" . إلى أن نقل سنة ١٨٤٣ إلى تونس ولم تأذن له السلطات الاستعمارية بالعودة إلى بلده إلا سنة ١٨٤٥ لتصفية أموره الخاصة لذلك يجهل لحد الآن تاريخ وفاته ودفنه رحمه الله.

ومن أعيان الأسرة الحملاوية نذكر الشيخ عمار بلحملاوي الذي كان من الوجوه البارزة ومن الموظفين السامين في عهد جافر باي ١٨١٤-١٨١٨ حيث كان يحتل منصب قائد الجابري ومهمته تحديد ضرائب أراضي البايلك. وقد ذهب ضحية الفتن والاضطرابات التي عرف بها عهد البايلك باي.

وقبل ذلك بكثير وبالتحديد عام ١٦٤٠-١٦٤٢ تاريخ تولي جمال يوسف باشا، وفي عهد مراد باي نجد من بين الأسر التي كانت تحظى بمكانة مرموقة لدى الباي المذكور. الأسرة

الحملاوية. فقد تحدث محمد الصالح بن القشيري في كتابه. تاريخ قسنطينة[1]. أن جمال يوسف باشا حين زيارته لباي قسنطينة لمعالجة بعض المشاكل التي كان تسبب فيها بعض الجنود الانكشاريين ولجعل حد للفوضى والاضطرابات التي كانت سائدة وقتئذ وليقود من جهة أخرى حملة إلى الجنوب، كان زعماء عائلة الحملاوي الدينية في مقدمة مستقبليه وفي طليعة الذين رافقوه في حملته إلى الجنوب.

وعندما وصلوا إلى مدينة بسكرة التي وجدوا لدى سكانها كرم الضيافة وحفاوة الاستقبال وهذا ما يؤكد قدم هذه الأسرة، والمكانة التي كان أفرادها يحظون بها منذ العهد العثماني.

ومما قيل في مدح الولي الصالح الشيخ علي بن الحملاوي والأستاذ بالزاوية الحملاوية نورد هذه المقطوعات لشيوخ من تونس والجزائر:

نسيم الصبا بالله بلغ تحيتي   إلى ولد الحملاوي شيخي وقدوتي
علي فريد العصر مصاح قطره   ولي زكي قد تحلى بسنه

---

[1] مراجعة وتقديم وتعليق المؤرخ الجزائري المعروف الدكتور يحي بو عزيز.

نزيه عظيم النفس قد عم فضله ... تقي نقي العرض شيخ الطريقة
فصيح لسان عالم ومفخم ... حميد خصالٍ ذو حياء وعفة
حليم كريم خير متواضع ... حباه جميل الستر ثوب المروءة
فلا زال يرقى للمعالي جنابه ... عزيز مقام عند أهل البصيرة
لقد جبه المنان جل جلاله ... وأولاه أسرارا وعلم الشريعة
فيا رب أبلغه المنى وزيادة ... وأعل مقامه لأرفع رتبة
فيا أيها المشهور بالعلم والتقى ... والصفح عن الإخوان بعد الجناية
فهذا عبيد قد أتاكم بعذره ... يريد الرضى منكم وأنجح دعوة
ألَا فا رحموهُ من دعاء جنابكم ... بفتح وتوفيق وأحسن حالة
عليكم سلام من مريد يعزكم ... بتونس يهواكم بخالص نية
ونرجو دعاء الخير منكم فإنني ... محب من الإخوان أهل الطريقة

وللعلامة الشيخ عمر أبو حفص الزموري رحمه الله هذه الأبيات من قصيدة طويلة في مدح الأسرة الحملاوية:

رائد الوصل دنا الوصل فلا ... تبرحن حتى تنال الوطرا
هذه أنوارهم قد لمعت ... من سماء المجد بدر ظهرا
ساقني الشوق إلى تلك الذرى ... منبع الجود ومأوى الوزرا

دعني من هذا فإن فضلهم ذاع قبل وقديما نشرا
انهضا بي لمقام رائق نجمه الصاعد نجن للثمرا
ذاك الله علي طيب حذ عن تعريفه على الورى
هذه الأبيات رفت لكم من أبي حفص[1]

وللشيخ البشير صفية من علماء تونس نقتطف هذه الأبيات من قصيدة طويلة قيلت بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لسنة ١٩٤٦ بالزاوية الحملاوية:

بخير الرسالة يا نفسي حفلت اليوم بالأنس
وأنت في عين العرس مع الزوار والصحب
مكان للعلا حاوي بذكر المصطفى داوي
بجهه الشيخ الحملاوي سليم الصدر والقلب

ومن قصيدة للشيخ الطاهر ابن العلامة حمدان الونيسي:

فما كلُّ الأنوار كنور شمس ولا كل الزوايا كعين العرس[1]

---

[1] نعتذر للقارئ الكريم عن الخلل الموجود في القطعتين فقد تم نقلها عن مخطوطة جد قديمة كتابتها غير واضحة.

وفيما يلي نقدم للقرئ الكريم القانون العام للزاوية.

---

[1] **عين العرس: المكان الذي توجد به الزاوية الحملاوية.**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الزاوية الحملاوية

القانون العام للزاوية الحملاوية

المادة الأولى: هيكلة المسؤولية.

تتوزع خدمات الزاوية على كل من:

شيخ الزاوية ورئيسها العام والمكلف بمهام الإدارة فيها (الشيخ عبدالمجيد بن عبد الرحمن بن الحملاوي)، يساعده كاتب إداري.

مجلس المشايخ للتعليم القرآني والشرعي وهو مكلف بتسيير التعليم وبرمجته.

مجلس للطلبة يقوم بتسيير شؤون الطلبة وتنظيم مرافقهم برآسة "مقدم" يختارونه من بينهم، تتوفر فيه الكفاءة لهذه المهمة. وللمجلس حق تجديد مهمته أو عزله في أي وقت.

لجنة مكلفة بخدمات الزاوية وتموينها.

مجلس تأديبي يتكون من مشايخ التعليم القرآني والشرعي ولمجلس الطلبة حق فرض عقوبات الطرد التي يسمح بها قانون الزاوية.

المادة الثانية: النظام العام للزاوية.

١- الجانب الديني:

الطلبة ملزمون بحضور الصلوات الخمس جماعة في المسجد خاصة صلاة الصبح.

الطلبة ملزمون باتباع مذهب الزاوية وهو مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.

تلقين الأوراد لا يتم إلا من طرف شيخ الزاوية، والطلبة مخيورن في ذلك وفي حضور مجالس ذكرها.

٢- الجانب الأخلاقي:

تمنع منعا باتا كل السلوكات المخلة بالأخلاق، خاصة: . الكلام الفاحش، . التدخين.

يجب طاعة جميع مسيري الزاوية واحترامهم واحترام بعضهم بعضا.

٣- الجانب العلمي:

يجب احترام أوقات الدراسة حسب البرنامج.

تمنع مناقشة الطلبة للاختلافات العقائدية والفقهية إلا في حدود الدراسة.

لا يجوز لأي طالب إحضار كتب تتعارض مع التوجه الفكري للزاوية ومذهبها الفقهي.

تسلم الزاوية للطلبة الحافظين للقرآن الكريم إجازات تشهد بذلك وهذا بعد امتحانهم أمام لجنة مكلفة بذلك.

يحق للطلبة استعارة كتب الزاوية بعد إذن مجلس مشايخ التعليم . أو كاتب الإدارة.

٤- الجانب الصحي:

الطلبة ملزمون بالاعتناء بهندامهم وتنظيف ملابسهم ويمنعون من أي لباس لا يليق بطالب العلم.

يقوم مجلس الطلبة بـ :

أ- تنظيم مهاجع الطلبة واختيار مسؤول لكل مهجع.

ب- مراقبة تنظيف المهاجع والاقسام والنظافة العامة للزاوية.

جـ- مراقبة النظافة داخل المطبخ وتطهيره من كل مسببات الأمراض.

د- مراقبة صحة الطلبة، وإلزام الطالب المريض بالذهاب إلى الطبيب.

يجب ممارسة الرياضة مرة على الأقل في كل أسبوع.

المادة الثالثة:

على كل مسؤول أن يتقيد بحدود مسؤوليته.

لمجلس الطلبة حق جمع إعانات لمن شاء من الطلبة المحتاجين.

يسهر مجلس الطلبة على تفقد أموال الطلبة ومراقبة المتغيبين منهم وفرض العقوبات على الغائبين بدون إذن.

لا يسمح لأي طالب مغادرة الزاوية إلا بإذن من مجلس المشايخ أو كاتب الإدارة.

للطلبة حق استلام شهادات مدرسية من الزاوية تثبت مزاولتهم الدراسة.

من حق الطلبة استلام بطاقات مدرسية من الزاوية شهرا على الأقل، وفي حالة ضياعها تبلغ الجهات الرسمية.

من حق أي طالب أن يعرض مشكلته المادية والمعنوية على شيخ الزاوية أو من ينوب عنه.

تمنع منعا باتا العقوبات الجسدية والإهانات الشخصية.

الزاوية الحملاوية

البرنامج التعليمي للزاوية الحملاوية
المنهج والمقررات

الهدف الأساسي للزاوية هو تحفيظ القرآن الكريم، غير أنها تعتمد البرنامج التالي لتوسيع مدارك ومعارف المنتسبين إليها في العلوم الشرعية والعربية.

أولا: المنهجية.

الطريقة المعتمدة في الزاوية كمنهج تربوي وتعليمي، هي الطريقة القديمة مطعمة بأهم إيجابيات الطرق الحديثة في التعليم وهذا يعني أن الزاوية تتولى تدريس المتون وشروحها، مع مراعاة التدرج الضروري من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، لتمكين الطلبة من الجمع بين حفظ الأساسيات، وفهم التفاصيل والمكملات في كل مادة، مع إتاحة فرصة التوسع حفظا وفهما للطلبة الأكثر استعدادا لذلك وإقبالا عليه. تحت توجيه

الشيوخ. والعربية الفصحى هي لغة التدريس والحوار في حلقات الدرس.

وتخضع الطريقة التعليمية القديمة المعتمدة، لمنهج الانتقاء والتدرج في الارتقاء، دون حشو أو تعقيد، وتطعم بأسلوب الحوار والبحث، وذلك بتدريب الطلبة على التخليص، وتكليفهم بعد ذلك بتقديم البحوث لمناقشتها في حلقات الدرس تحت إشراف شيخ المادة.

وبهذا الجمع بين الحفظ والفهم، وبين منهجية البحث والمناقشة، يتمكن الطلبة، إن شاء الله، من عمق الاستيعاب وجودة التفكير والتعبير.

ثانيا: مراحل التعليم في الزاوية.

تتوفر الزاوية مبدئيا على مرحلتين أساسيتين هما:

١) مرحلة الإعداد:

ويفترض في طلبتها أن يكونوا قد أنهوا المرحلة الابتدائية من التعليم، ليتم إعدادهم في هذه المرحلة، خلال عامين دراسيين، لمرحلة التحصيل أي الثانوية العامة الأصلية.

٢) مرحلة التحصيل:

ويفترض في طلبتها أن يكونوا من حفظة القرآن الكريم وذوي المستوى الإعدادي من التعليم. ويتمكن الطلبة في هذه المرحلة ومدتها أربع سنوات دراسية، من اكتساب شهادة التحصيل (الثانوية الأصلية) التي تسمح لهم إما بالعمل ضمن سلك الأئمة بعد فترة تكوين قصيرة، وإما بمواصلة التعليم العالي في المعاهد والجامعات المختصة بأصول الدين والعلوم الإسلامية. وسيراعي مجلس المشايخ حالات التفوق في المرحلتين في الترقية السريعة والتوجيه العملي أو العلمي. كما سيراعي مدى ضرورة وامكانية إنشاء مرحلة ابتدائية تسبق المرحلتين المذكورتين، على أن يتلقى فيها التلاميذ مبادئ العلوم الضرورية، مع تمكينهم من القراءة والكتابة.

ثالثا: المواد المقررة.

تعتمد الزاوية في مقرراتها، المواد المتفق على تدريسها في أقطار المغرب العربي، وهي:

- الفقه على المذهب المالكي.
- التوحيد: وتدرس فيه متون المذهب الأشعري.
- السيرة النبوية المطهرة، وموجز التاريخ الإسلامي.

التصوف حسب طريقة الجنيد وأتباعه.

قواعد العربية (النحو والصرف) على مذهب البصريين مع المقارنة بالمذهب الكوفي عند الضرورة وحسب الفائدة.

البلاغة والعروض وفن الخطابة.

فن التجويد والترتيل بقراءة ورش، وعاصم.

رابعا: المتون.

المتون التي اختارها المجلس التعليمي لهذه الفترة، أي فترة التحصيل، واما المرحلة الإعدادية، فيركز فيها على تحفيظ القرآن الكريم وتقوية اللغة، إضافة إلى بعض المبادئ الضرورية من المواد المقررة المذكورة.

أولا: في الفقه:

هداية المتعبد السالك.

متن العشماوية.

متن ابن عاشر.

أقرب المسالك لسيدي أحمد الدردير.

سراج السالك في شرح أسهل المسالك.

المختصر لخليل بن إسحاق.

الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

ثانيا: في التوحيد:

مذكرات في علم التوحيد.

متن الخريدة.

متن الجوهرة.

متون الشيخ السنوسي.

ثالثا: في القواعد العربية (النحو والصرف):

جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني.

متن الأجرومية.

متن قطر الندى وبل الصدى لابن هشام.

مختارات من ألفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل. ويستحسن الاكتفاء بالأبيات التي تتعلق بالدروس الأساسية والتكميلية الضرورية في النحو والصرف، وهي الدروس التي لابد منها للتمكن من العربية وقراءة وكتابة ونطقا، دون الدخول في الجزئيات والتفاصيل الإضافية، مما يعتبر من شأن أهل الاختصاص في العربية وآدابها، وعلى سبيل المثال فالبدل المطابق يغني عن

عطف البيان الذي يلتبس به ويتداخل معه. ومثل ذلك الاكتفاء بالتمييز دون الحاجة إلى المنصوب على نزع الخافض، والمجرور لمجاورة المجرور وغير ذلك من تفاصيل أهل الاختصاص.

رابعا: في البلاغة:

البلاغة الواضحة لعلي الجارم مع إضافة شيء من العروض.

خامسا: في التفسير:

صفوة التفاسير للصابوني.

حاشية الصاوي على الجلالين.

تفسير البيضاوي.

في ظلال القرآن لسيد قطب.

سادسا: في الحديث:

الأربعون النووية.

مقرر الحديث.

جواهر البخاري.

رياض الصالحين أو مختصره.

متن البقولية.

نخبة الفكر.

تدريب الراوي.

سابعا: في السيرة والتاريخ الراشدي وموجز التاريخ الإسلامي

تختار لهذه المادة بعض المؤلفات الحديثة الجيدة:

مبادئ المنطق . يمكن الاستفادة من كتاب الدكتور عبدالرحمن بدوي، المنطق الصوري والرياضيات.

عقائد مقارنة: يمكن الاستفادة من المؤلفات القديمة في هذا المجال، كالملل والنحل للشهرستاني أو لابن حزم. وكتاب الشيخ أبي زهرة عن النصرانية واليهودية أو غيره.

في الأدب العربي: تختار نصوص شعرية ونثرية من عيون الأدب العربي قديمه وحديثه، مع مراعاة عدم التوسع، والاكتفاء بما ينمي الثروة، ويرقي الذوق، ويقوي الأسلوب، ويحبذ التركيز على الحكم والأمثال والمواعظ والنوادر والطرائف في النثر والشعر. ومصادر ذلك كثيرة. منها العقد الفريد وطوق الحمامة.

توجيهات منهجية:

يقوم المجلس العلمي بترتيب المقررات في كل مادة وتوزيعها على السنوات الدراسية، وفق منهج التدرج من البسيط إلى المركب.

يختار المجلس من الكتب المتشابهة أقربها إلى مستوى استيعاب الطلبة، مع تجنب الإثقال.

يمكن للمجلس أن يتصرف في هذا المشروع زيادة أو حذفا، حسب ما يراه ضروريا ونافعا.

يحدد المجلس امتحانين أو أكثر في السنة للطلبة في المواد المقررة، على أن تؤخذ البحوث المقدمة بعين الاعتبار في وضع علامات الطالب، بحيث توزع علامات السنة على ثلاثة أقسام: ثلث للبحوث والاختبارات الشفهية، وثلث لامتحان الفترة الأولى، وثلث لامتحان الفترة الثالثة.

وللمجلس أن يتصرف في تحديد هذه المسألة وتوضيحها، لاعتمادها لدى الإدارة وإدراجها ضمن تقاليد الزاوية.

الزاوية الحملاوية

مشروع الخطة التعليمية

أولا:

نظرا للضعف الغالب على التعليم العام وخاصة في مجال اللغة العربية، ونظرا لأن كافة مواد الدراسة في الزاوية، ذات صلة وثيقة وعميقة بالعربية، فإن المجلس العلمي للزاوية، يتجه إلى التركيز في السنة الأولى من كل مرحلة، على مواد اللغة العربية نحوا وصرفا وإملاء وتعبيرا وأدبا، مع تكثيف التمارين والتطبيقات الكتابية بما في ذلك نسخ النصوص النثرية والشعرية المختارة، وصولا إلى تمكين الطلبة من أداتهم اللغوية قراءة وكتابة ونطقا وتعبيرا.

وربما اقتضى هذا التمكين الضروري، الاقتصار خلال السنة الأولى (سنة التاسيس والتمكين اللغوي)، على مواد قليلة من البرنامج الدراسي.

وسيكون الطلبة، بعون الله، مهيئين لتلقي محتوى هذا المنهج، ابتداء من السنة الثانية.

وفي حالة توفر المستوى الكافي لدى عموم الطلبة، منذ البداية، يمكن الشروع فورا في تطبيق البرنامج التعليمي المسطر، مع الاهتمام بدروس العربية، والالتزام بها في حلقات الدرس.

ثانيا:

يجري وضع البرنامج السنوي بتوزيع مقررات السنة على شهور الدراسة، لتسير الدراسة وفق خطة مرسومة. كما يجري توزيع المواد المقررة على أيام الأسبوع، وأهمية المادة هي التي تحدد عدد حصصها اليومية، أو الأسبوعية.

ثالثا:

يعتمد في ترسيخ المعارف والمعلومات المكتسبة، على كتابة الدروس وملخصاتها وقواعدها، وتمارينها، كتابة صحيحة، ونظيفة ومنظمة، وهذا في كافة المواد. ويلزم الطلبة بتخصيص الكراسات المناسبة والمحافظة عليها والعناية بها. وتظل الكتابة ضرورية حتى في حالة توفر الكتاب لدى الطالب.

رابعا:

يستحسن أن تدرس كل مادة بالشرح، والمناقشة، والتلخيص، ثم البحث. وبعبارة أخرى، يستحسن أن يمر الدرس الواحد من كل

مادة بحصة للشرح، وأخرى للمناقشة، وثالثة للتلخيص. ويكلف الطلبة بإعداد بحوث وجيزة مرة في الشهر وبالنسبة للمواد الأساسية إن لم يكن لكل المواد.

خامسا:

يقدم الطلبة امتحانا كتابيا في كل مادة، مرة في الفصل، أو مرتين في السنة.

ويمكن تخصيص امتحانات شفهية مرة في الشهر، بحيث توزع علامات السنة على ثلاثة أقسام، ثلث للاختبارات الشهرية والبحوث، وثلث لامتحان نصف السنة، وثلث لامتحان آخر السنة.

سادسا:

يجري تدريب الطلبة تدريجيا على تقديم الدروس، بدءا بتقديم حديث أو آية مع الشرح في السنتين، الأولى والثانية، ثم التوسع في التقديم خلال السنة الثالثة. ليكونوا قادرين خلال السنة الرابعة على تقديم التطبيق العملي لدروس كاملة في مختلف المواد الأساسية المقررة.

والله ولي التوفيق.

الزاوية الحملاوية

النشاطات الثقافية والتربوية للزاوية

إحياء المناسبات والأعياد لدينية، وأبرز عيد تحتفل به الزاوية وتفتح أبوابها لكل الزائرين هو المولد النبوي الشريف، وذلك بتقديم المحاضرات، وتنظيم حفلات مناسبة يعدها المجلس التعليمي بالتعاون مع مجلس الطلبة.

تنظيم رحلات دورية حسب اقتراح المجلس التعليمي ومجلس الطلبة.

الاحتفال باختتام العام الدراسي، بحفل رمزي توزع فيه الجوائز على الطلبة المتفوقين.

عرض أشرطة فيديو تتضمن محاضرات فكرية وعلمية مما يتناسب مع برنامج الزاوية وأهدافها التربوية والتعليمية.

استضافة محاضرين في مختلف التخصصات لتقديم المحاضرات كلما سمحت الظروف بذلك، وتعويد الطلبة على مناقشة المحاضرين بأسلوب إسلامي وعلمي.

زاوية الشيخ الحسين

من بين الزوايا التي كان لها نشاط محمود في نظر التعليم العربي الإسلامي الصحيح، من تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس علوم اللغة والدين في الجزائر، توجد تلك التي أسسها المغفور له، الشيخ الحسين، حوالي سنة ١٧٩٥م، والتي تحمل اسمه إلى يومنا هذا في بلدية سيدي خليفة ولاية ميلة. وقد عرفت هذه الزاوية أيضا بصومعتها المشهورة التي تحمل بوصلة تحدد الاتجاهات. وقد شيدت تلك الصومعة سنة ١٨٤٥م.

فتحت الزاوية أبوابها للطلبة الذين يأتونها من كل جهات الوطن للدراسة وحفظ القرآن، فكلفت لهم المأوى، والمأكل إلى جانب الدراسة، شأنها في ذلك شأن كل الزوايا في القطر الجزائري.

وقد درّس بالإضافة إلى مؤسسها الفاضل المغفور له الشيخ الحسين، العلاّمة الجليل الشيخ حمدان الونيسي[1]، والعلامة

---

[1] حمدان الونيسي من أعلام الجزائر. ولد بقسنطينة سنة ١٨٥٦ علم بها وكان من تلاميذه رائد النهضة الإصلاحية وفقيد العروبة والإسلام الإمام عبدالحميد بن باديس رحمه الله. هاجر الشيخ حمدان إلى المدينة المنورة

الشيخ عبدالقادر المجاوي[٢] وغيرهما من أهل العلم والفقه والأدب.

وتضم الزاوية مكتبة غنية بنفائس الكتب والمخطوطات ذات القيمة العلمية الكبيرة في التفسير والحديث والفقه والفلك والتراجم وغيرها، ونذكر منها على سبيل المثال:

الكواكب الدرية بتراجم السادة الصوفية.

كتاب الفصيح لثعلب.

نصرة الشرفاء في الرد على أهل الوفاء.

الطبقات الكبرى للسيوطي.

تنوير الحوالك على موطأمالك للسيوطي.

شرح الجمل لابن عصفور.

خزانة الأبرار لمحمد حقي.

واستقر بها إلى أن توفي عام ١٩٢٠م وعمره ٦٤ سنة وهو من تلاميذ الشيخ عبدالقادر المجاوي رحم الله الجميع.

[٢] عبدالقادر المجاوي من رجالات العلم المعروفين بالجزائر، ولد سنة ١٨٤٨م بتلمسان وتوفي بقسنطينة سنة ١٩١٨م، درّس بالمدرستين الثعالبية بالجزائر، والمدرسة الرسمية بقسنطينة.

رحلة الشيخ العياشي.

مغني اللبيب لابن هشام.

شرح التائية المشهورة لابن السبكي.

وكانت زاوية الشيخ الحسين محط رحال الوافدين، والزائرين من مختلف نواحي الوطن وكان من بين زوارها الأئمة الأعلام عبدالحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، العربي التبسي، رحمهم الله ورضي عنهم وأرضاهم جزاء ما قدموا من جليل الخدمات وعظيم التضحيات حفاظا على عروبة الجزائر وإسلامها.

ومن أبناء الشيخ الحسين الذين تركوا على الساحتين، السياسية والإصلاحية بصماتهم، نذكر الأخ الفاضل، الأديب، الأستاذ عبدالحكيم الذي نشأ وترعرع في أحضان الحركة الوطنية، والشيخ العباس الذي كان من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عليه رحمة الله.

زاوية سيدي معمر

هذه الزاوية تقع قريبا من مدينة سدراتة، وقد قامت بدور كبير في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مختلف المواد الدينية واللغوية، وكانت تستقبل الطلبة المتوافدين عليها من جهات مختلفة من الوطن.وقد تعرضتْ في ١٠ جويلية ١٩٥٦ لهجوم جوّي عنيف من طرف طائرات ومدفعية الجيش الإستعماري الذي لم يتردد في قتل النساء والأطفال والعجزة الذين كانوا من بين العائلات والأسر التي تقطن الزاوية وهكذا هدمت الزاوية التي تحولت أيام الحرب التحريرية إلى مركز لأيواء المجاهدين الذين جَنَّد الاستعمار للقبض عليهم قوات كبيرة مجهزة بأحدث الأسلحة، غير أنَّ المجاهدين الذين تفطنوا لهذه المكيدة الاستعمارية فوتوا على الجيش الاستعماري فلم يبق منهم بالزاوية سوى مجاهد واحد واستطاع قبل استشهاده أن يظفر بـ ١٣ جنديًا من الجيش الاستعماري فيقتلهم.

وهناك بالقرب من الزاوية زوايا أخرى كان مصيرها الهدم والتخريب مثل زاوية أولاد شوفة وزاوية البرايقية.

زاوية سيدي عبدالسلام

تقع هذه الزاوية على بعد ٥ كلم من بلدة بني سليمان ولاية المدية، ويعود تاريخ تأسيسها إلى أواسط القرن التاسع عشر، وتنسب إلى الولي الصالح سيدي عبدالسلام الذي يوجد ضريحه بالقرب منها. وقد تعاقب على إدارتها والإشراف عليها كثير من الشيوخ. كان أولهم القائد بويحي عم القائد الأبيض. ثم انتقلت إدارتها إلى أسرتي علمان وصيدرون.

وفي عهد الاستقلال قام بإدارتها الحاج مصطفى الدبزة بمساعدة صيدون الحاج مصطفى الذي يرجع إليه الفضل في إعادة بناء الزاوية وتوسيعها وإدخال إصلاحاتٍ عليها بما في ذلك تجهيزها بالوسائل اللازمة لضمان حسن سيرها كالأفرشة والأسرة، والإنارة، والماء الصالح للشرب، وقد كانت سيدي عبد السلام في عهد الاستعمار تعتمد ككل الزوايا على التبرعات التي يقدمها لها المحسنون من الأغنياء والفلاحين في الجهة.

وتشرف اليوم جمعية سيدي عبد السلام التي أسست سنة ١٩٨٩ واعتمدت كجمعية خيرية برئاسة السيد العربي حادي: وتشرف هذه الجمعية على شؤون الزاوية وتقديم كل المساعدات اللازمة لها، وتوفر لطلابها الظروف الصالحة التي يستطيعون فيها متابعة تعليمهم، بالاضافة إلى المساعدة التي تقدمها وزارة

الشؤون الدينية. كما تمَّ بناء سكن وظيفي لمدرسي الزاوية وهذا بفضل المساعدات التي تتلاقاها الجمعية من أهل البر والاحسان.

يوجد بالزاوية حوالي ٥٠ طالبا يسهرون على حفظ القرآن الكريم وتحصيل مختلف العلوم والمعارف؛ ليتوجهوا الى معاهد تكوين الأئمة والوعاظ، و منهم من يفوز بشهادة البكالوريا؛ التي تفتح له الطريق لمتابعة دراساته العليا، ومما يسجل لهذه الزاوية أنَّ طلبتها حققوا نجاحاً باهراً في مسابقات حفظ القرآن على المستوى الوطنين وفازوا بالمراتب الخمس الأولى على المستوى الولائي.

أما عن طلبة الزاوية فأغلبهم من مدينة البرواقية والسواقي وعين بسام ومن بومرداس. ومما يلفت الانتباه بالنسبة لهذه الزاوية هو مواكبتها للعصر في برامجها التعليمية. فقد عرفنا من خلال التحقيق الذي نشرته جريدة الخبر للصحفي رشيد كعبوب أن الطلبة يزاولون الرياضة في أوقات فراغهم وهو أمر لم نعهده في بقية الزوايا.

زاوية الشيخ العموري

ليس لدينا تاريخ مضبوط لتأسيس هذه الزاوية، غير أن الذي سمعناه وقرأنا لبعض طلبتها، والمتصلين بها يؤكد لنا أن الزاوية أسست في مطلع هذا القرن، وهي تقع بدائرة سيدي عيسى ولاية المسيلة.

وقد عملت منذ تأسيسها ولا تزال تعمل على تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ العلوم الدينية، واللغوية للطلبة القادمين عليها من كل حدب وصوب، موفرة لهم المأوى، والمأكل مدة إقامتهم بها مجانا (وبدون أي مقابل مادي).

وبالإضافة إلى نشاطها التعليمي تقوم بنشاط اجتماعي يتمثل في استقبال الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل وإيوانهم ومساعدتهم.

وقد تخرج من زاوية الشيخ العموري عدد لا بأس به من حفظة القرآن وطلبة العلم الذين يعملون في وزارتي، التعليم والشؤون الدينية كمعلمين، ومدرّسين، وأئمة.[ولا تزال فاتحة أبوابها لكل من يقصدها من العلماء والباحثين للوقوف على ما تقوم به من نشاط ثقافي].

زاوية الهامل الرحمانية

زاوية الهامل الرحمانية من بين المؤسسات التعليمية الكبرى في بلادنا، ساهمت ولا تزال تساهم في الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية في هذه الديار، وعملت ولا تزال تعمل على نشرها في أوساط الطلبة الذين يقصدونها من كل نواحي الوطن. وتقع الزاوية على بعد عشرين كلم تقريبا من مدينة بوسعادة السياحية الجميلة التي تحتل وسط الهضاب العليا موقعا رائعا جعلها محط أنظار السياح من المواطنين والأجانب يَفِدُونَ إليها في كل وقت وحين ينعمون بطيب هوائها ويتمتعون بمناظرها الساحرة الخلابة.

ويعود تاريخ تأسيس الزاوية إلى سنة ١٨٦٣ من طرف الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي المولود بالحامدية قريبا من حاسي بحبح في رمضان سنة ١٨٢٣م تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في بلدته ثم ارتحل إلى زوايا بلاد القبائل لينهل من منابع العلم فيها فقصد زاوية علي الطمار في البيبان وبعدها أمّ زاوية الشيخ ابن أبي داود في زواوة ناحية أقبو حيث ارتوى من منابعها الغزيرة العذبة. وبعد اكمال دراسته بها قفل راجعا إلى بلده بعد غياب دام ثماني سنوات وفي طريق العودة اجتمع بالبطل المجاهد الأمير

عبدالقادر الذي كان مرابطا بجيشه في صحراء الميعدات نواحي التيطري جنوب مدينة الجزائر.

وحظي الشيخ من الأمير بحسن الاستقبال وأخبره بعزمه على تأسيس مشروع للعلم والمعرفة فشجعه الأمير وحثه على إنجازه ودعا له بالتوفيق والنجاح بعد أن أخذ عنه الطريقة القادرية كما أخذ الرحمانية عن الشيخ المختار بن خليفة الجيلالي. وهكذا يكون الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي قادريا رحمانيا. وهكذا استقر المقام بالشيخ في قرية الهامل التي بدأ بها التدريس سنة ١٨٤٤م في مسجد التوتة وكان سرور أهل القرية به وبعمله كبيرا، ولقيت دروس الشيخ إقبالا متزايدا من أهل القرى المجاورة ولم يكن مع الشيخ في أول الأمر من يساعده في عمله هذا بل تولى التدريس فيها بنفسه.

وما كادت سنة ١٨٦٢م تحل حتى شرع الشيخ في بناء الزاوية وبحلول سنة ١٨٦٣م تم بناؤها بجميع مرافقها، وهكذا انتقل الشيخ إليها بتلاميذه الذين ازداد عددهم فبلغ ١٤٠ طالبا تتكفل الزاوية بمؤونتهم، وكان يدرس من كتب التفاسير تفسير الواحدي ومن كتب الحديث شرح العارف بالله سيدي عبدالله بن أبي حمزة تبركا بالكتابين لأنهما من ملك جده الشيخ محمد بن عبدالرحيم. وكانت حلقة درسه في الفقه المالكي تضم أكثر من ٨٠ طالبا.

وبعد تزايد عدد الطلبة وإقبالهم بأعداد كبيرة على الزاوية استعان الشيخ ببعض المساعدين، وكان العلامة الكبير الشيخ محمد بن عبدالرحمن الديسي[1] في مقدمة هؤلاء ثم التحق بالزاوية، للتدريس بها، العلامة المعروف الشيخ عاشور الخنقي الذي لقي من شيخها حسن الاستقبال وكرم الضيافة، فأخذ عنه العهد، ولقنه الورد، ورغب إليه أن يعلم طلبة الزاوية ثلاث علوم: علم العروض، علم القوافي، علم المنطق، فلبى الشيخ عاشور الطلب وقام بالمهمة على الوجه الأكمل فنال رضى الشيخ والطلبة، وبقي بها مدرسا إلى وفاة الشيخ محمد بن بلقاسم سنة ١٨٩٦م.

وبعد وفاة الشيخ عمرت الزاوية ابنته المغفور لها السيدة زينب مدة ثماني سنوات حيث توفيت سنة ١٩٠٤م وقد كانت هذه السيدة الفاضلة في مستوى المهمة التي أدتها على أكمل الوجوه بشهادة الكثير من العلماء وحتى الأجانب الذين كتبوا عنها.

---

[1] محمد بن عبدالرحمن الديسي من العلماء الأجلاء، ألف العديد من الكتب التي طبع بعضها وبقي البعض الآخر مخطوطا لم ير النور. ولد بقرية الديس سنة ١٨٥٤م وتوفي بها سنة ١٩٢١م. رحمه الله ورضي عنه.

أشرف على الزاوية بعدها العلامة الشيخ محمد ابن أخ الشيخ محمد بن أبي القاسم فسار على الطريق التي سار عليها أسلافه. ولما توفي، رحمه الله، عمرها أخوه الشيخ أبو القاسم ثم أخوه السيد أحمد. وبعده قام بأمرها الشيخ مصطفى بن الحاج محمد فعمرها وعمل على تجديد بنائها وإصلاح برامج تعليمها.

والشيخ مصطفى، شيخ الزاوية هو الذي أسس جامعة الزاوية والمعاهد العلمية الدينية الصوفية في القطر الجزائري لخدمة الإسلام والعربية وصيانتهما والدفاع عنهما.

تحدث عن الزوايا الهاملية عدد غير قليل من المؤرخين الجزائريين والأجانب. فمما قاله عنها الأستاذ أحمد توفيق المدني، رحمه الله: "وعلى بعد ١٥ كلم من بوسعادة، نجد المعهد الإسلامي الأكبر، معهد المقدس المبرور سيدي محمد بن بلقاسم الهاملي رضي الله عنه. ولقد أقيمت هناك في وسط القفار زاوية بديعة الصنع حولها الدور ومساكن الطلبة ويجاور بها زمن الشتاء والربيع نحو المائتي طالب يتلقون هناك علوم العربية وفقه مالك ويحفظون القرآن الشريف. والزاوية تقوم لهم بكل شؤون الحياة إلى أن يتموا تعليمهم. وقد تخرج من هذا المعهد رجال لهم قصب السبق في مضمار العلوم الإسلامية. وقد بلغ عدد الطلبة في بداية الثلاثينات ٤٠٠ طالب. ثم اتسعت مع مرور الزمن دائرة التعليم بها إلى أن بلغ عدد طلبتها ١٤٠٠ طالبا.

وقد تخرج الكثير منهم ليحتلوا بعد ذلك مناصب سامية في أجهزة الدولة المختلفة وليساهموا في بناء وترقية وطنهم.

مكتبة الزاوية:

وككل الزوايا المنتشرة في أرجاء الوطن، تملك الزاوية الهاملية مكتبة ضمت حوالي ٥٠٠٠ مجلدا مخطوطا في كل العلوم والفنون غير أن جزءا كبيرا منها تعرض مع الأسف الشديد للنهب والإتلاف وذلك خلال المداهمات التي كان يقوم بها جنود الاستعمار للزاوية بحثا عن المجاهدين، أو عن الوثائق التي تتصل بالثورة. فلم يبق منها سوى ٢٠٠ مجلدا مخطوطا بالإضافة إلى بعض المراسلات والوثائق المتعلقة بثورتي الأمير عبدالقادر والمقراني وبعض المراسلات التي كانت بين شيوخ الزاوية وعلماء الزيتونة والقرويين والأزهر الشريف.

بعض المبادئ العامة للزاوية:

من المبادئ والأسس التي وضعها مؤسس الزاوية لاحترامها والعمل بها:

تحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار ونشر علوم العربية والعلوم الإسلامية.

الاتصال الدائم بالأمير عبدالقادر في منفاه وتلقي التوجيهات منه.

تقديم العون المالي للاجئين من العلماء وطلاب العلم في كل من مصر والشام.

تمتين روابط الصلة مع المجاهدين داخل الوطن أمثال الشيوخ: بلحداد، المقراني، بوعزيز الماضوي، وغيرهم والتشاور معهم.

الابتعاد عن الشبهات التي تمس مجد الوطن وكرامة الأمة.

تبتعد الزاوية كل البعد عن الخرافات والتدجيل والبدع والشعودة.

هذه بعض المبادئ التي طبقها مؤسس الزاوية الشيخ محمد بن بلقاسم الذي كان على اتصال دائم مع قادة الثورات المذكورة.

وقد كانت زاوية الهامل مقصد الكثير من العلماء أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي، ومحمد العابد الجيلالي، ونعيم النعيمي، ومبارك ، ومن الزعماء السيد مصالي الحاج زعيم حزب الشعب الجزائري رحمه الله.

وممن كتبوا عنها نذكر العلامة الشيخ الحفناوي صاحب التعريف، وعلي دبوز، ومحمد بن عبدالرحمن الديسي، والمكي بن عزوز، وعاشور الخنقي، وعباس فرحات، وجميعهم يشيد

بذكرها، ويعترف بفضلها وينوه بما قام به شيوخها وقد عرفت الزاوية في عهد الشيخ خليل القاسمي نشاطا كبيرا، فقد تخرج على يديه الكثير من المثقفين.

مكتبة زاوية الهامل

وتحتوي على نفائس المخطوطات

الزاوية المختارية الرحمانية:

الزاوية المختارية الرحمانية الواقعة بدائرة أولاد جلال ولاية بسكرة هي إحدى الزوايا العريقة التابعة للطريقة الرحمانية والمنتشرة في العديد من جهات الشرق والجنوب الشرقي الجزائري وقد أسست من طرف الرجل الصالح الشيخ المختار بن خليفة الجلالي رحمه الله ويعود تاريخ تأسيسها إلى سنة ١٢٣٠هـ الموافق لـ ١٨١٥م. وقد كان يوصي طلبته بعد إكمال دراستهم عند العودة إلى بلدانهم بتأسيس الزوايا. وقد أشرنا إلى ذلك في موضوع سابق.

وينحدر الشيخ المختار بن خليفة من سلالة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، وقد ولد كما أفادني بعض الشيوخ الذين قابلتهم أثناء زيارتي للزاوية ببلدة سيدي خالد سنة ١٢٠٢هـ الموافق لـ ١٧٨٨م، وفيها نشأ وترعرع ثم استقر ببلدة أولاد جلال التي بنى بها زاويته التي أصبحت بعد تأسيسها كعبة طلبة العلم

وحفظة القرآن الكريم من واحات الزيبان ومناطق الجلفة وغيرها من جهات أولاد نايل المترامية الأطراف. وكانت الزاوية تقدم لهم ما يلزمهم من مأكل وتوفر لهم المبيت مجانا ككل الزوايا في الجزائر إلى أن يحفظوا القرآن حفظا متقنا مع محصول لا بأس به في العلوم الدينية واللغوية.

وبعد وفاة الشيخ المختار الذي كان يسهر على رعاية شؤونها بنفسه سنة ١٢٧٦هـ الموافق لـ ١٨٥م تولى أمور الزاوية الشيخ محمد الصغير الذي عرفت الزاوية في عهده سعة في العلم والعمران وازداد عدد طلبتها حتى بلغ حسبما رواه بعض الشيوخ ٥٠٠ طالب العلم وحفظة القرآن.

الزاوية المختارية بدائرة أولاد جلال

ولاية بسكرة

وبعد حصول الطالب على مستوى لا بأس به في مادتي الفقه والنحو يسمح له بمتابعة الدروس في المواد الأخرى التي كان شيوخ الزاوية يعتبرونها ثانوية مثل التفسير والحديث والأصول والبلاغة والعروض وقليل من علمي المنطق والفلك.

وقد حظيت الزاوية المختارية بسمعة طيبة في أوساط طلاب العلم وذلك نظرا لبرنامجها العلمي الثري بمختلف المواد من جهة وللشيوخ الذين كانوا يعلمون بها والذين عرفهم العام والخاص بتمكنهم وتضلعهم وتبحرهم في مختلف العلوم والفنون وفي مقدمتهم الشيخ العايد السماتي والد المجاهد والمصلح محمد بن العايد الجلالي رحمه الله. والشيخ مصطفى بن قويدر مبروكي والشيخ بوالأنوار ابن محبوب. وبالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ الأجلاء كان بالزاوية شيوخ مختصون في تحفيظ القرآن مثل الشيخ محمد بن زبير السماتي، ومحمد شبيرة، وأحمد البوذني.

وقد عرف الشيخان: العايد ومصطفى بن قويدر بالورع الشديد والتعبد الدائم، ووقوفهما عند حدود الشرع. وكانا على اتصال وثيق بالحركات الإصلاحية، والهيآت الثقافية في المشرق بواسطة الكتب والمجلات والجرائد التي كانت تأتي بانتظام، وكانت للشيخ العايد محاولات موفقة في نظم الشعر في موضوعات مختلفة في التصوف.

وقد لاحظنا خلال زيارتنا للزاوية نوعا من الإهمال والتسيب وعدم الإعتناء بها، حتى أننا لم نجد مع الأسف الشديد من يستقبلنا بها من الأسرة المختارية، وأننا نتمنى مخلصين أن يعاد لها اعتبارها ونشاطها العلمي الذي عرفت به منذ تأسيسها.

ويكفينا فخرا أنها أخرجت أجيالا من رجال العلم والفقه والأدب والإصلاح والوطنية أمثال العلامة الجليل شيخنا نعيم النعيمي، والوطني الغيور الشيخ محمد بن العابد الجلالي الذي أحرج للجزائر أمثال البطل الشهيد العربي بن مهيدي والشيخ الصالح ساكري والشيخ الصادق رحماني وغيرهم، رحم الله الجميع.

ونختم هذه الكلمة عن الزاوية المختارية الرحمانية بما عرف عن مؤسسها الشيخ المختار من أنه اشتاقت نفسه في حال بدايته إلى شيء من الأكل فعاقب نفسه بصيام ثلاثة عشرة سنة يقوم ليلها

ويصوم نهارها وكان كثير الإنشاد في مدح شيخ شيخه سيدي محمد بن عزوز رحمهم الله جميعا.

وقد رثاه علامة المغرب العربي الشيخ محمد المكي بن عزوز البرجي الجزائري دفين اسطمبول رحمه الله ورضي عنه بقوله:

فقد الهداة منَ الورى ليل دجا ... من صد مة الإسلام أصبح مزعجا

لاسيما شيخ جليل بادخ ... بدر الرشاد ومنه شاد الابرجا

كالسيد المختار منشور الهدى ... كم من رجال في الطريقة درجا

سعدت بتربيته بنو جلال قد ... أضحت منارا في البلاد مزبرجا

أمسي مجاور خالد بن سنان العبسي ... نبي الله مفتاح النجا

نعم الجوار اختار لكن ذاته ... حجبت كشمس بعدها ليل دجا

فجعت بذاك واسط الغرب التي ... أحيا بذكر الله فيها المنهجا

لولا خليفة محمد الذي ... بعلوم كرب المصيبة فرجا

لكن حضرة ذات الشريف القاسمي ... اصطفا طريقا في القلوب توهجا

متعت يا مختار في دار البقا ... بزيادة الحسنى ونلت المرتجى

يوم الرحيل أتت ملائكة الرضى ... تسعى ووجه البشر ثم تبلجا

زفوا بروحك كالعروس عزيزة ... لك رافعون على الآلف متوجا

جنات عدن زخرفت وببابها رضوان مأمور رابها متبهجا

والحور رافلة صفوفا كالطب مقصورة بخيا مهن على رجا

ولو أنهنن عن تلك الحلا لأجبن وهي تؤرخ: المختار جا

هذا هو الشيخ المختار الذي كان له في المقاومة الوطنية دور يسجل له بكل فخر واعتزاز وذلك بوقوفه إلى جانب المجاهد بومعزة في ثورته ضد الاحتلال الفرنسي فقد ذكر المؤرخ الجزائري الدكتور أبو بكر القاسم سعدالله في كتاب الحركة الوطنية الجزائرية ما يلي: "وكانت الطرق الصوفية المناضلة تتجاوب مع بعضها تلقائيا، ذلك أن الشيخ المختار بن عبدالرحمن رئيس الزاوية الرحمانية بأولاد جلال قد تبنى قضية الثورة ونسق جهوده مع الشريف بومعزة الذي ظهر في المنطقة خلال سنة ١٨٤٦م" اهـ. ويؤكد هنا ما ورد في تقرير القائد الأعلى لجيوش الاحتلال (دي تورجيل) بشأن الشيخ المختار، وقد سبقت الإشارة إليه.

الزاوية العثمانية الرحمانية

تعد منطقة بسكرة المترامية الأطراف من المناطق الجزائرية التي انتشرت بها الزوايا في مختلف جهاتها. ولعل أقدم تلك الزوايا زاوية المرابط السني الشيخ سعادة الرحماني بالقرب من طولقة. وقد أشار إليها المؤرخ الكبير العلامة ابن خلدون عند حديثه عن هذا المرابط العظيم وما وقع له مع ابن مزني بقوله: "وأوعز ابن مزني إلى أهل طولقة بالقبض على سعادة فخرج منها بطولقة وابتنى بأنحائها زاوية ونزل بها هو وأصحابه" اهـ. وقد كرر لفظ الزاوية في نص ابن خلدون وزاوية سيدي رحال بين فوغالة والعمري.

وزاوية سيدي خالد بالقرب من أولاد جلال وقد تحدث عنها الرحالة الزياني في رحلته وذكر أنه اجتمع بطلبتها. وزاوية العلامة عبدالرحمن الأخضري ببلدة بنطيوس التي زارها الكثير من الرحالة وتحدثوا عنها ومن بينهم الورتيلاني الذي أشار إليها في رحلته. وزاوية الزعاطشة لشيخها بوزيان الدرقاوي الرحماني، وزاوية سيدي ابن رمضان ببلدة البرانيس، وزاوية الخنقة لشيخها عبدالحفيظ. وزاوية الشيخ المختار بأولاد جلال وعرفت الزاوية في بلدة الفاتح عقبة بن نافع الفهري في القرن التاسع الهجري.

وزاوية الشيخ محمد بن عزوز البرجي شيخ الطريقة الرحمانية وناشرها في مناطق الصحراء والتي تخرج منها كبار العلماء أمثال عبدالحفيظ الخنقي، الصادق بلحاج، الهاشمي بن علي دردور، المختار بن خليفة الجلالي، وعلي بن عمر مؤسس الزاوية العثمانية موضوع حديثنا.

وتقع الزاوية العثمانية في مدينة طولقة من دوائر ولاية بسكرة وهي أكثر الزوايا نشاطا، وأحسنها تنظيما، وقد تم تأسيسها سنة ١٧٨٠ من طرف الولي الصالح الشيخ علي بن عمر رحمه الله بوصية من شيخه العارف بالله، الشيخ محمد بن أحمد بن يوسف المعروف بابن عزوز البرجي الذي كان يوصي طلبته بعد إكمال دراستهم عليه والعودة إلى بلدانهم بتأسيس الزوايا التي كانوا يرون فيها الحصن المنيع للحفاظ على الإسلام ولغة الإسلام.

وكذلك كانت الزاوية العثمانية بفضل مؤسسها خيرا وبركة للبلدة وما جاورها من المدن والقرى والمداشر يقصدها الصغير والكبير فتحفَّظهم القرآن الكريم، وتفقَّههم في الدين فأثمر على بركة الله وباسمه غرسه، وبارك الله في زاويته التي لا تزال منذ تأسيسها إلى يومنا هذا معقلا من معاقل الإسلام، وموئلا للعروبة، فاتحة أبوابها لطلبة العلم والقرآن الكريم، والباحثين والدارسين، كل يجد مبتغاه، ويسأل من العلم والمعرفة ما يتمناه.

منظران للزاوية العثمانية الرحمانية

بدائرة طرلقة ولاية بسكرة

وقد تحدث العالم الجليل الشيخ ابن أبي القاسم الديسي المعروف بابن عروس رحمه الله وهو من شيوخها الأولين الذين درسوا بها فقال عن طلبتها الذين كانوا يلازمون حلقات دروسه بأنهم قدموا إلى الزاوية من مختلف المدن والأقطار القريبة والبعيدة فمن بنطيوس إلى بسكرة وسيدي عقبة ومن القنطرة إلى أولاد جلال ومدوكال ومن قسنطينة إلى وادي سوف ومن نفطة إلى الأغواط، إلى غيرها من المناطق.

ونعود إلى مؤسسها الشيخ علي بن عمر رحمه الله الذي تذكره المصادر التي تحدثت عنه أنه نشأ ببلدة طولقة نشأة الصالحين متجردا للعبادة، منقطعا لقراءة القرآن الكريم، متفرغا للذكر، ميالا للخلوة حتى أنه اتخذ لنفسه مكانا في جبل قريب من بلدته قصد التأمل والتفكر وهو في ذلك يقتدي بسيد الكائنات صلى الله عليه وسلم حين اتخذ من غار حراء مكانا لنفس الغرض.

أخذ الشيخ علي بن عمر رحمه الله العلم والتصوف عن شيخه محمد بن عزوز البرجي وتخرج من زاويته مع نخبة من العلماء

الصالحين أمثال: المدني التواتي، مبارك بن خويدم، الصادق بن رمضان وغيرهم. وقد ربطته بشيخه رابطة مصاهرة بعد زواجه بابنته التي أنجبت الشيخ علي بن عثمان شيخ الزاوية فيما بعد ومؤسس المكتبة العثمانية المنسوبة إليه.

ويتصل نسب الشيخ بالحسن السبط ابن فاطمة البتول بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام وابن الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه.

كانت وفاته رحمه الله في بعض المصادر سنة ١٢٥٣هـ الموافق لـ ١٨٣٧م وتشير مصادر أخرى إلى أنه توفي سنة ١٢٥٩هـ الموافق لـ ١٨٤٣م وهو يسعى للصلح بين فرحات بن سعيد وابن قانة وقد كان رحمه الله يُلْزِمُ نفسه بعدم التدخل في الشؤون السياسية والحفاظ على مركزه الديني، ونفوذه الروحي للإصلاح بين الناس وإطفاء نيران الفتن التي كانت تشتعل بين طوائف المسلمين من حين لآخر.

وقد كان قبل وفاته أوصى بالإشراف على شؤون الزاوية لصهره الشيخ مصطفى بن عزوز الذي لم تطل مدة رئاسته لها حيث قرر الهجرة إلى نفطة بالجريد التونسي وفيها طاب له المقام فأسس بها زاويته المعروفة التي أصبحت قبلة طلاب العلم من كل مكان

كما كانت ملجأ للمجاهدين والمواطنين المضطهدين من طرف السلطات الاستعمارية.

وقد درس بها وتخرج منها عدد كبير من العلماء الأعلام الذين كان لهم في مجالات التعليم والتأليف والإصلاح شأن يذكر ومن بينهم نشير على سبيل المثال إلى العالمين الكبيرين: الشيخ عاشور الخنقي صاحب كتاب المنار المعروف والشيخ الشهيد المصلح الكبير العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رحمهم الله جميعا.

ولا بد من وقفة عند الشيخ مصطفى بن عزوز الذي أصبح له بالقطر التونسي فيما بعد شأن عظيم حيث استقر بنفطة سنة ١٢٥٧هـ وقد تحدث عنه الشيخ ابراهيم خريف والد الشاعر الفحل مصطفى خريف في كتابه . المنهج السديد . في التعريف بقطبر الجريد . فقال: "خلال سنة ١٢٥٧هـ ورد على بلدة نفطة من بلاد الزاب مهاجرا، القدوة المرشد بن عزوز البرجي فاستوطن مع عائلته وعدد كبير من أتباعه وأشياعه فأقبلت عليه البلاد وهرعت عليه العباد يلمسون بركه ويستلمون فيوضاته ثم أحدث زاويته المشهورة المشتملة على عدد كبير من المساكن لايواء الواردين عليها من كل صقع وأنشأ بها بيوتا لسكن المنقطعين لقراءة القرآن وتعلم العلوم على اختلاف مشاربها" اهـ.

وجاء في تراجم الأعلام للعلامة محمد الفاضل ابن عاشور أن شهرة الشيخ مصطفى بن عزوز ملأت الأصقاع وأن مناطق نفوذه الديني متصلة غير محدودة وذلك بما كوّن حوله من عصبية متينة من الأتباع قائمة على الزوايا المنسوبة إلى الطريقة الرحمانية المتفرعة في القطرين الجزائري والتونسي.

وحظي الشيخ مصطفى بن عزوز رحمه الله لدى السلطات الحاكمة في تونس يومئذ بمكانة مرموقة من التقدير والاحترام وخاصة لدى الباي محمد الصادق الذي تولى الحكم في تونس بين سنتي ١٨٥٩م و١٨٨٢م.

وتتحدث بعض المصادر التاريخية في تونس بكل إكبار وإجلال عن الدور العظيم الذي قام به الشيخ مصطفى بن عزوز في تهدئة ثورة علي بن غداهم سنة ١٨٦٤م حيث توسط بينه وبين الباي، والحق أن هذه الوساطة لم يكن ليكتب لها التوفيق والنجاح لولا الرصيد الكبير مِنَ الاحترام والتقدير الذي كان يتمتع به الشيخ من الجانبين المتخاصمين.

ويشير المؤرخ التونسي المعروف ابن أبي الضياف في كتابه - اتحاف أهل الزمان - إلى الرسالة التي وجهها علي بن غداهم إلى العلامة المفتي المالكي ابن العباس الشيخ أحمد بن حسين الكافي يوم السبت ١٨ صفر سنة ١٢٨١هـ الموافق لـ ٢٣ جويلية سنة

١٨٦٤م ومما جاء فيها متحدثا عن الشيخ مصطفى بن عزوز قوله: "... وها نحن اتفق رأينا بالإمكاث ومترقبين لقدوم شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة سيدي مصطفى بن عزوز".

ومما قاله ابن أبي الضياف عن الدور الذي قام به الشيخ في هذه القضية: "ولم يزل الحال في اضطراب وشدة إلى أن قدم من الجريد بركة القطر المشار إليه بالبنان المتدرج في مقامات العرفان الوالي السالك المحبب لعباد الله شيخ الطريقة الرحمانية أبو النخبة الشيخ مصطفى بن عزوز واجتمع بعلي بن غداهم ووجوه جموعي وقد مسهم نصب الملل بعد أن أخذ لهم الأمان من الباي واستثوق منه بالعهود والإيمان. وقرأ للباي قوله تعالى: (ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) ثم قال لهم: ولا جواب لكم عند الله تعالى في إراقة دماء المسلمين وقد أعطاكم الباي الآمان على يد أمير المحلة وخفف خشية إراقة الدماء، وقال لعلي بن غداهم: "أنت لست بقائم تطلب ملكا وزعمت أنك جامع عصابة شاكية لكف عادية جهالها وقد زال السبب فلا بد من أن يزول المسبب، وقد عطلتم الناس على السعي ابتغاء رزقهم". كما قام الشيخ مصطفى بن عزوز بأدوار مماثلة لنفس الغرض في نشر الرحمة والسلام في بلاد تونس مثل مناطق جلاص والهمامة وأعيان القلعة الكبرى وإعادة ولائها إلى الباي.

إن ما قام به الشيخ مصطفى بن عزوز من أدوار عظيمة في إطفاء نار الفتنة بالبلاد التونسية يشبه إلى حد كبير ما قام به بطل الجهاد والمقاومة الأمير عبدالقادر رحمه الله في بلاد الشام من مساع وما بذله من جهد في سبيل التوفيق والصلح والقضاء على الفتنة التي شبت في بلاد الشام بين أبناء الوطن الواحد وعلى كل حال فالصلح بين المؤمنين من تعاليم ديننا الحنيف والتي لا تزال إلى يومنا هذا من الوضائف الهامة التي يقوم بها شيوخ الزوايا حيثما وجدوا وحيثما حلّوا وارتحلوا والشيء الذي من مأتاه لا يستغرب.

والحديث عن الشيخ مصطفى بن عزوز يقودنا حتما إلى الحديث عن الخليفة الحسن بن عزوز الذي يعتبر من الوجوه البارزة في عهد المقاومة الوطنية بقيادة البطل الأمير عبدالقادر رحمه الله فقد عينه الأمير خليفة على مقاطعة الزاب بعد عزل فرحات بن سعيد الذي لم تطل مدة خلافه إلا قليلا.

وقد أشرف على حفل تنصيب الحسن بن عزوز على الزاب أخ الأمير عبدالقادر السيد مصطفى بن محي الدين رفقة محمد البركاتي على رأس فرقة عسكرية وذلك سنة ١٨٣٩ وبعد تنصيبه مباشرة شرع الخليفة الحسن بن عزوز في أداء مهمته بحزم ونشاط فقام بإنشاء جيش قوي للدفاع عن الوطن والحفاظ على سلامة

البلاد والعباد، واتصل بالأعراش وأرسل أعيان الزاب ووجهاءه وأعد العدة لمقاومة الأعداء ومحاربتهم.

وأظهر من ضروب الشجاعة ما جعل مؤرخي الأعداء يكتبون عنه، فقد جاء في المجلة الإفريقية قول سيروكا: (أن الحسن اكتسب التدريب العسكري من عمله في زمالة فرحات بن سعيد ثم قال: أن له صوتا يشبه زئير الأسد وأنه كان فارسا مقداما) اهـ. كما اعتبره حاكم قسنطينة (نيقريية) من أخطر العناصر وطلب عدم السماح له بالعودة إلى الإقليم مطلقا).

ورغم شجاعته وحزمه فقد اضطر في مارس ١٨٤٠م إلى الانسحاب إلى المسيلة التي كان بها وقتئذ الخروبي ممثل الأمير عبدالقادر وأخوه. وبقي الحسن رغم الظروف القاسية التي كان يواجهها. بقي يخطط للعودة إلى الزاب لمواصلة الجهاد وحث الناس وتحريضهم على المقاومة وعدم الاستسلام إلى أن احتلت المسيلة من طرف الغزاة.

وهكذا ألقي عليه القبض من طرف أحمد عقراني الذي سلمه إلى الفرنسيين فتم نفيه إلى جزيرة "سانت مارغريت" سنة ١٨٤٢ مع علي بن عيسى وأحمد بن الحملاوي. فبقي في الجزيرة المذكورة ٢٦ شهرا، نقل بعدها إلى سجن عنابة حيث توفي سنة ١٨٤٧م.

وللخليفة الحسن بن عزوز رحمه الله عدة رسائل وكتابات كثيرة وقد طلب في بعضها إطلاق سراحه وسراح أخيه محمد بن عزوز الذي كان مقدما للطريقة الرحمانية للتوجه إلى المشرق.

ومن أبناء الأسرة العزوزية الأعلام نذكر العلامة الكبير الشيخ المكي بن عزوز صاحب التآليف العديدة والكتب القيمة المفيدة، المتوفي سنة ١٩١٦م بالاستانة وهو ابن الشيخ مصطفى بن عزوز السابق الذكر وجده للأم الشيخ ابن أبي القاسم الديسي من شيوخ الزاوية العثمانية الأوائل.

ولا يذكر الشيخ المكي بن عزوز إلا ويذكر معه ابن اخته العلامة الكبير الشيخ محمد الأخضر بن الحسين بن علي بن عمر الجزائري الطولقي الأصل الذي بلغ من العلم منزلة أهلته لمشيخة الأزهر بعد أن صال وجال في عالم التدريس به وبجامع الزيتونة والجامع الأموي في عالم الصحافة حيث مقالاته في اللغة والأدب والتاريخ والاجتماع تملأ صفحات مجلته "السعادة العظمى" التي تعتبر أول مجلة تصدر بالقطر التونسي الشقيق، أما مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون فحدث ولا حرج.

وبعد هذه الجولة الخاطفة نعود إلى الزاوية العثمانية التي تولى أمرها بعد رحيل الشيخ مصطفى بن عزوز كبير ابن علي بن عمر وهو الشيخ علي بن عثمان الذي أشرف على تسييرها ولم

يتجاوز من العمر ١٨ سنة فأدى الرسالة على أكمل وجوهها، وأدخل على الزاوية من الإصلاحات ما كانت هي في حاجة إليه، ومن آثاره وكما أشرنا إليه المكتبة العثمانية التي تعتبر اليوم من أهم المتكبات وقد توفي رحمه الله عام ١٣١٦هـ ودفن خلف والده.

تولى مشيخة الزاوية من بعده ابنه الأكبر الشيخ عمر بن علي وسنه ٤٦ سنة فكان خير خلف لخير سلف، وقبل وفاته سنة ١٣٤٠هـ شارك في انتفاضة عين التوتة سنة ١٩١٦ ضد الاحتلال الفرنسي للمنطقة، قام بشؤون الزاوية من بعده أخوه الشيخ الحاج بن علي بن عثمان الذي سهر على عمارتها والاهتمام بمكتبتها التي أثراها بنفائس المخطوطات، وقد عرف رحمه الله باقتناء الكتب والمحافظة عليها والعمل على تنظيمها وترتيبها حتى أصبحت المكتبة في عهده، تحتوي على المئات من المجلدات والمخطوطات القيمة التي قد لا يجدها الباحث في غيرها من المكتبات الأخرى، وقد كانت للشيخ الحاج علاقات وطيدة مع كبار العلماء داخل الوطن وخارجه، كما كانت له مراسلات مع الأدباء والمثقفين في الجزائر وفيما يلي ننشر هذه الرسالة التي بعث بها إليه الأستاذ محمد راسم في الجزائر.

الحمد لله وَحْدَه.

سليل الأماجد الكرام وقدوة العلماء الأعلام، الأستاذ سيدي الحاج بن علي بن عثمان الهمام أطال الله بقاءه، وبلغ في الدارين آماله، بعد السلام عليكم ورحمة الله والتحية والاحترام، أقدم لجنابكم عبارات الشكر لما تفضلتم به علينا من الإحسان والإكرام مما لا ننساه مدى الدهر والأيام، لا أعدم الله العصر من وجودكم ودمتم في عز واحترام. والفناء لكم من ابنكم.

ربيع الثاني محمد راسم الصنهاجي سنة ١٣٥٧

الجزائـــر

وقد كانت وفاته سنة ١٩٤٨ ومنه انتقلت مشيخة الزاوية إلى ابن الشيخ عبدالرحمان صاحب كتاب "الدر المكنوز" وقد بقي على رأس الزاوية مدة طويلة سار فيها على نهج أسلافه في الحفاظ على سمعة الزاوية والسير بها نحو أهدافها التي أسست من أجلها وكانت له في ثورة التحرير مواقف مشرفة حيث تعرض للسجن والنفي بسبب مشاركته ككل الأحرار في معركة الجهاد المقدس، وقد توفي رحمه الله بعد عودته من البقاع المقدسة سنة ١٩٦٦.

وبعد وفاته اتفقت الأسرة العثمانية على إسناد مشيخة الزاوية لأخيه الأستاذ الفاضل الورع عبدالقادر عثماني الذي قبل المسؤولية على ثقلها ومشقة أعبائها، ولم يبخل عليها بجهده ووقته وقام بعمل جبار من أجل تجديد بنائها وتوسيعها وتزويدها

بكل ما تحتاج إليه من المرافق العامة التي تتطلبها مقتضيات العصر الحديث. فأصبحت بفضل ذلك من أكبر المؤسسات العلمية ومن أهم الزوايا على المستوى الوطني من حيث تنظيمها الدقيق.

كما يجدر بنا أن نسجل هنا ما يقوم به شيخها الفاضل طوال يومه وجزء من ليله من نشاط كبير في إدارة شؤون الزاوية والسهر على السير الحسن للتعليم بها والحرص الشديد على الأخلاق والآداب والانضباط بين طلابها، واستقبال الزوار والمتوافدين عليها من كل الجهات للبحث والدراسة وأخذ رأي الدين في مختلف المشاكل والمسائل التي تحدث للناس لا يريد جزاء ولا شكورا من أحد إلا الجزاء الأوفى من المولى تبارك وتعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي إليه بقلب سليم.

طلبة الزاوية:

يوجد بالزاوية حوالي ١٤٠ طالبا قدموا إليها من مختلف جهات الوطن مرابطين بها لحفظ القرآن الكريم، وتلقي بعض المبادئ في العربية والفقه، ويتم التعليم في إطار نظام داخلي وتوفر الزاوية لطلبتها كل ما يحتاجون إليه، وتتكفل بمأكلهم ومرقدهم مدة إقامتهم بها إلى أن يتموا تعليمهم. كل ذلك مجانا بدون أي مقابل. وكل ما يطلب منهم هو الجد والاجتهاد والسهر على حفظ

القرآن الكريم وطلب العلم وألا تتجاوز مدة الدراسة بها أربع سنوات.

إن الزائر للزاوية العثمانية ليشعر بالسعادة تغمر قلبه وهو ينصت إلى الطلبة من مختلف الأعمار يتلون كتاب الله ويكررون سوره وآياته بأصوات ملائكية عذبة لا تتوقف إلا لأداء الصلوات المكتوبة في مسجد الزاوية الجامع. ويتنافسون في حفظه، ويتسابقون إلى الفوز بحسن ترتيله ورسمه. وفقهم الله وسدد خطاهم.

المكتبة العثمانية:

الحديث عن الزاوية العثمانية يقودنا إلى الحديث عن المكتبة العثمانية التي تعد من أهم المكتبات وأغناها لما تتوفر عليه من كتب قيمة، وما تحويه من نفائس المخطوطات في مختلف العلوم والفنون، تلك الكتب والمخطوطات التي قد لا يجد مثلها الباحثون والدارسون في غيرها من المكتبات سواء داخل الوطن أو خارجه.

وقد زرناها رفقة الأستاذ عبدالقادر الذي تفضل مشكورا باطلاعنا على الكثير من عناوينها، ودعانا لزيارتها للاستفادة من كنوزها. وقد زارها بعض الباحثين الجزائريين وفي مقدمتهم

المؤرخ الجزائري الكبير الأستاذ أبو القاسم سعدالله صاحب التآليف المفيدة.

شيوخ الزاوية وتلاميذها:

عرفت الزاوية العثمانية منذ تأسيسها وُجُوهًا بارزة من أهل العلم علموا بها وانتصبوا لتدريس طلبتها ونذكر من بين أولئك الأعلام الشيخ ابن أبي القاسم الديسي المتوفي سنة ١٤٠٠هـ وهو والد العلامة الجليل الشيخ الحفناوي صاحب كتاب ـ التعريف ـ. وقد علم بها بطلب من شيخها علي بن عمر رحمه الله، والمدني عثماني المتوفي سنة ١٤٤٩هـ ومحمد الدراجي، وعبدالله الخذري. وأحمد بن المسعود بلال القنطوي وغيرهم.

أما الذين تعلموا بها وتخرجوا منها فلا يجمعهم العد وقد قدر للكثير منهم أن يلعب في ميادين العلم والإصلاح والجهاد والدعوة إلى الله دورا بارزا. ونذكر على سبيل المثال وليس الحصر. أحمد بن عثمان السلطاني، وأحمد سحنون ومحمد خيرالدين، وعمر دردور، وموسى لقبال، وأحمد معاش، ومحمد الصالح يحياوي، وعبدالقادر بن الموهوب الدوكالي الأزهري، رحم الله من هؤلاء، وأولئك من مات منهم، وأصلح حال من لا يزال على قيد الحياة.

ولا تزال الزاوية العثمانية إلى يومنا هذا قلعة حصينة من قلاع الإسلام والعروبة في هذه الديار تعمل في صمت بعيدا عن الأضواء تعلم النشئ وتربيه وتنشئه النشأة الدينية الصالحة التي تحميه من عوامل المسخ والذوبان وتجعل منه رجل الغد الأفضل وحارس الجزائر العربية المسلمة وباني مجدها وباعث نهضتها وعزتها. وهذا بفضل ما بذله شيخها الفاضل الأستاذ عبدالقادر عثماني من جهد جبار جازاه الله خير جزاء.

وقد كانت الزاوية العثمانية خلال ثورة التحرير الكبرى مركزا للمجاهدين يأوون إليها كلما دعت الحاجة لذلك. ومن أبرز وجوه الثورة الذين زاورها ومكثوا بها أياما نذكر العقيد أحمد بن عبدالرزاق - السي الحواس - قائد الولاية السادسة رحمه الله، الذي استشهد في معركة الجهاد المقدس رفقة البطل الشهيد العقيد عميروش رحمه الله.

وممن زار الزاوية من القادة التارخيين للثورة في عهد الاستقلال نذكر الرئيس أحمد بن بلة الذي بقي بها أياما والتقى فيها بالطلبة والشيوخ.

أما عن رجال العلم والإصلاح فنسجل الزيارة التي قام بها رائد النهضة الإصلاحية الإمام عبدالحميد بن باديس رحمه الله لطولقة

والبرج وقد ضمن تلك الزيارة قصيدته التي نشرت بجريدة النجاح سنة ١٩٢٦ والتي نقتطف منها هذه الأبيات:

عرجوا نحي منازل الأمجاد ونؤدي حق زيارة الأسياد

ونحط أرجلنا بدار كرامة مبذولة الروضات للوراد

فهي الملاذ لكل جان خائف وهي الشفا من وصمة الأنكاد

ما بين طولقة فبرج حيث تبصر نور أهل الله في إصعاد

تلكم هي الزاوية العثمانية التي نتمنى لها مخلصين المزيد من النشاطات العلمية والثقافية، ولشيخها والأسرة الساهرة على تسييرها التوفيق والنجاح في رسالتهم النبيلة.

زاوية الشيخ الجروني:

توجد هذه الزاوية في بلدة سيدي خالد دائرة أولاد جلال ولاية بسكرة. وقد أسسها الوالي الصالح الشيخ علي الجروني المعروف بالبلدة المذكورة. وهو من تلاميذ الشيخ سيدي محمد بن عزوز البرجي ومن المعاصرين للشيوخ: علي بن عمر وعبدالحفيظ الحنفي والمختار بن خليفة الجلالي.

وقد أسست الزاوية ككل الزوايا لتحفيظ القرآن ونشر العلم وقد تخرج منها عدد لا بأس به من حفظة القرآن الكريم. ولا تزال إلى يومنا هذا قائمة بأداء رسالتها كما أخبرني بذلك أحد أحفاد الشيخ الجروني.

تنتمي الزاوية الجرونية إلى الطريقة الرحمانية التي عرفت انتشارا واسعا في تلك المناطق.

الزوايا بمنطقة الأوراس

عرفت منطقة الأرواس العديد من الزوايا التابعة لمختلف الطرق الصوفية كالقادرية، والشاذلية، والرحمانية وهي أكثر الطرق المذكورة انتشارا. وقد كانت تلك الزوايا مراكز إشعاع ونور، تنشر الهدي الإسلامي، والقيم الروحية، وتغرس في نفوس مريديها وطلابها المثل العليا، والأخلاق الفاضلة، فكونت بذلك أجيالا عبر العصور الطويلة الماضية الدرع المتين الذي وقانا شر المسخ والردّة والانحلال.

كما كانت أيام الحروب مع الأعداء مراكز للتدريب والتجنيد وتعبئة الجماهير وإعدادهم الكامل وإرشادهم وتوجيههم لخوض معارك الجهاد والمقاومة الوطنية ضد جيوش الغزو والاحتلال.

وكانت الثورات المتعاقبة التي عرفتها منطقة الأوراس ومناطق الوطن الأخرى بقيادة شيوخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا الذين ضربوا أروع الأمثلة في البطولة والتضحية والفداء.

وتنقسم زوايا منطقة الأوراس إلى قسمين اثنين:

أولا: الزوايا ذات النظام الداخلي.

وتتكفل بكل ما يحتاج إليه الطالب مدة دراسته بها من المأكل والمرقد دون أن يدفع أي مقابل مادي، وهذه قائمة بأسماء بعضها:

زاوية الشيخ الصادق بلحاج في لقصر وسنتحدث عنها بشيء من التفصيل.

زاوية الشيخ أحمد بن الصادق في غوفي عرش غسيرة.

زاوية الشيخ المكي بن شازروالت في الدشرة الحمراء قرب آريس من عرش التوابة.

زاوية الشيخ الخرشي في قرية الثلاث بعرش أولاد عدى وأما الشيخ من عرش أولاد عبدالرحمن أكبار، ولكنه انتقل إلى هذه القرية بأمر من شيخه محمد ابن بلقاسم بثنية العابد.

زاوية الشيخ علي دردور الكبير في حمدوس وادي عبدي.

زاوية الشيخ محمد بن بلقاسم بن المبارك وتعرف بزاوية أولاد سي الحاج بثنية العابد.

زاوية الشيخ الهاشمي دردور في مدرونة وادي عبدي.

زاوية الشيخ ابن عباس في منعة ومثيلتها زاوية أولاد سي بوبكر بأولاد يعقوب قرب خنشلة.

زاوية الشيخ المصمودي بالمعذر.

زاوية أولاد ابن رمضان بقرية البرانيس قرب جمورة.

ثانيا: الزوايا ذات النظام الخارجي.

وتقتصر مهمتها على تعليم الطلبة الذين يقصدونها من أماكن قريبة ليعودوا بعد أوقات التعليم إلى بيوتهم. وهذه أسماء بعض تلك الزوايا:

زاوية الشيخ عبدالسلام في تكوت عرض بني بوسليمان.

زاوية الشيخ عمر بن عبدالسلام في القصر قرب تكوت.

زاوية الشيخ عمر الشريف في القصر.

زاوية الشيخ فتح الله كيمل في وادي الشرفا عرض كيمل.

زاوية الشيخ امحمد بن عزة ـ عزوي ـ في الحجاج قرب آريس عرض أولاد داود.

زاوية الشيخ ابن بوبيش في تجداض في الوادي الأحمر.

ومن المعلوم أن المادة الأساسية في هذه الزوايا هي تعليم القرآن الكريم الذي يحظى معلمه وتعليمه بمكانة معتبرة في

نفوس سكان المنطقة كما يعتبر حفظة القرآن من أبنائهم من أعز أمانيهم. وهذا ما جعل الأهالي يُولُونَ هذه الزوايا بالعناية الكاملة، وينظرون إلى شيوخها نظرة احترام وتقدير ويمدونهم بكل ما يحتاجون إليه من أنواع الدعم والمساعدة.

وفي الصفحات التالية سنحاول الحديث بشيء من التفصيل عن بعض الزوايا بناء على المعلومات التي استقيناها من أفواه شيوخ الجهة، ومن كتاب تاريخ الأوراس الذي نشرته ـ مشكورة ـ جمعية أول نوفمبر. وهو عمل يستحق صانعوه الشكر والاعتراف لهم بالجميل لأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله. فقد جمع الكتاب بين دفتيه معلومات قيمة ومفيدة تتعلق بتاريخ المنطقة ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا.

زاوية ابن عبد الصمد

يعود تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي في تازولت وفي عهد شيخها محمد بن عبدالصمد قصدها عدد كبير من العلماء الأجلاء للتدريس بها نذكر منهم: الشيخ زروق اليعلاوي، والشيخ علي بن مهدي اليعلاوي.

وقد بلغ عدد الطلبة بها ٤٠٠ طالب. ولهذه الزاوية عدة فروع:

زاوية ابن عباس القادرية

لعلها أول زاوية قادرية تظهر بالجزائر حسب بعض الروايات التاريخية التي ترجع تاريخ تأسيسها إلى أوائل العهد العثماني حين قدم الشيخ محمد بن سيدي ابراهيم بن موسى من نواحي الساقية الحمراء ليحط رحاله في قرية منعة بالأوراس. وتذكر نفس الروايات أن الشيخ محمد بن موسى ينتسب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية المعروفة.

كما تشير بعض الروايات إلى أن سيدي ابراهيم صاحب الضريح الموجود عند مدخل مدينة أريس يكون من أبناء الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

وبعد وفاة الشيخ تولى أبناؤه تسيير شؤون الزاوية التي أصبحت مركزا من مراكز العلم والمعرفة. حيث تعلم القرآن، والعلوم الدينية واللغوية لأبناء المنطقة وما جاورها من القرى والمداشر بالإضافة إلى ما كانت تقدمه من خدمات اجتماعية كمساعدة الفقراء والمحتاجين والفصل في الخصومات التي تقع بين المواطنين.

وقد كانت هذه الزاوية تحظى باحترام وتقدير كبيرين من طرف جماهير المنطقة الأوراسية، ومن طرف السلطة العثمانية التي كانت هي الأخرى تنظر إليها وإلى الكثير من الزوايا بنفس التقدير والاحترام وتكرم أصحابها وتقدم إليهم الهدايا وتعفيهم من الضرائب وذلك مقابل ما كانت تقوم به هذه الزوايا من نشاط ثقافي واجتماعي من جهة و من جهة أخرى لما كانت تتمتع به من نفوذ روحي في أوساط الجماهير الشعبية.

وفي عهد المقاومة الوطنية كانت هذه الزاوية مركزا مَنِيعًا للمجاهدين، ففي سنة ١٨٤٤م وتحت رئاسة شيخها سيدي محمد بن عباس رحمه الله وهو آخر شيوخها في العهد العثماني لجأ إليها أحمد باي وأسرته وحاشيته بعد احتلال مدينة قسنطينة في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٧ من طرف الغزاة الفرنسيين. كما استضافت المجاهد البطل الشيخ محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبدالقادر.

ومن الشيوخ الذين علموا بالزاوية نذكر: محمد الصغير بن عباس، محمد بن محمد بن عباس، ومن أبنائها الذين تخرجوا منها نذكر: الشيخ ابن عباس زين العابدين، والشيخ ابن عباس بن محمد الصغير.وقد بلغ عدد الطلبة بها ٢٠٠ طالب.

زاوية ابن الدراجي

تقع هذه الزاوية بدوار أم التراس بقرية سريانة دائرة مروانة ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الماضي. وقد كان الشيخ ابن الدراجي على رأس الزاوية في بداية هذا القرن أي سنة ١٩٠٣ وكانت وفاته سنة ١٩٣٣. وقد بلغ عدد الطلبة بها ٤٠ طالبا.

ولهذه الزاوية فروع كثيرة نذكر منها:

زاوية مولقرور التي أسست سنة ١٨٧١ بسريانة والتي بلغ عدد الطلبة بها في عهد الشيخ الطيب، شيخ الزاوية، ٩٠ طالبا. وقد توفي الشيخ المذكور سنة ١٩٢٠.

وفي عهد الشيخ علي بن الشيخ الطيب المتوفي سنة ١٨٧١ عرفت الزاوية نشاطا مكثفا في ميدان تحفيظ القرآن.

زاوية ابن علجية

توجد هذه الزاوية في عرش أولاد سلطان، شيخها ابن علجية توفي سنة ١٩٣٢، وكان عدد الطلبة بها يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ طالب.

زاوية الشيخ الصادق بلحاج

تم تأسيس هذه الزاوية التي تعد بحق قلعة من قلاع العلم والجهاد من طرف العالم الفاضل الشيخ الصادق بلحاج الذي يعتبر واحد من أبطال المقاومة الوطنية ضد الغزو الفرنسي للجزائر من الصناديد الذين أنجبهم أوراس الأشم. وقد أسست هذه الزاوية في قرية لقصر بجبل أحمر خدو بعد أن أكمل الشيخ دراسته بالزاوية الرحمانية ببرج طولقة لصاحبها العالم الرباني، والولي الصالح الشيخ محمد بن عزوز الذي أخذ عنه الطريقة الرحمانية وعينه مقدما لها بناحية لقصر.

ولم يمض من الوقت إلا قليلا حتى تناقل الناس خبر الزاوية، وذاع في الآفاق اسمها، فأمها الطلاب من كل صوب لينهلوا من ينابيعها العذبة، على يد نخبة من حفظة القرآن، وشيوخ العلم

أمثال: الشيخ ابراهيم ابن الصادق بلحاج، والشيخ الجموعي خريج الجامع الأزهر الشريف.

وكانت الزاوية تتكفل بإيواء الطلبة وإطعامهم إلى غاية إكمال دراستهم بها وعودتهم سالمين غانمين إلى أهلهم وذويهم.

والزاوية، بالإضافة إلى مهمتها التعليمية عرفت عبر تاريخها الطويل بما قامت به في الدفاع عن الوطن ومقاومة الغزاة المحتلين فقد كانت قلعة حصينة من قلاع الجهاد والمقاومة الوطنية من أجل حرية البلاد وسيادتها، وحرمة مقدساتها، والحفاظ على وحدتها. مما جعلها تتعرض للهدم والتدمير من طرف جيوش الغزو الاستعماري الذين قاموا بتخريب قرية لقصر التي تقع بها الزاوية بعد أن استحوذوا على كل ما كان بها من مؤن، وغنم، وبقر، وخيول بالإضافة إلى ما سلطوه على شيخها الصادق بلحاج وأبنائه وبقية أفراد أسرته من تعذيب وسجن ونفي وتشريد داخل الوطن وخارجه.

وواصلت الزاوية رسالتها التثقيفية رغم المحن التي حلت بالأسرة نتيجة مواقفها الوطنية، وقام الأخوان الشيخ ابراهيم والشيخ الطاهر بالإشراف على الزاوية وتسييرها بعد وفاة والدهما الشيخ الصادق بلحاج الذي وافته المنية بسجن الحراش بالجزائر

العاصمة. واستطاعا إعادة الزاوية إلى سالف عهدها في التربية والتعليم وقد تخرج منها عدد كبير من رجال العلم والمعرفة.

زاوية الشيخ علي دردور

تقع هذه الزاوية بقرية مدرونة وادي عبدي وشيخها ومؤسسها هو علي دردور المتوفي سنة ١٨٧٥. غير أننا نجهل تاريخ تأسيسها وإن كنا نعلم أنها كانت موجودة في سنة ١٨١٥ لأن الشيخ الهاشمي بن علي دردور قد حفظ بها القرآن في التاريخ المذكور وهو الذي تولى تسيير شؤونها بعد وفاة والده, وكان يدرس بها العلوم الدينية واللغوية بالإضافة إلى قيامه بمهمة الوعظ والإرشاد والافتاء والإصلاح بين الناس.

ولما اندلعت ثورة ابن جارالله سنة ١٨٧٩ نجد طلبة الزاوية وشيوخها ينضمون إليها بدعوة من شيخها العالم المجاهد الهاشمي دردور الذي تعرض بسبب ذلك للسجن والنفي من طرف سلطات الاحتلال العسكرية التي حكمت بنفيه مع ستة من مقدمي طريقته إلى جزيرة كورسيكا سنة ١٨٨٠ حيث أقاموا بها عشر سنوات.

وفي سنة ١٨٩٠ يعود الشيخ الهاشمي إلى الوطن بعد الإفراج عنه ويستأنف نشاطه بالزاوية إلى أن وافاه الأجل سنة ١٨٩٩ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين.

وأما الشيوخ الذين علموا بالزاوية فبالإضافة إلى الشيخ الهاشمي نذكر الشيخ عمر دردور بن علي، بلقاسم دردور، محمد الهاشمي بن عبدالله دردور.

زاوية سيدي أحمد

هذه الزاوية موجودة بجبل أحمر خدو بالأوراس ويعود تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ومن شيوخها المعروفين، سيدي أحمد المتوفي سنة ١٩٣٩ والشيخ عبدالباقي المتوفي سنة ١٩٥٣ والشيخ قاسم بوحجة. بلغ عدد الطلبة بها ١٠٠ طالب.

زاوية سيدي أحمد بن بوزيد

هذه الزاوية تقع قريبا من القرية المعروفة بسوبانة يطل عليها جبل الشلعلع الشامخ الذي كانت للمجاهدين فيه صولات وجولات أثناء حرب التحرير وقد خلده شعرائنا الفحول في

قصائدهم الوطنية. فهذا شاعر الثورة المرحوم مفدي زكريا يقول في إحدى قصائده:

سل جرجرا تنبئك عن عقباتها   واستفت شلبا لحظا وشلعلعا

ويقول أمير الشعراء محمد العيد آل خليفة رحمه الله في قصيدة له بعنوان ـ البشائر ـ:

بباتنة رعد البشائر لعلعا   فأطرب أوراسًا بِهَا وشَلَعْلَعَا

ويوجد في تلك الزاوية ضريح الولي الصالح الشيخ سيدي أحمد بن بوزيد الذي حظي أبناؤه وحفدته بمكانة طيبة في أوساط أهالي بلّزمة الذين يكنون لأسرة الشيخ كل تقدير واحترام. ويظهر أن له زاوية أخرى بناحية القرفور تحمل اسمه وتعرف في أوساط السكان بزاوية ـ مول القرفور ـ وقد اختار الشيخ هذه الجهة للاعتزال والعبادة والذكر والتأمل وكان رحمه الله قضى زهرة شبابه في نشر العلم والدين عند ـ عرش الحراكتة ـ نواحي عين البيضاء وأم البواقي.

أما آخر شيوخ زاوية القرفور قبل الاحتلال الفرنسي فهو سيدي محمد بن بلقاسم مقدم الطريقة الرحمانية بنواحي بلزمة بالأوراس.

زاوية بلقاضي

وعرفت فيما بعد بزاوية بلحاج وهي تقع بين سربانة وباتنة، عاصمة الأوراس، وأسرة بلقاضي التي أسست الزاوية من الأسر المعروفة على مستوى الوطن عموما وفي منطقة القبائل الكبرى خصوصا، حيث كانت لها سطوة، ونفوذ في تلك النواحي خلال العهد الحفصي الأخير، وبداية العهد التركي.

والذي أسس هذه الزاوية هو واحد من أبناء أحمد بن القاضي الثلاثة الذين تفرقوا في البلاد بعد مقتل أبيهم سنة ٩٣٤هـ الموافق لـ ١٥٢٣م من طرف أحد جنوده في ثنية بن عيشة بعد تمرده واعلانه الثورة والانفصال عن الدولة الجزائرية بإيعاز من الدولة الحفصية وقتئذ وهذا بعد أن أيد وأعلن جيش عروج وخيرالدين وتحالف معهم بل وكان من الساعين والعاملين على قدومهم إلى الجزائر. فهو الذي كاتب عروج عندما كان مقيما بجيجل سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م مستنجدا به على طرد الغزاة الإسبان من الجزائر ومما جاء في رسالته لعروج قوله: "إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب".

فبعد مقتل أبيهم تفرق أبناؤه الثلاثة، فاستقر أحدهم بمنطقة جرجرة يشرف على زاويتهم التي أسسها أبوهم هناك، وقصد الثاني منطقة الحضنة، والثالث هو الذي قصد منطقة الأوراس وأسس بها

هذه الزاوية التي أصبحت تعرف بزاوية بلحاج. وقد أسست في بداية العهد التركي بالجزائر وكان آخر شيوخها قبل الاحتلال الفرنسي لمنطقة الأوراس هو سيدي بلقاسم بلقاضي الذي تولى شؤون الزاوية بعد وفاة أبيه محمد بلقاضي.

وقد حظيت أسرة بلقاضي باحترام الأهالي وتقديرهم في منطقة الأوراس نظرا لما قدموه لسكانها من خدمات علمية واجتماعية معتبرة. ونشير قبل أن نطوي هذه الصفحة إلى أن جد هذه الأسرة الأكبر الشيخ عمروس بن القاضي قد نزح من ناحية معسكر بالغرب الجزائري في أوائل القرن العاشر الهجري واستقر بجبال جرجرة حيث أنشأ زاوية لتعليم القرآن ونشر العلم والدين في المكان الذي أطلق عليه الفرنسيون اسم كوكو وهي مدينة تقع على بعد خمسين كلم تقريبًا من الجنوب الشرقي من مدينة الأربعاء بني راتن. وقد كان لشيوخ زاوية كوكو نفوذ روحي كبير في تلك الجهة من منطقة القبائل.

زاوية أولاد سيدي يحي بن زروق

تقع هذه الزاوية بوادي بني فضالة قريبا من قرية بني معافة، وهي من أقدم الزوايا في المنطقة إذ يعود تاريخها إلى العهد العثماني، وقد كان آخر شيوخها في الفترة العثمانية هو سيدي

أحمد الزروق مقدم الطريقة الرحمانية بالجهات الوسطى من الأوراس والتي تسكنها قبائل بني فرح وأولاد عبدي.

وقد كانت هذه الزاوية التاريخية تتمتع بنفوذ روحي كبير في أوساط سكان الجهة، وكذلك لدى السلطة العثمانية.

زاوية سيدي مسعود

توجد هذه الزاوية قريبا من تبردقة، وقد أسسها الشيخ المسعود الشامي الذي عرفت باسمه كبقية الزوايا التي تحمل دائما أسماء مؤسسيها، وقد كان لهذه الزاوية دور لا يقل أهمية عن وظيفتها التربوية والتعليمية ويتمثل في الفصل في الخصومات التي تقع بين الأعراش - القبائل - أو الأفراد والتي كثيرا ما تؤدي إلى فتن لا تحمد عقباها، خصوصا بين قبائل النعامشة وأهالي شاشار.

أسماء بعض الأعلام الذين علموا بزوايا الأوراس

هذه قائمة بأسماء بعض الأعلام من رجال العلم الذين علموا بالزوايا في منطقة الأوراس ونحن إذ نسجل أسماءهم في هذه القائمة نفعل ذلك اعترافا منا بالعمل الجليل الذي قدموه في خدمة الإسلام والعربية، والحفاظ عليها في تلك الديار. رحم الله من سار منهم إلى دار البقاء وأحسن إلى من لا يزال ينتظر في دار الفناء.

اسم الشيخ	خريج	الزاوية
الشيخ الهاشمي بن علي دردور .	الأزهر الشريف	الدردورية
الشيخ الطيب العقبي .	المدينة المنورة	صالحي (آريس)
الشيخ المولود الزريبي	الأزهر الشريف	سيدي امحمد بن عزة
الجموعي بن مازوز	الأزهر الشريف	سيدي الصادق بلحاج
صالحي المكي	جامع الزيتونة	صالحي (آريس)
بلقاسم ميموني	جامع الزيتونة	مسجد غوفي

أحمد الخالدي	جامع القرويين	مسجد النوادر
عيسى بجاوي	جامع الزيتونة	
العربي خطراوي	جامع الزيتونة	
نعيم النعيمي	الزاوية المختارية	
الأخضر الخنقي	توزر بالجريد التونسي	
محمود الواعي	جامع الزيتونة	أولاد سي الحاج

يقول الشيخ محمود الواعي وهو من المجاهدين المعروفين والوجوه العربية الإسلامية البارزة في الجزائر من محاضرة ألقاها بعنوان . الحركة الإصلاحية السياسية في الأوراس ..

وعلى غرار بلاد شمال إفريقيا برزت الزوايا في الأوراس وانتشرت في القرى والأرياف، بحيث أصبحت قطبا للحياة الدينية، ومراكز ثقافية وقيادية تنطلق منها التوجيهات والأوامر للمريدين وغيرهم. وانتشرت في حوز آرسي أربع طرق هامة تتقاسم المريدين، والأتباع هي: الرحمانية، والقادرية، والشاذلية، والأحباب أي الدردورية التي تعتبر فرعا من الرحمانية. ولهذه الزوايا مقدمون منتشرون في المنطقة كفروع لها ومرتبطون بها ارتباطا روحيا ومعنويا. وقامت الزوايا بدور كبير في المحافظة

على الدين الإسلامي وشعائره وتعاليم القرآن والفقه ونشرها في أوساط المريدين والشعب.

وكانت هذه الزوايا على رأس كل انتفاضة أو مقاومة أو ثورة وكثيرا ما ساعدت أو شاركت فيها المناطق الأخرى لمحاربة الدخيل المحتل.

إن الدور الذي قام به رجال الزوايا في مواجهة المبشرين والآباء البيض الذين نزلوا بآريس وضواحيها بعد استلاء الجيش الفرنسي على الأوراس هو الدعوة إلى المقاطعة التامة حتى اضطروا إلى الرحيل في النهاية وباعوا ما يملكون من أراضي وعقارات فلاحية وبنايات.

وقد قام الاستعمار بتخريب مقرات الزوايا وتدميرها وإلقاء القبض على رجالها وعذبهم وسجنهم كما نفي بعضهم إلى جزيرة . سانت مرغريت .

و . كورسيكا . و . كايان . بالمحيط الأطلسي.

ومن الضروري أن نشير إلى المقاومة التي لم تنقطع بهذه المنطقة منذ دخول الجيش الفرنسي مما أدى إلى رسوخها في أفكار الناس وعدم الرضوخ إلى الاستعمار مما جعل السكان متشبثين بالدين الإسلامي كملجأ وحيد للتضامن ووحدة الصف لمواجهة العدو.

لقد أنجبت تلك الزوايا أجيالا من العلماء والمثقفين الذين كانت لهم اليد الطولى في الحركة الإصلاحية في منطقة الأوراس حتى أن أغلب مؤسسي شعبة جمعية العلماء في الجهة كانوا من أبناء الزوايا وخريجيها، أمثال: الأمير صالحي، محمد الصالح الزموري، عبدالواحد واحدي، رشيد صالحي، وغيرهم، ثم أن الشيخ عمر دردور المعتمد من طرف جمعية العلماء للقيام بالحركة الإصلاحية هو سليل الزاوية الدردورية المعروفة بالمنطقة.

الزوايا بمنطقة الحضنة

الشوافع وزواياهم

نسب الشوافع

هم أشراف من الأدارسة من نسل عبدالله بن ادريس بن ادريس، يلتقي نسبهم عند جدهم بلقاسم بن شافع الذي يوجد ضريحه بالرحبات ةوَقَدْ نص على هذا الشرف مخطوطات كثيرة يحتفظ بها أحفادهم منها مخطوط قال فيه مؤلفه: "فصل أذكر فيه فرقة من الأشراف الفضلاء القطباء النجباء وهم أولاد شافع، فجدهم يقال له عبدالله بن علي ..." ثم ساق النسب الشريف إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكذلك يوجد لديهم وثائق أخرى تبين معاملة العثمانيين لهم باعتبارهم أشرافا.

ولديهم كذلك شجرة النسب مكتوبة بماء الذهب وعليها أختام قضاة الحضنة تؤيد صحة نسبهم.

بناؤهم الزوايا

كعادة الأشراف من تفرقهم في البلدان لإشاعة الخير وتعليم الناس فقد رحل سيدي أبو القاسم بن شافع من الصحراء[1] إلى نقاوس حيث درس هناك على يدي شيوخ العلم وقد قيل أن شيخه قد رأى له كرامة فأمره بأن يرحل عنه إلى بلدة أخرى لأنه لا يجتمع شيخان في بلدة، فذهب إلى الرحبات وقد أطلق عليها "عين الرحمات" وهي بلدة قرب راس العيون تنسب إلى واديها الذي تنبت حوله أنواع الفواكه.

فابتنى له زاوية يقرى فيها القرآن، يربي الناس، فالتف حوله أهل تلك المنطقة ومناطق كثيرة ومقامه إلى الآن موجود بالرحبات بين الجبلين كما هو منصوص عليه في بعض المخطوطات.

ولا يعلم تاريخ وفاته بالضبط إلا أنه يوجد على قبر حفيده علي بن محمد بن محمد المبارك بن أبي القاسم بن شافع تاريخ

---

[1] وقد يراد بالصحراء التي نزح منها والله أعلم "طولقة" فلأحفاده إلى الآن أراض هناك ونخيل ببلدة بوشقرون.

لوفاته بسنة ١١٨٠هـ فلا يستبعد أن يكون وجوده في نهاية القرن الحادي عشر الهجري.

وقد كان أحفاده، إلى فترة قريبة يجتمعون كل سنة عند قبره. ثم إن ذريته تفرقوا فبثوا زوايا مختلفة تقري القرآن وتعلم الناس، ومن بينها زاوية سيدي الصديق وكانت من أكبرها، وآثارها موجودة إلى الآن تبين مدى كبرها ومدى الدور الذي كانت تقوم به وقد كان سيدي الصديق مقدما في الطريقة الرحمانية، وأحفاده يذكرون أنه شيخ فيها ولديهم وثائق تثبت ذلك.

وقد ابتنى كل واحد من أحفاد سيدي الصديق لنفسه زاوية يفد إليها الناس وأكبر تلك الزوايا هي زاوية الشيخ عبدالرحمان الموجودة الآن بالمسرة نواحي الرحبات ولكنها جميعا حادت أو تكاد تحيد عن الهدف الذي كان يسعى إليه أجدادهم.

ومن بينها كذلك زاوية الشرفي وزوايا أخرى كثيرة ... وكلها متفرقة كما ذكرنا عن زاوية سيدي أبي القاسم بن شافع التي لم يبق منها إلا آثار قليلة.

الطريقة التي كانت تلزمها هذه الزوايا:

كانت تلزم الطريقة الرحمانية كما تنص على ذلك مجموعة وثائق من بينها إجازات تلقين الأوراد.

وتوجد بالمنطقة كذلك مجموعة من الكهوف التي كان يتخذها المشايخ خلوات لهم وبها آثار تدل على ذلك.

تفرقهم في مناطق مختلفة من الجزائر تفرق أحفاد سيدي أبي القاسم بن شافع في مناطق مختلفة من التراب الجزائري ولهم في كل منطقة زوايا صغيرة يزورهم فيها الناس متبركين .. وقلَ من يعلّم في تلك الزوايا.

الزوايا بمنطقتي القبائل الكبرى والصغرى وما جاورها

منذ أن بزغت شمس الإسلام على هذا الوطن، وأشرقت أنواره على هذه الديار، وتمكنت عقيدته من قلوب أبنائه، وانطلقت ألسنتهم تلهج بلغة القرآن، وترجمان الوحي الإلهي، التي تمكنوا بواسطتها من إدراك عدله وسماحته، وتحققوا من نيل رسالته. وفهموا عظمة أهدافه وسموّ غايته، منذ ذلك الحين وهذا الشعب العربي المسلم يحافظ على الإسلام ولغته. يدافع عنهما وينصرهما، ويدعو إليهما وينشرهما بمختلف الطرق والوسائل وفي مقدمتها تأسيس المساجد وإنشاء الزوايا والمعاهد وبناء المدارس.

لذلك لا نكاد نجد مدينة أو قرية من مدننا وقرانا في الصحراء والتل، في السهل والجبل خالية من زاوية أو زوايا حتى بلغ عددها في منطقة القبائل وحدها ٦٠ زاوية تسهر كلها على تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس العلوم اللغوية والدينية، وتتكفل بإيواء الطلبة وإطعامهم وتستقبل الفقراء والمساكين والمعوزين الذين يلجأون إليها في كل وقت وحين لمساعدتهم وتقديم العون لهم.

كما ظلت تعمل جادة على ترسيخ القيم الروحية العربية الإسلامية وحماية الوحدة الوطنية في إطار ثوابت الأمة المقدسة، ناشرة روح الأخوة والمحبة والتضامن والتماسك بين أبناء الشعب الواحد، بما تقدمه لطلابها من تربية وتعليم يجنبانهم مزالق الانحراف والوقوع ضحية الدعايات الاستعمارية المغرضة ضد الوطن واللغة والدين والرامية إلى تشتيت الشعب، وتفريق صفه، وضرب وحدته وزرع بذور الفتنة والعداوة والبغضاء بين أبنائه.

إن العمل الذي تقوم به الزوايا ورجالها يستحق الشكر والتقدير فهي بالإضافة إلى رسالتها التعليمية والتربوية، كانت تقوم بدور المحاكم الإسلامية التي يلجأ إليها المتخاصمون أفرادا وقبائل فتصلح بينهم وتصدر أحكامها المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله فيرضى بها الجميع ويسمع ويطيعون ويخرجون منها إخوة متحابين بعد أن دخلوها أعداء متباغضين. والسر في ذلك يعود إلى الثقة الكبيرة التي يضعها المواطنونَ في شيوخ الزوايا الذين كانوا أمثالا في الطهارة والصدق والتمسك بأخلاق الإسلام ونهجه القويم. أما أولئك الذين شذوا وانحرفوا عن الصراط السوي وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها وشهواتها فعموا وصموا فليسوا موضوع كلامنا، ولا شأن لنا بهم في كتابنا.

ومن المزايا الخالدة لهذه الزوايا أنها أخرجت أجيالا من العلماء الذين لهم في المشرق والمغرب طيب الأثر، كما كانت

لهم سمعة طيبة، وذكر حميد في أوساط كبار العلماء ونذكر من هؤلاء: العلامة عبدالرحمن الوغليسي[1] مفتي بجاية وهو من أعلام القرن الثاني عشر الهجري ومؤلف ـ الوغليسية ـ في الفقه، توفي رحمه الله عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥م. والرحالة المعروف الذي يعتبر من مفاخر الجزائر وهو الحسين ابن محمد السعيد الورتلاني من أعلام القرن الثاني عشر الهجري، ويحي العيدلي من أعلام القرن العاشر الهجري، والقاضي عيسى أبا الروح اليانيوي الذي تولى القضاء في مصر والشام وشرح صحيح مسلم في تسعة أجزاء، ومحمد بن بلقاسم المشدالي الذي قال عنه السيوطي: "هو أحد أذكياء العالم، اشتغل بالمغرب وأبان عن تفنن في العلوم فقها وأصولا وكلاما ونحوا وغير ذلك، أخذ عنه غالب طلبة العصر، توفي بحلب بسوريا سنة نصيف وستين وثمانمئة، عبدالرحمن الإدريسي جد الأسرة المقرانية المعروفة، عمرو ابن القاضي جد أسرة آل القاضي، محمد أبو القاسم اليوجليلي، السعيد بن زكي، الطاهر افيطوس، والعالم المصلح أبا يعلى، والسعيد اليجري، محمد بن علي اسحنون، محمد السعيد اسحنون والمولود

---

[1] الوغليسي: وغليس اسم واد سمي باسم القبيلة التي تسكنه وقيل بنو وغليس بطن من قبائل.

الحافظي، وبا عزيز بن عملا أو السعيد الصالحي، والهادي الزروقي، والفضيل البورتيلاني، والقائمة طويلة ممن كان لهم في معركة الإصلاح في جمعية العلماء وفي ثورة التحرير مساهمة تذكر فتشكر وجميعهم ممن أنجبتهم زوايا منطقة القبائل.

وما دمنا نتحدث عن زوايا منطقة القبائل يجدر بنا التذكير بما قام به شيوخها الأجلاء من مطالبة السلطات الاستعمارية بتطبيق الشريعة الإسلامية في الجزائر العربية المسلمة. كان ذلك في الأربعينات. وقد كان الهدف من المطالبة بذلك هو إشعار السلطة وإحساسها بأن الشعب الجزائري بعد قرن من الاحتلال الغاشم، والمحاولات المستمرة، وبمختلف الوسائل والإمكانيات لمسخه وتشويه صورته، وإبعاده عن عقيدته ودينه، والقضاء على أصالته العربية الإسلامية، وطمس معالمها، بعد كل ذلك لا يزال وسيبقى مسلما عقيدة وروحا ودما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن هذا الاحتلال وإن طال ليله لن يغير من واقع هذا الشعب شيئا، مصداقا لما قاله فقيد العروبة والإسلام، الإمام عبدالحميد بن باديس رحمه الله ورضي عنه:

شعب الجزائر مسلم … وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله … أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجا له … رام المحال من الطلب

ومما قرأناه لبعض شيوخنا الأجلاء من رجال الزوايا في منطقة القبائل مِنْ تصريحات بمناسبة اللقاء السنوي لمشايخ الطريقة الرحمانية الذي وقع بزاوية الهامل ننقل للقارئ الكريم فقرات منها:

يقول الشيخ الجليل الحاج فرحات بويزقارن من جمعة الصهاريج: "أتمنى من شبابنا إحياء كل عادة تدعوهم إلى الوحدة، وتنير لهم سبيل الهداية، وتجعلهم يتمسكون بدينهم أكثر أسوة بمن سبقوهم في طاعة الله ورسوله".

إن شيوخنا حفظوا لنا مقومات ديننا وصانوا الأمانة، وحرروا البلاد والعباد بفضل علمائنا الأجلاء.

ويواصل الشيخ قوله: "نحن في بلاد القبائل الكبرى نحمد الله الذي أعطانا مثل هؤلاء العلماء الذين أرشدونا، وعلمونا أصول ديننا وقد كنا بين أنياب تلك الحيوانات التي تسمى الأباء البيض، هؤلاء الذين كانوا يتفننون في حيلهم الخسيسة لتنصير أبنائنا ومحاولة سلخهم عن دينهم الإسلامي الحنيف ولكن الله نجانا من شرورهم وتجاوزنا بعنايته تلك المحن والمصائب. والطريقة الرحمانية كان لها دورها الخطير في حفظ مقومات هذه الأمة الواحدة لأن أتباعها كانوا صادقين يدافعون عن الحق والإيمان ويقدرون رسالتهم التاريخية حق قدرها.

وقد أصبح بفضلهم هؤلاء الأميون علماء، والجهلة فقهاء متضلعين في شؤون دينهم وأصبحوا مرابطين في زواياهم وفي رؤوس الجبال والمغاور والكهوف كالأسود يذودون عن حياض الإسلام بالرغم من الرياح العاتية التي ينفخ فيها الاستعمار وأدواته. ومع ذلك يحاول بعض الشباب الطائش اليوم الانسلاخ عن أصوله، والانفصال عن جذوره، ومحو معالم شخصيته الإسلامية. لقد جمعتنا مع إخواننا العرب منذ مآت السنين رابطة الإسلام التي لن تنفصم بإذن الله ولو كره الحاقدون.

إن الإسلام علمنا كيف نطعم الطعام، ونؤوي المسكين، ونرحم الضعيف، ولولا هذه الزوايا لأصبحنا في خبر كان. فمن عمر المساجد أثناء ليل الاستعمار؟ أليسوا هم العلماء والطلبة الذين صاروا فيما بعد رجال مقاومة وكفاح[1] ؟" اهـ.

وهذه كلمة الشيخ الفاضل حديد محمد الطيب من زاوية مشتراس تيزي وزو. قال حفظه الله: "أنا ابن المؤمنين الشرفاء، عشت أكثر نصف عمري مغتربا بفرنسا، وتعرضت لمحاولات عديدة لتغريبي وتنصيري، ومع ذلك لم أرضخ وكنت مناضلا إسلاميا أدافع

---

[1] هذه الكلمة التي بعدها لشيوخ بعض الزوايا في منطقة القبائل نشرت في جريدة المساء ليوم الأربعاء ٢٨ جوان ١٩٨٩.

عن هويتي العربية الإسلامية، وإني فخور بإسلامي، وبوطنيتي، وبانتمائي الحضاري، وأنا أقوم بتمتين روابط الأخوة والصداقة والمودة بين أبناء الشعب الواحد والأمة الواحدة" اهـ.

ويتحدث الشيخ أبو الطاهر عن زاوية بويحي بلدية بني دوالة دائرة ذراع ابن خدة عن اللقاء الكبير الذي جمع المسلمين في زاوية الهامل ببوسعادة فيقول: "إن هذه الجموع الغفيرة مِنَ المسلمين والتي تهز أصواتها المشاعر وتغمر القلوب بالفرحة، وهذا اللقاء العزيز الذي جمع مختلف أبناء مناطق الوطن شرقه وغربه، جنوبه وشماله، يعود الفضل فيه إلى الإسلام الذي لمّ شملنا، وها نحن على بعد المسافة مجمعون، ورغم صعوبة التنقل وقلة الزاد، ومع ذلك فإن الأمر إذا تعلق بقضية الوفاء وتحقيق الوعد وتبادل الزيارات هب كل واحد منا كما هب أجدادنا بالأمس القريب لنصره الإسلام وتحقيق النصر المبين"اهـ.

تلكم بعض التصريحات التي تعبر بصدق وإخلاص عما يتصف به أولئك الشيوخ وغيرهم من شيوخ الزوايا مِنْ حب للوطن، واعتزاز بالعروبة والإسلام، واستماتة في الدفاع عن وحدة البلاد والعباد كما تعبر بحق عن قوة شخصيتهم، وعمق إيمانهم، ومدى تمسكهم بعقيدتهم بحيث لم تستطع وسائل الترغيب والترهيب المختلفة أن تنال من كل ذلك شيئا.

وإنه لمن المؤسف حقا أن نرى هذه الزوايا التي أخرجت لنا أمثال هؤلاء الشيوخ الأجلاء، وقدمت للبلاد أعظم الخدمات في ميادين التربية والتعليم والجهاد، نراها اليوم معطلة لا تستطيع أداء رسالتها بسبب ما تعرضت له أبان ثورة التحرير من هدم وتخريب على أيدي البطش والهمجية ورسل الحضارة والمدينة كما يدعون.

وقد استأنف البعض من تلك الزوايا نشاطها ولكن بإمكانيات جد ضعيفة لا تفي بحاجيات الزاوية، ولا تغطي نفقاتها الخاصة بإطعام الطلبة، ووسائل إيوائهم، وهي تنتظر من الوزرات المعنية، كالتربية، والشؤون الدينية، الدعم والمساعدة حَتى تستطيع الاستمرار في أداء رسالتها الثقافية، وتتمكن من مواصلة مهمتها الاجتماعية. وفي هذا المقام قرأنا على صفحات الجرائد ما قامت به نظارة الشؤون الدينية ببجاية من إهداء كمية معتبرة من الألبسة والأغطية والأسرة والثلاجات لبعض زوايا المنطقة. وقد قامت بنفس العمل نظارة الشؤون الدينية لولاية بسكرة. وفي علمي أن وزارة الشؤون الدينية قد حضرت مشروعا مهما يتمثل في

تقديم مساعدات وتخصيص ميزانية لهذه الزوايا[1] وكل ما نرجوه من الوزارة هو الإسراع بهذا المشروع وردّ الاعتبار لهذه الزوايا وخير البر عاجله.

والزوايا عموما وفي منطقة القبائل خصوصا، منها تلك التي تنتمي لطريقة من الطرق الصوفية المعروفة كالرحمانية والقادرية والشاذلية والعلاوية، ومنها التي لا تنتمي لأية طريقة من الطرق بل نجدها تحمل اسم واحد من أولئك الأولياء الطاهرين والعلماء الأجلاء الصالحين مثل زاوية تاموقرة التي تحمل اسم الشيخ يحي العيدلي. وفيما يلي قائمة بأسماء بعض الزوايا في منطقتي القبائل الكبرى والصغرى.

زاوية الشيخ ابن عبد الرحمن	آيت اسماعيل بوغني
زاوية الشيخ بن بوداود	تاسلينت آقبو
زاوية الشيخ عبد الرحمن الياولي	عزازقة
زاوية ابن علي الشريف	شلاطة

---

[1] جاء ذلك على لسان الأستاذ الفاضل حسين بوشعيب من زوارة الشؤون الدينية في جريدة المساء ليوم ٢١ سبتمبر ١٩٩١.

زاوية سيدي منصور الجنادي	أزفون
زاوية الشيخ ابن سحنون	الأربعاء ناث ايراثن
زاوية الشيخ أبي القاسم البوجليلي	صايو
زاوية أولخضير	يلولة أونامر أقبو
زاوية الشيخ الحداد	صدوق أقبو
زاوية الشيخ ابن اعراب[1]	
زاوية سيدي سحنون	بلدية مقلع تيزي وزو
زاوية تاغراست لآل سحنون	بني وغليس
زاوية سيدي محمد ولحاج	عزازقة
زاوية سيدي محمد ادريس	عزازقة
زاوية شرفاء بهلول	عزاوقة
زاوية تيفريت آيت الحاج	ازفون

[1] زاوية بن اعراب من الزوايا التاريخية في الجزائر ومنها تخرج محمد العزيز المعروف بالذباح الذي تولى ولاية التيطري.

زاوية آكال أبركان بن عيسى	تيزي وزو
زاوية سيدي محمد السعدي	دلس
زاوية سيدي يحي	ازفون
زاوية آيت بويحي بن عيسى	تيزي وزو
زاوية الشيخ محمد بن المختار	بني يني
زاوية آيت مراد	بني صدقة
زاوية سيدي علي وطالب	عين الحمام
زاوية سيدي علي موسى	بوغني
زاوية بني عمر	بوغني
زاوية مشتراس	تيزي وزو
زاوية الشيخ محمد التواتي	بجاية[1]
زاوية سيدي الحاج حساين	بعصوم بني وغليس

[1] زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية هي الأخرى من أقدم الزوايا في بلادنا وقد بلغ عدد الطلبة بها ٢٠٠ طالب وقد توقفت عن النشاط سنة ١٨٢٨ بأمر من حسين باشا.

زاوية يحي بن موسى	بني وغليس
زاوية تيغرست اغزو امقران	ازلاقن
زاوية الشيخ أحمد اويحي	امالواقبو
زاوية الشيخ السعيد الصنهاجي	سيدي عيش
زاوية الشيخ أحمد بن ادريس	يلولة
زاوية الشرفاء معاتقة	تيزي وزو
زاوية تيملوين	
زاوية سيدي يونس	
زاوية سيدي أحمد سعيد	قرية فورنان
زاوية مزرانة	دلس
زاوية الشيخ السعيد العيسني	صدوق
زاوية سيدي الموفق	صدوق
زاوية سيدي يحي العيدلي	تمقرة
زاوية سيدي ثميني	سيدي عيش
زاوية سيدي زروق	بني وغليس

زاوية سيدي تمر ولحاج	عزازقة
زاوية سيدي محمد بن مالك	عزازقة
زاوية تيزي راشد[1]	
زاوية سيدي أحمد بن يوسف	منديش

هذه أسماء بعض الزوايا المنتشرة في منطقة القبائل وهناك زوايا أخرى لم تشملها هذه القائمة لعدم معرفتنا بها رغم الجهود التي بذلناها في سبيل التعرف على أغلبية الزوايا. والفضل كله لشيوخها الأجلاء الذين لم يبخلوا علينا بما عندهم من المعلومات في هذا الموضوع. والملاحظ هنا هو أن أكثر الزوايا يوجد بالقبائل الصغرى، وجميعها، بحمد الله، مراكز إشعاع ونور قامت بدور عظيم في تحصين الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، والحفاظ عليها، بواسطة التربية الروحية والدينية، ونشر اللغة العربية، لغة الإسلام والقرآن.

ومما يسجل لهذه الزوايا أنها كانت سدا منيعا في وجه الحركة التبشيرية التي حطت بكل ثقلها في تلك المنطقة الغالية من

---

[1] زاوية تيزي راشد لصاحبها الشيخ الصديق واعراب الدي أعلن الثورة على الاحتلال الفرنسي.

الوطن الجزائري، فقد عرفت بني ينى وعين الحمام واعزن وتاوريرت وغيرها من قرى منطقة القبائل مراكز تبشيرية نشيطة استعملت كل الوسائل الجهنمية التي كانت بحوزتها لمسخ وتشويه السكان والقضاء على كل ما له صلة بالعروبة والإسلام، ولكن الله كان بالمرصاد فأحبط أعمالهم، وخيب مساعيهم بفضل تلك الجهود المخلصة التي بذلها أولئك المرابطون الصامدون الرابضون في تلك القلاع الإسلامية وفي كل شبر من أرض الجزائر العربية المسلمة.

ومن المعلوم أن الاستعمار الفرنسي كان يدعم ويشجع الحركة التبشيرية التي كانت منتشرة في الوطن الجزائري عموما وفي منطقة القبائل بصفة خاصة، وذلك لعدة عوامل، ومن أهمها: العزلة التي كانت تعرفها المنطقة في العهد الاستعماري البائد، وفقر السكان بسبب الحياة الصعبة التي كانوا يعانون منها، وانعدام فرص العمل، والجهل المنتشر في أوساط المواطنين وغيرها من الأسباب.

وقد اعتمدت حركة التبشير لبلوغ أهدافها أسلوبين:

مادي: يتمثل في الأعمال الخيرية التي كانوا يقومون بها كعلاج المرضى، وتقديم المساعدات للفقراء والمساكين،

والاهتمام بالعجزة، وبناء المؤسسات التعليمية كالتكوين المهني للذكور والإناث على السواء.

معنوي: يتمثل في التركيز على تدريس التاريخ الفرنسي، والإشادة بالحضارة الفرنسية وإظهار محاسنها، والانقاص من الحضارة العربية الإسلامية، ووصفها بكل ما يحط من عظمتها التي اعترف بها النزهاء من الفرنسيين مثل غوستاف لوبون في كتابه ـ الحضارة العربية ـ.

ولكن كل هذه المحاولات وغيرها باءت بالفشل الذريع، ولم تجدهم نفعا، ولم تزد سكان تلك المناطق إلا تمسكا بدينهم، وحضارتهم، وقيمهم العربية الإسلامية.

زاوية ابن أبي داود

تعد هذه الزاوية التاريخية من أهم الزوايا العلمية في القرون الأربعة الماضية، وتقع في تاسليت نواحي آقبو ولاية بجاية. وقد نفع الله بها خلقا كثيرين فتخرج منها العديد من حفظة القرآن، ورجالات العلم. وقد ذاع صيتها في منطقة القبائل وما جاورها، فقصدها الطلاب من قسنطينة والأغواط والمدية ومن الجنوب لحفظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية واللغوية على شيوخها الأجلاء. وقد أسست في القرن الثامن الهجري من طرف الشيخ السعيد بن أبي داود رحمه الله.

وتقديرا لهذه الزاوية واعترافا بفضلها كان العلماء والصالحون يسمون جبل زواوة حيث تقع الزاوية جبل النور وقد كانت تدرس بها أمهات الكتب مثل مختصر خليل والرسالة في الفقه والألفية والقطر، والأوهرية والأجرومية في النحو والعقائد والدرة البيضاء ثم القلصادي الكبير والصغير في الفرائض والحساب، والجوهر المكنون ومختصر السعد في البلاغة والخزرجية في العروض.

وقد اشتهرت زاوية ابن أبي داود بتدريس الفقه كما اختصت زاوية شلاطة وعرفت بتحفيظ القرآن حتى بات معروفا عند العلماء أن من لم يحفظ القرآن في شلاطة ولم يدرس الفقه في تاسليست

يعتبر ناقص السر. وكان الناس إذا أرادوا تعظيم طالب أو فقيه نسبوه إلى إحدى الزاويتين[1] .

وممن تخرج منها من أعلام الجزائر، نذكر الشيخ محمد بن بلقاسم صاحب زاوية الهامل والشيخ المختار بن خليفة الجلالي صاحب الزاوية المختارية والشيخ محمد بن عبدالرحمن الديسي، والشيخ ابن أبي القاسم بن عروس، والشيخ محمد الصديق الديسي، والشيخ الحاج علي مكي، وغيرهم.

ومن علماء أسرة ابن أبي داود الشيخ السعيد بن أبي داود المتوفي عام ١٢٥٦هـ والذي أخذ عنه خلق كثيرون، فتح الله على نحو ٦٠٠ منهم وبقي في التدريس خمسين سنة.

ومن علمائها الشيخ الطيب بن عبدالرحمن المولود سنة ١٢٤٨ هـ المتوفي سنة ١٣٠٩هـ وقد أخذ عنه كثيرون فتح الله على ٧٢ منهم.

ومن علمائها أحمد بن أبي داود المولود عام ١٢٣٥ه والمتوفي عام ١٢٨٠هـ تولى التدريس وعمره ٢٠ سنة لمدة ٢٥ سنة وقد تخرج

---

[1] تعريف الخلق للحفناوي.

عنه كثيرون يصل عددهم إلى ٣٥٣ ومن تلاميذه الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي.

ومن رجال العلم والسياسة الذين تخرجوا من هذه الزاوية العامرة نذكر الشيخ أبا القاسم بن محمد بن عيسى الذي كان فريد زمانه ووحيد عصره، وأوانه في الحفظ وسعة الإطلاع وكان كاتبًا لدى الحاج أحمد باي، توفي في قسنطينة سنة ١٨١٩ رحمة الله عليه.

وفي ثورة التحرير المباركة تعرضت زاويتهم للهدم والتخريب بسبب موقفها المساند للثورة.

والمعروف عن هذه الزاوية التاريخية أنها لا تنتسب إلى أي طريقة صوفية، وقد عرفت نهضة علمية زاهرة قبل قدوم الأتراك العثمانيين، وللزاوية فروع ثلاثة:

زاوية أبي التقي بالقرب من مدينة برج بوعريريج.

زاويتان تقاعان بجبل الذريعات في ولاية المسيلة.

ولا ننسى ونحن نأتي على نهاية هذه الكلمة أن نذكر أسماء بعض الشيوخ الذين علموا بها. وقد التحقوا بالرفيق الأعلى راضيين مرضيين بعد أن قاموا بأداء واجبهم في خدمة الإسلام والمسلمين، رحمهم الله. فمنهم:

الشيخ مبروك العربي المسيلي (١٩٢٦).

الشيخ الطاهر الحريري الذي علم بالزاوية مدة ٤٧ سنة.

الشيخ الشريف الحيدوسي (خريج جامع الزيتونة).

الشيخ الطاهر بن سروش (ت ١٩٦٩).

الشيخ كريم علي بن سعيد (ت ١٩٧١).

زاوية ابن علي الشريف شلاطة

أسرة بن علي الشريف من الأسر التي هاجرت من المغرب واستطونت بمنطقة القبائل في الفترة ما بين القرن السادس والثاني عشر الهجري ويتصل نسب هذه الأسرة بسيدي عبدالسلام بن مشيش الحسني رضي الله عنه.

ومؤسس الزاوية هو الشيخ الشريف سيدي موسى الجد الأعلى لهذه الأسرة الذي غادر مسقط رأسه في صغره ليستقر في يلولة وفيها تزوج بواحدة من بنات الأسر المعروفة بالصلاح، ليتم له بذلك الاستقرار الكامل ويتفرغ لتأسيس زاوية شلاطة التي اشتهرت بهذا الاسم إلى يومنا هذا وتنتمي إلى الطريقة القادرية.

وقد كان لهذه الزاوية صيت كبير وسمعة طيبة جعل طلاب القرآن يقصدونها من جميع أرجاء البلاد، حتى أصبحت متخصصة في تحفيظ كتاب الله عز وجل لذلك قيل للتنويه بها والإشادة بتخصصها في هذا الميدان بالذات: من لم يقرأ القرآن في شلاطة ولم يتعلم الفقه في تاسلنت أي زاوية أبي داود يعتبر عند المحبين ناقص السر.

ولأسرة ابن علي الشريف زاوية أخرى في - العزيب - ولكنها أقل أهمية من زاوية شلاطة التي كان من بين شيوخها الذين درسوا

بهـا الإمـام الـراحل فقـيد العـروبة والإسـلام الشـيخ محمـد البشـير الإبراهـيمي رحمــه الله ورضــي عــنه ودرس بهـا قـبله عمـه الشـيخ المـكي رحمـه الله.

وقـد تخـرج مـن زاوية ابن علـي الشـريف في شلاطة عدد كبير من علـمـاء الجزائـر، وفقهائهـا، وكانـت فـي القـرن الثالـث عشـر والـرابع عشر الهجري تتمتع بشهرة واسعة وتقوم بنشاط كبير.

ومـن أبـنـاء هـذه الأسـرة الشيخ محمـد السـعيد بن علـي الشـريف المولـود فــي يلولـة مــن بـلاد زواوة سـنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٠م وهــو مــن الفقهاء والمؤرخين المتمكنين، له مؤلفات نذكر منها:

الاستبصـار بتفضيل الأزمـان ومنافع البـوادي والأمصار. والتوسم والاســتدلال علــى محاســن أخــلاق النســاء والـرجال. وكــتاب فــي التوحـيد. ولـه تآلـيف أخـرى فـي السـيرة النـبوية وتـاريخ الخلفـاء والملوك والعرفاء.

تـوفـي بشـلاطة سـنة ١٨٩٦م علـيه رحمـة الله ومغفـرته ورضـوانه[1]. وقـد كـان تأسـيس الـزاوية عـام ١١١٢هـ/١٧٠٠م. وقـد تحـدث عـنها البسـتاني في دائرة معارفه.

---

[1] تعريف الخلف للحفناوي. آثار ابن باديس، رابح التركي.

زاوية الشيخ عبدالرحمن اليلولي

تقع هذه الزاوية بجبل - ايلولن - قرب آقبو. ومؤسسها هو العالم الصالح الشيخ عبدالرحمن اليلولي الذي ينسب إلى قبيلة يلولة المعروفة بنواحي عزازقة. أما تاريخ تأسيسها فالنصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري. وتعتبر هذه الزاوية من بين الزوايا ذات الشهرة الدائمة على مستوى الوطن.

فقد عرفت بنظامها الداخلي الدقيق، وبرنامج تعليمها الغني بمختلف المواد، بالإضافة إلى المادة الأساسية المتمثلة في تحفيظ القرآن حفظا متقنا مع معرفة كاملة بالقرءات، كما عرفت كذلك بشيوخها الذين كانوا جهابذة في مختلف العلوم والفنون. ونذكر منهم على الخصوص الشيخ الصادق ابن زكري شقيق مفتي الجزائر الشيخ السعيد بن زكري، والشيخ الشريف الافليسي، والشيخ السعيد الزلالي، والشيخ محمد الطاهر الجنادي، والشيخ محمد بن علي بن مالك، والشيخ العربي الاخداشي. وممن تخرج منها من أعلام الجزائر نذكر المصلح الكبير الشيخ أبا يعلى الزواوي والعلامة الجليل الشيخ أبا القاسم البوجليلي، والتلميذ الخاص للشيخ الحداد وخليفته بعده على رأس الطريقة

الرحمانية، والشيخ الطاهر التيطوسي وغيرهم ممن تطول القائمة بذكرهم.

إن زاوية تخرج أمثال هؤلاء العلماء لجديرة بالاهتمام من طرف الدارسين والباحثين والمؤرخين كما تستحق كل دعم ومساندة من طرف الجهات المعنية حتى تستعيد نشاطها وتواصل مسيرتها التربوية التعليمية وتؤدي رسالتها المقدسة في خدمة البلاد والعباد وقد زارها الإمام ابن باديس في بداية الثلاثينات ونسجل تلك الزيارة في مجلة الشهاب.

أما مؤسسها الشيخ عبدالرحمن اليلولي فقد توفي سنة ١١٠٥ هـ. رحم الله الجميع ورضي عنهم.

زاوية سيدي منصور الجنادي

أسست الزاوية من طرف الشيخ منصور الجنادي الذي رمت به الأقدار من الساقية الحمراء ليحط رحاله في ربوع زواوة وهو عالم متوسط المحصول، ومرابط نذر حياته للرباط، عاش زاهدا عابدا في قرية تدعى تازيرت في يلولة امالو بين مدينة آقبو وزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي ومنها انتقل الشيخ إلى ناحية اعكورن وحل هناك بقرية تدعى ججيقة نواحي سباو الأعلى وأقام بها نحو السنتين ولكنه لم يجد لدى أهلها ما يليق بمثله من التقدير والاحترام بل ضويق وأوذي فغادرها بعد أن دعا على أهلها. وبلغني أن أهلها لا يزالون يجرون تلك الندامة إلى يوم الناس هذا.

واستقر به المقام في قرية تيميزار من قرى عرش بني جناد قريبا من مدينة اعزازقة وفي هذه المرة لقي الترحيب وحسن الاستقبال والإقبال. فاختار لإقامته خلوة في غابة، بأسفل القرية تسمى غابة الحمام وفيها كان مبيته ومقيله، وبنى له أهل القرية مسجدا في وسطها يصلي فيه، ويحفظ صغارها القرآن، ويعلم كبارها أمور دينهم ومع مرور الوقت تحول المسجد إلى زاوية يرتل

فيها الطلبة القرآن من القرى المجاورة وهكذا إلى أن وافاه الأجل المحتوم فدفن بجوار مسجده.

أما زاويته فقد أخذت في الاتساع ونالت في أوساط المواطنين سمعة طيبة، وذكرا حسنا بما كان يدرس فيها من علوم القرآن والفقه وأصوله والنحو في مطولاته فقصدها لذلك القاصي والداني من جميع نواحي الوطن حتى بلغ عدد طلابها سبعين ومائة طالب تتكفل الزاوية بإيوائهم وإطعامهم. وقد عاش الشيخ منصور الجنادي في القرن التاسع الهجري في ظل حكم عمر بن القاضي الذي حكم جبال زواوة في عهد الحفصيين.

وقد جاء في قانون زاوية سيدي منصور الجنادي أن التلاميذ هم الذين يتولون تسييرها تحت إشراف الوكيل فيسهرون على النظافة والتموين والأمن وأذاء الشعائر الدينية ونحو ذلك.

زاوية الشيخ أبي القاسم البوجليلي

تنسب هذه الزاوية للعلامة الجليل والمجاهد الكبير الشيخ أبي القاسم البوجليلي نسبة إلى قرية بوجليل ببني عباس، التلميذ الخاص البطل المعروف الشيخ الحداد وخليفته من بعده، على رأس الطريقة الرحمانية.

وتقع الزاوية بقرية بني عباس بالقرب من القلعة المعروفة بهذا الاسم. وقد أسسها الشيخ أبو القاسم البوجليلي في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. وتنتمي إلى الطريقة الرحمانية. وقد كانت هذه الزاوية قلعة من قلع الإسلام في تلك الجهة تستقبل الوافدين عليها من الطلبة فتتكفل بإطعامهم وإيوائهم وتعليمهم. كما تستقبل الزوار للفتوى والفصل في مختلف النزاعات.

وقد تخرج منها عدد هام من رجال العلم والثقافة نذكر على سبيل المثال الشيوخ:

آيت أحمد يوسف،

محمد عمارة،

الطيب عمارة.

زاوية الشيخ ابن سحنون

تقع هذه الزاوية ببني وغليس نواحي آقبو وتنتمي إلى الطريقة الرحمانية، وقد أسسها الشيخ الفاضل علي سحنون. ويعود تاريخ تأسيسها إلى ما قبل الاحتلال وقد قامت بأداء رسالتها المقدسة في تحفيظ القرآن الكريم، ونشر الثقافة الإسلامية.

وقد بلغ عدد الطلبة بها سنة ١٩٣٠ ثلاث مائة طالب يتمتعون بالنظام الداخلي. وهذا ما يؤكد الجهد العظيم الذي بذله المشرفون على تسيير هذه القلعة الإسلامية العظيمة.

درس في هذه الزاوية عدد كبير من العلماء الأجلاء نذكر منهم:

الشيخ محمد والشريف سحنون،

الشيخ أحمد مرواني،

الشيخ عبدالمجيد الغبولي،

الشيخ محمد منور.

زاوية سيدي يحي العيدلي تاموكرة

عرفت هذه الزاوية منذ القرن التاسع الهجري باسم مؤسسها العالم الجليل والوالي الصالح الشيخ سيدي يحي العيدلي الذي شهد له بالعلم والتقى والصلاح كبار العلماء في وقته أمثال الشيخ عبدالرحمن الصباغ شارح الوغليسية في الفقه، والشيخ عبدالرحمن الثعالبي دفين مدينة الجزائر والشيخ التواتي البجايي رحم الله الجميع.

وقدظهرت للشيخ يحي العيدلي كرامات كثيرة لا يسمح المقام بذكرها وقد شهد له بها الكثير من العلماء المعاصرين له. ومن بينهم الشيخ زروق، والشيخ التواتي. رحمهم الله.

ومن المعلوم لدى العام والخاص أن هذه الزاوية قدمت للثقافة العربية الإسلامية خيرة العلماء الذين تخرجوا منها والذين كانت ولا تزال لهم في ميادين العلم والإصلاح نشاطات وأعمال جليلة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الشيوخ: الطاهر آيت علجت، والمفكر الجزائري الأستاذ مولود قاسم، جمعة او يخلف، محمد وعلي أقروفة، محمد الطاهر بوزغوب، رحم الله من مات منهم وحفظ الأحياء ووفقهم للصالحات.

إن هذه الزاوية تعتبر من أهم معاقل الإسلام والعربية في الجزائر وهذا بالنظر لمكانتها التاريخية والعلمية بحيث أصبحت كعبة للطلبة يؤمونها من جميع جهات الوطن لحفظ القرآن، وتلقي علوم اللغة والدين على يد مشايخها الذين عرفوا بكفائتهم وتحصيلهم، والذين استطاعوا أن يحافظوا على قديمهم مع عدم التفريط فيما يدرس حاليا من علوم حديثة. وبذلك استطاعت الزاوية أن توفق في الجمع بين القديم والحديث.

ويسير الزاوية نظام داخلي دقيق يشتمل على قوانين مضبوطة وتطبق بكل صرامة وحزم من طرف مجلس الشورى للزاوية الذي يتكون من اثني عشر طالبا من بين الطلبة المتفوقين، ويشرف عليهم الشيخ الطاهر آيت علجت حفظه الله، الذي يعتبر المسؤول على الزاوية، وهذا بعد إعادة فتحها سنة ١٩٦٨.

ومن بين القوانين الصارمة التي لا تتساهل الزاوية فيها بالنسبة للطلبة نذكر:

اللغة العربية إجبارية،

القيام المبكر إجباري،

الصلاة إجبارية،

الحضور لأوقات الصلاة إجباري مع الجماعة ومن تخلف ثلاث مرات يطرد،

حفظ حزب من القرآن في كل شهر.

أما العلوم التي تدرس بالزاوية فهي التي نجدها في كل الزوايا كاللغة العربية، والفقه، والسيرة النبوية، والتوحيد، والمواريث، وغيرها. ويوجد بها حوالي ١٢٠ طالبا وهو عدد قابل للزيادة، وأغلبهم من أبناء الأسر الفقيرة يواصلون تعليمهم على نفقة الزاوية التي تتكفل بإطعامهم وإيوائهم دون مقابل.

وبعد إتمام تعليمهم تمنحهم الزاوية شهادة معترفا بها في الدوائر الرسمية للدولة. أما مورد الزاوية فمن أملاكها الموقوفة، وكذلك من تبرعات المحسنين الغيورين على الإسلام، وكتاب الإسلام، ولغة الإسلام.

لقد تعرضت الزاوية للهدم والتخريب مرتين في عهد الاحتلال الفرنسي: ١٨٤٥ - ١٨٧١ وعادت للظهور سنة ١٩٣٨ وكان عدد الطلبة بها آنذاك ٦٠ طالبا وبمرور الوقت وبفضل مجهودات رجال العلم والبر والإحسان القائمين بها بلغ عدد الطلبة ٢٥٠ طالبا سنة ١٩٥٥ وقيل أنها أغلقت أبوابها بسبب حرب التحرير الكبرى. وقد التحق بالثورة المظفرة منهم ٧٠. رحم الله من استشهد وحفظ الباقين.

زاوية سيدي محمد بن قري

تقع الزاوية التي عرفت عبر تاريخها باسم . الجامع أوقرى . في بقعة طيبة تسمى القلعة على بعد أربع كلم من بلدية قنزات التابعة لولاية سطيف، وتحتل مكانها في قمة شامخة من جبال الناحية ويؤدي إليها طريق معبد فتح في ١٩٦٩. أما عن تاريخ تأسيسها فيرجع حسب المتواتر في أقوال سكان المنطقة إلى القرن التاسع الهجري.

وقد تحدث الرحالة الجزائري المعروف الشيخ الورتيلاني صاحب الرحلة المشهورة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" تحدث في رحلته عن مؤسس الزاوية فقال: "الشيخ العارف بالله تعالى الزاهد في الدنيا رأسا، المتخلي عنها نفسا. سيدي محمد بن قرى وقد اعتزل بأهله وسكن القلعة في غيضة عظيمة لا يسكنها إلا الوحوش لعدم الماء فيها ومع ذلك أنه بنى دوره في الأوعار من الجبل مع بعدها من الوادي إلى رأس الجبل، وبنى فيها مساجد بفضل الله سيما الجامع الكبير. وهو الزاوية الحالية. فقد بناه بناء معتبرا إلا إذا كان مثله في تونس وأشار رحمه الله إلى أنها ستكون مدينة قاهرة آخر الزمان، وقد تحمل المشاق العظيمة في مجاهدة نفسه وأهله وأولاده وأصحابه وكان لا

يفتر عن ذكر الله تعالى، طريقه صعب لا يسلكه إلا من نبذ نفسه وراء ظهره وقد أدركته صغيرا".

هذا ما جاء في الرحلة الورتيلانية بخصوص هذه الزاوية التاريخية ولا تزال بها بقايا آثار البناء الأول إلى يوم الناس هذا وهي أسطوانات مفتوحة من حجر، وأسطوانات أخرى من طين. وقد تعرضت الزاوية خلال ثورة التحرير المباركة للهدم والتخريب من طرف قوات الاستعمار وبقيت كذلك إلى أن جدد بناؤها سنة ١٩٦٥ من طرف أحد أحفاد الشيخ سيدي محمد بن قرى وهو الولي الصالح الشيخ محمد أكلي بن قرى حمودة المولود سنة ١٩٠٣ والمتوفي سنة ١٩٧٥ والذي رأى في المنام أن الله عز وجل يأمره بتجديد بناء الزاوية لتستعيد نشاطها في التعليم. فقام خير قيام بعون الله ومساعدة أهل البر والإحسان ومساعدة السلطات المحلية وجدد بناءها وبعد وفاته رحمه الله واصل أبناؤه ما بدأه أبوهم فأكملوا بناء كل المرافق التابعة للزاوية وانتهت الأشغال بها سنة ١٩٨٥ ببناء:

الجامع، حيث يتلقى الطلبة الدروس الدينية وحفظ القرآن الكريم،

اثنان وأربعون غرفة كبيرة للنوم،

ثلاث مطابخ ومخزن للمؤونة وقاعة للإطعام،

أربع وأربعين مساكن للمعلمين والمشرفين على شؤون الزاوية.

وتجدر الإشارة إلى أن الزاوية تحيط بها أرض وقف مساحتها صغيرة وستغرس مستقبلا بالأشجار المثمرة لصالح طلبة الزاوية.

لقد استأنفت الزاوية نشاطها في ٣ مارس ١٩٨٧ ويقوم بالتعليم فيها الشيخ الفاضل المسعود يوزدور وقد قصدها الطلاب من كل الجهات، وتخرج منها العديد من حفظة القرآن الكريم. وتحظى الزاوية باحترام وتقدير أهالي تلك المناطق الذين لا يكاد يمر يوم دون قدوم جماعة لزيارتها وقد كانت الزاوية خلال حرب التحرير مأوى للمجاهدين وقد شهدت انعقاد العديد من الاجتماعات السرية لقادة الثورة.

وقبل أن نختم الحديث عن هذه الزاوية نذكر بأنه ليس لها أي مورد إلا ما يبذله أحفاد الشيخ سيدي محمد بن قرى بمساعدة أهل البر والإحسان وكذا وزارة الشؤون الدينية والسلطات المحلية وهي تعاني كغيرها من زوايا الوطن من نقص في مياه الشرب ونقص في التأطير ومع ذلك فإن المشرفين عليها جازهم الله خيرا غير راضين عن عدد الطلبة ويتمنون مخلصين الزيادة في هذا العدد لأن الهياكل متوفرة وبإمكانها استقبال عدد لا بأس به. كما أنهم عازمون على إدخال مواد مهمة في برنامج التعليم وتحسين

ظروف الطلبة المادية والمعنوية، وهم يطمحون إلى تطوير الزاوية مستقبلا وتوسيعها وإدخال إصلاحات هامة عليها.

زاوية الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري

تقع هذه الزاوية ذات التاريخ العريق ببلدية آيت اسماعيل قرب بوغني ولاية تيزي وزو. وقد أسسها العالم الصالح الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية التي سبق التعريف بها وبصاحبها.

وقد عملت هذه الزاوية منذ تأسيسها في القرن الثامن عشر الميلادي على الحفاظ على الشخصية الإسلامية العربية لشعبنا بنشرها للإسلام وتعليمها للقرآن الكريم ولا تزال منذ أن أسست إلى يومنا هذا تقوم بهذا الدور العظيم ويوجد بها حوالي ١٥٠ تلميذا قدموا إليها من جهات شتى من القطر الجزائري للإنقطاع لحفظ كتاب الإسلام الخالد ومعجزة الله في أرضه.

وقد حاول الاستعمار بكل وسائل الترغيب والترهيب استعمالها ولكن الزاوية وقفت صامدة لا تتزعزع عن أداء رسالتها في التعليم وفي بث روح الجهاد في المواطنين من مريدين وأتباع. وقد كانت حقا مركز إشعاع ديني وقلعة صامدة للجهاد والمقاومة. وجه إليها الاحتلال آليات تدمير سنة ١٨٧١ فتركتها أثرا بعد عين ولكن أبناء المنطقة الغيورين على الإسلام ولغة الإسلام أبوا إلا إعادة بنائها

سنة ١٩٣٦ لتستأنف نشاطها في محاربة الجهل ونشر العلم والمعرفة وهي الرسالة التي لا تزال قائمة بها بكل جد واجتهاد.

زاوية سيدي أحمد بن ادريس بيلولة

تنسب هذه الزاوية لواحد من كبار العلماء الذين عرفتهم بجاية وعرفهم الجامع الأزهر الشريف ألا وهو الشيخ سيدي أحمد بن ادريس، مؤسس الزاوية في القرن السابع الهجري. فهي من أقدم الزوايا التاريخية على المستوى الوطني.

وبالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم الذي يعتبر المادة الأساسية والرئيسية في البرنامج التعليمي للزاوية، فقد اشتهرت الزاوية بتدريسها للعلوم الآتية:

علوم القرآن بقراءاته العشر،

الفقه،

التوحيد،

الفرائض،

التفسير،

النحو والصرف والبلاغة،

علم الفلك.

عدد الطلبة بالزاوية كان يتروح بين ٥٠ و٦٠ طالبا. وفي سنة ١٩٣٣ زارها إمام النهضة الإصلاحية وفقيد العروبة والإسلام الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله ورضي عنه ومكث بها أسبوعا كاملا.

زاوية الشيخ أحمد أويحي:

كان تأسيس هذه الزاوية من طرف الشيخ أحمد أويحي العيدلي في القرن التاسع الهجري، وتقع في بلدية أمالو دائرة صدوق ولاية بجاية. وقد أسست لتؤدي كغيرها من بقية الزوايا المنتشرة في مختلف جهات الوطن رسالتها المتمثلة في تعليم القرآن الكريم، وتدريس العلوم الدينية واللغوية، وتستقبل أعدادا هائلة من الطلاب الذين يأتون إليها من وسط وشرق البلاد.

وتقوم بالإضافة إلى رسالتها الثقافية بنشر روح الأخاء والمحبة بين المواطنين، والقضاء على كل أشكال النزاع والخصام بين الأفراد والجماعات بتوسطها بين المتخاصمين والحكم بينهم بالكتاب والسنة.

وفي سنة ١٩٥٦ لبى الكثير من طلبتها داعي الجهاد حين التحقوا بصفوف الثورة التحريرية، واستشهد أغلبهم في سبيل حرية الوطن ورفع راية الإسلام عالية خفاقة رحمهم الله ورضي عنهم.

وليس للزاوية من مورد سوى ما يقدمه لها أهل البر والإحسان من هدايا، وتبرعات، وزكاة، تمكن المشرفين على الزاوية من أداء

رسالتهم الاجتماعية الخاصة بإيواء الطلبة وإطعامهم والتكفل بهم إلى أن يتموا دراستهم بالزاوية.

من الشيوخ الذين علموا بالزاوية نذكر:

الشيخ الطيب شنتير،

الشيخ السعيد اليجري،

الشيخ لحلوا وعمارة.

بلغ عدد الطلبة بها قبل عام ١٩٣٠ مئاتي طالب.

زاوية أولخضير

تقع زاوية اولخضير في تاسلنت نواحي آقبو وهي تحمل اسم السيد أحمد أولخضير مؤسسها. وقد تخرج منها الكثير من حفظة القرآن الكريم. وقد اشتهرت بتحفيظها لكتاب الله عز وجل حتى أمها الطلبة من كل الجهات.

وبالإضافة إلى ذلك كانت تدرس بها مختلف المواد كالفقه، سيد العلوم، والفرائض، والتوحيد، والتجويد، والنحو والصرف.

زاوية سيدي أحمد بن علي

زاوية سيدي أحمد بن علي في رابطة أولاد خلوف بمجانة قريبا من مدينة برج بوعريريج مقر الولاية، وهي التي لجأ إليها علي باي بن حمودة وانقطع فيها للذكر والعبادة سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م وقضى بها بقية حياته. وتمتاز هذه الزاوية بموقعها السياحي الجميل حيث توجد بالقرب منها بساتين وحدائق غناءة. كما يوجد ضريح الولي الصالح أحمد بن علي الذي حل بهذه الناحية في القرن التاسع الهجري.

وتتكون زاوية الرابطة من طابقين اثنين يشتمل الأول على مطعم الطلبة والمرقد وبعض المرافق الأخرى، وهو مخصص

لحفظ القرآن الكريم. أما مسجد الزاوية فقد خص له الطابق الثاني. ويعود تاريخ تأسيس الزاوية إلى القرن التاسع الهجري.

عدد الطلبة بها ٩٠ طالب يتلقون فيها علوم الدين واللغة بالإضافة إلى القرآن الكريم، في إطار نظام داخلي دقيق. والتعليم بها يبدأ بعد أداء صلاة الصبح ويستمر إلى صلاة العشاء تتخللها طبعا فترات الغذاء والقيلولة. ويتمتع الطلبة براحة أسبوعية منتظمة.

وتساعد نظارة الشؤون الدينية الزاوية بتعيين أستاذين للتدريس بها. وقد تعرضت الزاوية سنة ١٩٥٦ للهدم والتخريب من طرف السلطات الاستعمارية وذلك بسبب موقفها المدعم لثورة التحرير . وبفضل المؤمنين الغيورين عن دينهم ولغتهم تم بناء الزاوية من جديد.

زاوية الشيخ عبدالقادر الحمامي

أسست هذه الزاوية من طرف الشيخ الفاضل عبدالقادر الحمامي سنة ١٩٢٣ وتقع في جبل معالة بالقرب من مدينة الأخضرية باليسطرو سابقا. ولهذه الزاوية ملحقتان:

الأولى في الأخضرية.

الثانية في حي بلكور بمدينة الجزائر العاصمة.

وقد بلغ عدد الطلبة بها سنة ١٩٣٤، ٣٥٠ طالبا يتمتعون بالنظام الداخلي. وفي سنوات ١٩٤٥-١٩٥٤ في عهد الشيخ عبدالرحمن الحمامي وصل عددهم إلى ٤٠٠ طالب.

زاوية فريحة

بالقرب من دائرة بني ورتيلان ولاية سطيف تقع زاوية فريحة التي يرتبط تاريخ تأسيسها بقدوم الولي الصالح الشيخ حمدي بن يحي بن موسى في القرن التاسع الهجري إلى المنطقة واستقراره بها. وقد كان لهذه الزاوية دور بارز في تعليم القرآن الكريم، ونشر العلم والمعرفة في أوساط المواطنين الوافدين عليها من كل حدب وصوب، فساهمت بذلك بقسط وافر في الحفاظ على الإسلام والعروبة في هذه الديار.

وفي سنة ١٨٩٨ أعيد بناؤها وإصلاحها من جديد لتواصل أداء رسالتها المقدسة في التعليم وتثقيف الناشئة، والقيام بمهامها في الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه السامية، وقيمه الروحية الداعية إلى الأخوة والوحدة،والاعتصام بحبل الله ونبذ كل أسباب الفرقة والخلاف. وقد تخرج منها عدد هائل من رجال العلم والأدب والإصلاح والجهاد، الذين بذلوا في شتى الميادين جهود ونشاطات تذكر، ولعل الأرقام الآتية التي نذكرها على سبيل المثال لا الحصر تؤكد أهمية هذه القلعة التاريخية الحصينة: فقد تخرج منها في الفترة الممتدة بين ١٩١٤ و١٩٥٧:

٥٣ من حفظة القرآن الكريم،

٣٠ من رجال العلم،

٣٦ إطارا،

٢٥ مدرسا.

ومن بين المتخرجين منها نذكر الأخوين الفاضلين، الشيخين الحسن والطاهر فضلاء، الشيخ علي، وغيرهم[1].

ومما يجدر ذكره في هذه العجالة، دور الزاوية في الثورة التحريرية المباركة التي لبى نداءها أغلبية طلابها، وأصبحت الزاوية فيما بعد حصنا منيعا للثورة يجد فيه المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من عون ومساعدة ومدد. وفي عهد الاستقلال تعود الزاوية إلى نشاطها من جديد في نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم بدعم ومساندة نظارة الشؤون الدينية التابعة لولاية سطيف.

---

[1] نقلا عن مقال للأستاذ بلقاسم بن طلبي نشر في جريدة الخبر.

زاوية الشيخ بن عامر

من الزوايا التي ساهمت مساهمة لا بأس بها في الحفاظ على الإسلام ولغة الإسلام، زاوية الشيخ ابن عامر الواقعة في بلدية القادرية ولاية البويرة والتي يرجع الفضل في تأسيسها إلى الشيخ ابن عامر رحمه الله.

وقد كانت هذه الزاوية مقصد الطلاب من قسنطينة وعنابة وبسكرة وبجاية ووهران وغيرها من مدن وقرى الوطن.

وقد تخرج منها العديد من حفظة القرآن الكريم وطلبة العلم الذين أصبحوا فيما بعد، إطارات سامية في مختلف الوزارات.

وكان للزاوية في ثورة التحرير دور بارز حيث أصبحت معقلا من معاقل الثورة ومركزا يؤمن المؤمن للمجاهدين والمسلمين.

ويعود سبب إغلاقها إلى سنوات ثورة تحرير حين أقدمت السلطات الاستعمارية على هدم بعضها وإغلاق البعض الآخر بعد أن أصبحت تلك الزوايا حصنا حصينا للثورة ودرعا متينا لها، وبعد أن تحولت إلى مراكز للمجاهدين يجتمعون فيها ويخططون داخلها لعمليات المقاومة والفداء، محاكم للفصل فيما يقع بين المواطنين من أنواع النزاع والخصومات لتجنبهم بذلك اللجوء إلى القضاء الاستعماري. وهذه أسماء بعض الزوايا أسجلها كما

سمعتها من أفواه الشيوخ بالغرب الجزائري. وأبدأ بهذه التي ذكرها العلامة الجليل الشيخ بلهاشمي ابن بكارة في كتابه القيم . مجموع الحسب والنسب . وهي الزوايا التي كانت موجودة وقائمة بنشاطها التعليمي فيما بين القرنين العاشر والحادي عشر الهجري:

زاوية سيدي محمد بن يحي السليماني،

زاوية سيدي عبدالله بن عبدالرزاق الادريسي،

زاوية سيدي محمد المشرفي الادريسي شيخ مصطفى الرماصي،

زاوية سيدي عبدالقادر بن المختار الادريسي،

زاوية سيدي عبدالرحمن المحمودي الادريسي المكنى دحو،

زاوية سيدي الخضير الصنهاجي الادريسي،

زاوية سيدي محمد الأعرج السليماني،

زاوية محي الدين بن مصطفى الادريسي،

زاوية سيدي سحنون بن أحمد الحسني وكان أكثر تدريسه كتاب المدونة،

زاوية سيدي الهاشمي بن علي بوشنتوف وهو حفيد سيدي سحنون السابق الذكر،

هذه الزوايا وغيرها والتي تطول بسردها القائمة هي التي كانت السبب الرئيسي في انتشار العلم بمنطقة غريس التي أنجبت الكثير من أعلام العلماء ومن رجالات التصوف الذين ضربت بجهادهم وبطولاتهم الأمثال.

وهذه بقية أسماء الزوايا:

زاوية الحاج بوشارب،

زاوية عبدالقادر مسعودة،

زاوية المخاطرية،

زاوية سي الحاج الأخضر مصطفاوي،

زاوية الحاج قداري عرش الزدامة،

زاوية سي الجيلالي بودهري،

زاوية الهبارة بلدية وادي الأبطال،

زاوية الحاج المغربي،

زاوية الشيخ قادة بن المختار،

زاوية العوافل،

زاوية الحاج الحبيب بلخير،

زاوية الخراشي سي أدريس،

زاوية سي أحمد بوحلوفة،

زاوية سي بلقاسم،

زاوية الشيخ مصطفى بن ابراهيم،

زاوية سيدي علي شريف،

زاوية سيدي محمد بن قالة الحسني بالكرط،

زاوية مصطفى بن طيب بعقار،

زاوية الشيخ أبي الفضل الحاج الطاهر المعروفة بالمنصب، بسوقر،

زاوية سيدي بوسعيد، دائرة عوف،

الزاوية الشريفية بلدية سيدي عبدالجبار بتغنيف،

الزاوية العزايزية،

زاوية سيدي علي الأعرج،

الزاوية الحمداوية بلدية حساين،

الزاوية البوعبدلية،

الزاوية الدرقاوية،

الزاوية التيجانية،

الزاوية القادرية،

الزاوية الرحمانية،

الزاوية العلاوية،

الزاوية الحبيبية،

الزاوية الزيانية،

الزاوية البودالية الهبرية،

زاوية سيدي ابن ثابت،

زاوية سيق،

زاوية الزيتونة،

زاوية سيدي أدريس،

زاوية سيدي علي بلحاج ببني شقران،

زاوية الحاج أحمد بن مداح بالمحمدية،

زاوية سيدي تليح بسيدي دحو،

زاوية حمدوش بشجرة البطحاء،

زاوية الشيخ ابن يحي السنوسي (١٨٣٠)،

زاوية سيدي الأعرج الكبير (١٨٣٠)،

زاوية سيدي ابن عثمان،

زاوية سيدي عيسى بن موسى،

زاوية أحمد بن يوسف الراشدي،

زاوية سيدي الحاج البشير حفيد سيدي محمد بن حواء،

زاوية سيدي عبدالقادر بن محمد الصغير،

زاوية سيدي الحاج محمد بن يمينة العمراوي،

زاوية الحاج محمد زلماطي،

زاوية سيدي حمو الشيخ البوزيدي،

زاوية الحاج بخدة،

زاوية سيدي الحبيب بروكش،

الزاوية الرفاعية بسبدو،

زاوية الشيخ المدني أبي عبدالباقي بلدية واد الجمعة بغليزان،

زاوية الشيخ مولاي أحمد بغليزان،

الزاوية السنوسية بمازونة،

زاوية سيدي الحاج علي الحضري بخميس مليانة،

زاوية سيدي جلول بجندل،

زاوية العزازية بجندل،

زاوية سيدي محمد المهبلي بين العطاف وعين الدفلة،

زاوية سيدي أحمد بوراشد بعين الدفلة.

زاوية الشيخ ابن دوبة بوادي الروينة،

زاوية الشيخ المجاجي بتنس،

زاوية الشيخ بوعبدالله ببطيوة.

وسنتعرض بشيء من التفصيل لأهم الزوايا من حيث تاريخ تأسيسها ونشاطها في ميدان التعليم وذكر شيوخها وأسماء بعض المتخرجين منها من الأعلام الذين كان لهم في مجالات العلم والثقافة نشاط يذكر وهذا بناء على ما أمكننا جمعه من المعلومات التي أفادنا بها بعض الشيوخ رغم قلتها وانعدام مصادرها.

وقد عرفت منطقة الغرب الجزائري بكثرة الزوايا التي كان لها الأثر الطيب خلال الحقب الماضية في ميادين التعليم، والتأليف، والمقاومة الوطنية ضد الاحتلال الأجنبي الذي تعرضت له البلاد عبر القرون الخوالي، ولا تزال كتب التاريخ تزخر بالحديث عنها والإشادة بها.

زاوية الشيخ سيدي ابن عبدالله

وهي الزاوية الدرقاوية الشاذلية الواقعة بحي بابا علي بمدينة معسكر ويعود تاريخ تأسيسها إلى حوالي سنة ١٣٠٠هـ من طرف العلامة الجليل والصوفي الشهير الشيخ سيدي ابن عبدالله بن عبدالقادر من أشارف أولاد سيدي أحمد بن علي المعروف في منطقة غريس.

وقد نشأ الشيخ سيدي ابن عبدالله في غريس حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتلقى العلوم الإسلامية واللغوية على علماء عصره فصار فيها من الأعلام الذين يُشارُ إليهم بالبنان.

اتجه بعد ذلك إلى التصوف، فأخذ في التنقل والسياحة من بلدة سيرات القريبة من وهران إلى بلدة عمي موسى، إلى وادي شلف بحثا عن ضالته إلى أن اتصل بالشيخ سيدي عدة بن غلام الله فكان له الفتح المبين على يد هذا الشيخ.

قام الشيخ سيدي بن عبدالله بتأسيس زاويته في معسكر ليستقر بها داعيا إلى الله مرشدا محبيه ومريديه، معلما ومربيا فذاع خبره بين الناس، في عدة مناطق من البرج إلى القلعة فغليزان وعين كرمان وعمي موسى وتيهرت وغيرها، فكثر مريدوه، وأقبلوا عليه إقبالا منقطع النظير، وهكذا قضى أخريات أيامه في الدعوة إلى

الله ووعظ الناس وإرشادهم وتعليم القرآن وبث العلوم ونشر قيم الإسلام وتعاليمه.

كانت وفاته ليلة الإثنين ١٠ من شهر ربيع الأول سنة ١٣١٣هـ وعمره سبعون سنة، رحمه الله ورضي عنه.

وبعد وفاته خلفه في تسيير شؤون الزاوية ابن العلامة الزاهد الشيخ عبد القادر فكان خير خلف لخير سلف، وانتصب مدرسا بها. فكان يدرس روح البيان في التفسير والبخاري في الحديث والمواهب اللدنية وغيرها من كتب التصوف. وختم تفسير القرآن في مدة ١٨ سنة.

وكان رحمه الله لا يصافح الكافر ولا تمس يده يده وهو في ذلك كالعلامة الجليل الشيخ أبي القاسم البوجليلي الذي سبق الحديث عنه. ومما يجدر ذكره في هذه المناسبة أن مسؤولا كبيرا فرنسيا زار الشيخ عبدالقادر في زاويته فأعرض الشيخ عن مصافحته وأمره بالإسلام قائلا: "أسلم خير لك من نعيم الدنيا"، فغضب المسؤول وأصدر عليه أمرا بالإقامة الجبرية فأصبح الشيخ لا يتنقل من بلدة إلى أخرى إلا بطلب رخصة. وبقي كذلك إلى أن توفي مسجونًا ليلة الأربعاء تسعة وعشرين من ذي القعدة عام ١٣٤١ هـ عن عمر يناهز السبعين. فخلفه أخوه العلاّمة الفاضل الشيخ العربي فقام بأمر الزاوية أحسن قيام وكانت وفاته يوم السبت تسعة

وعشرين من شعبان سنة ١٤٥١هـ فخلفه ابن أخيه الشيخ عدة ثم بعده شقيقه الحاج المختار ثم الشيخ بوشنتوف بن الشيخ العربي وهو من العلماء الأجلاء ثم الشيخ ابن عبدالله الذي توفي سنة ١٩٧٢. رحم الله الجميع بواسع مغفرته ورضي عنهم.

أما شيخ الزاوية حاليا فهو الأستاذ الفاضل الشيخ شنتوف محمد المولود بمدينة معسكر في ١٩٢٥/٠٧/٠٧. نشأ الشيخ نشأة عربية إسلامية في حضن جده لأمه الشيخ شاوش محمد الذي أشرف على تربيته بعد وفاة والده. فحفظ القرآن الكريم في القلعة حيث كان جده المذكور يملك ضيعة يقيم بها. وتلقى مبادئ اللغة العربية والفقه ثم انتقل إلى مدينة الشلف حيث واصل دراساته في الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية على الشيخ الجيلالي بن عبدالحكيم وبعد وفاة جده رحمه الله استقر الشيخ محمد شنتوف بمدينة غليزان التي مكث بزاويتها إماما للجمعة والصلوات الخمس، وفي هذه المدينة تعرف على البطل الشهيد العقيد عميروش الذي ربطته به علاقات حميمة ووثيقة. وكان ذلك سنة ١٩٤٠.

وفي هذه المدينة بدأ نشاطه النضالي بإنشاء جمعية ذات طابع خيري رفقة المرحوم عميروش ونخبة من أفاضل المدينة مثل السيد عبدالله بن الحاج جلول وعبدالقادر سعيدان ومحمد شهلال وعلي اليحياوي والمشري الحطابي. وكان هدف هذه الجمعية هو

نشر الوعي الوطني بين المواطنين، وبث القيم الإسلامية وترسيخها في أوساط الجماهير.

وعند اندلاع ثورة التحرير المباركة كان الشيخ محمد شنتوف من السابقين إلى الانضمام إلى صفوفها حيث عمل بكل إخلاص وحزم ونشاط إلى أن تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية في مدينة غليزان. ولما أطلق سراحه بعد مدة قضاها في السجن غادر المدينة المذكورة ليستقر بمدينة وهران حيث واصل نشاطه النضالي في صفوف جبهة التحرير الوطني إلى أن حصلت الجزائر على استقلالها، وتوجت ثورتها المباركة بالنصر المجيد.

وفي عهد الاستقلال اشتغل الشيخ مدرسا ومنخرطا في نفس الوقت في سلك طلبة جامعة وهران حيث تابع دراساته في كلية الحقوق، وبعد حصوله على شهادة الليسنس في المادة المذكورة انضم إلى إطارات وزارة العدل إلى أن أحيل على المعاش. ويشتغل الشيخ حاليا موثقا في مدينة تيغنيف بولاية معسكر.

وإلى جانب مهمته كموثق، يقوم الشيخ محمد شنتوف بمهمة رئاسة زاوية أسلافه، والسهر على تسييرها، والإشراف على شؤونها حيث يخصص لها جزءا مهما من وقته للعناية بها وبطلبتها كما يبذل جهدا كبيرا في عمارتها وتجديد بنانها وتوسيعها حتى

تكون في مستوى الرسالة السامية التي أسست من أجلها كمؤسسة تربوية وتعليمية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الزاوية ليس لها أي مورد مالي تعتمد عليه إلا ما ينفقه شيخها من ماله الخاص بكل سخاء عليها وعلى طلبتها فجازه الله خير الجزاء على ما يقوم به من نشاط كبير، وعمل عظيم في خدمة الإسلام والمسلمين فهو لا يبخل بوقته وجهده وماله من أجل مصالح البلاد والعباد.

وقد كان الشيخ محمد شنتوف أول منتخب للجمعية الوطنية للزوايا التي أعد لها برنامج عمل ثري قصد النهوض بهذه الجمعية وإعطائها الصورة المشرفة اللائقة بها وبالزوايا التي ترأسها، وحتى تستطيع أداء رسالتها النبيلة المتمثلة في نشر المحبة والأخوة والتسامح وروح التعاون والتكافل والتضامن بين أبناء الوطن، وتسهام بذلك في بناء الجزائر، جزائر العلم والتقدم والرخاء والإزدهار.

ونعود إلى الزاوية لنذكر بأنها تستقبل عدد لا بأس به من الطلبة الوافدين عليهل من مختلف جهات البلاد يتلقون فيها التعليم مجانا بالإضافة إلى ما توفره لهم من وسائل الإقامة والإطعام. كما تستقبل عددا من الفقراء والمساكين وعابري السبيل وتقدم لكل منهم ما يحتاج إليه من مساعدات.

وقد علم بهذه الزاوية منذ تأسيسها عدد كبير من جهابذة العلم. كما تخرج منها عدد لا يستهان به من حفظة القرآن العظيم وشيوخ العلم الذين طبقت شهرتهم الآفاق والذين أثروا المكتبات بمؤلفاتهم القيمة المفيدة.

زاوية الشيخ أبي عمران البهلولي الخليفي

في أواخر العهد العثماني بالجزائر وبإذن من الولي الصالح الشيخ عدة، شيخ الطريقة الدرقاوية، قام الشيخ عبدالقادر بن محمد الصغير بتأسيس الزاوية المذكورة بحي سيدي علي أمحمد بمدينةمعسكر. غير أنها تعرضت للهدم والتخريب من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي لبناء سجن مكانها. وكان ذلك سنة ١٨٤٣، لذلك قام الشيخ بنقل مكان زاويته إلى حي بابا علي حيث توجد الآن.

يعتبر الشيخ عبدالقادر مؤسس الزاوية من أجلّ العلماء في عصره فقد كان مشاركا في العلوم الدينية واللغوية. وكانت له اتصالات بشيوخ الطرق في وقته كالشيخ الموسوم صاحب زاوية قصر البخاري والذي خلف الشيخ عدة بعد وفاته على رأس الطريقة الدرقاوية.

رزق الشيخ عبدالقادر سنة ١٨٥٩ بولد اختار له من الأسماء على بركة الله أبا عمران. وقد كانت عناية الشيخ بمولوده كبيرة، ورعايته له دائمة. فسهر على تربيته وتعليمه. فحفظ القرآن الكريم وأخذ على علماء بلدته ما لذ وطاب من أصناف العلوم والمعارف. ثم انتقل به والده إلى مدينة تلمسان، وكانت ملتقى

العلماء والصالحين وانضم إلى مدرستها محفوفا برعاية الشيخ شعيب قاضي المدينة إلى أن تخرج منها قاضيا، ولكنه عزف عن ممارسة مهنة القضاء تحت سلطة الاستعمار الذي لم يتورع عن غلق الزاوية في وجه الطلبة، ويعطل بذلك رسالتها السامية في التربية والتعليم.

وفي سنة ١٨٨٣ يلتحق الشيخ عبدالقادر بالرفيق الأعلى فيخلفه ابنه الشيخ أبو عمران على رأس الزاوية وتحمل اسمه إلى يوم الناس هذا. وقد كانت للشيخ أبي عمران اتصالات وثيقة بالشيخ محمد بن أحمد شيخ الطريقة في ثنية الحد، وبالشيخ محمد المشرقي ببلدة العطاف.

وتدرس في زاوية الشيخ أبي عمران مختلف العلوم والفنون الدينية واللغوية بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم الذي يعتبر المادة الأساسية. ويقوم بالتدريس بها طائفة من العلماء الأعلام نذكر منهم الشيوخ: ابن الدايج، وعبدالقادر بن الصديق، والوجدي، وعبدالقادر بن عبو، وعبدالقادر بن عبدالله، والحاج العربي ابن عبدالله، رحم الله الجميع بواسع رحمته. ولا يزال العالم الفاضل الشيخ العربي شيخ الزاوية يقوم بالتدريس فيها.

وللزاوية فروع عديدة نذكر منها على سبيل المثال: زاوية الشيخ الحاج محمد الزلماطي بقرية الزلامطة شرقي مدينة معسكر

بحوالي ٣٦ كلم، ولا تزال موجودة إلى الآن. وزاوية الشيخ سي أمحمد البهلولي بدوار البهاليل شمال مدينة البرج، والزاويتين تعملان على تحفيظ القرآن الكريم.

وأتباع الزاوية كثيرون، من معسكر وغريس وضواحيها، والزلامطة، والبهاليل بالبرج وأصهارهم، وأصدقائهم مع طريق تيارت، أولاد سيدي أمحمد بن خالد على يمين مدينة تخمارت وأولاد خالد والفرشة والفوادي والأحرار في الجهة اليمنى لعين الحديد وفرندة وكرمس بجل القعدة. ولا يزال حبل الاتصال ممدودا بين الجميع.

كان للزاوية دورها في ثورة التحرير المظفرة، وكان لطلبتها ولشيخها حاليا، دور يذكر فيشكر. فقد كان من المحكوم عليهم بالإعدام نتيجة مشاركتهم الفعالة في معركة الجهاد. كما قدمت عَدَدًا لا يستهان به من الشهداء، من بينهم: غلال زين العابدين، تسنين محمد، عيشوبة محمد، مسلم محمد، بوشكارة الحبيب، بهلول بلجيلالي، بوفدان المختار، بوزيان ابن عمر، الزاوي محمد، رحمهم الله وطيب ثراهم.

ومن طلبتها من كان له في ثورة عمر المختار بليبيا الشقيقة يد تذكر فتشكر، كالشيخ مصطفى عوني الطفراوي الذي ارتقى إلى رتبة عقيد في الجيش، ومن بين المتخرجين منها مدرسون

وأئمة مساجد بمنطقة معسكر التي أنجبت الكثير من أئمة العلم وأعلام الجهاد والتصوف، كأبي راس المعسكري الذي ذاع صيته في الآفاق، وأحمد بن الحبيب، وقادة بن المختار، والحاج العربي المشرفي، وعبدالله القاضي، وعبدالقادر الصديق، وعبدالقادر الصغير، وغيرهم.

زاوية الشيخ بهلول المجاجي

تقع هذه الزاوية ذات الشهرة الذائعة قريبا من مدينة تنس بالغرب الجزائري. وقد عرفت بماكان يدرس فيها من مختلف العلوم والفنون كالتفسير والحديث والأصول والفقه والتوحيد والمنطق وغيرها. وقد نالت لدى سكان تلك المناطق سمعة طيبة فقصدها لذلك الطلاب من كل الجهات للتتلمذ على كبار شيوخها، في مقدمتهم الشيخان: محمد وأخوه أبو علي بن بهلول، اللذان كانا كثيري الاهتمام بالعلم وفنونه.

وقد اشتهر الشيخ محمد بن علي بهلول المجاجي بتمكنه من تفسير القرآن الكريم ومما يذكر في هذا الموضوع أنه وصل في التفسير إلى سورة الإسراء قبل أن يلتحق بجوار ربه قتيلا سنة ١٠٠٨ بطعنة خنجر أصابه بها شخص من بني نائل بسبب فتوى الشيخ بعدم جواز تزوج المحرض على القتل. وكان مولده رحمه الله سنة ٩٤٥هـ، وقد رثاه تلميذه علامة الحزاز وصَفِيُّهَا وخطيبها الشيخ سعيد قدورة بقصيدة طويلة نقتطف منها هذه الأبيات:

مصاب جسيم كاد يصمي مقاتلي ورزء عظيم قاطع للمفاصل

ألمت دواهي أذهلت كل ذي حجي وأي امرئ من مذهل غير ذاهل

فلم أر خطبا كافتقاد أحبة ثووا في الثرى ما بين صم الجنادل

ونحن نيام غافلون عن الذي يراد بنايا ويح نومان غافل

فهمنا بدنيا قد حلت وهي جيفة وكل امرئ يلهو بها غير عاقل

إلى أن يقول:

فقدنا إماما ما لي في خصاله نظير ولا في عصره من معادل

على علم الأعلام غرة عصره حزنت وما حزني عليه بزائل

يحق لو فد العلم أن يشهر والأسى لنجم هوى من أنجم الأرض افل

خليلي ما أولى الأحبة بعده بفيض نفوس من بكاء ثواكل

وقد كان رحمه الله كما وصفه المشرفي في كتاب . الياقوتية الوهاجة . قائلا: "كان إماما هماما، عالما علاما، زاهدا عابدا، انفرد بهذه الأوصاف الشريفة على سائر علماء وقته، واشتهر بالصلاح والتقوى، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم وكانت كرامته أوضح من شمس الضحى وهي دليل استقامته. وكانت له بركة عظيمة ودعاء مستجاب تشد إليه الرحال في المسائل العلمية. هذب النقول ونقحها، وكسا علم التصوف طلاوة وبهجة.

وكانت زاوية الشيخ المجاجي معروفة بإكرامها للضيوف والغرباء وابن السبيل، حتى ذكروا أنها أطعمت في يوم واحد بل

في وجبة واحدة ألفا وثلاثمائة رجل بالثريد واللحم والعسل والسمن. هذا ما حكاه الشيخ أبو الحسن الشريف الذي قال: "خرجنا إلى ثغر تنس، فلقينا سيدي محمد بن علي وأنزلنا بزاويته مجاجة وكنا في جوع ونحن ١٣٠٠ نفس وقصدناه للزيارة فأكرمنا خارج الزاوية لكثرتنا وكانت خيولنا ذكورا وإناثا فقال لنا: أتركوها، من ألف بين قلوبكم يؤلف بينها وأمرنا بالجلوس على ٢٤ جلسة وأفاض علينا الثريد واللحم والعسل والسمن".

وقد تخرج من هذه الزاوية الشيخ السعيد قدورة السابق الذكر، والشيخ يحي الشاوي، والنائلي صاحب الشهرة الواسعة مشرقا ومغربا.

زاوية القيطنة القادرية

بعد عودته من أداء فريضة الحج للمرة الثالثة، ومروره ببغداد لزيارة ضريح الشيخ عبدالقادر الجيلالي، مؤسس الطريقة القادرية والتي تعتبر من أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، قام الشيخ مصطفى بن مختار الغربي سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م بتأسيس زاويته بالمكان المعروف بالقيطنة قريبا من مدينة معسكر (لتقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الإسلامية والعربية ونشر الطريقة القادرية).

ولكن الأجل المحتوم لم يمهل الشيخ مصطفى، فقد توفي في عين الغزال قريبا من مدينة درنة بالقطر الليبي الشقيق وهو عائد من حجته الرابعة، رحمه الله. فتولى الإشراف على شؤون الزاوية من بعده ابنه الشيخ محي الدين وكان من أهل العلم والورع والصلاح، ومن أبطال الجهاد والمقاومة. فكان خير خلف لخير سلف. وانتصب للتدريس بها فكثر طلابها وازداد عدد مريديها، وأصبحت الزاوية في عهده ملتقى الزائرين ومقصد الفقراء والمعوزين وعابري السبيل.

ثم تولى أمرها بعد وفاة الشيخ محي الدين عام ١٢٥٠ ابنه البطل المجاهد الأمير عبدالقادر فخصها بشيء من وقته ليتفرغ

من الجزء الأكبر منه للإعداد لمعركة الجهاد الطويلة المدى التي كانت تنتظره والتي خاضها بشجاعة وبسالة ضربت بها الأمثال.

وتعتبر الزاوية القادرية بالقيطنة في وقتها من أهم الزوايا على المستوى الوطني في الميدان التعليمي والجهادي حيث أنجبت البطلين المجاهدين محي الدين وابنه الأمير عبدالقادر الذي حمل المشعل من بعده.

ويذكر رفائيل دانزيجر في مقال عَرَّبَهُ علي تابليت أن القيطنة كان يوجد بها مسجد صغير باسم عبدالقادر الجيلالي، وكانت لزاوية القيطنة حرمة وقداسة بحيث اكتسبت حصانة في العهد العثماني ولا تخضع للقضاء التركي، أضيف إلى ذلك أن القيطنة كانت تعد مركزا للفقراء والمحتاجين وأبناء السبيل، والمرضى، خاصة الذين كانوا يقيمون في بيوت خاصة لهذا الغرض.

وللقيطنة مداخيل عديدة تأتي عن طريق الزيارات والهدايا المقدمة للشيخ محي الدين بمناسبة الحج، والسنة الهجرية الجديدة، وكانت للقيطنة شهرة واسعة امتدت من فاس إلى تونس وأصبح محي الدين مكلفا بشؤون القيطنة الدينية السياسية والاقتصادية وكذلك حل النزاعات بين الأطراف ولو على مسافة ٢٠٠ كلم، وقد ورث محي الدين هذا المنصب عن والده كزعيم للطريقة القادرية في كامل الجزائر.

وقد تخرج من هذه الزاوية الكثير من علماء غريس الذين كانت لهم هجرة إلى فاس وتونس ودمشق وغيرها، أمثال الشيوخ: محمد بن الخضر المهاجي، عبدالله المشرفي، عبدالقادر بن محمد الهزيل، وغيرهم.

ومن الذين درسوا بها نذكر العلامة أبا راس الناصر، وقبله الشيخ محمد المشرفي، تلميذ الشيخ مصطفى الرماصي صاحب الحاشية على الثنائي، رحمهم الله جميعا ورضي عنهم وأرضاهم.

زاوية الشيخ بن شرقي

أسست هذه الزاوية الواقعة بالعطاف سنة ١٩١٨ من طرف الشيخ ابن الشرقي تنفيدا لوصية شيخه وصهره العالم الجليل الشيخ بلعربي المتوفي سنة ١٩٠٠.

وقد تولى الإشراف عليها ابن الشرقي الذي تتلمذ وتفقه على يد الشيخ بلعربي. فقام بتسيير شؤون الزاوية على أكمل الوجوه، وكان يلقي بها دروسا على طلبتها في الفقه والتوحيد وغيرهما من العلوم والفنون، وبعد وفاته سنة ١٩٢٣ خلفه على رأس الزاوية ابنه الفاضل الشيخ بلعربي وكان من العلماء والفقهاء الأجلاء المشهود لهم بالعلم والصلاح والذي توفي سنة ١٩٤٣، وكان من الذين انتصبوا للتدريس بالزاوية بعد وفاة والده.

ومن الذين درسوا بالزاوية نذكر العلامة الجليل الشيخ محمد السوسي وهو من أعلام المغرب وقد توفي ودفن بمصر، والعالم الفقيه الشيخ الجيلالي عتبة وهو من تلامذة الشيخ ابن الشرقي، لازمه مدة ٣٢ سنة وكان من الفقهاء المحدثين، له تآليف منها: المرأة الجليلة في تاريخ الأولياء. وقد انتقل من الزاوية إلى الأصنام سنة ١٩٥٤. إثر الزلزال الذي أصاب المنطقة وتوفي ودفن بالشلف سنة ١٩٧٠ بمقبرة سيدي أحمد بن عبدالله المجاجي.

ومن الذين تخرجوا من الزاوية الشاعر الأديب الأستاذ أحمد الأكحل رحمه الله.

وقد كان لأسرة الزاوية موقف مشرف في ثورة التحرير المباركة ومن شهداء الأسرة، الشيخ سي الحمصي حفيد الشيخ ابن الشرقي الذي استشهد سنة ١٩٥٧. رحم الله الجميع.

ومن المواقف التاريخية المشرفة للشيخ ابن الشرقي ما وقع بينه وبين أحد الرهبان المبشرين بالمسيحية، المدعو سان سيبريان والذي حل سنة ١٩١٨ بمنطقة العطاف عند قبيلة أو عرش بني بودوان يدعوهم لاعتناق المسيحية بمختلف وسائل الإغراء والترغيب.

ولكن الشيخ ابن الشرقي أبى ألا أن يقف في وجه هذا الراهب ليصده عما يقوم به من تمسيح المسلمين، الذين استغل فقرهم وبؤسهم لينصرهم، ويصدهم عن دينهم، وساعده الشيخ الكربيش الذي بذل أموالا كثيرة في هذه العملية.

فما كان من الراهب المذكور إلا أن يرفع تقريرا إلى الوالي العام ليخبره فيه بموقف شيخ الزاوية ابن الشرقي فأصدر الوالي أمره بنفي الشيخ إلى الجزائر التي بقي بها مدة طويلة بعيدا عن زاويته وأهله وعشيرته فتدخل الحاج الكربيش مستعملا جاهه ونفوذه لدى السلطات المعنية ليعود الشيخ من منفاه إلى الزاوية.

زاوية الشيخ عدة بتيارت

تقع هذه الزاوية على بعد ثلاثين كلم من تيارت عاصمة أول دولة إسلامية قامت بالجزائر وهي تحمل اسم مؤسسها الشيخ عدة بن غلام الله الذي قام بتأسيسها مع المسجد سنة ١٢٦٩هـ. والشيخ عدة بن غلام الله من مواليد النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي في بلدة بوقادير. وقد قضى طفولته في وادي ارهيو وحين شب وترعرع انتقل إلى مدينة مازونة التي عرفت بأنها حاضرة علم ومعرفة فتلقى على يد علمائها ما تيسر له من العلوم الدينية واللغوية قبل انتقاله إلى معسكر التي واصل بها دراسته على شيوخها الأعلام. ومن المعروف عنه أنه تولى القضاء للأمير عبدالقادر رحمه الله.

وقد قامت زاوية الشيخ عدة بدور مهم في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس علوم اللغة العربية، والدين الإسلامي، وتخرج منها عدد لا بأس به من حفظة كتاب الله بلغ الخمسمائة طالب.

وقد جدد بناء الزاوية والمسجد من طرف الشيخ أحمد بن الشيخ عدة عام ١٢١٣هـ وفي سنة ١٣٢٤هـ أعاد ابنه الشيخ غلام الله محمد تجديده وأخيرا جدد المسجد سنة ١٣٤٦هـ.

ولكن الزاوية في الوقت الحاضر تعاني من بعض التسيب والإهمال حسبما بلغني من بعض الإخوة المتصلين بالزاوية والذين كان لي شرف التعرف عليهم بمناسبة الحفل الديني البهيج الذي أقامه الرجل الفاضل الصالح الشيخ بوخلوة بمناسبة المولد النبوي الشريف على صاحبه الصلاة والسلام، بالقرب من قلعة بني راشد التي تحتضن ضريح العالم الرباني الشيخ ابراهيم التازي عليه رحمة الله.

وقد انخفض عدد الطلبة بالزاوية بعد أن كانوا يقصدونها من كل الجهات. ويوجد بها حاليا عدد قليل ممن قدموا إليها من ثنية الأحد، وتسيمسلت، تيارت، مازونة، سوقر. وقد تأثر بناء الزاوية والمسجد من جراء الزلزال الذي أصاب الناحية سنة ١٩٨٢.

ولا تزال الزاوية إلى يومنا هذا محط رحال الزائرين لها قصد الاطلاع والتعرف عليها، وملتقى أهل العلم والأدب والصلاح، لا سيما في فصلي الربيع والصيف من شتى نواحي القطر. ومن المدن القريبة منها مثل مستغانم، غيلزان، مازونة، عشعاشة، الشلف.

مكتبة الزاوية:

من بين المرافق الثقافية الهامة التي كانت تتوفر عليها هذه الزاوية نذكر المكتبة التي كانت حسبما بلغني تضم بين

جدرانها كتبا ومخطوطات قيمة ضاع الكثير منها بعد الهدم الذي أصاب الزاوية نتيجة الزلزال الذي تعرضت له المنطقة سابقا كما قلنا.

ولم يبق بها من الكتب حاليا سوى ٣٥٠ كتابا في مختلف العلوم والفنون كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه والتاريخ. ومن المخطوطات حوالي ٢٠ مخطوطا نذكر منها:

شرح مختصر خليل (المؤلف مجهول).

المدى الإلهي البارز في سر التناهي: محمد المكنى أبو المختار.

بهجة النفوس، ج أول: عبدالله بن سعد بن أبي حمزة. وموضوعات الكتاب، الأحاديث المروية عن عبدالله بن عمر وعن جابر بن عبدالله.

الطبقات الكبرى المسماة: لوافح الأنوار في طبقات الأخيار للقطب الرباني الشيخ عبدالوهاب الشعراني.

نتائج الأفكار في كشف الأسرار للإمام عبدالباقي الزرقاني.

وقد زارها فقيد العروبة والإسلام وإمام النهضة الإصلاحية الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله سنة ١٩٣١ ووصف هذه الزيارة بقلمه قائلا: "نزلناها ضيوفا على الشيخ السيد غلام الله آل سيدي

وابن عمه السيد أحمد بن والي ومن جميع أسرته إكراما فائقا وودا صادقا. وشعرنا ونحن بينهم في أيام قضيناها أننا بين أهلنا وفي ديارنا وما فارقناهم حتى عددناهم منا وعدونا منهم.

رأيت منهم الفكر والقلوب الصافية والشهامة العربية، والصدق، والصراحة، وعدم التكلف وذهبنا إلى زاويتهم الأصلية وحيث الطلبة المتعلمون، وإلى مدفن بعض أسلافهم فأطلعوني على بعض تآليف جدهم الشيخ سيدي عدة فرأيت منها كتابا قد مُلِيءَ بأحاديث البخاري ومسلم ومسائل الفقه، كان يدرسه للناس فأعجبت به وقلت هكذا نحب لمن يريد أن يكون شيخا أن يكون، وهكذا نحب أن يكون إرشاد مشايخ الطرق بالحديث وتعليم مسائل الفقه. وقد أهدى الشيخ غلام الله لجمعية العلماء خمسمائة فرنك ووعد بأنه من أنصارها ومؤيديها ومثله من نصر العلم وأيد أهله.

زاوية الشيخ محمد بن عمر

تقع هذه الزاوية في مدينة ندرومة، وهي كغيرها من الزوايا تهتم بتحفيظ القرآن الكريم والدروس الدينية، وإرشاد المريدين والمحبين وتوجيههم. وإلى جانب ذلك فإن الزاوية قد عرفت بأنها تستقبل العديد من الزوار يوميا من داخل الوطن وخارجه، يأتون إليها قصد التداوي والمعالجة والرقية من أمراض تكاد تكون من اختصاص الزاوية مثل عرق النسا، داء الكلب، التسمم، وغيرها من الأمراض الأخرى.

وقد عرفت أسرة الشيخ ابن عمر بالعلم والاستقامة والصلاح، مما يذكر في هذا المقام ما روي عن أحد شيوخ الزاوية وهو الشيخ عبدالله الشريف رحمه الله أنه قال: "أحبوني، حببوني للناس، فإن الله اوقفني على باب من الفضل كبير".

ومن شيوخ الزاوية نذكر الشيخ علي بن عمر بن العربي بن مصطفى بن الحاج محمد الذي زاد في تنظيم الزاوية وتوسيع عمارتها ونشير إلى أن الشيخ ابن عمر قد أخذ عن الشيخ مولاي الطيب رئيس الزاوية الطيبية الوازنية.

زاوية الشيخ ابن تكوك

مؤسسها هو العالم الفاضل الشيخ ابن تكوك الذي يتصل نسبه بالشيخ عبدالله صاحب الضريح المعروف في مدينة مستغانم وبالتحديد في حي المطمر أخذ عن الشيخ ابن القندوز الافريني المستغانمي الذي قتل على يد الأتراك في رأس واد مينا.

لقد أسس الشيخ ابن تكوك الزاوية لتكون قبلة طلاب القرآن الكريم يؤمونها من جميع الجهات وليس لهم هدف سوى حفظ كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولابن خلفه. وفعلا فقد شاء الله أن يتخرج على يده كثير من حفظته.

عرف الشيخ بالخير والصلاح وباستجابة الدعاء لذلك قصده الناس للأخذ عنه والاستفادة منه. وتوفي رحمه الله في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع عشر عن سن يناهز الثمانين سنة وبعد وفاته خلفه في القيام بشؤون الزاوية ابنه الشيخ أحمد بن تكوك فسار في الزاوية بسيرة سلفه واهتم كثيرا بعمارتها.

ومن أبناء الشيخ ابن تكوك العلامة الفاضل الشيخ محمد بن تكوك الذي يتميز بتبحره في علوم الشريعة والحقيقة فقد درس عن علماء أجلاء أمثال الشيخ القندوز والشيخ محمد بن الطاهر والشيخ محمد بن عيسى، رحم الله الجميع.

زاوية الشيخ ابن الأحول

من الزوايا القادرية القديمة في الغرب الجزائري حيث أسست منذ قرون أي قبل حلول الأتراك بالجزائر وقد أسسها الشيخ ابن الاحول الذي لا تزال الزاوية تعرف باسمه إلى يومنا هذا. وتقع الزاوية بين مدينتي غليزان ومستغانم على جانب واد الخير الذي يصب في واد الشلف.

ويوجد في وسط هذه الزاوية بيت من الشعر تذكر الروايات أن الشيخ ابن الاحول اجتمع فيه مع الشيخ عبدالقادر الجيلالي ومنذ ذلك الوقت وأقمشتها تجدد لها إذا بليت كما هو متواتر عن شيخها ويتناقله الصغار عن الكبار وأعمدتها القديمة لا تزال موجودة وهي منصوبة وسط الزاوية شتاء وصيفا والناس يدخلونها التماسا للبركة بنية اجتماع الشيخين فيها.

وللزاوية مدرستان تعلم إحداهما القرآن الكريم وتدرس في الثانية مبادئ العلوم الدينية والعربية، وأتباع هذه الزاوية كثيرون وطريقتهم كما ذكرنا هي القادرية.

زاوية الحاج الحبيب

من الزوايا التي كان لها دور إيجابي في ميدان التعليم القرآني زاوية الحاج الحبيب الواقعة في بلدية جيلالي بن عمار دائرة مشرع الصفا ولاية تيارت. وقد أسست حسبما أخبرني به شيخها في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي من طرف الشيخ الفاضل الحاج الحبيب بن عمر الذي تولى القضاء للأمير عبدالقادر، وقد تعاقب على مشيختها عدد لا بأس به من العلماء الأفاضل. وممن درس بها من رجالات الجزائر المرحوم قايد أحمد.

وقد أخبرني الحاج محمد شيخ الزاوية الحالي وهو رجل صالح يتسم بالورع والتقى أن زاويته تعرضت أيام الثورة التحريرية للهدم والتدمير من طرف السلطات الاستعمارية نتيجة موقف شيوخها المؤيد للثورة المباركة. ومن شيوخها الذين استشهدوا، الشيخ مصطفى.

ولا تزال الزاوية تعاني من آثار التخريب الإجرامية إلى يومنا هذا وهي تنتظر من السلطات المعنية المساعدة والعون حتى تستطيع استئناف نشاطها في تحفيظ القرآن الكريم للطلبة الوافدين عليها من المناطق المجاورة.

زاوية الشيخ أبوبكر

تقع هذه الزاوية بدائرة أيوب ولاية سعيدة ومؤسسها هو الشيخ أبو بكر بلحاج بن سي العربي، وقد أسسها سنة ١٩٢٢. ولم تتوقف منذ هذا التاريخ عن أداء رسالتها في تحفيظ كتاب الله، وتدريس العلوم الدينية واللغوية. ويوجد بها حوالي ٥٠ طالبا في الوقت الحاضر وهذا العدد قابل للزيادة في المستقبل.

ومن الشيوخ الذين درسوا بها نذكر العلامة الجليل الشيخ عبدالسلام وهو من علماء المغرب الأقصى الشقيق، بقي بالزاوية مدرسا إلى سنة ١٩٤٢. والشيخ أحمد، والأستاذ عبدالحي من علماء أدرار الذين وقفوا حياتهم لخدمة الإسلام والعربية.

وأخبرني أحد شيوخ الزاوية أن الزاوية الأصلية أسست سنة ١٨٠٠ . وتقوم الزاوية بتقديم مختلف الخدمات الاجتماعية التي تتمثل في مساعدة الفقراء والمساكين وابن السبيل.

إن هذه الزاوية وغيرها من الزوايا الأخرى المنتشرة عبر التراب الوطني والتي كانت ولا تزال وستبقى قلاعا حصينة للإسلام والعربية، حافظت عهودا طويلة على ديننا ولغتنا، وأنجبت أجيالا من رجالات العلم والإصلاح وأبطال الجهاد والمقاومة الذين

ساهموا مساهمة كبيرة في الدفاع عن الوطن،و في تفجير ثورة التحرير المظفرة.

هذه الزوايا ترجو من سلطاتنا الاهتمام بها والالتفات إليها ومدها بالمساعدات اللازمة للنهوض برسالتها واستعادة نشاطها.

زاوية سيدي بوزيد

تقع هذه الزاوية التي تحمل اسم واحد من أقدم الأولياء والمرابطين بجبال العمور، وهو سيدي بوزيد، في القرية التي يوجد بها ضريحه والتي تبعد عن مدينة أفلو بحوالي ٣٥ كلم.

وللتعريف بصاحب الزاوية نذكر ما تناقله المؤرخون من أن سيدي بوزيد شريف من أدارسة المغرب. وقد حل بهذه الديار قادما إليها من مدينة فاس في بداية القرن السادس الهجري، وبعد وفاته انتشر أبناؤه الأربعة: محمد، علي، عبدالله، عبدالرحمن في جهات مختلفة من بلاد المغرب العربي كالسوس ومراكش ووجدة بالمغرب الأقصى الشقيق، وجبال العمور، وسيدي بلعباس، ومستغانم، وأولاد جلال، والهامل، وتيارت، والأربعاء، وبجاية بالقطر الجزائري، وفي تونس حيث كون قبيلة زردال.

وتشير المصادر التاريخية أن الذين يوجدون بالأربعاء ينحدرون من أولاد محمد بن سيدي بوزيد، وأما البوازيد المستقرين بجبال العمور فينحدرون من ولده عبدالله وينحدر البوازيد الموجودون في ناحية مجانة والمعروفون بأولاد مقران من ولده عبدالرحمن ومن أولاد عبدالله من استقر بالهامل نواحي بوسعادة ومعسكر وفرندة. أما المستقرون بغليزان ومستغانم فهم أولاد علي بن

سيدي بوزيد، ومن هؤلاء من انتقل إلى نقطة وتوزر بالجريد التونسي. وقد نقل المستشرف الفرنسي المعروف بيرك من كتاب. الروض الباسم . أن سيدي بوزيد هو أصل أغلبية شرفاء المغرب الأوسط كما تذكر بعض الروايات أنه تتلمذ على شقيق حجة الإسلام الإمام الغزالي، رحم الله الجميع.

وكانت قوافل الزوار من مستغانم والهامل وأولاد جلال وأولاد مقران من مجانة ومن نقطة تلتقي كل سنة في الموسم الذي ينظم بسيدي بوزيد رحمه الله.

زاوية الشيخ شعلال بن عودة

المقر الأصلي لهذه الزاوية هو بلدية الارجام بالونشريس حيث أسسها العالم الفاضل الشيخ شعلال ابن عودة سنة ١٨٨٠م، وقد عرفت أسرة شعلال منذ نشأتها بحرصها على تعليم القرآن الكريم ومحافظتها الشديدة على تدريس العلوم الدينية واللغوية.

وقد تحولت الزاوية من مقرها الأصلي بالونشريس إلى مقرها الحالي ببلدية السوقر نواحي تيارت. ويوجد بها حاليا نحو الخمسين طالبا يتلقون دراستهم على شيوخ من آل شعلال (بالإضافة إلى المادة الأساسية وهي القرآن الكريم حفظا وتجويدا).

ومن بين الشيوخ الكثيرين الذين درسوا بالزاوية نذكر الشيخ شعلال الحاج محمد، الشيخ شعلال أحمد، الشيخ الموسوم، الشيخ مولاي العربي، الشيخ محمد المجذوب. وما تجدر الإشارة إليه وتسجيله بالنسبة لتاريخ الزاوية نذكر الزيارة التي قام بها الإمام ابن باديس رحمه الله، وقد كان محل حفاوة وترحاب من شيخها الحاج عمر الذي كانت له مع الإمام مذاكرة علمية مفيدة سادها جو من الود والأخاء والتفاهم.

وقد حدثني الشيخ شعلال أحمد وهو أستاذ التجويد بالزاوية أن الأشغال جارية لبناء معهد يتسع لمائتي طالب لتحفيظ القرآن وتدريس العلوم الإسلامية واللغوية، ويخضع الطلبة فيه للنظام الداخلي. وهذا المشروع في الحقيقة هو تطوير للتعليم القرآني والديني الذي كان موجودا بالزاوية. ونحن لا يسعنا إلا أن نتمنى لهم النجاح والتوفيق.

الزاوية العلاوية بمستغانم

هي الزاوية الأم لكل الزوايا العلاوية المنتشرة داخل الوطن وخارجه وهي المركز الرئيسي للطريقة العلاوية، وملتقى شيوخها، وأتباعها، ومريديها، وهي الأصل وبقية الزوايا فروع لها.

أسست زاوية مستغانم العلاوية من طرف فضيلة الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، رحمه الله، مؤسس الطريقة العلاوية المشهورة وشيخها الأول. وقد كانت مركزا لتحفيظ القرآن الكريم، ونشر مبادئ الدين الإسلامي، ومثله، وقيمه، وأخلاقه.

وقد كان تأسيسها حوالي سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م مباشرة بعد تأسيس الطريقة العلاوية التي عرفت فيما بعد انتشارا واسعا بفضل نشاط شيخها وأتباعه ومريديه الذين أصبحوا لا يحصون عدا. فكان الإقبال على الزاوية العلاوية العامرة كبيرا، وأمها الطلبة من كل حدب وصوب لحفظ القرآن الكريم، ودراسة العلوم الإسلامية واللغوية.

وقد جاء في الفصل الأول من وصيته أنه جعل زاويته الكائنة بمدينة مستغانم، مكانا للذكر والصلاة وتلقي الدروس. وقد تكفل الشيخ أحمد بن عليوة، رحمه الله، بمؤونة المنقطعين للذكر، وتعاطي الدروس في الزاوية، كما نص على ذلك في الفصل الثالث

من الوصية التي حث فيها على وجوب مراعاة الطلبة واحترامهم وتقديم نفقاتهم على نفقة غيرهم بدون ما يزعج أحدا منهم بالخروج كما نص على ذلك في الفصل الثامن من وصيته، رحمه الله ورضي عنه.

ومن الجدير ذكره أن بناء الزاوية قد جدد بطريقة هندسية معاصرة وقامت بنشاط ملحوظ في خدمة القرآن الكريم، والدين الإسلامي الحنيف، ونشرهما بين أوساط المسلمين وغير المسلمين، وتخرج منها عدد هائل من حفظة كتاب الله، ومن أهل العلم والدين والصلاح. أما موارد الزاوية العلاوية فتنحصر في الفلاحة والتجارة.

والحديث عن الزاوية العلاوية الكبرى في مستغانم يقودنا حتما إلى الحديث عن فروعها التابعة لها داخل الجزائر وخارجها في المغرب وتونس وسوريا وفلسطين واليمن والحبشة وفرنسا وانجلترا وأمريكا. وتقوم هذه الزوايا بنشاط عظيم في نشر الإسلام، ودعوة الناس إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، عرضه عرضا جميلا يرتكز على الحجة والاقتناع، مما جعل الكثير من أهل الديانات الأخرى يقبلون على اعتناق الإسلام إقبالا يبشر بخير كثير.

ونبدأ بالحديث عن الزوايا العلاوية في القطر الجزائري لنشير بادئ ذي بدء إلى أن منها ما حبسه الشيخ العلاوي قبل التحاقه

بالرفيق الأعلى، ومنها ما أبقاه تحت تصرف أتباع الطريقة العلاوية من المقدمين الذين توسم فيهم خيرا، ولاحظ فيهم شروط الكفاءة وحسن التصرف في هذه الزوايا المتوفرة.

وهذه قائمة الزوايا العلاوية بالجزائر:

الزاوية العلاوية بتلمسان: وتوجد بدرب الحدادين قرب مسجد سيدي مرزوق رحمة الله عليه، وتشتمل على أربعة أقسام للتعليم، تدرس فيها مبادئ العلوم الدينية والعربية، ويحفظ فيها كتاب الله. وهي بالإضافة إلى رسالتها التعليمية تقوم بخدمات اجتماعية تتمثل في إيواء الفقراء والمساكين وابن السبيل وإطعامهم، ومساعدتهم.وقد تولى الإشراف عليها عند تأسيسها في العشرينات، الشيخ العربي الشواري التلمساني نشأة ودارا، رحمه الله، وكان محل ثقة الشيخ العلاوي وهو الذي قام بتغسيله وتكفينه، وقد كان الشيخ الشواري محل مضايقات من طرف الشرطة الفرنسية لجرأته وشجاعته.

الزاوية العلاوية بوهران: وتقع بالمدينة الجديدة، وقد قام بإدارتها بعد وفاة الشيخ العلاوي، جماعة من الأتباع المخلصين، رحمهم الله.

الزاوية العلاوية بغليزان.

الزاوية العلاوية بالجزائر العاصمة: وتوجد بحي بوزريعة وهي دار كبيرة معتبرة تحيط بها البساتين والأشجار وتقدر مساحتها بأربعة عشر هكتارا حبسها الشيخ العلاوي، رحمه الله، لخدمة الإسلام والمسلمين.

وكانت له زاوية أخرى تقع داخل مدينة الجزائر، كان يتولى تسييرها المقدم الشيخ العباس الجزيري التلمساني الأصل. الجزائري السكن، رحمه الله.

الزاوية العلاوية ببرج بوعريريج: حبسها الشيخ رحمه الله لخدمة القرآن الكريم والعلم وكان يشرف عليها الأستاذ الحسن بن الجودي الأزهري، والسيد محمد بن ساعد الذي عمل جاهدا على تأسيسها لتكون مقرا يلتقي فيه المسلمون لإقامة الصلاة وسماع دروس الوعظ والإرشاد، وملجأ يأوي إليه الفقراء والمساكين وذوي الحاجة.

الزاوية العلاوية بقرية الجعافرة: وهي أول زاوية علاوية أسست بمنطقة القبائل وقد تبرع بأرضها أحد المقدمين العلاويين، الشيخ محمد الشريف ابن الحسن وهو أول من اجتمع بالشيخ العلاوي في منطقة القبائل وأول من قام بنشر الطريقة العلاوية في

تلك الديار. أما فيما يخص بناء الزاوية وعمارتها، فقد تكفل به يومئذ الشيخ عبدالرحمن بو عزيز القبائلي نشأة ودارا وبفضله وبمساعدة إخوانه من المحسنين تم إنجاز بنائها وأصبحت الزاوية تقوم بوظيفتها التي أنشئت من أجلها والمتمثلة في دعوة الناس إلى التآخي، والتحابب، والتضامن، وفعل الخير، والأمر بالمعروف، وتحفيظ القرآن وتعليم الإسلام سيما في تلك المناطق التي ركز عليها المبشرون المسيحيون وأرادوا تمسيحها بشتى وسائل الإغراء والترغيب، فأبت إلا أن تكون قلعة حصينة من قلاع الإسلام والوطنية، تجاهد في سبيلها وترفع رايتها، وأبى سكانها الأماجد المغاوير إلا أن يلقنوا الاستعمار والمسيحية دروسا سجلت على صفحات التاريخ بأحرف من نور فأنجبت من الرجال الشيخ الحداد، والمقراني.

رحم الله الجميع وأسكنهم فراديس جنانه.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن الذي دعا الشيخ العلاوي لزيارة منطقة القبائل، والاتصال بإخوته هناك هو الفقيه الصالح الشيخ محمد وعلي ابن الطيب الذي كان يومئذ من سكان قرية سيدي ايدير. فقد جاء إلى مستغانم لزيارة الشيخ رفقة وفد من المنطقة بغية دعوته لزيارتهم.

وبعد مدة قضوها في ضيافة الشيخ بمستغانم رجعوا رفقته وكان مرورهم عن طريق آقبو فكانت قرية تمقرة هي أول قرية يستقبل أهلها الشيخ العلاوي والوفد المرافق له، وقد استقبلته قبيلة الولي الصالح الشيخ يحي العيدلي رحمه الله. فلقي الشيخ العلاوي ومن معه بهذه القرية كرم الضيافة وحسن الاستقبال وأخذ عنه الطريقة عدد لا بأس به ومنها واصل رحلته وزيارته للعديد من القرى إلى أن حط الرحال في مدينة برج بوعريريج.

الزاوية العلاوية بقبيلة عياض: وتوجد هذه القبيلة على مسافة ٢٧ كلم جنوب برج بوعريريج وهي قبيلة عربية الأصل وقد أشرف على هذه الزاوية أحد أبناء هذه القبيلة وهو الشيخ السعيد بن المكي الذي ربطته بالشيخ العلاوي علاقة طيبة.

الزاوية العلاوية في خنشلة:: وهي كغيرها من الزوايا التي أنشئت لاستقبال الطلبة الذين يقصدونها للتفرغ لحفظ كتاب الله كما يقصدها أتباع الطريقة العلاوية للذكر والمذاكرة والعبادة، وقد أشرف عليها واحد من طلبة العلم والفقه، الشيخ محمد بن دعاس الذي عرف بين الناس بالتقوى والورع والصلاح والعمل المتواصل الدؤوب في سبيل الله.

الزاوية العلاوية ببني يعلى: وبالتحديد بقرية المغارب وكان يشرف عليها الشيخ الهاشمي بوعمامة نجل الشيخ مقران بن

أحميدة المعروفة في تلك النواحي بالورع والصلاح. وقد كانت الزاوية محطة للعلم، والدين، والقرآن.

الزاوية العلاوية بعنابة: وهي خارج المدينة وبها تقام صلاة الجماعة وكان يشرف عليها الأستاذ عيسى الطرابلسي نشأة، العنابي سكنا، وهو من خريجي الزيتونة ومن الذين عرفوا الشيخ العلاوي وخدم الطريقة العلاوية في ناحية عنابة وعمل على نشرها.

هذه هي زوايا الطريقة العلاوية بالقطر الجزائري.

أما بالقطر المغربي الشقيق فتوجد احدى وعشرون زاوية علاوية منتشرة بشواطئ الريف، وقد ساهمت تلك الزوايا مساهمة فعالة في الحفاظ على الإسلام وكتاب الإسلام، بفضل ما بذله شيوخ تلك الزوايا من جهد جبار.

وفي القطر التونسي الشقيق توجد بالساحل التونسي عدة زوايا علاوية كان الشيخ محمد المدني القصبي وهو من بيت علم وصلاح يقوم بتسييرها والإشراف عليها وهذا بعد اجتماعه بالشيخ أحمد العلاوي في تونس وأخذ الطريقة العلاوية عنه وكان وقتئذ لا يزال يزاول دراسته بجامع الزيتونة.

وبالبلاد العربية بالمشرق العربي أسست عدة زوايا علاوية نذكر من بينها الزاوية الموجودة بدمشق عاصمة القطر السوري الشقيق

والتي كان يشرف عليها العالم الجليل الشيخ محمد الهاشمي بن عبدالرحمان. وهو جزائري الأصل، من مدينة تلمسان. كان قد هاجر منها إلى الشام رفقة الشيخ محمد بن يلس ونخبة من أتباعه حيث استقروا هناك، فتوفي الشيخ بن يلس رحمه الله وبقي الشيخ الهاشمي الذي اجتمع بالشيخ العلاوي وهو في طريقه لزيارة البيت المقدس، فأخذ عنه الطريقة وعمل على نشرها فأصبح لها أتباع من أبناء سوريا وقام بتأسيس العديد من الزوايا. وللشيخ الهاشمي بن عبدالرحمان كتاب عنوانه "الرسالة الموسومة بسبيل السعادة في معنى كلمة الشهادة".

ومن دمشق إلى يافا في فلسطين العربية الإسلامية حيث توجد الزاوية العلاوية التي قام بتأسيسها الشيخ مصطفى عبدالسلام الفيلالي الذي التقى بالشيخ العلاوي ببيت المقدس وأخذ عنه الطريقة ثم كانت له زيارة إلى الزاوية العلاوية الأم بمدينة مستغانم.

وبعد عودته إلى فلسطين قام بنشر الطريقة العلاوية والتعريف بها بين أهله وأحبابه، الأمر الذي جعل جريدة الجامعة الإسلامية تكتب عنها مقالا بعنوان الطريقة الصوفية، نقتطف منه ما يلي:

"قام فريق من أهل والورع والتقوى ببث روح الطريقة الصوفية العلاوية بين سائر الطبقات على اختلاف درجاتها حتى أصبح

أتباعها يزيدون على الثلاثمائة شخص فيهم الكهل والشاب والشيخ، وقد نظموا لهم اجتماعين في كل ليلة اثنين وجمعة.

ومهمة هذه الطريقة وغاية أتباعها نشر فضائل الدين الحنيف ومبادئه السنية وتعليم العامة فروض الصلاة والحج إلى غير ذلك من المزايا الدينية التي لابد منها، وقد تفرغت جماعة من أتباعها لتعليم الأميين القراءة والكتابة ليغرسوا فيهم ثبات الشريعة الإسلامية السمحة والفضيلة الطيبة، وفقهم الله لما يحبه ويرضاه" اهـ بتصرف.

ومن زوايا الطريقة العلاوية بفلسطين الإسلامية تلك الموجودة بمدينة غزة وهي عامرة بأهل البلدة من أتباع الطريقة العلاوية، وقد أسسها وأشرف عليها واحد من أتباع الطريقة العلاوية وهو الشيخ محمد بن عميمور الهلالي الجزائري الذي بذل جهدا مشكورا في نشر الطريقة العلاوية بالجهة وجلب لها الأتباع.

وفي الشمال الشرقي من غزة وفي قرية الفالوجي توجد بها زاوية علاوية يشرف عليها الشيخ حسين بن محمد بن سليمان المكنى بأبي سردانة والذي كان له لقاء مع الشيخ العلاوي حين زيارته للقدس الشريف فأجازه في إعطاء الأوراد.

هذا بالإضافة إلى زوايا علاوية أخرى في عدن باليمن الشقيق وفي بلاد السودان، والصومال، وفي أديس أبيبا عاصمة الحبشة.

أما في أروبا فقد انتشرت الزوايا العلاوية انتشارا واسعا في باريس ومرسيليا، بفرنسا. وفي لاهاي بهولاندا، وكارديف بانجلترا.

وقد عملت تلك الزوايا ولا تزال تعمل بنشاط كبير على نشر الإسلام والتعريف به، والدعوة إليه في أوساط الأروبيين. وقد كان لجهود تلك الزوايا ونشاطها نتائج جد إيجابية تتمثل في هذا العدد الهائل من المسحيين الذي يعتنقون الإسلام في كل يوم والذين أصبحوا فيما بعد من الدعاة إليه في بلدانهم وبين أبناء جلدتهم. ونتمنى لهذه الزوايا المزيد من الجهد والعمل حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، آمين.

الزوايا بمنطقة الجنوب الجزائري

عرفت منطقة الجنوب الشاسعة، المترامية الأطراف عَدَدًا لا بأس به من الزوايا التي انتشرت منذ عهد بعيد هنا وهناك. وهذه الزوايا إن اختلفت مواقعها، وتباعدت أماكنها، وتفرقت الطرق التابعة لها فقد توحدت أهدافها وغايتها المتمثلة في خدمة القرآن، ونشر الإسلام، والحفاظ على العربية، ترجمان الوحي الإلهي ولغة الإسلام. وهي لعمري أسمى الغايات وأشرفها.

وقد حظيت هذه الزوايا في أوساط سكان الجنوب الأشاوس بكل احترام وتقدير، وعظيم شأنٍ عندهم ، وزاد نفوذها الروحي وقويت شوكتها بفضل ما عرف عن شيوخها من الفضل والعلم والورع والاستقامة والصلاح، ولما اشتهروا به من حب للوطن، واستماتة في الدفاع عنه، واعلان الجهاد ودعوة الناس إليه، وتعبئة المواطنين وقيادتهم عندما يدعوهم الوطن لذلك.

وكانت تلك الزوايا معاهد علم ومراكز إشعاع فكري، ودور للتربية الروحية الحقة، وقد عرف بعضها توسعا وازداد على مر السنين عمرانها حتى تحولت إلى مدن آهلة بالسكان، مثل الزاوية التيجانية بعين ماضي وتماسين.

كما اشتهر بعضها بخدماتها الاجتماعية إضافة إلى رسالتها الثقافية كإطعام الطعام للفقراء والمساكين وعابري السبيل، ونصرة المظلوم، والفصل في النزاعات بين القبائل والأعراش. مثل الزاوية الزيانية بالقنادسة، وزاوية سيدي أحمد بن موسى، وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار، وسيدي عبدالله بن طمطم، وزاوية سيدي عمر بن محمد صالح الأنصاري الخزرجي الشامي في نواحي الأغواط، وزاوية أولاد سيدي الشيخ وغيرها، وزاوية الشيخ سيدي أحمد الرقاني الكونـي التي أسست سنة ١٠٢٢هـ لتلقين أصول الفقه والعلوم الدينية واللغوية المختلفة ولا تزال بها إلى يومنا هذا أربع خزانات تحتوي على أنفس المخطوطات.

وفي منطقة الهقار، وتدكالت انتشرت الزوايا انتشارا كبيرا فقد بلغ عددها بهذه النواحي ١٦ زاوية يقصدها عدد لا بأس به من طلاب العلم وحفظة القرآن لمواصلة دراساتهم وتكوينهم الديني، وقامت هذه الزوايا في تلك المناطق النائية بدور عظيم وجهد مشكور في الحفاظ على شخصية هذا الشعب، وحماية انتمائه العربي الإسلامي من كل عوامل المسخ والتشويه والذوبان.

كما وقفت تلك الزوايا سدا منيعا في وجه كل الحملات التبشيرية التي عرفتها تلك المناطق عبر تاريخها الطويل والتي كانت تقوم بها البعثات المختلفة لنواحي الصحراء مستغلة فقر سكانها وبؤسهم لإغرائهم بشتى وسائل الترغيب لصدهم عن

دينهم ولغتهم، ولكنهم كانوا دائما كالطود الأشم لا تزعزعه العواصف، ولا تؤثر فيه العوارض متمسكين بعقيدتهم، متشبثين بلغة الإسلام، لا يبغون بهما بديلا.

وفي دائرة عين صالح وحدها، توجد سبع زوايا، ثلاثة منها تابعة للزاوية الولائية والأربعة الباقية تابعة لزاوية سيدي الشيخ. وهنا نتوجه لوزارة الشؤون الدينية لنلفت انتباه المسؤولين فيها الذين قدموا مشكورين كل الدعم للعديد من الزوايا في مناطق عديدة من الوطن ليقوموا بنفس العمل بالنسبة لتلك الزوايا المتواجدة في هذه المناطق البعيدة حتى تستطيع مواصلة أداء رسالتها النبيلة في خدمة الإسلام والمسلمين.

زاوية الشيخ المغيلي

أسست من طرف الشيخ محمد المغيلي في القرن العاشر الهجري والشيخ المغيلي من مواليد تلمسان في بداية القرن المذكور حيث نشأ بها وحفظ القرآن ثم انتقل إلى مدينة بجاية حيث تلقى العلم على يد كبار مشايخها وفي مقدمتهم أبو العباس الوغليسي، وقد تحدث عنه صاحب نيل الابتهاج وذكر من مشايخه الذين أخذ عنهم الشيخين عبدالرحمان الثعالبي ويحي بن يدير وغيرهما.

وقد اشتهر هذا العالم المجاهد المقدم بتصلبه في الدين وتمسكه بالسنة ووقوفه عند حدود الله كما عرف بقصته مع يهود توات بأقصى جنوب عين الصفراء الذين قوى أمرهم، وتعاظم نفوذهم، وزادت سطوتهم نتيجة الوضع السياسي المتردى والمتدهور الذي كانت عليه البلاد والذي كان من أسبابه تطاحن الأمراء وتقاتلهم على السلطة وتدخل اليهود لإشعال نار الفتنة بينهم، وتواطئهم مع البعض ضد البعض الآخر واستعمال المال الذي هو سلاح اليهود الذين يستمدون منه قوتهم وسلطتهم في كل عصر ومصر وما أشبه الليلة بالبارحة لتفريق كلمة المسلمين، وتشتيت شملهم وزرع بذور العداوة والبغضاء بينهم.

وبذلك استطاعت هذه الفئة من يهود توات في وقت قصير من التحكم في رقاب بعض الأمراء وشراء ضمائر بعض الحكام والأعيان فوضعوا أيديهم على التجارة الصحراوية، واستولوا على طرقها، وأصبحت كل القوافل الغادية والرائحة وما تحمله من مختلف البضائع والسلع ملكا لهم.

وكان هؤلاء اليهود قد نزحوا من صقلية والأندلس بعد إخراجهم منها ليستقروا في توات وقورارة ومعهم أموالهم وثرواتهم فيبنون البيع والمعابد مستخفين بالإسلام، محتقرين عامة المسلمين وخاصتهم ضاربين عرض الحائط بكل الاخلاق التي يفرضها حسن الجوار مما جعل الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي يرفض هذه الأوضاع ويثور ضدها ويقوم على اليهود بعد موافقة علماء فاس وتلمسان وتونس كالشيخ السنوسي والتنسي، والرصاع، والماوسي، وابن زكري، وغيرهم من علماء المسلمين.

واصل الشيخ المغيلي حربه لليهود وثورته عليهم بالرغم من مخالفة قاضي توات الشيخ عبدالله العضوي له. وقد استطاع التأثير على ملوك السودان وإقناعهم بسداد رأيه، وصواب نظره، فقاموا بدورهم بصد اليهود عن بلادهم ومنعهم من الدخول إليها، وكان ذلك من أسباب قتل ولده عبدالجبار على أيديهم.

هذه القضية التي عرفت فيما بعد بقضية يهود توات والتي حاول بعض الكتاب الأجانب استغلالها لأغراض سياسية بتشويه صورة الإسلام، واتهام أتباعه بالتعصب الديني والتطرف والعنف وكراهية اليهود، وهي تهم لا أساس لها من الصحة إذا علمنا أن القضية لا تعدو كونها تدخلا سافرا وغير شرعي من طرف هؤلاء اليهود في أمور داخلية تهم المسلمين وحدهم، وتتعلق بقضايا الدولة وشؤونها الخاصة.

إذن فالقضية ليست دينية بل هي قضية سياسية بحتة. ومن حق كل دولة الدفاع عن سيادتها وعدم السماح لأي كان، يهوديا أو غيره، بالتدخل في شؤونها الداخلية. أما التعصب والتطرف والعنف والكراهية فهي كلمات لا وجود لها في قاموس الإسلام والمسلمين الذين يشهد تاريخهم الطويل أنهم كانوا خير من يحسن الجوار مع اليهود وغير اليهود.

أما الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي فقد قضى بقية حياته ناشرا للعلم آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، مؤلفا للكتب إلى أن وفاه الأجل المحتوم سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٥م.

ولا نطوي هذه الصفحة الخاصة بهذا العالم العظيم دون الإشارة إلى المراسلة التي كانت بينه وبين جلال الدين السيوطي بعد أن وفاه كتاب هذا الأخير. القول المشرف في تحريم الاشتغال

بالمنطق. وقد كان السيوطي يقول بتحريم تعلم علم المنطق، وأخذه عن الكفار، وتقليدهم في ذلك.

فرد عليه المغيلي في مراسلته بأن المنطق هو الحق أو هو المؤدي إلى الحق، وأن أخذ الحق جائز من الكفار لأن معرفة الناس بالحق هي المبدأ المعتمد وليس معرفة الحق بالناس.

ومن مؤلفات الشيخ المغيلي نذكر:

مختصر لب الألباب في رد الفكر إلى الصواب.

البدر المنير في علوم التفسير.

مصباح الأرواح في أصول الفلاح.

مغني النبيل في شرح مختصر خليل.

مفتاح النظر في علم الحديث.

مختصر تلخيص المفتاح وشرحه.

شرح الجمل في المنطق.

مصباح الأرواح.

تنبيه الغافلين عن مكر المتلبسين بدعوى مقامات العارفين.

زاوية سيدي محمد المختار بن الأعمش الجكاني السوساني

هنالك في أقصى الجنوب الجزائري وفي مدينة تندوف تقع زاوية الشيخ سيدي محمد المختار بن الأعمش العلامة والولي الصالح المعروف. فهو صاحب الزاوية ومؤسسها بعد تأسيسه لمدينة تندوف سنة ١٢٦٧هـ أو ١٢٧٠هـ.

تعتبر زاوية سيدي المختار بن الأعمش قلعة من قلاع الإسلام والعربية في تلك المناطق النائية حيث انتصب للتدريس بها ثلة من فطاحل العلم والمعرفة فأصبحت بحمد الله محضرة لتعليم القرآن ومعهدا للعلوم الدينية واللغوية.

وتحدث عن هذه الزاوية عدد من الكتاب والمؤرخين كالدكتور علي بن النحوي في كتابه المحاضر، وابن الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، والمؤرخ السوسي في كتابه المعسول، وجميعهم أشاد بما لهذه الزاوية ومؤسسها من فضل على الإسلام والعربية في تلك الربوع.

لقد كانت زاوية ابن الأعمش مركز إشعاع ديني، وعلمي، وتخرج منها آلاف الطلبة في مختلف العلوم والفنون كما ذكر ذلك الدكتور ابراهيم حركات، ونذكر ممن تخرج منها على سبيل المثال:

العلامة محمد محمود التركزي مصحح القاموس المحيط للفيروز أبادي الذي توجد نسخة منه في مكتبة الزاوية التابعة لأسرة بلعمش.

العلامة محمد يحي الولاتي.

العلامة مصطفى ماء العينين وغير هؤلاء كثيرون.

لقد لعبت زاوية العلامة بلعمش الجكاني دورا ثقافيا عظيما على المستويين المغربي والإفريقي، حيث كانت قبلة طلاب العلم والمعرفة من مناطق شنقيط والسوس وإقليم الأزواد ـ مالي والنيجر حاليا ـ لما كانت تتمتع به أسرة بلعمش الجكانية من سمعة طيبة في تلك المنطقة وخصوصا قبيلة تجكانت التي ضرب بها المثل في رسوخها في العلم حتى قيل ـ العلم جكاني ـ.

إن مكانة زاوية آل بلعمش الروحية جعلت منها مركزا ذا نفوذ وسلطة قوية في تسيير الأمور الدينية، والقضائية بين سكان تلك المناطق الذين ينظرون إليها وإلى الأسرة المشرفة عليها نظرة إكبار وإجلال وتقدير. لأنها ظلت طوال عقود من الزمن قلعة حصينة من قلاع العروبة والإسلام في تلك المناطق.

لقد كانت الزاوية ولا تزال مركز إشعاع ثقافي وديني وجهادي، الأمر الذي جعلها عرضة لمضايقات السلطات الاستعمارية التي لم تتورع في تشريد ونفي الكثير من أفراد أسرة بلعمش الجكانية.

وقد كان لتلك المضايقات والأحداث التي عرفتها المنطقة بعد ذلك أثرها السلبي على سير هذه القلعة التاريخية العظيمة التي نتمنى لها من أعماق قلوبنا أن تنهض من جديد بمساعدة أهل الخير والفضل والصلاح للقيام بدورها التاريخي الكبير في أداء رسالتها المقدسة المتمثلة في نشر الإسلام والحفاظ على القرآن الكريم، وتربية النشئ عليهما، وما ذلك على الله وعلى الخلف الصالح من أسرة بلعمش التاريخية بعزيز. وكانت وفاة الشيخ محمد المختار ابن الأعمش يوم الأربعاء ١٦ من شهر رجب الفرد عام ١٢٨٧ عن عمر يناهز ٨٣ سنة.

مكتبة آل بلعمش

للزاوية مكتبة غنية بما حوته من كتب ومخطوطات في شتى العلوم والفنون نذكر منها العناوين في اللغة والنحو والفقه والتصوف:

البهجة المرضية في شرح الألفية
للحافظ السيوطي.

موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب
ابن عبدالله بن أبي بكر الأزهري.

شرح الأجرومية للأزهري

شرح مختصر الألفية للمكودي

شرح الأجرومية محمد بن أحمد بن بعلي
الشريف الحسني.

نزهة العلوم في نظم ابن أجروم.

القاموس المحيط الفيروز ابادي.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب
جمال الدين عبدالله بن هشام.

تنبيه الطلبة على معاني الألفية
سعيد بن سليمان السملالي.

شرح الملحة لجلال الدين السيوطي
بخط محمد بن محمد
المختار بلعمش.

مختصر خليل بن اسحاق.

إيضاح السر المصون في شرح فرائض ابن ميمون
محمد بن علي الرسموكي.

العلم النافع في جميع الجوامع.

أزهار الرياض في أخبار عياض.

فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد محمد بن قاسم بن عبدالجليل

الفيلالي.

شرح مختصر الخليل عبدالعزيز بن رشيد الهلالي الفلالي

شرح المواق لمختصر خليل.

شرح ميارة.

كتاب البيوع للمراق ممحد بن يوسف العبدري.

الدرر الجوهرية في شرح الحكم الحطابية

الإمام زروق البرنوسي الفاسي.

جلب النعمة ودفع النقمة بمجانية الظلمة

سيدي أحمد بن باب.

شرح قصيدة المجرادي للعلامة ابن محمد الجزولي

الرسموكي.

بغية المستفيد لشرح بنية المريد

للشيخ أحمد التيجاني.

الكوكب الوقاد في ذكر المشائخ والأوراد.

الشيخ ابن الأعمش الكبير:

التعريف باسرة بلعمش:

أسرة ابن الأعمش التي أسست مدينة تندوف وعمرتها. أسرة كبيرة عريقة في العلم والدين والصلاح. وهي تنحدر من قبيلة معروفة تدعى (تاجاكت) التي سكن بعضها نواحي شمامة، وتفرق بعضها الأخر في نواحي أخرى مثل شنقيط، والساقية الحمراء، ووادي درعة وغيرها من المناطق الصحراوية. وقد اشتهر في هذه الأسرة علماء يجدر بنا الحديث عنهم والتعريف بهم، والتنويه بما قدموه للإسلام، والعربية من جليل الخدمات. وفي مقدمة أفراد هذه الأسرة، العلامة الشيخ ابن الأعمش الكبير المولود في شمامة التي درس بها وأخذ عن علمائها حتى أصبح من كبار العلماء، وفي طريقه إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج مر بتاجاكانت القبيلة المعروفة فنزل عندهم وتزوج فولد له ولده محمد المختار ثم عاد إلى مسقط رأسه مع ابنه حيث توفي قبل سنة ١٢٦٠هـ وكان هذا الرجل عظيم القدر، رفيع الشأن، وتوجد فتاواه مخطوطة. هذا ما جاء في ترجمته في كتاب المعسول للسوسي.

الشيخ محمد المختار بن الأعمش

هو ابن العلامة الشيخ ابن الأعمش الكبير الذي سبقت ترجمته. وكان من كبار العلماء الذين ذاع صيتهم، وعمت شهرتهم كل الجهات. ويقول عنه السوسي في كتابه المعسول: "هو فريد في العلوم وفي القراءات فإليه يصار في حل المعضلات، وفتح أبواب المشكلات، وأخذ العلم أولا عن والده وعن غيره من علماء شمامة ثم قصد الشيخ سيدي محمد بن الشيخ المختار الكنتي فأخذ عنه ولازمه مدة أهلته ليكون من رجالات العلم المشهود لهم.

توجه بعد ذلك إلى أخواله (آل تاجاكانت) في زمور حيث زوجه رئيس القبيلة المدعو (الديماني) بابنته بالتتابع ومنهما بعض أولاده. وبعد وفاة صهره المذكور غادر الشيخ محمد المختار شمامة ليتفرغ لبناء مدينة تندوف بمساعدة أخواله وكان أول ما بني بها المسجد الأعظم. وقد اشترك في بناءه النساء المتحجبات ليلا، والرجال نهارا. وبعده أخذوا في بناء الدور وكان ذلك سنة ١٢٧٠هـ وكان الشيخ محمد المختار ابن الأعمش يدرس الحديث في هذا المسجد.

مر بمدينة تندوف العديد من العلماء المعروفين ومنهم من درس بمسجدها ومكث بها طويلا. ومن هؤلاء العلامة الشهير في الشرق محمد محمود التركزي الذي درس به صحيح البخاري قبل توجهه إلى المشرق. ومنهم العلامة الشيخ ماء العينين، والشيخ محمد يحي الولاتي، وهو في طريقه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج.

للشيخ محمد المختار بن الأعمش مؤلفات كثيرة ذكرنا بعضها عند حديثنا عن زاويته. وكان الرجل من الصالحين المحبين لآل البيت على جدهم الصلاة والسلام. وكان يسمي الشرفاء إخوان الله وجلاويزه[1].

كانت وفاته سنة ١٢٨٤ هـ ودفن بمدينة تندوف وعلى ضريحه قبة بناها مولاي بن التهامي من تلامذة الشيخ وصهره.

---

[1] الجلاوزة: الأعوان، جمع جلواز.

الشيخ محمد الصغير:

هو أحد أبناء الشيخ محمد المختار السابق الذكر. عرف بالبطولة والشجاعة في ساحات الوغى، كما كان إلى جانب ذلك تقيا ورعا، كثير العبادة والتهجد ليلا في حالة السفر والحضر. كانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٣٠هـ ودفن في قرية توزونيرت التي استقر بها أهله سنة ١٣٢١هـ.

الشيخ محمد المولود:

عالم جليل كثير التلاوة للقرآن عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن" وهو أكبر أبناء الشيخ المختار. كانت وفاته رحمه الله في أوائل هذا القرن ودفن في تندوف إلى جانب والده.

الشيخ محمد الأمين:

عالم جليل، له مؤلفات من بينها رسائل في الحضرة على صون النساء عملا بالحديث: "استوصوا بالنساء خيرا، كما حثهم على صون أنفسهم" وهو رغم قرب عهده إلا أن ما يتعلق بحياته من أخبار ومعلومات قليل جدا لا يكاد يذكر ولعل مرد ذلك إلى

الإهمال الذي طبع جانبا كبيرا من تاريخنا الثقافي الذي ضاع نتيجة ذلك. توفي قبل وفاة أخيه السابق ذكره ودفن في تربة أسلافه، رحمهم الله.

الشيخ عبدالله:

من علماء أسرة بلعمش عرف بحفظه لمختصر الخليل بن اسحاق في الفقه وهو من أجل الكتب وأقدمها. كان له رسوخ في العلم وكان الناس يقصدونه للقضاء بينهم والفصل فيما يقع بينهم من نزاعات وخصومات. وكان أخوه أحمد من رجال العلم المقتدى بهما. توفي سنة ١٣٢٦ في توزونين بمقبرة تاجاكانت وهي مقبرة عائلية منذ استقرارهم بتوزونينز ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن تلك المقبرة قد ضمت رفات اثنتي عشرة سيدة من الحافظات لكتاب الله، عليهن جميعا رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المختار:

من رجال العلم والأدب، فقد كان يقرض الشعر كما أخبر بذلك السوسي في كتابه المعسول.

ومن شعره قوله وهو يخاطب الشيخ الطاهر التامانارتي:

يا طاهر زانت الدنيا مفاخره   وانحط عن قدره الأنسى مفاخره

فالغيث بجا وشجا دون نائلكم والغوث علما وحلما أنت باقره
لا زلت ترقى العلا من فضل خالقنا ونسلكم أبدا تعلو مفاخره

ومن نظمه أيضا في حسن الظن بالله:

جهلي كثيف وأفعالي مصرحة إني قبيح وفعل الله بي حسن
إن جئته تائبا أنسى الكرام حيا أو جئته سائلا حفت بي المنن

ومن نظمه قوله:

عليك ببا الله يقضى لك الأرب ولا تذكرن غيرا أفذاك هو الحجب
فإن شموس الذكر يشرق نورها إلى السر إشراقا يضيئ له القلب
ولازم طريق القوم واعلم بأنه هو المنهل الأصفى ومشربه العذب
تواضع تنل بالذل مرتبة العلا وتابع طريق المصطفى يغفر الذنب

ولم نعثر على تاريخ وفاته ولا مكان دفنه، رحمه الله.

الشيخ عبد الرحمن محمد الصغير

هو ابن محمد الصغير الذي سبقت ترجمته، كانت له مشاركة في العلوم وخاصة العربية، أخذ العلم عن علماء الأسرة وعن الشيخ

الفقيه سيداتي في مدينة أراوان، وكان يشتغل بالتجارة مثل أسلافه. توفي في توزونين حوالي ١٣٣٤هـ، رحمه الله.

الشيخ أحمد دوكنا:

من علماء أسرة بلعمش، أخذ العلم عن أبيه الشيخ محمد المختار واقتدى به في أخلاقه. عرف بتواضعه. ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم نذكر الشيخ محمد محمود التركزي، والشيخ محمد يحي الولاتي، وغيرها من الشيوخ الذين كانوا يمرون به في طريقهم إلى الحج.

كان الشيخ مولعا بنظم الشعر فمنه على سبيل المثال إلى شيخه الولاتي:

إلى العالم الأرضي الكريم المبجل ... وفاتق رتق المشكلات من أول
وحائز خصال السبق في كل مشهد ... وراضع ألبان العلوم بلا مثل
من أحيا به الرحمن كل شريعة ... أميتت وأخرى به ملة الظلم والجهل
سلام يفوق المسك ريا وطعمه ... ألذ مذاقا من جبن النحل والنخل
وإني على العهد القديم إليكم ... وإعلامكم من واجب القول والفعل
فلا تنسنا في كل حين بدعوة ... جليلة قدريا أمام ذوي الفضل

وخاطب أيضا الولاتي يقول له:

سلام كزهر الروض فاح له عرف فتاهت على الأسماع من نشقة الأنف
سلام يفوق المسك طيبا تحفه تحية تكريم يرافقها ألف
سلام إلى كهف المعارف من اذا بدا وجهه استحيا الهيبة الطرق
إلى أحمد البرالفتي الشامخ الذري له العدل يمنن والكرامة والعرف
هو الفضل يجل الفضل والفضل جده له أكرم الأحساب والنسب الصرف
وبعد فإن البر والفضل والندى وإكرام أهل الفضل يسعي لكم تصفو
تبرهم بالقول والفعل والقرى وتكرمهم دأبا وترفو ولا تهفو
وإن جاء عرفان العلم سقيته بأكوس علم زانها اللطف والعطف
وإني لكم حب جميع وداده يزيد على مر الدهور ولا يجفو

ومن نظمه أيضا يخاطب به الشيخ أبا محمد الطاهر التامانارتي:

إلى الطاهر الأرضي الكريم المبجل رضع لبان الجود والعلم والفضل
ووارث أرباب المكارم والتقى من أجداده حتى على كل معتل
سلام كعرف المسك أذكر أريحه وأشهى مذاقا من رحيق معسل
وأطيب في الأسماع من صوت مزهر بكف خبير بالغذا مترسل

وتشفعه أسى الضحايا ورحمة تدوم مدى الإصلاح من متطفل
يروم بذا عرفانكم ووادكم وحبكم فالفضل للمتفضل
جزيتم بإحسان كثير ونعمة وخير كثير دائم متسلسل
فلازلتم للحق ركنا متشيدا متينا وقامعا أقاويل مبطل
ولا غزو إن كانت مآثر فيكم وراثة نور عن كرام وأول
فأنت بذا أولى وأخرى وليس من يبريكم في القول صاح أو الفعل
وصلي على عين الوجود محمد دوام الدفاع السيل من هاطل الوبل

كان الشيخ أحمد دوكنا إلى جانب نظمه الشعر عالما فقيها له مشاركة في علوم العربية والتاريخ والفرائض والتفسير والحديث والسيرة وعلم الأسماء. وكان يشتغل بالتدريس والقضاء والفتوى والنسخ. وفي ميدان القضاء، عرف عنه شدة تمسكه بالعدل لا يحيد عنه ولا يحابي في ذلك صديقا أو قريبا. فكان لذلك مقصد السائلين والمتقاضين يترددون عليه. وكان كثير الذكر متحريا في معيشته، لا يأكل إلا الخالص من الحلال فأحبه الناس لذلك وقدروه واحترموه. لم نقف على قيد لمولده ولا لوفاته، رحمه الله.

ومن أبنائه العالم الجليل الشيخ منلا ومعنى الاسم أمانة الله. أخذ عن أبيه مبادئ العلوم ثم أخذ عن الأستاذ محمد مبارك الإمام الراتب لمسجد تندوف الفقه الذي أصبح فيه متمكنا وقد حفظ

كثيرا من مختصر خليل. عاش في تمبكتو وولاتة وكان يمتهن التجارة. عين قاضيا على مدينة تندوف وبقي بها إلى أن توفي سنة ١٣٦٠هـ. رحم الله الجميع.

وفيما يلي نطلع القارئ الكريم على بعض ما حوته مكتبة آل بلعمش العامرة من وثائق ومخطوطات نفيسة من تآليف، ونسخ الشيخ محمد المختار بلعمش، رحمه الله، وغيره من العلماء الأعلام الذين انجبتهم أرض الجزائر الطيبة.

سوس العالمة

محمد بن عمر الدغوغي الجراري

نزيل مراكش، له (مؤلف في بيع الثنيا) (ج) (أنوار الهداية والبيان في الرد على هيان بن بيان) رد على أحد العلماء التمليين (ج) (الرد على أحمد بن ابراهيم السملالي في مسألة) (ج) (مجموعة فتاو فقهية ونحوية) (ج) (مؤلف في لا إله إلا الله) (ج) (مختصر طبقات الحضيكي) (ج) (شرح على الهمزية) لم يتم (ج).

يحيا الجراري العمر:

له (المصباح: فهرسه) (ج) (إجازات في كراسة) (ج).

محمد بن يحيا اليعقوبي ثم السعدري:

له (كراسة في تبيين فروع أبناء عبدالله بن يعقوب السملالي) (ج).

المحفوظ الرسوكي ثم الروداني:

له (حاشية على المكودي) (ج).

محمد المختار الجاكانتي بن الأعمش موسى تندوف:

له (نصيحة ذوي الرسوخ) (ج) (شرح إضاءة الدجنة للمقري) (ج) (مؤلف في رسم المصحف) (ج).

أحمد الهاكانتي:

الملقب: طائر الجنة، له (السراج في المحذوفات في المصحف) (ج).

محمد بن ابراهيم اعجلي الباعقلي:

له (الجمع في أعداد كلمات القرآن) (ج) (ميم الجمع في القرآن) (ج) (ضبط آخر الكلمات الموقوفة) (ج) (المنونات في القرآن) (ج) (الجفرية) (ج).

ابراهيم بن الحسن النظيفي:

نزيل مراكش، له (حدود النحو) (ج) (موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب) (ج).

أحمد انجار الباعمراني:

من أكابر القراء، له (منظوم في الارداف في القرآن) (ج).

فيها دراسة جدية بالأساتذة الذين يمرون فيها، وءاخر من جدوا فيها الأستاذ عبدالله الأغشاني سيد الأتقياء الورعين.

المدرسة التيزنيتية:

لم نسمع عن الدراسة فيها شيئا قبل ابن الطيفور الاستغاركيسي، ثم وليه فيها الفحل الذي لا يقدع انفه الحسن بن الطيوفور الساموجتني، ثم صارت تتدرج بين مد وجزر إلى الآن بالأساتذة الذين يشاطرون وعلى قدر هممهم[1].

المدرسة التيندوفية:

تقع هذه المدرسة في تيندوف في التخوم السوسية الصحراوية، وكان آل ابن الأعمش منذ أسسوا تلك المدينة على يد قومهم تاجاكانت رفعوا هناك راية التدريس، فيدرس فيها كل من مر بهم من فطاحل الشناكطة كمحمد يحيا الولاتي وأمثاله. بل قيل أن محمد محمود التركزي مصحح القاموس درس هناك أيضا، حين سافر إلى الشرق. وقد اقفرت الدراسة من هناك بعد عام ١٣٣٠ هـ، من هذا القرن.

المدرسة التامازتية:

كانت هذه المدرسة الواقعة في تامازت بقبيلة المنابهة قديمة، إلا أن شهرتها لم تتسع إلا بالأستاذ محمد بن عبدالملك

---

[1] لاحظها السعد فصارت فرعا لمعهد تارودانت فاستجدت من ذلك ثوبا قشيبا.

اليزيدي الإيسي الذي زخر تلاميذه في تلك الناحية، وهناك يزيدون آخرون أمثاله في أولاد برحيل قريبا من هناك وفي تينزرت.

المدرسة الإيرازانية:

هذه المدرسة من بنات المدرسة التيمجدشتية، قام بها الشيخ سيدي الحسن التيملي المتوفي عام ١٣٠٨هـ، فأصدر منها بالعلوم وبالتربية الصوفية كثيرين ملأوا تلك النواحي، وقد تبعه أولاده قليلا ثم اقفرت من هذا الشأن بعدما كان لها وكان.

وإن كان الفرع المجيد منها هو النازل أخيرا في تانكرت، ومنه شيخنا علامة العصر: سيدي الطاهر وأبناؤه العلماء الأدباء المشاركون مشاركة لا يوجد لها نظير، حياهم الله وبياهم، والأسرة ترفع نسبها إلى أبي بكر الصديق.

الجاكانية:

نسبة إلى تاجاكانت وهي قبيلة عربية نزلت في مدينة تندوف حين بنتها إزاء تامانارت نحو ١٢٧٠هـ وفيهم علماء قضاة ومفتون ومؤلفون، تسلسلوا منذ عهد ابن الأعمش الذي هو مؤسس تلك المدينة، وقد نزل بعض علمائهم مراكش أخيرا حيث دفن.

السباركية الأقاوية:

نسبة إلى سيدي محمد بن مبارك العلامة الشهير في (اقا) الحي من أواخر القرن التاسع إلى العقد الثاني من العاشر، وقد حازت الأسرة مجدا بتذبذب دونه كل ما جاد في العهد السعدي. ثم لا تخلو من العلماء حتى انقطع ذلك في الأجيال الأخيرة، ونسبها يرتفع إلى جعفر بن أبي طالب.

البنانية الأقاوية:

نسبة إلى البنانيين الفاسيين، وقد نزل أحد علمائهم في اقا، فاعقب أسرة الحاملة وحدها لراية العلم هناك في العصر الأخير. ولا يزال هناك اليوم ١٣٥٨هـ القاضي سيدي هاشم وأخوه سيدي عبدالرحمن على قيد الحياة.

الوخشاشية:

نسبة إلى الوخشاشيين وهي أسرة كان لها مجد علمي في اقا ما شاء الله، ولها فرع في تارودانت، يذكرون هناك وهنالك. وقد انقطع العلم الكثير منهم من أواسط القرن الماضي، وقد دفن بعض رجالاتهم في مكناس قبل قرنين، وفي بعض الأحياء منهم اليوم علم.

الايسيات:

الحضيكية:

نسبة إلى الإمام الحضيكي الذي هو أشهر من الشمس، وأهله ينتسبون إلى العرب، وهم يقطنون في أمانور، وفي ايسي، وقد تسلسل فيهم علماء من بينهم افذاذ، ولم ينقطع منهم العلم إلا في هذا الجيل فقط. إلا بعض اثارات كبقايا النور في ذهبية ما بعد الغروب

زاوية كرزاز:

أسست هذه الزاوية في القرن العاشر الهجري من طرف الشيخ أحمد بن موسى بن خليفة بن موسى الذي يتصل نسبه بالصوفي المعروف الشيخ عبدالسلام بن مشيش رحمهم الله جميعا.

وكرزاز التي عرفت الزاوية بها هي إحدى قرى واحات الساورة القريبة من مدينة بشار. وقد اشتهرت هذه الزاوية بمؤسسها الشيخ أحمد بن موسى المشهود له بالعلم والصلاح والذي أنشأ طريقة صوفية تعرف بالطريقة الموساوية وهذا بإذن من الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي رحمه الله.

وقد تلقى الشيخ أحمد بن موسى دراسة علوم الظاهر على يد العلامة الجليل الشيخ عبدالقادر الفاسي بمدينة فاس وتلقى علم

الباطن عن الشيخ محمد بن عبدالرحمان السهلي، وتلقى التربية الروحية على الشيخ أحمد العروسي.

وهكذا وعلى يد هؤلاء الشيوخ تخرج الشيخ أحمد بن موسى مؤسس الطريقة الموساوية، ومؤسس زاوية كرزاز التي عرفت بنشاطها المتزايد على مر السنين في الحفاظ على القرآن الكريم ونشر علوم الإسلام ولغة الإسلام.

زاوية سيدي الشيخ :

وتقع هذه الزاوية بالأبيض سيدي الشيخ نسبة إلى سيدي عبدالقادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ الذي ينحدر من أسرة يتصل نسبها بصاحب رسول الله (صلع)، ورفيقه في الغار، وصهره، وخليفته من بعده، سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه. فهي قبيلة عربية أصيلة.

وقد أسس الزاوية الشيخ سليمان بن بوسماحة الذي كثر في عهده طلابها ومريدوها لحفظ القرآن الكريم. وتلقي العلوم الدينية واللغوية. وقد اشتهر من أحفاده الشيخ عبدالقادر الملقب بسيدي الشيخ المولود عام ٩٥١هـ/١٥٤٤م والذي أخذ العلم والتصوف على العالم الجليل الشيخ محمد بن عبدالرحمن السهلي.

لقد كان الشيخ عبدالقادر معروفا بحبه الفقراء والمساكين وملازمته لهم، متفانيا في خدمتهم، وتقديم كل المساعدات اللازمة لهم، والعمل على حل مشاكلهم حتى لقب بقاضي الصحراء وكان الناس يقبلون عليه أفواجا من كل حدب وصوب لزيارته وتقديم الشكر له، معترفين له بجميل إحسانه وفضله.

وبعد وفاته سنة ١٠٢٣هـ/١٦١٥م خلفه على الزاوية ابنه الشيخ أبو حفص الذي عرف بالزهد والورع وحب الجهاد وكثرة التردد على الحرمين الشريفين. وكان الشيخ عبدالقادر أوصى بنيه ومريديه باتباع الطريقة الشاذلية.

وسار الحاج أبو حفص المعروف "الحاج باحوص" على طريق سلفه إلى أن لقي ربه سنة ١٠٧١هـ/١٦٦٠م حيث دفن إلى جوار والده بتربتهم المعروفة بالأبيض شرقي بوسمغون.

وتتمتع هذه الأسرة إلى يومنا هذا باحترام الناس وتقديرهم لماضي أسلافهم والمقاومة الوطنية ضد الاستعمار.

ومن شيوخها المعروفين: الشيخ العدناني وابنه السيد نورالدين وقد كان لهذه الزاوية وللأسرة المشرفة عليها دور عظيم في ميداني الجهاد بالسيف والقلم.

الزاوية القادرية البوشيخية

توجد هذه في حاسي الفحل وقد أسست سنة ١٩٣٦ وهي منذ تأسيسها تقوم بنشاط تعليمي كبير بداية بتحفيظ القرآن الكريم، ودراسة الفقه وعلوم الحديث والسيرة النبوية الشريفة وهي تساهم مساهمة فعلية في إعداد وتكوين الشيوخ قصد توزيعهم على الكثير من الزوايا ليقوموا بمهمتهم في تعليم الأجيال وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة وهذا رغم ضعف مواردها المادية. كما تستقبل بين الحين والحين أفواجا من الفقراء والمساكين والمحتاجين فتقوم بإيوائهم وإطعامهم ومساعدتهم قدر المستطاع.

وممن تخرج من هذه الزاوية التي يوجد على رأسها الشيخ الفاضل مقدم حسين نذكر الداعية الموريطانية الكبيرة، ديدي سيدي البكاي التي تقوم في وطنها بدور نشيط في نشر الإسلام والدعوة إليه بين قومها وأبناء وطنها.

ومن النشاطات الدائمة التي تقوم بها الزاوية تنظيم حلقات ذكر دورية تتناول فيها أحكام الشريعة الإسلامية السمحة وتلقي المحاضرات حول الدعوة إلى الإسلام، والعمل على دحر قوى الإلحاد والتيارات الهدامة لأخلاقنا وقيمنا العربية الإسلامية.

الزاوية الهاشمية القادرية

وتنسب إلى مؤسسها العالم الفاضل الشيخ الشريف الهاشمي بن ابراهيم بن أحمد الكبير دفين البليدة. وقد ولد الشيخ الهاشمي سنة ١٨٤٠ وتوفي عام ١٩٢٢ ودفن بقرية البياضة بوادي سوف، وفي هذه القرية أسس زاويته وكانت تنتمي إلى الطريقة القادرية. وقد لعبت الزاوية الهاشمية دورا جهاديا في محاربة الإيطاليين عند احتلالهم للقطر الشقيق الليبي، فقد شاركت بالمال والسلاح في مقاومة الاحتلال المذكور تحت قيادة قائد المقاومة العربية عبدالرحمان عزام باشا سنة ١٩١٢-١٩١٣. كما أعلن الشيخ الهاشمي سنة ١٩١٧ الثورة ضد الجيش الفرنسي في منطقة سوف.

وللزاوية الهاشمية بسوف فروع في جهات مختلفة من الوطن، ففي مدينة سكيكدة توجد الزاوية الهاشمية التي لا تزال قائمة مع مسجدها إلى يومنا هذا. وفي مدينة الأغواط وتقرت، توجد كذلك زاويتان تابعتان للزاوية الهاشمية الأم.

وعندما تعرض الشيخ الهاشمي للسجن والنفي من طرف سلطات الاحتلال، كانت ابنته السيدة زهور هي خليفته على رأس الزاوية التي لم يكن لها أي مورد مالي يساعدها على التكفل

بطلبتها الذين يقصدونها لحفظ القرآن الكريم ودراسة مختلف العلوم والفنون. ولكن السيدة زهور رحمها الله التي تحملت مسؤوليتها كاملة غير منقوصة معتمدة على الله وعلى نفسها فكانت تشرف على تسيير شؤون الزاوية نهارا وتشتغل بنسج البرانس ليلا لبيعها والاستعانة بثمنها على الظروف الصعبة التي كانت تمر بها. فكانت بذلك مثال المرأة الصالحة، الواعية، الكفوءة. وقد ساهمت بقسط وافر في إعداد العدة وتجهيز الجنود المتطوعين في مقاومة الاحتلال الإيطالي لليبيا الشقيقة وقد توفيت هذه السيدة الفضيلة سنة ١٩٧٣ ودفنت بمقبرة بوزريعة، رحمها الله.

ونعود إلى الحديث عن الزاوية الهاشمية لنشير إلى أنه بعد وفاة الشيخ الهاشمي سنة ١٩٢٢ تولى تسيير شؤون الزاوية والإشراف عليها المصلح والوطني الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ الهاشمي وهو أخو السيدة زهور من الأب. رحم الله الجميع.

زاوية الشيخ أحمد المجذوب

أسست هذه الزاوية التاريخية من طرف الشيخ التومي أحد ولدي الولي الصالح الشيخ أحمد المجذوب تخليدا لاسم والده المذكور لما كان ولا يزال يتمتع به من ذكر طيب ونَشْرٍ جميل ونفوذ روحي في أوساط أهل تلك النواحي من صحرائنا الشاسعة.

وقد ظلت الزاوية منذ تأسيسها تعمل بكل جد على القيام برسالتها المتمثلة في تحفيظ القرآن الكريم، ونشر العلم والمعرفة وإكرام الضيوف وإيواء الفقراء والمساكين والمحتاجين،فكانت لذلك كعبة يقصدها الناس من كل حدب وصوب وتشد إليها الرحال في كل الجهات، وقد تخرج منها العديد من حفظة القرآن ورجال العلم والأدب والفقه.

وكانت الزاوية عند اندلاع الثورة التحريرية المباركة في طليعة الأماكن التي جمعت أول لقاء لتنظيم الثورة والانضمام إليها والمشاركة فيها والدعوة إليها فساهمت بذلك مساهمة فعالة في أداء الواجب الوطني المقدس.

زاوية سيدي سالم الأعرج

واحدة من الزوايا الرحمانية بوادي سوف لصاحبها ومؤسسها شيخ الطائفة الأعرج سيدي سالم الذي أخذ الطريقة عن الشيخ سيدي علي بن عمر رحم الله الجميع. وبعد وفاته تولى رئاسة الزاوية ولده الفاضل الشيخ محمد الصالح الذي ألّف فيه العالم الجليل الشيخ ابراهيم بن عامر كتابه المعروف. البحر الطافح. وكان الشيخ محمد الصالح يشرف على تلك الزاوية التي كانت تقوم بتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الإسلامية.

وقد وصل عدد الطلبة بها إلى ٧٠ طالبا قدموا إليها من جهات بعيدة مثل الشاوية والنمامشة بالإضافة إلى الطلبة من أبناء البلد وتتولى الزاوية، كما هو معروف، إيوائهم والإنفاق عليهم إلى أن يكملوا دراستهم ويحفظوا كتاب الله حفظا جيدا متقنا.

زاوية الشيخ بلكبير

أسست هذه الزاوية الكبرى في الخمسينات من هذا القرن بمدينة أدرار بالجنوب الجزائري ويوجد بها حوالي ١٤٠٠ طالب يتلقون تعلمهم بها في إطار نظام داخلي محكم ويسهر على تعليمهم نخبة من رجال العلم يصل عددهم إلى ١٠.

ويتم استقبال الطلبة الوافدين عليها من جميع جهات البلاد ومن مختلف الأعمار، ويبدأ الطالب أولا بحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا. ويكون امتحانه فيه بعد حفظه على يد معلمين مختصين في ذلك. وبعد ذلك ينتقل الطالب للدراسة التي تبدأ بحفظ الفنون المختلفة في النحو والصرف والبلاغة والفقه وغيرها من العلوم الأخرى. وفي نهاية الدراسة يمنح الطالب شهادة معترف بها لدى معاهد الشؤون الدينية التي ينضم الطالب إليها لمواصلة دراسته بها ليتخرج منها إماما أو مدرسا للقرآن الكريم.

يتخرج من زاوية الشيخ بلكبير المئات من العلماء والمثقفين أي بمعدل ٥٠ مدرسا سنويا، وأغلبهم من ولايات: البيض، النعامة، سعيدة، ورقلة، الجلفة، بسكرة وحتى من بعض الأقطار الشقيقة المجاورة.

وتتلقى الزاوية المساعدات من المحسنين من كل جهات الوطن، وهي توفر للطالب الإقامة والإطعام. والتعليم مجانا. وليس للدولة أية سلطة عليها ما عدا إمام المسجد الذي يتم تعيينه من طرف وزارة الشؤون الدينية.

ومن الكتب التي تدرس في الزاوية نذكر: الأجرومية الألفية القطرملحة الإعراب وابن عاشر والرسالة ومختصر خليل وجوهرة اللقاني والخريدة وغيرها.

ونعود إلى التعريف بالشيخ محمد بلكبير مؤسس الزاوية وشيخها حاليا، فنشير إلى أنه ولد سنة ١٩١١م ببلدة غمارة وفيها تلقى أول تعليمه ثم انتقل إلى بلدة تمنطيط التي تبعد ١٠ كلم عن مدينة أدرار حيث أكمل تعليمه.

انتقل بعد ذلك إلى سعيدة، فتلمسان كمدرس للقرآن الكريم وفي تلمسان تلقى عن بعض الشيوخ ما هو في حاجة إليه من علم ومعرفة ونذكر الشيخ عبدالرحمن بن بوفلجة صاحب الطريقة الكرزازية، عاد بعد ذلك إلى تميمون. ثم إلى بودة غمارة وأخيرا استقر ببلدة أدرار حيث أسس في الخمسينات زاويته المذكورة.

ويمتاز الشيخ الجليل محمد بلكبير بالتمكن في العلم، واتساع الثقافة الدينية، وهو ممن وقفوا حياتهم في خدمة الإسلام والمسلمين. كما حظي الشيخ بتقدير واحترام الجميع داخل

الوطن وخارجه نظرا لما يتصف به من عظيم الخصال وما قدمه ويقدمه من جليل الأعمال. ولا يسعنا في ختام هذه الكلمة إلا أن ندعو له بالشفاء العاجل من مرضه الذي لم يمنعه من مواصلة أداء واجبه، فجزاه الله خير الجزاء.

الزوايا في المغرب الأقصى الشقيق

ظهر التصوف في المغرب الأقصى بعد ظهوره في المشرق العربي الإسلامي على يد ثلة من ذوي النفوس الطاهرة الصافية في العراق والشام. ولكنه في عهد دولة المرابطين ذَاعَ أَمْرُهُ وشَاعَ خبره، وعرف في عهد الموحدين انتشارا واسعا في أوساط الجماهير. فقد ظهر الأولياء والصالحون في كل مكان وتكاثر عددهم وتزايد نشاطهم، والتف الناس حولهم وأصبحت لكل واحد منهم طريقته الخاصة التي عرف بها وكثر مريدوها وأتباعها وأصبحت تتمتع بنفوذ روحي كبير. كثيرا ما يستعمل في الصراعات السياسية التي كانت قائمة آنذاك قصد دعم وتأييد فريق ضد آخر.

قام أولئك المرابطون ببناء زوايا يجتمعون فيها بمريديهم وأتباعهم للذكر والعبادة وللتربية الروحية بالإضافة إلى تعليم القرآن الكريم وتدريس مختلف العلوم الإسلامية والعربية لكل من يقصدها لهذا الغرض. وأصبح لها ـ أي الزوايا ـ بمرور الوقت مكانة متميزة لدى عامة الشعب الذي صار ينظر إليها نظرة تقدير واحترام خصوصا بعد أن بات معروفا لدى العام والخاص ضعف الحكام الذين أصبحوا غير قادرين على حماية الوطن من

الحملات المستمرة للمعتدين الأوروبيين على أرض الإسلام والمسلمين.

وقد كان لهذه الزاوية كما هو معروف في كتب التاريخ دور عظيم في تزعم وقيادة المقاومة الوطنية ضد المغيرين والدعوة إلى الجهاد المقدس كما فعل السعديون في السوس ضد البرتغاليين أوائل القرن السادس عشر بقيادة وزعامة شيخ زاويتهم بعد أن عجز المتأخرون من بني مرين على صد هجوماتهم، وهكذا انتصر المجاهدون بقيادة الشيخ الذي نادى بنفسه سيدا وزعيما وقائدا للسوس.

وظل المرابطون في المغرب يحملون راية الجهاد ضد الغزاة المحتلين ويخوضون المعارك من أجل الدفاع عن البلاد، والسهر على سلامتها وهذا ما قام به الرشيد وأخوه اسماعيل رئيسا الأسرة الشريفة الحسنية في تافيلالت بعد سقوط السعديين حيث كونا جيشا قويا طهر البلاد من الدخلاء كما استطاع استرجاع مدينة طنجة من الأنجليز الذين تسلموها هدية من الأميرة البرتغالية كاثرينا التي قدمتها صداقا إلى زوجها شارل الثاني ملك انجلترا سنة ١٦٨٤ بالإضافة إلى طرد الإسبان من قواعدهم على المحيط الأطلسي.

ومن أقدم الزوايا التي ظهرت في المغرب وكان لها دور عظيم في نشر الدعوة الإسلامية بين الجماهير نجد الزاوية القادرية

نسبة إلى الشيخ عدالقادر الجيلالي دفين بغداد والمتوفي سنة ١٠٦٦ ويسهر على شؤونها شرفاء القادرية بفاس. وكذلك زاوية الشيخ الجزولي المتوفي أواسط القرن الخامس عشر الميلادي وتنسب أيضا للشيخ عبدالسلام بن مشيش ولي أجياله ورائد التصوف المعروف بالمغرب الأقصى.

ومما يسجل للزوايا بالمغرب أنه لما وقع الاعتداء على مدينة تيطوان من طرف الغزاة الإسبان هب شيوخ الزوايا معلنين الحرب، وداعين إلى الجهاد المقدس للدفاع عن حمى الوطن، وضرب المعتدين بكل قوة وردهم على أعقابهم مدحورين مهزومين وهذا في الوقت الذي ضعفت فيه شوكة السلطة يومئذ.

وكما قلنا في بداية هذه الكلمة عن زوايا المغرب فإنه ظهر في عهد الموحدين أغلب أعلام التصوف وأئمته الذين كان لهم في الأوساط الشعبية مكان مرموق أمثال سيدي حرازم ١١٧٣ ومولاي بوشايب ١١٧٤ ومولاي بوعزة ١١٧٦ وعبدالسلام بن مشيش وسيدي بلعباس السبتي ١١٨٨.

وفيما يلي قائمة بأسماء بعض الزوايا بالمغرب الأقصى:

الزاوية الطيبية بوزان.

زاوية سيدي السهلي.

الزاوية القادرية بفاس.

زاوية الشيخ عبدالسلام بن امشيش.

الزاوية الشاذلية سلجماسة.

زاوية درعة.

زاوية تاكريوست وشيوخها أولاد بالمصطفى.

زاوية عين الحرارة وشيخها مولاي محمد بوشطة.

زاوية تالمست ومؤسسها مولاي التهامي بن مولاي الصديق الأعرج.

زاوية مالو وشيوخها أولاد مولاي الطيب[1].

زاوية وادي زقزل في بني سناس ومؤسسها مولاي أحمد بن محمد بن بلعياش.

زاوية تانعملت ببني ملال.

الزاوية الحمزية.

الزاوية الطيبية بوزان[2]:

مؤسسها هو الشيخ عبدالله الشريف الذي أسس الطريقة الطيبية والمتوفي ١٠٨٩ وقد عرفت الزاوية في عهد مؤسسها ازدهارا كبيرا حتى قيل أنها كانت تطعم حوالي أربعة عشر ألف

---

[1] عن المجلة الإفريقية عدد ٥٢-٥٣ سنتين ١٩٠٨-١٩٠٩.

[2] وزان واوزان وأصلها واد الزان بلد بالمغرب الأقصى الشقيق. والزان شجر معروف.

نسمة، وبعد وفاته أشرف على تسيير شؤون الزاوية أبناؤه وحفدته. فقد أشرف عليها من بعده ابنه محمد بن عبدالله الشريف الذي أنشأ لها فروعا ومقدمين في المغرب والجزائر. ثم تولاها ابنه الثاني ثم أخوه الطيب الذي استمر مدة رئاسته للزاوية من سنة ١١٢٧ إلى ١١٨١ وطيلة هذه المدة عرفت الزاوية ازدهارا ونشاطا عظيمين وأصبحت تنسب إلى الشيخ الطيب فاشتهرت بالطيبية. وهكذا تعاقب الأبناء على مشيخة الزاوية فقد أشرف على تسييرها الشيخ أحمد من ١١٨١ إلى ١١٩٥ ثم الشيخ علي إلى سنة ١٢٢٦.

زاوية سيدي السهلي: بوادي قير.

تقع زاوية سيدي السهلي بوادي قير على بعد سبعين كلم جنوب قرية عين الشعير. وقد أسست من طرف الشيخ سيدي محمد بن عبدالرحمن السهلي وهو من شيوخ العلم والورع والصلاح المعروفين. وقد كان له بنواحي توات أتباع ومريدون، كما كانت له لقاءات واجتماعات مع نخبة صالحة من وجوه العلم وأبطال المقاومة والجهاد بالجزائر.نذكر منهم: الشيخ عبدالكريم المغيلي، والشيخ سليمان بن سماحة دفين بني ونيف رحمهم الله.

وتعتبر زاوية سيدي السهلي فرعا من الفروع الأساسية للزاوية اليوسفية الأم لذلك أقبل عليها الطلبة والمريدون من كل الجهات.

زاوية وادي زكزل:

تقع هذه الزاوية في بني سناسن بالمغرب الشقيق، وقد أسسها مولاي أحمد بن محمد بن بلعيش الذي يتصل بالحسن السبط بن علي كرم الله وجهه، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو من تلاميذ مولاي محمد بن السعيد الهبري الذي نصحه بعد انهاء دراسته بالتوجه إلى المغرب وبناء زاوية لنشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم والدعوة إلى الإسلام بين القبائل.

وقد توفي سنة ١١٥٥هـ تاركا وراءه سبعة أولاد هم على التوالي: مولاي البخاري، مولاي بوشبطة، مولاي الطيب، مولاي الهاشمي، مولاي الكبير، مولاي الصديق، مولاي المصطفى، رحم الله الجميع[1].

---

[1] عن المجلة الإفريقية عدد ٥٢-٥٣ سنتين ١٩٠٨-١٩٠٩.

ذكر بعض الزوايا

بالقطر التونسي الشقيق

غير أن الحركة الدينية عرفت نشاطا متزايدا في تونس في عهد الدولة الحفصية وتميزت بإعطاء نفس جديد، ودفع قوي للمذهب المالكي الذي ظل المذهب المعمول به في المغرب العربي الإسلامي وهذا رغم مروره بفترات يعرف فيها بعض التقلص كما حدث في عهد الدولة الموحدية وذلك لأسباب لا مجال لذكرها في هذه العجالة.

كما تميزت الحركة الدينية في العهد الحفصي بتعدد المدارس الفقهية التي عرفت ازدهارا كبيرا في مدن بجاية وتونس والقيروان وقد كان للإمام ابن عرفة حامل لواء المذهب المالكي في تونس الفضل الكبير في ذلك.

وفي خضم هذا النشاط والانتعاش اللذين عرفتهما الحركة الدينية كان للتصوف هو الآخر نصيبه من التحرك والانطلاق حيث بدأ في الانتشار والتوسع ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي بعد فترة من الركود والجمود. ولعل الفضل الكبير في ذلك يعود إلى شخص الصوفي الكبير أبي مدين

شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني الذي مكث مدة بمدينة بجاية مدرسا. وقد تخرج على يديه فيها نخبة من أعلام التصوف ورواده الذين كان لهم الأمر الكبير في تنشيط حركة التصوف.

ومن الذين ساهموا في تنشيط حركة التصوف جماعة من أئمته وشيوخه نذكر في مقدمتهم: الشيخ أبا سعيد الباجي المعروف بسيدي بوسعيد، وأبا الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية وصاحب الزاوية المعروفة في أعلى مقبرة الجلاز المشهور بسيدي بلحسن، والمرأة الصالحة عائشة المنوبية التي تعرف بلالة المنوبية.

واشتهر من بعد هؤلاء، الشيخ سيدي بن عروس وهو من شيوخ التصوف المعروفين، وقد عرف بولي البلاد وكانت له لدى الجماهير في تونس وخارجها مكانة معتبرة بلغت درجة التقديس حتى أن جنازته سنة ١٤٦٣ شهدها أهل تونس قاطبة كما أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي أندري جوليان في كتابه "تاريخ افريقيا الشمالية".

وهذه قائمة بأسماء بعض الزوايا المعروفة في القطر التونسي الشقيق نذكرها على سبيل المثال لا الحصر لأن الزوايا بتونس كثيرة ومتعددة:

زاوية سيدي محرز بن خلف.

زاوية الشيخ قاسم انجليزي[1] بمدينة تونس وفيها دفن الأمير الثالث والعشرون أبو العباس أحمد الثاني.

زاوية الشيخ أبي عبدالله محمد بن عمران[2] المعروف باسم بوراوي الفحل سوسة.

زاوية الشيخ الشاذلي الموجودة على قمة جبل الزلاج بتونس والمجاورة للمغارة التي كان الشيخ أبو الحسن يرابط بها، فقد بناها الوزير مصطفى خزندار.

الزاوية القادرية بالديوان.

الزاوية البكرية.

زاوية سيدي أحمد بن عروس.

زاوية سيدي ابراهيم الرياحي.

زاوية سيدي منصور بن جردان.

زاوية السيدة المنوبية[1].

---

[1] توفي سنة ٩٠٢هـ.

[2] توفي سنة ٩٣١هـ.

[1] واسمها عائشة بنت أبي موسى عمران بن الحاج سليمان المنوبي وأمها فاطمة بنت السميح ومولدها بمنوبة.

زاوية سيدي فتح الله العجمي.

زاوية سيدي الصاحب.

زاوية علي بن زياد.

الزاوية الرحمانية بالكاف لصاحبها الشيخ علي بن عيسى.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الزاوية في العهد الحفصي بتونس كانت تتمتع بنفوذ روحي كبير، وكانت لها حصانة معروفة فهي بمثابة الحرم الآمن حتى أن الجناة إذا لجأوا إليها، واحتموا بها فرارا من العقوبة، فإن يد العدالة لا تصل إليهم ماداموا مقيمين بها. مما يؤكد المكانة المرموقة التي كانت تحتلها الزاوية وشيوخها في عهد الدولة الحفصية الزاهر.

الحديث عن الزوايا السنوسية

في القطر الليبي

للزوايا السنوسية المنتشرة في القطر الليبي طابعها المتميز فهي إضافة إلى ما تضطلع به من تربية روحية، وتعليم، وتحفيظ القرآن الكريم، تشكل مؤسسات اجتماعية تسهر على حماية البيئة وخدمة المجتمع، وتعمل على تكوين المواطنين تكوينا يساعدهم على مواجهة أعباء الحياة بالعمل الصالح والكسب الشريف، كما أنها تشكل مراكز نشيطة للتعبئة الروحية والتدريب على المقاومة ضد الغزاة المستعمرين بكل الوسائل والأساليب، وغرس روح النضال والكفاح في نفوس المواطنين.

وليس من باب الصدفة أن تقام الزوايا على السواحل في الخطوط الأمامية لتكون دائما في مواجهة الأعداء، كما أقيمت زوايا أخرى في الخطوط الخلفية في الداخل لتواصل الحرب والمقاومة ضد الغزاة في حالة تعطل أو تدمير الزوايا الساحلية.

لقد كان الغرض من تأسيس الزوايا السنوسية كما أرادها مؤسسها البطل المجاهد الشيخ محمد بن علي السنوسي لتكون حزاما أمنيا ليحيط العالم الإسلامي يصد عنه هجمات أعدائه،

ويقف في وجه كل محاولات غزوه واحتلاله ويحول دون كل خطر داهم.

وعملا بقوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"، وتطبيقا لهذا الأمر الإلهي أصبحت الزوايا السنوسية في القطر الليبي عبارة عن مراكز حربية تصنع فيها الأسلحة والذخائر ومخازن للأدوية والعتاد الحربي، وأماكن للإعداد العسكري يحضر فيها الطلبة تحضيرا جيدا استعدادا لكل طارئ. وهذا ما حصل فعلا عند الغزو الإيطالي للقطر الليبي سنة ١٩١١ نجد تلك الزوايا السنوسية تتحول إلى ثكنات عسكرية للدفاع عن حمى الوطن، وقتال ومقاومة المعتدين، وبقيت كذلك إلى سنة ١٩٣١ حين استشهاد البطل المجاهد عمر المختار خريج الزوايا السنوسية، رحمه الله ورضي عنه.

وقد بلغ عدد الزوايا السنوسية في عهد الشيخ محمد المهدي رحمه الله ٣٠٠ زاوية. ذكر الأمير شكيب أرسلان منها ١٢ زاوية في أرض الحجاز و٢٠ في السودان، وعدد آخر يبلغ حوالي ١٣٠ زاوية في قائمة في مكتبته في كتاب حاضر العالم الإسلامي كالتالي:

زاوية التاج في واحة الكفرة مقر السادة السنوسية ذرية سيدي محمد بن علي السنوسي الجغبوب المقر الثاني للسادة المشار إليهم وفيها المدرسة الكبرى لتخريج تلاميذهم.

زاوية طرابلس الغرب وشيخها سيدي عبدالوهاب العيساوي.

زاوية الرجبان في جبل يقزن من عمل طرابلس وشيخها سيدي محمد العيساوي.

زاوية مزدة فوق قصبة غريان وشيخها سيدي عبدالله السني.

زاوية طبقة بقرب زنتان، أشياخها أولاد سيدي محمد الأزهري.

زاوية الحرابة بين نالوث وفاطو بالجبل الغربي.

زاوية سيناون فوق نالوث.

زاوية درج فوق سيناون.

زاوية غدامس على حدود ايالة تونس، شيخها سيدي أحمد الحبيب.

زاوية مصراطة، شيخها السنوسي بن عبدالعالي.

زاوية مصراطة، شيخها (ثانية) عبدالله بن شنيشيع.

زاوية مسلاتة.

زاوية القطرون.

زاوية مرادة بين جغبوب وفزان في الصحراء، شيخها سيدي محمد الرويعي.

زاوية مرزوق، قاعدة فزان، شيخها سيدي عبداللطيف بن عبيد.

زاوية هون في البلاد التي على أبواب السودان، شيخها سيدي مصطفى الهوني.

زاوية سوكنه في البلاد الواقعة بين طرابلس وفزان، شيخها سيدي الشريف حامد بن بركات.

زاوية واوفي جنوبي طرابلس نحو السودان، شيخها سيدي محمد الأشهب.

زاوية غات، شيخها الحاج أحمد الغاتي.

زاوية الهواري في واحة الكفرة على مسافة خمس ساعات شمال مقر السادة وشيخ الزاوية هو سيدي الفضيل السنوسي.

زاوية الجوف في نفس واحة الكفرة، شيخها سيدي عبدالهادي الفضيل.

تزربو التي تبعد عن زاوية التاج بمسيرة ستة أيام، شيخها القطب الصالح السيد المدني من تلاميذ سيدي ابن السنوسي الكبير.

زاوية ربيانة على ثلاثة أيام من الكفرة، شيخها سيدي حسين بزامة.

زاوية الوجنقة الكبرى في أوائل السودان على خط دارفور على مسيرة ١٧ يوما إلى الجنوب من الكفرة، شيخها سيدي عبد ربه البرعمي.

زاوية الوجنقى الصغرى، شيخها سيدي عبدالرزاق الفاخري.

زاوية قرو عن الوجنقة الكبرى على مسيرة ثلاثة أيام إلى الغرب، شيخها الفاضل الأديب سيدي محمد بن عبدالله السني، أحد دعاة الإسلام، في أواسط إفريقيا، أصله من بلاد سنار في الحبشة، عباسي النسب.

زاوية البرقوات.

زاوية زندر في السودان.

زاوية يرضن على أبواب السودان. شيخها ابراهيم الغربي.

زاوية كانو في بلاد النيجر.

زاوية قانت بالقرب من غات، شيخها السنوسي الغاتي الأنصاري.

زاوية عين كلك التي جرت الحرب عليها بين السنوسيين والفرنسيين على مسيرة ستة أيام غربي قرو، شيخها الفاضل سيدي

عبدالله الفضيل الزري وعين كلك هذه فيها أنهار جارية على مسافة يوم ونصف.

زاوية ونّ قبلي زاوية عين كلك على مسافة يوم ونصف مائلة إلى الشرق وهي على مسافة نحو ٢٠ يوما من مرزوق فزان وشيخ الزاوية هذه هو سيدي السني ولد سيدي محمد السني.

زاوية بني غازي، شيخها العلامة الأستاذ سيدي أحمد العيساوي.

زاوية أم شنخب على مسيرة ٧ ساعات إلى الجنوب من بني غازي، كان شيخها سيدي محمد علي المحجوب.

زاوية الطيلمون على مسيرة ١٠ ساعات من بنغازي إلى الغرب، شيخها سيدي محمد علي المحجوب.

زاوية مسوس قبلي الطيلمون وشيخ هذه الزاوية سيدي سنوسي الأشهب.

زاوية احدابية غربي بنغازي، شيخها سيدي عبداللطيف الزوي.

زاوية القطيقة على مسيرة ٤ أيام إلى الغرب من بنغازي، شيخها الزروالي بن عبداللطيف.

زاوية النوفلية غربي القطيقة بمسافة ٦ أيام، شيخها سيدي أحمد بن ادريس.

زاوية زليطن في محل اسمه زورو، شيخها سيدي محمد بن عثمان بن بركة.

زاوية زويلة من فزان.

زاوية زلة شرقي زاوية سكونة، شيخها سيدي بن الخريصي.

زاوية أوجلة، شيخها سيدي عابد الفضيل.

زاوية جالو وتسمى زاوية العرق وشيخها سيدي عبدالله التواتي.

زاوية اللبة في أوجلة أيضا وشيخها الحاج محمد فريطيس.

زاوية شنحرة في بلاد جالورا أوجلة، شيخها سيدي محمد الصالح.

زاوية سيوة وهي الزاوية الأولى التي تخص السادة رأس والوكيل عليها سيدي يوسف بن عبدالله بن أحمد.

زاوية سيوة المنسوبة إلى آل معرف شيخها سيدي محمد بن عبدالله الزري رفيق سيدي أحمد الشريف الأستاذ الأكبر في سياحته الى الاستانة والاناضول.

زاوية سيوة الثالثة تخص السادة رأس والوكيل عليها أحمد الجبيري.

زاوية سيوة الرابعة شيخها أحمد أبو غالي.

زاوية حكية الزيتون على مسافة ٦ ساعات إلى الشرق من زاوية بني معرف وهي تخص السادة رأس الوكيل عليها سيدي الحسن الشريف.

زاوية القارة على مسافة ١٣ ساعة على الفارس إلى الشرق من حطية الزيتون وهي تخص السادة رأسا والكيل عليها صالح ولد سيدي يوسف.

زاوية الفرارة على مسافة ستة أيام إلى الشرق، شيخها سيدي السنوسي بن خالد.

زاوية القصر إلى الشرق من الفرارة من الوحات، شيخها ابن سيدي محمد الموهوب.

زاوية الواحات البحرية، شيخها سيدي صالح السعدي.

زاوية الواحات البحرية الثانية، شيخها سيدي المبروك القطعاني.

زاوية منديشة إلى جهة صحراء الفيوم، شيخها سيدي عبدالمالك الموهوب.

زاوية القلمون في الواحات أيضا وكل هذه الزوايا في سيوة والواحات في عيون ونخيل وكروم.

زاوية الفيوم وشيخها سيدي عبدالعالي السنوسي.

زاوية الزينية بالصعيد المصري فيها أولاد الولي الكبير سيدي أحمد بن ادريس.

زاوية سيدي ابراهيم الريس الفاسي في الصعيد.

زاوية حوش ابن عيسى بجهة الاسكندرية، شيخها سيدي محمد بن مالك.

زاوية الغيط عند العامرية في مديرية البحيرة، شيخها سيدي مرتضى الغرباني.

زاوية بهيج، وشيخها سيدي موسى العقاري.,

زاوية سيدي يادم الأبيرش على مسافة ساعتين من بهيج.

زاوية سيدي عبدالعاطي بن محيقظة على مسيرة نصف يوم من زاوية سيدي يادم.

زاوية الضيعة ويقال لها زاوية شنينة وشيخها سيدي عبدالمنعم أبو شنينة وهي على مسيرة يومين من زاوية سيدي عبدالعاطي.

زاوية قريوة على مسافة يوم من شنينة وشيخها سيدي عبدالرحيم الفاخري.

زاوية فوركة على مسافة ٣ ساعات من قريوة، شيخها سيدي عبدالرحيم التهامي.

زاوية محطة فوكة وشيخها سيدي موسى بن موسى.

زاوية بقوس وشيخها سيدي هارون بن بدر القناشي وهي على ساعتين من فوكة.

زاوية سيدي علي بن مورد إلى الغرب من زاوية بقوس بساعتين.

زاوية أم الرخم غربس مرسى مطروح وشيخها أبو القاسم الطيب.

زاوية نجيلة إلى الغرب بيوم من أم الرخم وشيخها سيدي عبدالقادر بن عمر.

زاوية شماس على مسافة ٣ ساعات من نجيلة إلى الغرب وشيخها سيدي بن عمر الأوجلي.

زاوية عليم الجلول على مسافة ٣ ساعات إلى الغرب من زاوية شماس وشيخها سيدي محمد الشريف.

زاوية براني على مسافة يوم إلى الغرب من هذه وشيخها سيدي الشريف بن ميلود.

زاوية سيدي عمران بن ابراهيم على مسافة يوم من زاوية براني ومن زاوية سيدي عمران بن ابراهيم إلى السلوم مسيرة يوم وهذه الزوايا من الأسكندرية إلى السلوم كلها من بلاد أولاد علي.

زاوية جبيل على مسافة ٣ ساعات إلى الغرب من السلوم شيخها سيدي محمد آمر ركبة علي بن عبدالله.

زاوية حسين الغرباني في دفنه أيضا على ٣ ساعات من أم ركبة.

زاوية المرصص غربي مرسي طرق على مسافة يومين من التي قبلها وشيخها سيدي صالح الشريف.

زاوية أم الرزم - أو - أم ارزم على مسيرة يومين من المرصص وشيخها سيدي مرتضي فركاش وعندها عين نضاضة وبستان جميل.

زاوية سيدي محمد بن فارس على ساعتين من أم ارزم.

زاوية مرطوبة على مسافة ساعتين إلى الغرب من التي قبلها وشيخها سيدي عبدالله فركاش وفيها عيون عذبة جارية من الجبل الذي فوقها وبساتين.

زاوية درنة في نفس المدينة شيخها السنوسي الغرباني.

زاوية الغرباني من درنة إلى الجنوب على مسافة يوم شيخها سيدي السنوسي الجبالي.

زاوية المخيلة على مسافة يوم من الغربات شيخها محمد بن الحسين.

زاوية بشارة على بضع ساعات إلى الجنوب الغربي من درنة وشيخها سيدي عبدالقادر فركاش وعندها عين جارية وبساتين.

زاوية حارة إلى الشرق من بشارة وشيخها سيدي عبدالله أبو سيف وهي على رأس نبع ماره من أنزه وأعذب ينابيع الدنيا وعليه البساتين والطواحين.

زاوية ترت إلى الغرب من بشارة وشيخها كان سيدي محمد الغزالي وكل هذه الزوايا في بلاد قبيلة العبيدات الكبيرة.

زاوية نقا شرقي ترت شيخها سيدي الحبيب من جلول. وزاوية العونية بهاتيك الجهات أيضا.

زاوية الفائدة المنسوبة إلى قبيلة فائد وشيخها سيدي صالح بن اسماعيل.

زاوية شحات أي مدينة سيرتا القديمة وهي بلدة عالية في رأس جبل مشرف على البحر تنبع المياه من مغارة بأعلاه وتسقط في شلالات بديعة ولها منظر من أجمل مناظر الدنيا وشيخ زاوية شحات سيدي محمد الدردفي والزاوية هي زاوية قبيلة الحاسة.

زاوية ماسة وهي الزاوية البيضاء التي كانت أول ما أسسه السنوسي الكبير، تبعد عن شحات نحو ساعتين إلى الغرب وهي على بضع دقائق من مقام سيدي رويفع الأنصاري رضي الله عنه وشيخ الزاوية البيضاء سيدي محمد الغماري والزاوية زاوية البراعصة.

زاوية الجمامة غربي الزاوية البيضاء على ساحل البحر وشيخها سيدي السنوسي الغماري.

زاوية الحنينة غربي الجمامة وشيخها سيدي أحمد بن العيساوي.

زاوية القصرين قبلي زاوية الجمامة وشيخها سيدي محمد العربي.

زاوية العرقوب شرقي زاوية القصور وشيخها سيدي جاد الله الجيلالي.

زاوية القصور شرقي قصبة المرج وشيخها البطل المشهور القائد للمجاهدين في حرب الطليان سيدي عمر المختار وهي زاوية قبيلتي الغرفا والعبيد.

زاوية اسقفة غربي طليمة وشيخها سيدي الأمين الغماري.

زاوية دربانة غربي طليمة وشيخها الشريف الغماري.

زاوية المرج على أربع ساعات قبلي طليمة وهي زاوية سيدي عمران الكوري.

زاوية كارسا تبعد عن زاوية ماره السابقة الذكر بمسافة ساعتين صوب البحر وجماعتها التراكي وشيخها سيدي يوسف العجال.

زاوية الاثرون على ٤٠ دقيقة من زاوية التراكي وشيخها سيدي الحبيب الجلول.

زاوية كفنطة على ساعتين ونصف ساعة إلى الجنوب من زاوية الحنية السالفة الذكر وشيخها سيدي حميدة بن عمور.

زاوية ميراد مسعود بحري زاوية القصرين وشيخها سيدي محمد بن حوا.

زاوية الحامدية غربي ميراد مسعود وشيخها سيدي عبدالله الكليلي.

زاوية عائلة دغار على مسافة نصف ساعة من الحامدية إلى الغرب وشيخها سيدي محمد الغالي.

زاوية نيان شيخها سيدي العربي الغماري.

زاوية طليسة على أربع ساعات بحري قصبة لمرج وشيخها التواتي الكليلي.

زاوية توكرة غربي طليسة وشيخها سيدي عبدالله الجيلالي.

زاوية برسس غربي توكرة وشيخها ابن سيدي عبدالله الجيلالي وأكثر هذه الزوايا في بلاد قبيلة الدرسا.

هذه الزوايا السنوسية في القطر الليبي الشقيق استطاعت أن تقف في وجه الاحتلال الإيطالي لليبيا، وأن تعلن الجهاد المقدس

ضد دولة من أكبر الدول، وجيش من الجيوش الأروبية القوية مجهز بكل وسائل البطش والقتل والدمار، وأن تصمد أمام تلك القوات المعتدية وتثبت ثبات الجبال الشامخة، لا تزعزعها العواصف ولا تؤثر فيها العوارض، بقيادة البطل الشهيد، فخر المجاهدين، سيدي عمر المختار، شيخ زاوية القصور السنوسية، رحمه الله ورضي عنه.

فما كان على الاستعمار الإيطالي المتوحش إلا أن أغلق تلك الزوايا السنوسية، وصادر كل أملاكها، وحاصر ثمانين ألفا من الذين نجوا من مذابحه ومجازره، داخل منطقة أحيطت بالأسلاك الشائكة حتى لا يلتحقوا بجيش المجاهد البطل عمر المختار الذي جاهد عشرين عاما قوات الغزو الإيطالية دفاعا عن حمى الوطن، وعزة الإسلام والمسلمين بشجاعة وبطولة ضربت بها الأمثال.

لقد كان الإمام محمد بن علي السنوسي هو مؤسس هذه الزوايا التي لعبت في تاريخ النضال والمقاومة والجهاد ضد الاستعمار دورا سجله التاريخ بأحرف من ذهب. كان هذا الإمام يؤمن إيمانا راسخا بأن الدين الإسلامي هو وحده القادر على بعث الشعوب العربية والإسلامية، وإيقاضها من سباتها العميق، وكان كذلك يؤمن بأن القرآن هو روح ذلك الدين، وبحفظه وفهمه والعمل بما جاء به من تعاليم ومبادئ تستطيع تلك الشعوب أن تنهض من

كبوتها، وتفيق من غفوتها، لتواصل مسيرتها النضالية ضد الجهل والتخلف والفقر.

وانطلاقا من هذا الإيمان القوي العميق تسرع الإمام السنوسي في تأسيس الزوايا في كل بقعة يحل بها وفي كل بلدة تطأها قدمه، فانتشرت الزوايا السنوسية في أرض الجزائر غربا - البلد الأصلي للإمام - إلى الجزائر العربية شرقا، إلى السودان جنوبا وأخذت تلك الزوايا طريقها جادة في أداء رسالتها المقدسة في أوساط الجماهير تستقبل أبناءهم لتلقي مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وتفهم معانيه السامية وتشرب روحه العظيمة.

وبعد وفاة الإمام السنوسي خلفه في مواصلة المسيرة نجله الإمام المهدي فكان خير خلف لخير سلف. وأسس بدوره العديد من الزوايا التي عرفت في عهده سعة في العلم، واتساعا في العمران حتى بلغ عددها ٣٠٠ زاوية، وقد لاقت الزوايا السنوسية كما قلنا مختلف أنواع المضايقات، وأبشع أنواع الظلم والاضطهاد في عهد الاستعمار معلنا ضدها حربا لا هوادة فيها، متخذا منها موقفا عدائيا لأنه كان يدرك غاية الإدراك ما تمثله هذه الزوايا بالنسبة لوجوده من الخطر العظيم المتمثل في بث الروح الدينية وتنميتها، ونفخ الروح النضالية وتغذيتها وتقويتها، وتعبئة

الجماهير في جيش من المجاهدين يحمل راية المقاومة الوطنية عالية خفاقة.

وفي شهر ديسمبر من عام ١٩٥٦ صدر مرسوم ملكي بتعيين مديرية عامة للزوايا السنوسية في ليبيا. وذلك قصد تنظيم هذا التراث الوطني العظيم، والمحافظة عليه، وحصر ما له من أملاك وأحباس لبعث هذه الزوايا على أساس جديد من التنظيم.

وأخذت الزوايا السنوسية منذ ذلك التاريخ يعاد بناؤها بشكل هندسي ومعماري عصري بعد أن كانت تؤدي رسالتها في مباني قديمة، كما جهزت بما يلزمها ويليق بها من الفرش والبسط والمرافق العامة، وعين لها الأساتذة، والأئمة، والمقرئون، والقيمون على أملاكها وأحباسها. وأصبح الجميع يتقاضون رواتب ثابتة قارة ويصنفون في درجات العمل ككل الموظفين في أجهزة الدولة.

وهكذا بدأت الزوايا السنوسية تعرف عهدا جديدا من النهضة والازدهار والتجديد، وبدأ عدد الطلاب الوافدين عليها من كل حدب وصوب في ازدياد مطرد، وأخذت الزوايا تعمل بجد ونشاط لأداء رسالة الهدي، وغرس روح القرآن العظيم في النفوس.

وكان من أهداف ومهمات مديرية الزوايا المذكورة الاتصال بكل الزوايا السنوسية بالبلدان العربية، وأواسط إفريقيا، وربط علاقات

تعاون وتنسيق بينها. فثمة زوايا سنوسية في السودان والجزائر وفي أرض الحجاز.

وحسب الإحصاءات التي أدلت بها المديرية المذكورة عام ١٩٢٢ فإن عدد الزوايا السنوسية يصل إلى ١٠٧ موزعة كالتالي:

٥٥ زاوية بمنطقة برقة.

٢٥ زاوية بالجنوب.

٣٢ زاوية بطرابلس.

ومن الزوايا التي لم نتحدث عنها، نذكر:

زاوية الشويرف بمزدة.

زاوية الحرابة.

زاوية تيجي بنالوت.

زاوية كوينين بغدامس.

زاوية المحجوب بصراتة.

زاوية المواطنين بسرت.

زاوية سرت المركزية.

زاوية النوفلية.

زاوية طرابلس.

وقد بلغ عدد الطلبة الذين يواصلون التعليم الديني بالزوايا السنوسية ٣٠٠٠ طالب. وتضم الزوايا السنوسية ٣٢ موظفا إداريا و ١٠٧ شيوخ و ١٧ إماما و ٦١ مقرئا و ٩٥ مؤذنا و ٣٠ قيما للأملاك و ١١٣ مباشرا في الزوايا والإدارة و ١٢٠ من العمال الفنيين. وللزوايا مجلس إداري مهمته التخطيط والتنظيم والإشراف على سير أعمال الإدارة.

بقية الزوايا التي ورد اسمها في جدول الزوايا السنوسية في كتاب حاضر العالم الإسلامي:

مستغانم في القطر الجزائري وشيخها سيدي أحمد بن تكوك.

زاوية سيدي محمد بن صادق في بلاد الجريد من مملكة تونس وفي تلك البلاد خمس زوايا أخرى تحت نظارة الشيخ المذكور.

زاوية جدة في الحجاز تحت نظارة شيخ زاوية أبي قبيس بمكة.

زاوية أبي قبيس بمكة المشرفة، شيخها السيد حامد.

زاوية الطائف وهي تحت نظارة الشيخ المذكور.

زاوية الجديدة في طريق المدينة المنورة.

زاوية بدر الشهداء وشيخها سيدي محمد الغماري.

زاوية المدينة المنورة وشيخها سيدي مصطفى الغماري.

زاوية ينبع البحر.

زاوية ينبع الوجه.

زاوية الحماء.

زاوية الصفراء.

زاوية رابغ.

زاوية صبح.

زاوية العيص.

وهذه كلها بالحجاز. وجملة ما هو مقيد عندنا من هذه الزوايا ١٣٠ زاوية. ولا تزال زوايا كثيرة في المغرب والسودان والحبشة والصومال مجهولة عندنا ونقلا عن حاضر كتاب العالم الإسلامي.

الجمعيات والجرائد

التي أنشأها شيوخ الزوايا

ومن الأمور التي يجب تسجيلها لرجال الزوايا هو تلك الهيآت والجمعيات التي قاموا بتأسيسها والتي كان الغرض منها خدمة الإسلام والعمل على نشره ودعوة الناس إليه. وفي مقدمة تلك الهيآت نذكر جمعية علماء السنة التي حضر مؤتمر تأسيسها أكثر من ألف شخص يمثلون الزوايا التجانية، والرحمانية، والخلوتية، والشاذلية، والطيبية، والقادرية، والعلاوية. وقد تم في هذا المؤتمر تأسيس جمعية علماء السنة وتعيين أعضاء الإدارة البالغ عددهم خمسة وأربعين عضوا، وقد أسندت رئاستها إلى العلامة الكبير والفلكي الشهير، الشيخ المولود الحافظي الأزهري، رحمه الله. وكان تاريخ تأسيسها: ١٩٣٢/٠٩/١٣ بعد الخلاف الذي وقع بين رجال الزوايا وإخوانهم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في طريقة العمل وأسلوب الدعوة الذي تبناه كل فريق والذي كان يرى فيه الطريق الأقوم لخدمة البلاد والعباد. ومن المعلوم أن حضور رجال الزوايا كان كبيرا في الاجتماعات التي مهدت لتأسيس جمعية العلماء المسلمين وقد كان بين الأعضاء

المؤسسين لها الشيوخ: المولود الحافظي الأزهري، السعيد البحري، محمد الفضيل الورتيلاني، وجميعهم من أبناء الزوايا.

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٣٢ أصدرت جمعية علماء السنة جريدة الإخلاص لتكون لسان حلال الجمعية، وقد أسندت رئاسة تحريرها لرئيس الجمعية يساعده نخبة من العلماء العاملين معه، وقد اتخذت شعارها الآية الكريمة: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".

إن جريدة الإخلاص كما ذكرت تكون صلة وثيقة بين الأمة والرقي، ومثال الاعتدال في كل شيء في غير مداهنة في الحق ولا غطرسة في طلبة، ومدرسة إرشادية تبث في نفوس الأمة روح التربية الإسلامية الصحيحة التي تتناول أصول محاربة الآفات الاجتماعية بحكمة ومنارة لا تتحزب لغير الحق والقضاء على أسباب تحكم العاطفة والسياسة الانتخابية في كل شيء باسم الدين. وما أن حلت سنة ١٩٣٨ حتى ظهرت إلى الوجود جمعية جامعة مشايخ الطرق والزوايا التي كان القصد منها الحفاظ على كيان الدين الإسلامي من عبث العابثين، ومؤامرات الحاقدين عليه في الداخل والخارج. وفي يوم ٢٥ سبتمبر من نفس السنة، ومن مقر جامعة مشايخ الطرق والزوايا وخلال اجتماع عام تم إنشاء جمعية الرشاد التي تعتبر فرعا من الجامعة المذكورة، وامتدادا لها. وقد كانت تركيبتها البشرية كالتالي:

الرئيس: سيد علي مبارك قدور.

نواب الرئيس: مبارك علي بن علال.

سيد علي مبارك زروق.

القاسمي عبدالقادر.

الكاتب العام: أحمد الأكحل.

نائبه: المهدي بوعبدالله

أمين المال: سيدي بومدين بشير.

نائبه: نجار محمد.

المراقب: حمو العاصمي.

نائبه: بن سراج أحمد.

وجاء في قانونها الأساسي أن الهدف من تأسيسها هو نشر العلم والمعرفة وترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية بواسطة الدروس والمحاضرات، وهي تتعاون في تحقيق أهدافها وبلوغ مقاصدها مع جمعية جامعة مشايخ الطرق والزوايا.

وقد قام الشيخ عبدالحفيظ القاسمي بمساعدة أخيه عبدالقادر المذكور آنفا، بإصدار جريدة الرشاد وهي جريدة أسبوعية إخبارية وإرشادية، لسان حال الجمعية المذكورة.

وكان شعارها مدلول قول الله عز وجل: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين". وقد نشرت عددا من المقالات حول التعليم في الجزائر وما آل إليه من ضعف المناهج وسوء النتائج. كما نشرت مقالات عن الأزمة الاقتصادية وأخرى عن الحالة الاجتماعية والدينية.

وهذا القانون الأساسي لجامعة الزوايا لشمال إفريقيا نتيجة المقررات المصادق عليها بالمؤتمر المنعقد يوم ١٥ مارس ١٩٤٨ بعاصمة الجزائر.

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا
(قرآن كريم)

القانون الاساسي لجامعة الزوايا لشمال أفريقيا

نحمدك يامن تفضلت علينا بالإيمان، وابنت لنا طريق الهداية بأوضح بيان، وأمرتنا بالإخلاص في الدين، والعمل لجمع كلمة المسلمين، والصلاة والسلام على نبيك الأمين الذي جعلته لسعادة الدارين قدوة، وأنزلت عليه قولك، إنما المؤمنين إخوة، وعلى آله الفخام وأصحابه الكرام.

أما بعد، فإن من ألقى نظرة على أحوال المسلمين بهذه البلاد في هذا الزمان يجدها خالية من تعاليم هذا الدين الحنيف، لانحرافهم عن مقتضيات كتابهم العزيز الذي لو عملوا به لكانوا خير الناس، وكيف لا وهو يناديهم بالتعاون والتحابب وترك الخصام حيث قال: "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربحكم". وبالعكس فإننا نرى الدعاوي لمصادمة التعاوم والتحابب قد تعددت وأسباب الخلاف قد تنوعت وموجبات الإعراض عن ذلك

الحبل المتين قد فشت واستفحلت بحيث لا وازع يردع الناس عن تيار الجهالة، ولا داعي يدعو إلى الخير بحسن المقالة، وقد أضاع المسلمون طريق الحكمة، كأن لم تكن لهم رابطة إسلامية ولا لمحة.

ولما تحقق أساطين أهل الدين بالشمال الإفريقي هذه الحالة الأسيفة وشاهدوا تيار الجهل والاعراض عن الدعوة إلى إحياء كلمة الله يزداد تفاقمها الآونة بعد الأخرى. لما شهاد÷توا ذلك نظروا نظرة المتأثر لما حال بالمسلمين من نبذ تقاليدهم الدينية ورفضهم لمقررات كتابهم الكريم الذي هو فخرهم وسعادتهم وتحققوا أن السكوت عن استعمال وسائل الإنهاض إلى العمل بكتاب الله ما هو إلا عامل آخر لطغيان وزيادة انكبابها على ما يخالف رضى الله ورسوله.

لما أبصروا وتحققوا من ذلك قاموا قومة المخلص الغيور وبادروا إلى معالجة الداء بتلبية داعي الله ورسوله إلى بث روح الدين الشريف بين أبنائه بواسطة مؤسسة منظمة خالصة من كل غرض ذاتي لتكافح عوامل الصدود عن أوامر كتاب الله ونواهيه بأنجح الوسائل وذلك تحت اسم: "جامعة الزوايا للشمال الإفريقي.

وهي نتيجة الحوار الواقع بمؤتمر الزوايا بالشمال الإفريقي المنعقد بالعاصمة يوم ١٥ مارس ١٩٤٨ الذي حضره ما يزيد عن مائة

وعشرين رئيس زاوية قاموا كقيام الشيخ مصطفى القاسمي رجل الجد والعمل في حب الله ورسوله قياما صادقا في ظروف عصيبة فدعى المؤتمر لتوحيد كلمة رجال الدين وذلك في سنة ١٩٣٨، قرر فيه أصول ما نحن بصدد تجديده وتعميمه لإفريقية الشمالية تحت تأسيس الشيخ عبد الحي الكتاني ثم وقعت فترة حتمها موانع الحرب وهم كذلك حتى فاجأهم حضرة الأستاذ الشيخ عمر بن الحملاوي، شيخ الطريقة الرحمانية بتأسيس معهد علمي شريف بعث فيهم شوقا عاما إلى ما كانوا عليه في ميدان المنافة ولما أراد الله إتمام ذلك النور وفق أكبر شخصية إسلامية وهو الشيخ عبدالحي الكتاني لتأسيس هيئة دينية إفريقية فعقدوا لذلك مؤتمرا فوتفق على تأسيس تلك الهيأة.

وأهم ما احتوى عليه برنامج أعمالها واتفقت عليه هيأة إدارتها التي سنذكر أعضاؤها فيما بعد، مشارع ثلاثة وهي:

نشر التعليم المجاني بواسطة برنامج واسع النطاق في الزوايا وإحداث معاهد أخرى في مختلف البلاد لهذا الغرض.

الدعوة والإرشاد إلى التمسك بأهداف القرآن الذي هو حبل الله المتين وتبيين محاسن الشرع الإسلامي وذلك بواسطة ثلة من الخطباء المصقعين.

العمل لإزالة البؤس والشقاء على الفقراء ولا سيما اللاجئين إلى الزوايا حيث تقع لعناية بتهذيبهم وتعليمهم.

وقد خصص لكل مشروع من هذه المشاريع الثلاثة صندوق مالي خاص به وذلك بتقرير المؤتمر المنعقد في التاريخ المذكور وسنتطلع على بقية مقرراته فيما بعد

ودونك ما وقع في المؤتمر المذكور: قبل شروع المؤتمر في العمل الذي اجتمع من أجله وذلك تحت رئاسة الشيخ عبدالحي الكتاني وبعدما ألقيت خطب ترحيبية وعرضت أعمال الجامعة السابقة على مسامع الحاضرين ذكر فيها ما تيسر فعله تحت رعاية الفاضل الشيخ مصطفى القاسمي، ذلك الرجل الصالح فقرر المؤتمر تعيين لجنة مؤقتة لترتيب الأعمال التي يبحث فيها عن تجديد القانون الأساسي وتطبيقه لتكون من ذلك مؤسسة جديدة حسب فكرة الرئيس الأعلى فكانت النتيجة أن تركبت الهيأة من السادة:

الرئيس ـ الحاج محمد غلام الله.

الأعضاء ـ الحاج محمد العشعاشي ـ حفيظي الأمين ـ عثماني عبدالرحمان ـ عثماني عباس ـ ابن بسام أحمد ـ قاسمي عبدالقادر ـ البوديلمي علي ـ قاسمي المكي ـ قاسمي بن عزوز ـ قرعيشي

مصطفى. محمد الكبير الكتاني. عبدالرحمان بن الشيخ الحمامي. عامم قادة بن عمروش.

فشرعت اللجنة في عملها بعد ما تم الاجتماع العام الأول للمؤتمر، وبعد البحث في مقترحات أعضائها، انتهى عملها بما يلي:

أولا: تنقيح القانون الأساسي كما سيأتي ذكره.

ثانيا: ترتيب المقررات التي ستعرض على المجلس بعد تكوينه.

ثالثا: كيفية انتخاب الرئيس الأعلى والهيأة التي تسير الجامعة حسب القانون الأساسي الجديد.

رابعا: تعيين وظائف المكتب واللجان.

خامسا: تنظيم أعمال مجلس الجامعة.

وعند اجتماع المؤتمر في جلسته الثانية قرر قبول القانون الأساسي وبدأ في العمل على مقتضاه بتعيين أعاء الهيأة فكانوا على هذا الترتيب:

المجلس الأعلى:

فقد تألف من السادة:

رئيس مؤسس المجلس الأعلى . الشيخ عبدالحي الكتاني (زاوية فاس).

مفوض الجامعة بتونس . الشيخ التبريزي بن عزوز (تونس).

مفوض الجامعة بالجزائر . الشيخ عمر بن الجملاوي (واد سقان).

مفوض الجامعة بالمغرب . الشيخ محمد الكبير الكتاني (فاس).

الإدارة:

رئيس الإدارة . الشيخ مصطفى القاسمي (زاوية الهامل).

نائبه . الشيخ أحمد التيجاني (زاوية تماسين).

نائبه . الشيخ عثماني عبدالرحمان (زاوية طولقة).

نائبه . ابن طكوك عبدالقادر (زاوية بوقيرات).

الكتاب . الشيخ حفيظي الأمين (بكرة).

الكتاب . الشيخ عاصم قادة (بريقو).

الكتاب . الشيخ قاسمي عبدالحفيظ (الهامل).

الكتاب . الشيخ عثماني عباس (طولقة).

أمين المال . الشيخ أحمد التيجاني (تماسين).

نائبه . الشيخ الأعرج عبدالرحمان (القنادسة).

نائبه ـ الشيخ قاسمي الحاج محمد (متيجة).

مفوض علمي ـ الشيخ عمر بن الحملاوي (وادي سقان).

مفوض علمي ـ الشيخ محمد بن طكوك (بوقيرات).

مفوض علمي ـ الشيخ غلام الله محمد (تيارت).

مديرية اللجنة بالجزائر ـ الشيخ القاسمي عبدالقادر (الهامل).

مديرية اللجنة بوهران ـ الشيخ غلام الله محمد (تيارت).

مديرية اللجنة بقسنطينة ـ الشيخ القرعيشي مصطفى (قسنطينة).

المراقبون للجامعة: الشيخ القاسمي المكي (الهامل).

الشيخ عطية مولاي أحمد (غليزان).

الشيخ أحمد بن بسام (قسنطينة).

الكاتب المالي: الشيخ محمد العشعاشي (تلمسان).

المستشرون: الشيخ الزواني محمد (قالمة).

الشيخ حفيظي بن عزوز (خنشلة).

الشيخ حسن الطرابلسي (عنابة).

الشيخ السنوسي البشير (القليعة).

بنعمر التيجاني (عين ماضي).

الحاج محمد بن ابراهيم (تاخمارت).

مولاي عبدالله (معسكر).

اللجنة المكلفة بتنظيم المالية:

الشيخ أحمد التيجاني: زاوية تماسين.

الشيخ الزواني محمد: زاوية قالمة.

الشيخ عمر بن الحملاوي: زاوية سقان.

الشيخ عثماني عبدالرحمن: زاوية طولقة.

الشيخ قاسمي المكي: زاوية الجزائر.

الشيخ بنعمر التيجاني: زاوية عين الماضي.

الشيخ بلقاسم البوجليلي: زاوية واد ساحل.

الشيخ قاسمي الحاج مجمد: زاوية متيجة.

الشيخ بن طكوك عبدالقادر: زاوية بوقيرات.

الشيخ غلام الله محمد: زاوية تيارت.

الشيخ محمد العشعاشي: زاوية تلمسان.

الشيخ الأعرج عبدالرحمن: زاوية القنادسة.

اللجنة التنفيذية للعمالات الثلاث

عمالة وهران:

مركزها: شارع بلكور عدد حي قامبيطا، وهران.

الرئيس: الشيخ علام الله محمد: زاوية تيارت.

الأعضاء: عاصم قادة بن عمروش: زاوية بريقو.

شنتوف المختار: زاوية معسكر.

مرابط عبدالله: زاوية عمي موسى.

الحاج محمد العشعاشي: زاوية تلمسان.

عمالة الجزائر:

مركزها: سيدي محمد بلكور.

الأعضاء: الشيخ قاسمي عبدالقادر: زاوية الجزائر.

الشيخ قاسمي المكي: زاوية الهامل.

الشيخ قاسمي عبدالحفيظ: زاوية القليعة.

الشيخ قاسمي الحاج محمد: زاوية متيجة.

عمالة كسنطينة:

مركزها: الزاوية الرحمانية، نهج بيو، عدد قسنطينة.

الأعضاء: الشيخ قرعيش مصطفى: زاوية قسنطينة.

الشيخ بن بسام أحمد: زاوية قسنطينة.

الشيخ حفيظي الأمين: زاوية بسكرة.

الشيخ عثماني عباس: زاوية طولقة.

الزواني محمد: زاوية قالمة.

المقررات:

اتفق رجال المؤتمر على القررات التالية وذلك بعد موافقة المؤسس الشيخ عبدالحي الكتاني على القانون الأساسي وعلى كون المؤتمر لا يكون إلا من جملة الأعضاء العاملين ورؤساء الزوايا.

التقرير هو السعي الحثيث بمختلف الوسائل المشروعة لتمتين عرى المودة والأخاء بين رؤساء الزوايا أنفسهم ثم بين العلائق الدينية والصلات التي تربط بينهم وبين إخوانهم وأحبابهم.

التقرير الثاني هو العمل للمحافظة على القرآن الكريم وترغيب المسلمين في حفظه وخدمته والإهتداء بنوره.

التقرير الثالث هو السعي المفيد في تشجيع التعليم العربي الإسلامي.

المجلس الأعلى:

عمالة الجزائر:

الشيخ	عبدالحي الكتاني	زاوية	فاس	الطريقة	كتانية
"	عبدالكبير الكتاني	"	"	"	"
"	التبريزي بن عزوز	"	تونس	"	رحمانية
"	مصطفى القاسمي	"	الجزائر	"	"
"	بن عمر التيجاني	"	عين ماضي	"	تيجانية
"	بلقاسم البوجليلي	"	واد الساحل	"	رحمانية
"	عبدالرحمان الجرجري	"	جرجرة	"	"
"	محمد وعلي	"	قصر البخاري	"	شاذلية
"	الحاج العربي بربرة	"	ثنية الحد	"	"
"	المداني بن المحجوب	"	المدية	"	"
"	ابن الشرقي العطاف	"	العطاف	"	"
"	قاسمي الحاج محمد	"	بير توتة	"	رحمانية
"	السوسي البشير	"	القليعة	"	عمارية
"	ابراهيم بن عزوز	"	قلتة الصطل	"	رحمانية
"	قاسمي المكي	"	بو سعادة	"	"
"	قاسمي عبدالقادر	"	الجزائر	"	"
"	الأزهري بن عزوز	"	الأغواط	"	"

"	الونوغي أبو مزراق	"	الجزائر	"	"	
"	قاسم عبدالحفيظ	"	الهامل	"	"	

عمالة وهران:

الشيخ	بن طكوك الحاج عبدالقادر	زاوية	بوقيرات	الطريقة	سنوسية
"	محمد بن طكوك	"	"	"	"
"	غلام الله الحاج محمد	"	تيارت	"	شاذلية
"	الحاج محمد بن ابراهيم	"	تاخمارت	"	"
"	ابن الشريف المكي	"	كسار	"	"
"	أبو عبدالله البوعبدلي	"	سان لو	"	"
"	عطية مولاي محمد	"	غليزان	"	"
"	عدة بن تونس	"	مستغانم	"	علاوية
"	بن لعرج عبدالرحمان	"	القنادسة	"	زيانية
"	بن عمر مولاي علي	"	ندرومة	"	طيبية
"	مرابط مولاي عبدالله	"	عمي موسى	"	"
"	شنتوف عدة	"	معسكر	"	شاذلية
"	عاصم قادة بن عمروش	"	بريقو	"	"
"	بواذريع ابراهيم	"	سعيدة	"	هبرية
"	بن القندور بوحفص	"	تريزيل سقر	"	"
"	بغدادي بن عبدالله	"	ندرومة	"	قادرية

"	ابن لحول قدور	"	واد الخير	"	"
			مستغانم		
"	الحاج الحبيب بلخير	"	فرطاصة	"	"
"	عبدالقادر بوعزة	"	عين تموشنت	"	"
"	بوفلجة عبدالرحمان	"	كرزازة	"	"
"	النابشي بن عبدالباقي	"	واد الجمعة	"	"
			زمورة		
"	محمد العشعاشي	"	تلمسان	"	هبرية
"	محمد البركة	"	بلعباس	"	شاذلية
"	بوغفورة الحاج أحمد	"	سيق	"	"
"	البوديلمي علي	"	تلمسان	"	علاوية
"	القادر الحاج محمد بن عبدالقادر	"	ندرومة	"	عيساوية
"	غلام الله غلام الله	"	تيارت	"	شاذلية

عمالة قسنطينة:

الشيخ	أحمد التيجاني	زاوية	تماسين	الطريقة	تيجانية
"	الحاج محمد الصغير باش تارزي	"	قسنطينة	"	رحمانية
"	عثماني عبدالرحمان	"	طولقة	"	"
"	الشيخ عثماني عباس	"	"	"	

"	حفيظي الأمين	"	بسكرة	"	"
"	حفيظي بن عزوز	"	خنشلة	"	"
"	قرعيشي مصطفى	"	قسنطينة	"	"
"	مختار بن عبدالحميد	"	أولاد جلال	"	"
"	عمر بن الحملاوي	"	سقان	"	"
"	الحاج حسن الطرابلسي	"	عنابة	"	علاوية
"	الزواني محمد	"	قالمة	"	عمارية
"	بن بسام أحمد	"	قسنطينة	"	تيجانية
"	الحاج صالح بن حميدة	"	"	"	طيبية
"	الشافعي بن الصادق بن الحاج	"	أوراس	"	رحمانية
"	الزواني الهاني بن بلقاسم	"	الرفلك	"	حنصالية
"	عبدالرحمان بن الشيخ الحسين	"	سيدي خليفة	"	رحمانية
"	بن سحنون	"	عزازقة	"	"
"	بوقشبية	"	عنابة	"	"
"	السعيد بن العيساوي	"	طوقفيل سطيف	"	"
"	الطيب ولد الشيخ الحواس	"	ريغة سطيف	"	"

وقد أخذت هذه التقارير بناء على تكليف المجلس الأعلى بإدارته ولجنته التنفيذية بالعمل الجدي للوصول لغاية الجامعة وصادق الرئيس الأعلى على ذلك بعد موافقة أعضاء الجامعة كلهم.

عن المجلس الأعلى عن الإدارة الرئيس

القانون الأساسي
لجامعة الزوايا للشمال الإفريقي

المادة الأولى:

أسست تحت هذا العنوان جامعة الزوايا للشمال الإفريقي بحسب قانون فاتح جويلية سنة ١٩٥١ ومركزها بسيدي محمد ببلكور، الجزائر.

المادة الثانية: مقاصد الجمعة.

أولا: المحافظة الكلية على الدين الإسلامي وتعاليمه وعلى القرآن والأحكام الشرعية.

ثانيا: احترام التقاليد القومية التي لا تتعارض مع أصول الإسلام أو فروعه المعلومة.

ثالثا: التعاوم على نشر التعليم الديني الإسلامي وتعميمه في جميع الطبقات بالأساليب المناسبة والآداب المرعية.

المادة الثالثة:

الجامعة لا تتداخل في الشؤون السياسية.

المادة الرابعة:

هذه الجامعة تتركب من:

أعضاء عاملين.

أعضاء مؤيدين.

أعضاء شرفيين.

أعضاء محسنين.

يعتبر عضوا عاملا كل مريد قدمه عضوان من اللجنة (التنفيذية) ويدفع اشتراكا سنويا مبلغع ألف فرنك ويكون له الحق في الانتخاب.

يعتبر عضوا مؤيدا كل من كانت قيمة اشتراكه السنوي ٥٠٠ فرنك.

يعتبر عضوا شرفيا كل رئيس زاوية مشهورة وله حق الانتخاب.

يعتبر عضوا محسنا كل من أعان الجامعة باشتراك سنوي أقله مائة فرنك.

المادة الخامسة:

مدخول الجامعة يتكون من اشتراكات الأعضاء العاملين والمؤيدين والشرفيين والمحسنين ومن التبرعات.

المادة السادسة:

يدير هذه الجامعة:

أولا: مجلس أعلى مركب من ستة وستين عضوا برئيس عملي أعلى خاص به ومفوصين في الأقطار الثلاثة: الجزائر، وتونس، والمغرب، مرتبطين بالمجلس الأعلى.

ثانيا: إدارة مؤلفة من رئيس ونواب له في العملات الثلاثة، وكاتب عام ونوابه، وأمين مال ونوابه، ومراقبين، ومديرين، ومفوضين، واثني عشر عضوا مستشارين.

يعين هذه الإدارة المجلس الأعلى المذكور في اجتماعه العام السنوي.

المادة السابعة:

وظيفة المجلس الأعلى هي مراقبة تسيير الإدارات وأعمالهم من جميع الوجوه وله التصديق على مقرراتهم أو رفضها، وعليه حل المشاكل التي تحدث لأعضاء الجامعة في أثناء السير، وله تغيير القوانين الأساسية، ويعين اللجنة المالية واللجنة التنفيذئة والمفوضين، وله الأمر في عقد اجتماع المؤتمر الكبير.

المادة الثامنة: وظيفة الإدارة.

الإدارة موكلة على مال الجامعة، تقبض الاشتراكات والتبرعات وتراقب المعاهد التي تنشئها وتفتح مدارس قرآنية وتعين لها مدرسين، وتؤسس فروعا يعمل بها بمقتضى فكرة، والجامعة تفاوض فيما يخص الجامعة وتخاصم عنها بالنيابة لدى المحاكم الشرعية والسلطة الحاكمة، ويكون لها أن تتبل كل مصالحة ولا يمكن للإدارة أبدا أن تتصرف فيما يجاوز مبلغ صندوق المال كما أنه لا يجوز أن تبذل مصروفا في غير ما يتعلق بشؤون الجامعة ولا يجوز لها الرهن والبيع ولا يسوغ لها أن تغير القوانين الأساسية.

المادة التاسعة: اللجنة المالية.

يعين المجلس الأعلى لجنة مالية مركبة من اثني عشر عضوا وظيفتها التدابير اللائقة لجمع المال وصرفه وجعل المحاسبات والتقريرات المالية.

المادة العاشرة:

يعين المجلس الأعلى لجنة تنفيذية مركبة من خمسة عشر عضوا، ووظيفتها تنفيذ قررات المجلس الأعلى والإدارة المركزية في العمالات الثلاث ويكون تركيبها على هذا المنوال: خمسة أعضاء من كل عمالة تعمل تحت نائب رئيس الإدارة ويكون كل مكتب خاص في عمالته ولها التفويض في سير الحركة المادية والأدبية ولا بد لها من إخبار المركز الإداري بعملها، ولها رئيس وكاتب ويجمعها رئيسها في كل ثلاثة أشهر مرة وجوبا. ولها أن تجتمع فيما عدى ذلك إذا أوجبت الظروف اجتماعها.

المادة الحادية عشر: الاجتماع العام.

ينعقد الاجتماع العام في كل سنة مرة باستدعاء من الرئيس الأعلى أو بأمر من الإدارة ويجب أن يكون هذا الاستدعاء قبل آوان

الاجتماع بشهر على الأقل للبحث عن أعمال الجامعة من الناحية الأدبية والمادية والاجتماعية ولتجديد المجلس الإداري.

المادة الثانية عشر:

لا يكون انحلال الجامعة إلا إذا جمع لذلك مؤتمر خصوصي ولا يقع الانحلال إلا إذا وافق عليه ثلثا المؤتمر وعند ذلك، يسلم أثاثها إلى جمعية خيرية إسلامية، يعينها المجلس الأعلى والله الموفق للصواب.

وفي سنة ١٩٤٥ ظهرت بمدينة غليزان بالغرب الجزائري الجمعية الصوفية التي كان مقرها في شارع طنجة رقم ٩ بالمدينة المذكورة. وكان يرأسها المشري الحطابي، وكاتبها الشيخ أحمد شنتوف. ومن بين أعضائها الشيخ مصطفى بن اسماعيل الذي كان من جنود القدس الشريف سنة ١٩٤٨، وكتبت له الشهادة في ثورة التحرير الجزائرية، والشيخ محمد مقلع الذي توفي بالمدينة المنورة. ومن أعضائها البارزين، المجاهد البطل العقيد عميروش، وابن خالته السيد رزقي، رحم الله الجميع.

وكان ظاهر هذه الجمعية دينيا، ولكنها كانت في الحقيقة جمعية سياسية تنشر الوعي الوطني بين الجماهير تحت غطاء ديني صوفي.

وفي سنة ١٩٤٨ اجتمع مشايخ الطرق والزوايا في عاصمة الجزائر بزاوية سيدي محمد بن عبدالرحمن الأزهري تحت رئاسة فضيلة الشيخ عبدالحي الكتاني الذي جاء من المغرب الأقصى الشقيق خصيصا ليستنهض مشايخ الجزائر لإحياء الجمعية وتقويم معالمها وحضر إلى جانبه الأستاذ الشيخ التبريزي بن عزوز من تونس الشقيقة ودام الاجتماع يومين، ناقض خلالها أعضاء الجمعية، القانون الأساسي الذي ادخلوا عليه تحويرا حسنا وتم تشكيل الهيآت الإدارية تحت رئاسة فضيلة الشيخ مصطفى القاسمي شيخ زاوية الهامل.

كما شكلت لجنة دائمة بعاصمة الجزائر لتقوم بمهمة التنسيق والاتصال بين المشايخ وأعضاء الجمعية.

ومن بين الجمعيات التي قام بتأسيسها شيوخ الزوايا والتي كان الهدف منها خدمة الإسلام والمسلمين، نذكر تلك التي هيأ لها الشيخ أحمد العلاوي قانونها الأساسي، ولكن الظروف لم تسعفه على تحقيقها. وقد اختار لها اسم الجمعية العلمية. والتي جاء في قانونها الأساسي: "ولا تخرج الجمعية عن خطتها في بث العلم والتعليم لإخراج أبناء الوطن من سجن الجهالة والاختلاف إلى فضاء العلم وتحسين العلائق والروابط الودية بالوسائل التهذيبية الموافقة للشريعة الإسلامية مع مراعاة القوانين الدولية".

إن أول عمل تقوم به هو تأسيس مجلة شهرية تحرض الناس على تجنيد مبدئها وعلى ما ينتعش به الوطن ويزيد في حياته التفنن في أنواع الزراعة والصناعة وذم الجهل ومدح العلم ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة والمعاشرة فيما بين الأفراد والجماعات.

وهذه جمعية التنوير التي يعود تاريخ تأسيسها إلى الثلاثينات من طرف الشيخ أحمد العلاوي، شيخ الطريقة العلاوية، ومهمتها كما جاء في جريدة المرشد عدد ٤١ هي الاشتغال بتنوير مساجد الطريقة وزواياها وتفريشها وترميمها إذا دعت الضرورة إلى ذلك وقد قامت بأعمال جليلة. أما نواب الجمعية المذكورة على المستوى الوطني فهم كالتالي:

الجزائر: صوالحي علاوة.

وهران السانية: الدرويش أحمد.

وهران سيتي بتي: الحبيب فلوح.

تلمسان: مراد بن تركية.

مستغانم: عبدالقادر بن الباي.

غليزان: مولاي بوزيد.

سيدي بلعباس: شكشو الجيلالي.

تنس: شالي محمد.

فرندة: العربي الناجي.

تغنيف: بوسعيد المختار.

سطيف: محمد السعيد اليعلاوي.

برج بوعريريج: بن مجدوب مولود.

عنابة: حسن الساسي.

الرئيس: الحاج المهدي.

أبو بكر حمزة:

من أعلام الجزائر البارزين ومن أبنائها الذين تعتز بهم، ولد رحمه الله سنة ١٩١٢ ببلدة الأبيض سيدي الشيخ، ولاية البيض، وقد عرفت تلك المنطقة بمقاومتها الدائمة للاحتلال الفرنسي، تعلم في مسقط رأسه وفي مدينة وهران، وواصل دراسته العليا إلى أن أصبح من المبرزين في اللغة العربية بالإضافة إلى رسوخ قدمه في اللغة الفرنسية التي كان من كبار الكتاب بها.

تولى عمادة مسجد باريس من سنة ١٩٥٧ إلى سنة ١٩٨٢ وقد قدم للإسلام أعظم الخدمات خلال هذه الفترة بدروسه التي كان يلقيها في المسجد، ومقالته التي كان يكتبها في مختلف الجرائد والمجلات.

وقد ظل يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن ويرد على أعدائه ??? عليه، ونشر فضائله، ويبين محاسنه، ويشرح مبادئه وأهدافه إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم السبت ٠٤ فيفري ١٩٩٥ بباريس ثم نقل جثمانه إلى مسقط رأسه حيث شيعت جنازته في موكب مهيب حضره أهله وأصدقاؤه ومحبوه، ودفن بمقبرة سيدي بدر الدين، رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

من آثاره العلمية القيمة: ترجمة القرآن الكريم في مجلدين.

وفي عهد الاستقلال وفي إطار الانفتاح السياسي الذي عرفت بلادنا بعد أحداث ١٩٨٨، انعقد بالجزائر ملتقى وطني لشيوخ الزوايا دام ثلاثة أيام، تم خلالها تأسيس جمعية وطنية للزوايا الجزائرية، تسهر على تربية الناشئة تربية إسلامية. وذلك بالعمل على تحفيظ القرآن الكريم وتعليم علوم اللغة العربية لفهمه وتفسيره، وتعليم العلوم الدينية من فقه على المذهب المالكي، إذ هو المذهب الشائع والمعمول به في مغربنا العربي الإسلامي منذ قرون، كما تعمل الجمعية على المحافظة والتعريف بالمخطوطات العربية الإسلامية لأنها تمثل تراثا تاريخيا هاما يجب المحافظة عليه والعناية به. كما تحافظ على الآثار التاريخية للزوايا، وتقوم بمساعدة الفقراء والمساكين وأبناء السبيل.

وقد تقرر خلال هذا الملتقى تعيين الدكتور قعيش قدور من زاوية بن تكوك السنوسية رئيسا شرفيا لهذه الجمعية مدى الحياة وذلك تعبيرا من الجمعية على عميق اعترافها بالجميل لما بذله من مجهودات جبارة وسعي مشكور لهذه الجمعية قبل وبعد تأسيسها.

كما تم إنشاء لجنة الحكماء وهي هيئة عليا للجمعية وتتكون من الشيوخ الأفاضل:

عبدالجبار التيجاني، شيخ الطريقة التيجانية.

محمد بلقايد، شيخ الطريقة الهبرية.

محمد بلكبير، شيخ الطريقة السنوسية.

وتم في هذا الملتقى انتخاب السيد محمد شنتوف رئيسا للجمعية والشيخ عبدالقادر دحاح كاتبا عاما لها.

ومنذ تأسيسها قامت الجمعية الوطنية للزوايا بالعديد من النشاطات وعقد العديد من الندوات في مناسبات دينية وتاريخية. من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، إحياء ذكرة الـ ١٧٠ لوفاة العلامة الشهير الإمام الشيخ محمد بوراس الناصري الراشدي، حيث ألقيت عدة محاضرات حول حياة وفكر أبي راس وحول دور العلماء المسلمين الجزائريين في عهده كما ألقيت محاضرات في التصوف.

واحتفاء بذكرة فتح مكة المكرمة قام شيوخ زوايا غرداية ونواحيها بتنظيم حفل بالمناسبة حضره كبار الشيوخ وأعيان المدن والقرى المجاورة والسلطات الولائية والمحلية، وقد استمع الحاضرون إلى أحاديث ودروس عن التاريخ الإسلامي ومراحل بناء الدولة الإسلامية.

كما تحدث الشيوخ عن الدور التاريخي العظيم الذي قامت به الزوايا أثناء ثورة التحرير المظفرة حين كان المجاهدون يلجأون إليها ويعقدون بها الاجتماعات السرية الهامة التي كانت تتخذ فيها القررات المصيرية كما كانت الزوايا خلايا نشيطة يلتقي فيها المواطنون على اختلاف مستوياتهم الثقافية دروسا تعلق بالجهاد وشروطه والعبر المستخلفة من الجهاد المرير الذي خاضه أسلافنا في مواجهة قوى الصليبية.

إن عظمة هذه الزوايا تكمن في رسالتها المتمثلة في حمل لواء الجهاد ضد الأمية وضد الانحراف وكل الآفات الاجتماعية التي تنخر جسم المجتمع العربي المسلم. وهكذا فستبقى الزوايا الحصن الحصين للعروبة والإسلام وستبقى كما كانت رمز الجهاد والنضال الذي بفضله تحررت الجزائر من الاستعمار وستواصل جهادها حتى تقضي نهائيا وإلى الأبد على كل المحاولات الرامية إلى فسخ وتشويه وتغريب المجتمع الجزائري العربي المسلم.

هذه لمحة خاطفة عما تقوم به الجمعية الوطنية للزوايا الجزائرية في الكثير من المناسبات.

وفيما يلي، أقدم للقارئ الكريم القانون الأساسي للجمعية الوطنية للزوايا الجزائرية قصد الاطلاع على ما حوته مواده من أغراض وأهداف هذه الجمعية.

القانون الأساسي

للجمعية الوطنية للزوايا الجزائرية

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله

القانون الأساسي

للجمعية الوطنية للزوايا الجزائرية

المادة الأولى:

يؤلف المصرحون المرفقة قائمة التعريف بهم، جمعية تخضع للتشريع المعمول به ولهذا القانون الأساسي.

الباب الأول

التسمية - الهدف - المقر - مدة العمل - ومداه.

المادة الثانية:

تسمى الجمعية: "الجمعية الوطنية للزوايا الجزائرية"، يشار إليها فيما يلي بالجمعية.

المادة الثالثة:

تهدف الجمعية إلى:

تربية النشأ وإصلاح ذات البين.

تحفيظ القرآن وتفسيره.

تعليم قواعد اللغة العربية.

تعليم الفقه خاصة بتفسير وتوسيع وتعليم السنة النبوية وترسيخ المذهب المالكي وهو مذهب أغلبية الجزائريين.

الترميم والمحافظة والتعريف بالمخطوطات.

التكفل بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل - إن أمكن ذلك..

الترميم والمحافظة على الآثار الدينية والتاريخية للزوايا وملحقاتها كما تتعهد بأن لا تسعى إلى تحقيق هدف آخر غير ما صرحت به.

المادة الرابعة:

يقع المقر الدائم للجمعية في الفيلا الكائنة بطريق براقي بلدية سيدي موسى ولاية البليدة، ولا يمكن نقل هذا المقر إلا بعد المصادقة بمقرر من الجمعية العامة يؤخذ في أقرب دورة عادية أو في دورة استثنائية.

المادة الخامسة:

مدة الجمعية هي غير محدودة.

المادة السادسة:

تمارس الجمعية نشاطاتها في كامل التراب الوطني.

الباب الثاني

تأسيس الجمعية وتشكيلتها

المادة السابعة:

مؤسس الجمعية هو الدكتور قعيش قدور، سليل زاوية بن تكوك السنوسية الذي تعهد له الرئاسة الشرفية للجمعية لمدة الحياة.

المادة الثامنة: لجنة الحكماء.

تتكون لجنة الحكماء، التي هي الهيئة المعنوية العليا للجمعية، من المؤسس الرئيس الشرفي ومن العمداء الثلاثة الآتية أسماؤهم:

الشيخ سيدي عبدالجبار التيجاني، شيخ الطريقة التيجانية.

الشيخ سيدي محمد بلقايد، شيخ الطريقة الهبرية.

الشيخ سيدي محمد بلكبير، حامل طريقة سيدي أحمد بن موسى.

تستشار لجنة الحكماء في مجمل القضايا الحساسة أو ذات الأهمية الوطنية ويكون رأيها حاسما في كل الخلافات.

المادة التاسعة:

تحدد الجمعية العامة باقتراح من المجلس الأعلى أو المكتب التنفيذي للجمعية كيفية إعطاء صفة الزاوية لأي هيأة ملحقة بالزاوية أو تقوم بأعمال ونشاط مشابه لعمل ونشاط الزاوية الأصلية كما تعطي صفة العضو العامل لشيخ الزاوية المدمجة.

المادة العاشرة:

يكون طلب الانضمام كتابيا ولا يصبح مقبولا إلا بموافقة مكتب الجمعية.

المادة الحادية عشر:

لا يمكن لأي عضو من أعضاء الجمعية أن يشارك في عملية الانتخاب كمنتخب ولا يمكن له أن يكون لا مرشدا ولا منتخبا إن لم تكن اشتراكاته مسددة مسبقا.

المادة الثانية عشر:

تسقط صفة العضو في الجمعية للحالات التالية:

الاستقالة أو الانسحاب، يقدم الطلب كتابيا ليبت فيه بالقبول من طرف المكتب التنفيذي للجمعية.

الوفاة.

عدم الوفاء بالاشتراكات مدة سنتين كاملتين.

الشطب لأسباب خطيرة حسب الإجراء الذي يحدده النظام الداخلي.

حل الجمعية.

الباب الثالث

التنظيم والعمل

المادة الثالثة عشر:

تتكون الجمعية من نظام للمداولة ونظام للقيادة والإدارة.

الفصل الأول

جهاز المداولة

المادة الرابعة عشر:

يتكون جهاز المداولة من الجمعية العامة التي تضم مجموع أعضاء الجمعية الوطنية وتكلف بما يلي:

تنتخب أعضاء المكتب التنفيذي.

تدلي برأيها في تقارير السير المالي وحصيلة النشاط والوضعية الأدبية للجمعية.

تصادق على النظام الداخلي للجمعية.

تقوم بتحديد جهاز القيادة والإدارة عند اللزوم.

تصادق على تعديلات القانون الأساسي.

توافق على اقتناءات العقارات غير المنقولة.

تنتخب المجلس الأعلى للزوايا.

تنتخب أعضاء الجنة المكلفة بالقراءة والنشر.

تنتخب أو تعين أعضاء الجمعية.

تدرس الطعون امقدمة في قرارات جهاز القيادة والإدارة في مجال الانضمام والشطب.

تحدد مبلغ الاستراكات السنوية.

تقبلتقبل الهيبات والوصايا عندما تقدم بإثباتات وشروط بعد التحقق من عدم تنافيها مع الهدف المرسم للجمعية.

تحدد برنامج النشاط السنوي في المجال العلمي ولديني والتربوي والثقافي والاجتماعي للجمعية.

تصادق على الانضمامات الجديدة.

المادة الخامسة عشر:

تجتمع اللجنة العامة في دورة عادية مرة في السنة كما تجتمع الجمعية العامة في دورة غير عادية وذلك بطلب ثلثي أعضاء الجمعية الوطنية أو ثلثين من المجلس الأعلى للجمعية الوطنية أو ثلثين من المكتب التنفيذث للجمعية الوطنية وفي كل الحالات يمضي الرئيس هذا الاستدعاء.

المادة السادسة عشر:

يرسل الاستدعاء ثلاثين يوما على الأقل قبل تاريخ انعقاد الجمعية العامة العادية ويكون مرفوقا بمشروع جدول الأعمال وذلك طبقا للترتيبات المحددة في النظام الداخلي.

وفي حالة انعقاد جمعية عامة غير عادية، ترسل الاستدعاءات عن الطرق السريعة عشرة أيام قبل انعقادها كحد أقصى.

المادة السابعة عشر:

تصح مداولات الجمعية العامة أثناء الاستدعاء الأول بحضور أغلبية أعضائها ولا يشرط نصاب الثلثين إلا في حالة الانتخاب أو تحديد أعضاء المكتب التنفيذي. وإذا ؟؟ النصاب في هذه

الحالة، تستدعى الجمعية العامة مرة ثانية في أجل أقصاه ثلاثون يوما وتصح مداولات الجمعية العامة حينئذ مهما كان عدد أعضائها الحاضرون.

المادة الثامنة عشر:

تقوم الانتخابات على طريقة اليد المرفوعة وبالأغلبية البسيطة مع مراعاة أحكام المادة الحادية عشر.

الفصل الثاني

القيادة والإدارة في الجمعية الوطنية

المادة التاسعة عشر:

طبقا للأحكام القانونية والتنظيمية المعمول بها، يقود الجمعية ويديرها مكتب تنفيذي يتألف كالآتي:

رئيس.

ثلاث نواب للرئيس.

كاتب عام.

كاتب عام مساعد.

أمين المال.

أميل المال المساعد.

١٠ مساعدين.

السادة العشرون:

يتولى المكتب ما يلي:

ضمان احترام تنفيذ أحكام القانون الأساسي والنظام الداخلي وقرارات الجمعية العامة.

تسيير ممتلكات الجمعية الوطنية.

تحديد اختصاصيات كل نائب ومهام المساعدين.

إعداد مشروع النظام الداخلي.

ضبط مبلغ صندوق النفقات الهينة.

اقتراح تعديلات في القانون الأساسي.

تحديد كيفيات إكتتاب التأمين.

دراسة عمليات شطب كل عضو في الجمعية يرتكب مخالفة خطيرة ويبت فيها.

ضبط واقتراح البرنامج الوطني للأنشطة العلمية والدينية والتعليمية والثقافية والاجتماعية ثم تنظيمها وتنشيها مع احترام خصوصية كل زاوية.

عرض حال عن أنشطة المكتب التنفيذي أمام الجمعية العامة.

المادة الواحدة والعشرون:

ينتخب أعضاء المكتب حسب الترتيب المنصوص عليه في المادة التاسعة عشر لمدة ثلاث سنوات.

المادة الثانية والعشرون:

يجتمع المكتب مرة كل شهر بناء على استدعاء من رئيسه كما يمكنه أن يجتمع بطلب أغلبية أعضائه، ويمكن أن يحضر اجتماعاته الرئيس الشرفي والعمداء الثلاثة.

المادة الثالثة والعشرون:

يتخذ المكتب قراراته بالأغلبية وإذا تساوت الأصوات، يكون صوت الرئيس مرجحا.

المادة الرابعة والعشرون:

تمثل الجمعية الوطنية من قبل رئيسها في جميع أعمال الحياة المدنية وهو مكلف بما يلي:

التقاضي باسم الجمعية.

إكتتاب تأمين يضمن النتائج المرتبطة بالمسؤولية المدنية.

استدعاء أجهزة الجمعية ورئاستها وإدارة مناقشاتها.

اقتراح جدول الأعمال لدورات الجمعية العامة.

تنشيط عمل مجموع الأجهزة والتنسيق بينها.

إعداد حصائل وخلاصات عن حياة الجمعية كل نصف سنة.

موافاة السلطة الإدارية المؤهلة لهذا الغرض بكل المعلومات.

تحضير التقرير الأدبي والمالي وتقديم تقرير عنه إلى الجمعية العامة التي تنظر في تسييره.

ممارسة السلطة السلمية على عمال الجمعية الوطنية.

المادة الخامسة والعشرون:

يكلف الكاتب العام بمعونة الكاتب العام المساعد بجميع مسائل الإدارة العامة ويتولى بهذه الصفة ما يلي:

مسك قائمة المنخرطين.

معالجة البريد وإدارة المحفوظات.

مسك دفتر المداولات.

صياغة مشاريع محاضر المداولات ونقلها إلى دفتر المداولات.

حفظ نسخة القانون الأساسي.

المادة السادسة والعشرون:

يتولى أمين المال بمعونة أمين المال المساعد، المسائل المالية والمحاسبية ويقوم في هذه الصدد بما يلي:

مسك صندوق للنفقات الهينة.

تحضير مشروع الميزانية والتقارير المالية.

المادة السابعة والعشرون:

يوقع أمين المال سندات النفقات. وفي حالة قيام مانع يوقعها أمين المال المساعد.

يشارك في توقيعها رئيس الجمعية أو نائبه حسب الترتيب الناتج عن تطبيق المادة التاسعة عشر من القانون الأساسي.

الفصل الثالث

المجلس الأعلى

المادة الثامنة والعشرون:

عملا بأحكام المواد الثامنة والتاسعة والرابعة عشر من هذا القانون الأساسي، تعين الجمعية العامة مجلسا أعلى يتكون من ٩٩ عضوا منهم المؤسس الرئيس الشرفي والعمداء الثلاثة يعينون بحكم مناصبهم، و ٩٥ يمثلون مختلف الولايات يتم تعيينهم عن طريق الانتخابات، يتولى المؤسس الرئيس الشرفي والعمداء الثلاثة الرئاسة الشرفية المشتركة للمجلس الأعلى والمكتب التنفيذي للجمعية وكذا لجمعياتها العامة.

ينتخب أعضاء المجلس الأعلى الـ ٩٥ لمدة أربع سنوات.

المادة التاسعة والعشرون:

يجتمع المجلس كلما كان ذلك ضروريا بطلب من أغلبية أعضاء المكتب أو باستدعاء من رئيس الجمعية الذي يرأس المناقشات ويديرها.

الفصل الرابع

التنظيم والتركيب الداخلي

المادة الثلاثون:

تضم الجمعية الوطنية لجانا تقنية أو أقساما متخصصة. يحدد عددها وتسميتها ومهامها وكيفيات عملها في النظام الداخلي.

الباب الرابع

أحكام المالية

الفصل الأول

الموارد

المادة الواحدة والثلثون:

موارد الجمعية هي زيادة على الموارد التي يرخصها التشريع المعمل به:

اشتراكات الأعضاء.

الهبات والوصايا.

المادة الثانية والثلاثون:

للجمعية الوطنية موارد ناتجة عن أعمال تدخل في إطار الهدف المحدد لها كما يلي:

مداخيل أنشطتها العلمية والدينية والتربوية والثقافية والاجتماعية.

مداخيل النشر والتوزيع.

مداخيل الحبوس والأوقاف طبقا للنظام الداخلي.

المادة الثالثة والثلاثون:

يمكن لهذه الموارد أن تكون نقدية أو مادية.

المادة الرابعة والثلاثون:

تصب الموارد في حساب وحيد يفتح بمبادرة من الرئيس.

الفصل الثاني

النفقات

المادة الخامسة والثلاثون:

تشمل نفقات الجمعية جميع النفقات اللازمة لتحقيق الأهداف التي يحددها لها قانونها الأساسي.

الباب الخامس

تعديلات القانون الأساسي وحل الجمعية

المادة السادسة والثلاثون:

يمكن للجمعية العامة إدخال تعديلات على هذا القانون الأساسي بأغلبية الأعضاء العاملين، مع مراعاة أحكام المواد السابعة والثامنة منه.

المادة السابعة والثلاثون:

تقرر الجمعية العامة الحل الإداري للجمعية الوطنية بأغلبية ثلثي الأعضاء العاملين المسددين لاشتراكاتهم، تقوم الجمعية العامة بمداولاتها زيادة على قرار الحل، بضبط أيلولة أملاكها المنقولة والعقارية، طبقا للتنظيم الجاري به العمل وبالأولوية إلى الزوايا العضوة.

الباب السادس

أحكام ختامية

المادة الثامنة والثلاثون:

يبين النظام الداخلي بصورة عامة، زيادة على الأحكام الواضحة المنصوص عليها أعلاه، أية مسألة ترى اجمعية العامة تسويتها في هذا الإطار.

صيغ في أصل وحيد وستة نسخ

حرر بالجزائر في:

الرئيس المنتخب الكاتب المنتخب

م. شنتوف ع. دحاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعية الوطنية للزوايا الجزائرية

الجزائر في ٢٣ جويلية ١٩٩١

من الرئيس

إلى

السيد وزير الداخلية والجماعات المحلية.

الموضوع: حول تعديل القانون الأساسي للجمعية الوطنية للزوايا.

يشرفني أن أنهي إلى علم سيادتكم أنه خلال الملتقى الوطني الأول للزوايا بالجزائر المنعقد في ١٤، ١٥، و ١٦ ذو القعدة عام ١٤١١ الموافق لـ ٢٨، ٢٩، و ٣٠ مايو سنة ١٩٩١، قرر المشاركون إدراج اسم الدكتور قعيش قدور، سليل زاوية بن تكوك السنوسية في الوثائق الرسمية للجمعية لا سيما قانونها الأساسي بصفته مؤسسا لها.

كما تقرر خلال نفس الملتقى تعيينه رئيسا شرفيا مدى الحياة لهذه الجمعية اعترافا له لما قدمه من خدمات جليلة لها قبل نشأتها وبعدها.

ومن جهة أخرى ألحّ المشاركون كذلك على إدراج أسماء العمداء الثلاثة للزوايا وهم:

الشيخ سيدي عبدالجبار اتيجاني: شيخ الطريقة التيجانية.

الشيخ سيدي محمد بلقايد: شيخ الطريقة الهبرية.

الشيخ سيدي محمد بلكبير: حامل طريقة سيدي أحمد بن موسى.

تكريما لتفانيهم في خدمة الزوايا وخدمة الإسلام والمسلمين بصفة عامة.

تجدون مرفقا مشروع القانون الأساسي المعدل وفقا لرغبة الملتقى المذكور آنفا.

رئيس الجمعية الوطنية للزوايا

الشيخ شنتوف محمد.

المقر المؤقت: النادي السياحي الجزائري ٣٠ شارع حسان بن نعمان حي البساتين

ص.ب. ١٨ بئر الخادم. تلكس 62160-62161. الهاتف: 56.00.16

تأسيس الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية

في إطار النهوض بالزوايا وبعثها من جديد للقيام بدورها التاريخي العظيم المتمثل في التربية الروحية الحقة، والتعليم الديني الصحيح، والدعوة إلى الإسلام والعمل على نشره وإحياء مآثره، وترسيخ قيمه الأخلاقية السامية، في هذا الإطار، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، قامت طائفة من شيوخ الزوايا الرحمانية بإنشاء الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية. وقد أختير الزمان والمكان للإعلان عن هذه الرابطة.

فالزمان هو أول محرم من عام ١٤١٠هـ وهو ذكرى هجرة معلم الإنسانية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام التي كانت منعطفا تاريخيا عظيما في مسيرة الإسلام الخالدة. والمكان هو زاوية الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية التي كان لها في المقاومة الوطنية ومحاربة الاحتلال دور بارز.

وتعتبر هذه الرابطة جمعية ذات طابع ديني، وروحي، وعلمي، وتربوي، حسبما ورد في المادر الثانية من قانونها الأساسي الذي يضم ٣١ مادة تحدد أهداف الجمعية والوسائل المشروعة لبلوغها.

وقد جاء في البيان الختامي الذي توجت به أعمال الجمعية العامة التأسيسية التي صادقت على مشروع القانون الأساسي للرابطة وتم فيها انتخاب أعضاء مجلس الرابطة.

"إن الهدف من إنشاء الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية هو النهوض بهذه المؤسسات الدينية التربوية لتعود إلى سالف مجدها وتظل معقلا للدعوة والتربية والتعليم ..". " ... وغايتها هي حماية شبابنا من آفات الزيغ والإلحاد ووقاية مجتمعنا من تيارات التمزق والتفسخ ...".

" ... إننا نسعى إلى المحافظة على الصبغة الأساسية لأمتنا بتوحيد العقليات وتلقيحها ...".

" ... ولبلوغ الغايات المنشودة فإن رابطتنا ستعمل بالتعاون مع الجمعيات والهيئات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية من أجل التعريف بالرؤية الإسلامية المتميزة وتوجيه المجتمع إلى تنظيم شؤونه ...".

" ... إن الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية. إذ تعلن لشعبنا الجزائري المسلم عن تأسيسها:

تنوه بالإصلاحات السياسية والدستورية التي ضمنت حقوق المواطنين الأساسية وتهيب بأفراد الأمة أن يمارسوا هذه الحقوق وفقا لمفهوم الإسلام.

تهيب بأفراد الشعب الجزائري المسلم أن يلتفوا حول ثوابت الأمة ومبادئ أول نوفمبر ...

تؤكد أن أمتنا الإسلامية لا يستقيم أمرها ولا يصلح إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) والرجوع إلى الإسلام سر قوتنا وضامن وحدتنا.

تدعو كل المؤسسات والهيئات المعنية إلى تحضير الظروف الملائمة لتطبيق الشريعة الإسلامية والتخطيط لهذه العملية.

ندعو الطاقات الحية في الأمة إلى التصدي بشدة وحزم للمحاولات التنصيرية والمخططات التغريبية والتيارات الإلحادية.

تدعو كل الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر إلى إيجاد إطار لتنسيق جهودها وتحقيق تعاونها في مجالات التربية الروحية والإصلاح الإجتماعي والعناية بعلوم القرآن الكريم والسنة المطهرة وعلوم العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ومفتاح معرفته.

تدعو إلى العناية بتعليم الفتاة وتربيتها عربية إسلامية صحيحة لإعدادها لرسالتها الأساسية. الأسرة والمجتمع وتوجيه المرأة الجزائرية إلى القيام بدورها العظيم في تربية النشئ على الفضيلة وإعداد جيل صالح من أمثال: عبدالقادر السنوسي، وابن

الحداد، وبوعمامة، و من مثيلات فاطمة نسومر، وأم الحياء صفية البسكرية، ... إلخ.

تعلن تأييدها المطلق لمشروع إصلاح المنظومة التربوية الذي صادقت عليه الندوة الوطنية للإصلاح ... ولتوصيات الندوة الوطنية الرابعة لتعميم اللغة العربية.

يبقى أن نشير في الأخير إلى أن الرابطة المذكورة تمثل: جمعية ذات طابع ديني، وروحي، وعلمي، وتربوي، حسب المادة الثانية من القانون الأساسي الخاص بها والمتشكل من ٣١ مادة موزعة على عدة محاور تحدد الأهداف والوسائل المتخذة في سبيل تحقيقها. وأما مجلس الرابطة فيتكون كالتالي:

الشيخ الطاهر آيت علجت: رئيسا.

الشيخ عبدالقادر عثماني: نائب للرئيس.

الشيخ علي اسماعيل: نائب للرئيس.

الشيخ محمد المأمون القاسمي: مقررا.

الشيخ عبدالرحمن الحسنيني: مساعدا.

الشيخ أبو القاسم الداودي: مساعدا.

بيان الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية

الموجه إلى الشعب الجزائري

يوم الأحد ٢٩ ديسمبر ١٩٩١

الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية

الدعوة لمواجهة أعداء الأمة

قال رسول الله صلى عليه وسلم: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" ومن الاهتمام بأمر المسلمين وصايتهم بالحق والصبر ونصحهم بما فيه صلاحهم وقوتهم وتنبيههم إلى كل خطر يهدد هذا الصلاح وهذه القوة.

إن ما ينبغي أن نذكر به أنفسنا في هذا الطرف: الغيرة الشديدة على الوطن، واليقظة التي تفوت على كل مغرض كائد حسود ضرب وحدته الدينية والوطنية، والتي هي قوام وجودنا، أساس

حياتنا لأن أعداء الجزائر لا يألون جهدا في إثارة المحن وإشاعة الفتن وقطع ما أمر الله به أو يوصل.

إن سر تماسك الشعب الجزائري وقوته هو التحام قيمة الدينية والوطنية، منذ أن أنار الإسلام ربوع الجزائر بنور هدايته، وتشربت تعاليمه السمحة وقيمه الخالدة. ولقد كانت هذه الوحدة المقدسة، عند أبنائه، فوق كل ما يؤخذ ويرد، لأنهم أدرجوا بوعي عمقته الأيام، إن الاختلاف في الأمر الخاص ينبغي أن لا يمس المصلحة العليا في الأمر العام.

إن بلادنا اليوم في أوج تحولها وطموحها إلى إقامة كيان حضاري أصيل على العلم والعمل، ويتحقق فيه العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، والحريات الفردية والجماعية، في إطار القيم الإسلامية.

وهذا التحول من شأنه أن يفرز نظرات وتصورات. قد تختلف في المناهج والأساليب. فتلك سنة الحياة. ومقتضيات التطور السليم والاختلاف في الرأي والتصور والنظر. أمر طبيعي. بل هو ضروري لاستقرار حياة الأمم المتحضرة والمجتمعات الناضجة، لكن ذلك كله ينبغي أن يكون في منهجية أخلاقية صارمة، تحمل هذه الاختلافات من باب التكامل والتنوع، لا من باب التنافر

والتخاصم تعصبا للنفس، وانتصارا للهوى، وإلغاء للآخر، مما يحول الاختلاف من رحمة إلى نقمة.

إن شعبنا المسلم، الذي ظل متمسكا بالإسلام منذ أن هداه الله إليه، وأمر به عقيدة وحضارة، سلوكا وأخلاقا، علما وعملا، يأبى أن يشوه تاريخه، أو يساء إلى ماضيه، ولا يرضى أن يعبث بقيمه الدينية والوطنية، فيصبح ما هو مقدس عند أغلبيته، هينا مهانا عند بعضه، هذه الوحدة المقدسة التي صانتها المؤسسات الدينية والهيآت العلمية الإسلامية في بلادنا على مر السنينن منذ أربعة عشر قرنا، فلم تخل جهة من وطننا، ولا مرحلة من مراحل تاريخنا البعيد والقريب، من علماء ومجاهدين رسخوا هذه القيم في الضمائر والعقول، وبفضلها بقي شعبنا، وسيظل إن شاء الله شامخا متمسكا بهويته الحضارية، معتزا بكيانه وأصالته الإسلامية في ظل وحدته الدينية والوطنية.

إن الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية، التي جعلت من أهدافها مواصلة التعليم الإسلامي الصحيح والدعوة إليه خالصا، شاملا، متكاملا، والعمل لتهذيب النفوس وتزكيتها، والسعي إلى إصلاح المجتمع وتطهيره من مظاهر الفساد والانحراف.

تدعو الشعب الجزائري المسلم، في هذه المرحلة التاريخية من تحوله الحضاري إلى أن يلتف حول ثوابته، ويفوت على

الكائدين ضرب وحدته، ويتصدى للعابثين بقيمه الروحية وأخلاقه الإسلامية.

تستنكر بشدة الأعمال التي تهدف إلى زعزعة الأمن والاستقرار وتشجب الممارسات التي تثير الفتن والخصومات، وتهدد كيان المجتمع ووحدته الوطنية

تهيب بالوطنيين الغيورين، أن يقفوا صفا واحدا في مواجهة الأعداء المتربصين بأمتنا والمعرقلين لمسيرتها نحو النهوض والتقدم وتحقيق الذات.

تدعو العاملين في حقل الدعوة الإسلامية إلى العناية بالتربية الروحية والسعي لرأب الصدع، ونبذ الفرقة والخلاف، ونشر روح الأخوة والمحبة والتعاون على البر والتقوى، عملا بمنهج الإسلام الذي يدعو إلى التوسط والاعتدال، وينهي عن البغي والفساد، ويأمر بالعدل والإحسان، ويجعل حب الوطن من الإيمان.

تدعو الشباب، الطاقة الحية في الأمة، وعماد نهضتها المنشودة، إلى التسلح بالعلم، والتزود بالمعرفة والتفقه في الدين، والتجند نحو أهداف سامية في خدمة وطنه وأمته. وتعمير وقته بما يفيده في حياته وحياة مجتمعه.

تهيب بالمؤسسات والجمعيات الإسلامية، أن تتخلص من خلفيات الماضي ورواسيه وتتفتح للمستقبل وآفاقه وتجعل همها

الأول تحصين المجتمع من الآفات والانحرافات المتربصة به، وتربية الشباب وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية الصحيحة، وإنارة أبصارهم إلى المثل العليا والأخلاق الكريمة، مستغلة إمكانات التعاون والتكامل فيما بينها متجنبة الخلافات التي تشغلها عن قضايا أمتنا الكبرى معرضة عن الخصومات التي تستفيد جهودها وتهدر قواها في أمر لا جدوى منها بل تخدم سوى أعدائها.

هذا وإذ نحمد الله تعالى على نعمه علينا ولطفه بوطننا نسأله، سبحانه، أن يحفظ لأمتنا تماسكها وقوتها، ويحقق لها مناعتها، في ظل الأخوة والوئام والعدل والسلام.

عن مكتب الرابطة، الخليل بن مصطفى
القاسمي الحسني

الجرائد التي أنشأها شيوخ الزوايا أو كانت متعاطفة معهم

- لسان الدين	أحمد بن مصطفى العلاوي	١٩٢٣
- البلاغ الجزائري	أحمد بن مصطفى العلاوي	١٩٢٦

ويقول عنها المؤرخ الجزائري الكبير أحمد توفيق المدني ما يلي: "هي ذات برنامج ديني إسلامي وطني، تدافع عن التصوف

والطرقية، إنما تحمل على البدع والأضاليل التي يرتكبها شيوخ الطرق ومريدوها ويشوهون بها وجه الإسلام النقي.

- الحق علي بن موسى العقبي ١٩٢٦

وكان صاحب الجريدة المذكورة من أتباع الطريقة العلاوية ومن المتحمسين لها والمدافعين عنها.

- النجاح عبدالحفيظ بن الهاشمي ١٩١٩

من الجرائد التي ساندت شيوخ الطرق الصوفية ودافعت عنهم ووقفت إلى جانبهم.

- الإخلاص المولود بن الصديق الحافظي ١٩٣٢

أصدرها تجمع رجال الزوايا وكانت لسان حال جمعية علماء السنة التي يرأسها المولود الحافظي الأزهري.

- المعيار هراس مصطفى ١٩٣٢

هي امتداد لجريدة الإخلاص السابقة الذكر. ودعم لها في نهجها الذي اختطته لنفسها في الدفاع عن جمعية علماء السنة، وعن شيوخ الطرق الصوفية والزوايا.

- الفضيلة موسى خداوي ١٩٣٥

وقفت هذه المجلة إلى جانب المحافظين، ونوهت تنويها كبيرا بالشيخ المولود الحافظي الأزهري. كما رحبت بظهورها جريدة البلاغ العلاوية وهنأت صاحبها.

- الرشاد عبد الحفيظ القاسمي وأخوه عبدالقادر ١٩٣٨

ظهرت هذه الصحيفة في أواخر الثلاثينات والمعركة الصحافية على أشدها بين المحافظين والمصلحين، فكانت امتدادا لما سبقها من الصحف المذكورة التي وقفت في صف المحافظين.

- الوفاق محمد السعيد الزاهري ١٩٣٨

تحولت الجريدة مع رئيس تحريرها إلى مساندة مشايخ الطرق والدفاع عنهم. ففي العدد الرابع، نجد مقالا بعنوان: أعداء الإسلام يحملون على الطرقيين والإصلاحيين معا. وفي العدد السابع، مقالا حول مؤتمر مشايخ الطرق.

قسم التراجم

تزخر الجزائر كغيرها من بلاد المغرب والمشرق بكثرة رجالها ووفرة علمائها وصلحائها، غير أن التفريط في حقهم بعدم العناية بتراجمهم ودراسة حياتهم والتأريخ لمآثرهم، سواء كان ذلك بسبب الإهمال، أو بدعوى إيثار الخمول على الظهور، وهي صفة عرف بها الكثير من المنتسبين إلى الطرق الصوفية والزوايا، كل

ذلك جعل آثار العديد منهم تموت بموتهم ويطويها النسيان، فلا نعرف عنها قليلا أو كثيرا.

لذلك رأيت من المفيد، بل من الواجب عليّ أن أختم هذا الكتاب بمجموعة مباركة من تراجم رجال عرفوا بالعلم والصلاح والإصلاح وقضوا حياتهم عاملين مجتهدين حفاظا على عروبة وإسلام هذا الوطن، ودفاعا عن وحدته، وحماية شخصية هذا الشعب العربي المسلم من المسخ والتشويه.

وأكثر الذين ترجمت لهم، هم من خريجي الزوايا، حيث تعلموا بها، وتكوّنوا في حلقاتها، حفظا للقرآن الكريم، وتحصيلا للعلم ليتصدروا بعد ذلك للتدريس ونشر العلم ومحاربة الجهل والأمية بين المواطنين في القرى والمداشر والجبال.

إن ما كتبته في هذه التراجم هو خلاصة ما توصلت إليه من خلال معرفتي لبعض الشيوخ والتتلمذ عليهم، وما سمعته من أفواه رجال ثقاة ربطتهم بأصحاب التراجم صلات صداقة وتلمذة، وما نقلته بأمانة من بعض المجلات والجرائد الوطنية، ومن كتب التراجم والسير وفي مقدمتها تعريف الخلف برجال السلف للعلامة الحفناوي، رحمه الله.

وإني على يقين من أن الذين لم أتوصل إلى التعرف عليهم وذكرهم ضمن هذه المجموعة هم أضعاف من ذكرت.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل ما كتبته خاليا من المبالغة وقول الزور والإساءة لأحد.

لقد عني أسلافنا رحمهم الله بتراجم الرجال عناية كبيرة، وأحلوها مكانا معتبرا في تآليفهم، وتركوا لنا ثروة تاريخية لا يستهان بها، بل تعتبر مراجع رئيسية في بابها، مثل الأغاني، ومعجم الأدباء، ووفيات الأعيان، وبغية الوعاة، وطبقات الشعراء، ويتمية الدهر وغيرها.

وقد تنوعت موضوعات تلك الكتب بتنوع مقاصد وأغراض مؤلفيها كالكتابة والتاريخ لزمن محدد وعصر بعينه مثل. الكواكب الدرية فيمن بعد الستماية. و الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة للإمام ابن حجر. أو مكان مخصوص كمعالم الإيمان في تراجم أهل القيروان لابن ناجي، أو مذهب معين كالديباج لابن فرحون المالكي، أو فن مخصوص كالطبقات، إلخ. وكل واحد من هذه الكتب مرجع مهم في بابه، كثير الفائدة، عظيم الأثر.

يذكر المؤرخون أن أول من كتب في التراجم هو عروة بن الزبير بن العوام، المُتَوَفَّى سنة ٩٤هـ وأبان بن عثمان بن عفان، المُتَوَفَّى سنة ١٠٥هـ. فقد كتبا في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحدثا عن سيرته وترجما له فاعتبرا لذلك رائدي فن التراجم الذي عرف بعد ذلك اهتماما كبيرا من رجال الحديث

الذين ترجموا للصحابة والتابعين، رضي الله عنهم، وهكذا إلى أن وصل إلى ما وصل إليه في عصرنا الحاضر.

إن الكتابة عن العلماء والصالحين ودراسة حياتهم، والتأمل في سيرتهم، تجعل الإنسان يشعر وكأنه معهم، يجالسهم، ويتحدث إليهم، ويتلقى عنهم، ويأنس بحضرتهم، ويتمتع بأنسهم. وهو في ذلك على حد قول القائل:

إذا منعتك أشجار المعالي ... جناها الغض فاقنع بالشميم

وقديما قال أحد الصالحين: "إن الحكايات جند من جنود الله، يثبّت الله بها قلوب العارفين". فقيل له: وما دليلك؟ فأجاب على الفور قول الله: "وكلا نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك".

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه لأنها آداب القوم". وقال في مختصر سمط الآلي: "النظر في كرامات الأولياء يزيد في قوة الإسلام. إذ هي من بقايا معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام لأنهم باتباع سنته نالوها، ومن فيض بحره تناولوها".

ابراهيم بن محمد التازي[1]

دفين قلعة بني راشد

العالم الورع الزاهد الولي الصالح الشيخ سيدي إبراهيم بن محمد بن علي التازي. كان إماما في علوم القرآن، مقدما في علم اللسان، حافظا للحديث، بصيرا بالفقه وأصوله، متطلعا في أصول الدين، جامعا لمحاسن العلماء، ومناقب آداب الأولياء، فلا نظير له في كمال العقل، ومتانة العلم والتمكن في المعارف، وبلوغ الدرجة العليا في حسن الخلق وجميل العشرة والمعرفة بأقدار الناس. واشتهر في الآفاق ذكر فضله وعلمه حتى صار مضرب المثل، وإذا امتلأ أحدهم غيظا قال: "لو كنت في منزلة سيدي أبراهيم التازي ما صبرت لهذا". لما كان يَتَحَمَّلُهُ من إذاية الخلق، والصبر على المكاره، واصطناع المعروف للناس. هذا ما قاله عنه الشيخ أبو عبدالله بن صعيد في كتابه ـ النجم الثاقب ـ ويقول القلصادي في فهرسته: "إذا أقمت بوهران مع الشيخ المبارك سيدي إبراهيم التازي خليفة الهواري في وقته، كان له اعتناء

---

[1] عن الشيخ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف.

بكلام شيخه، ومن حكمه: العالم لا تعاديه، والجاهل لا تصافيه، والأحمق لا تواخيه[1]، هكذا بإثبات الياء".

قرأ القرآن في تازة، مسقط رأسه، على الولي الصالح، الشيخ أبي زكرياء يحي الوازعي الذي كان يقول لقرانه: "هذا سيدكم وصالحكم". ثم رحل إلى الشرق وأخذ بمكة عن كبار علمائها، أمثال قاضي القضاة المالكية سيدي الشريف تقي الدين الحسن الفاسي. وفي المدينة عن إمام الأئمة أبي الفتح بن أبي بكر القرشي، وفي تونس عن شيخ الإسلام الحافظ عبدالله العيدوسي، وفي تلمسان عن علامة وقته محمد بن مرزوق، وفي وهران عن شيخ المشايخ جنيد أقرانه وحكيم زمانه، الشيخ الهواري.

ولما حج لبس الخرقة من شرف الدين الداعي ولبسها من الشيخ صالح الزواوي بسنده إلى أبي مدين، وكانت له كرامات ومكاشفات كثيرة من تلامذته: الحافظ التنسي والإمام السنوسي وأحمد زروق وغيرهم. توفي عام ٨٦٦هـ وله أبحاث علمية في مسائل دقيقة، رحمه الله ورضي عنه.

---

[1] عن الشيخ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف.

وقد بنى الشيخ إبراهيم التازي زاويته بوهران سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م وكانت كثيرة البيوت والمقاصر ومساكن الفقراء واللاجئين كما كانت لها مدارس ومساجد وصهاريج وبساتين ومخازن وخزائن كتب وسلاح.

إبراهيم بن محمد الساسي العوامر

هو العلامة الجليل الشيخ إبراهيم بن محمد الساسي العوامر المولد سنة ١٨٨١ بمدينة الوادي من أسرة صوفية جمعت بين طريقتين في بيت واحد، فقد كان أبوه تاجرا في الصوف متوسط الحال، وكان ينتمي إلى الطريقة التيجانية، وكانت أمه من أسرة قادرية. وهكذا نشأ الشيخ في هذه الأسرة تيجانيا قادريا في آن واحد.

حفظ الشيخ جزءا من القرآن وأخذ عن شيوخ البلدة يومئذ مبادئ العلوم الدينية والعربية ثم هاجر إلى الجريد بالقطر التونسي الشقيق ليأخذ عمن كان به من رجال العلم والمعرفة ثم ولي وجهة شطر تونس للانضمام إلى طلبة جامع الزيتونة حيث واصل دراسته. وبعد إكمال دراسته، يعود إلى أرض الوطن ليدخل في سلك القضاء، حيث استطاع بما أوتي من غزارة علم وذكاء حاد أن يدخل الكثير من الإصلاحات على المحكمة.

وكان الشيخ إبراهيم بن عامر من إخوان الطريقة القادرية ولكنه كان في نفس الوقت يرى أن الطرق كلها تلتمس من رسول الله (ص) وأنها تجتمع عند طريق واحد هو طريق الجنيد سيد القوم ورئيسهم، لذلك نراه يتصل بالزاوية الرحمانية لشيخها سيدي سالم ويؤلف كتابه ـ البحر الطافح في فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح ـ وقد طبع بالمطبعة التونسية، والشيخ محمد الصالح هذا من شيوخ الطريقة الرحمانية بسوف يومئذ، وكان شيخ الزاوية الرحمانية المذكورة.

تخرج على يد الشيخ جمع كبير من العلماء أمثال: حمزة بوكوشة، نعيم النعيمي وغيرهما. وقد ترك عدة مؤلفات نذكر منها: شرح كتاب الكافي في العروض والقوافي. وهو مطبوع بتونس، والمسائل العامرية على مختصر الرحبية مطبوع أيضا. والنفحات الربانية على القصيدة المدنية، وحد السنان في عنق المنكر لخالد بن سنان، والصروف في تاريخ الصحراء وسوف. وغيرها. وتوفي الشيخ إبراهيم بن عامر سنة ١٩٣٤ رحمه الله ورضي عنه.

إبراهيم بن محمد

من رجال العلم والأدب ومن المجاهدين في سبيل وحدة الأمة الإسلامية. كانت ولادته سنة ١٨٨٨ في بني يزقن بوادي ميزاب حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية والدين على شيوخ بلدته الأجلاء ثم أخذ عن العلامة الجليل الشيخ محمد بن يوسف طفيش الذي لازمه إلى أن لبى داعي ربه سنة ١٩١٤.

انتقل الفقيد بعد ذلك إلى تونس ومارس مهنة التعليم الإبتدائي وكان له فيها نشاط كبير في ميدان النضال ومشاركة واسعة في الحركة الوطنية التي كان يتزعمها وقتئذ الشيخ عبدالعزيز الثعالبي.

وفي ١٩٢٣ ينتقل إلى أرض الكنانة ويستقر بقاهرة المعز لدين الله الفاطمي وينشئ بها مجلة - المنهاج - وفي الوقت نفسه كان يعمل في دار الكتب المصرية وكانت له مشاركة في تحقيق بعض كتب التراث، مثل دولة إمامة عمان في جامعة الدول العربية ورأس وفدها الرسمي في هيئة الأمم المتحدة دورة ١٩٦٠. كتب العديد من المقالات السياسية والاجتماعية والدينية في المجلات والصحف المصرية.

توفي بالقاهرة سنة ١٩٦٥، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

إبراهيم بيوض

هو الإمام الجليل، والمصلح الكبير الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض المولود في ٢٢ أفريل من عام ١٨٩٩ بمدينة القرارة بالجنوب الجزائري. تلقى المبادئ الاساسية في علوم الدين واللغة العربية عن العالمين الجليلين الشيخ إبراهيم الابريكي، والشيخ عمر بن يحي. وقد عرف الشيخ منذ نعومة أظفاره بالذكاء والجد والمثابرة في طلب العلم.

قام بتأسيس جمعية الحياة سنة ١٩٢٥ فكان من مآثرها معهد الحياة الذي ظل منذ تأسيسه قبلة طلاب العلم والمعرفة يقصدونه من كل حدب وصوب. وقد تخرجت منه أجيال من رجال العلم والأدب، ولا يزال هذا المعهد المعمور إلى يوم الناس هذا يبني وينشئ أنفسا وعقولا. صانه الله وحفظه من غير الزمان ونوائب الدهر.

كان من أساطين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد انتخب سنة ١٩٣١ عضوا في إدارة الجمعية كما أعيد انتخابه بعد الحرب العالمية الثانية. وفي سنة ١٩٤٨ عيّن نائبا على وادي ميزاب في المجلس الجزائري.

شارك في ثورة التحرير الكبرى مشاركة فعالة كما تشير إليه شهادة المجاهد ابن طوبال، وكان به موقف مشرف في الدفاع عن

وحدة التراب الوطني حين عزم الاستعمار على تقسيم الجزائر وفصل الصحراء عنها. وبعد توقيف إطلاق النار في ١٩ مارس ١٩٦٢ وإنشاء اللجنة المؤقتة التنفيذية التي كان مقرها في بومرداس، أسندت للشيخ مهمة الشؤون الثقافية.

كانت مهمته الإصلاحية في الجنوب امتداد لمهمة رفاقه من رواد الإصلاح في الشمال: الطيب العقبي، عبدالحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، والعالم الشهيد التبسي، رحم الله الجميع ورضي عنهم.

أحب اللغة العربية فكان من أنصارها الغيورين عليها، والمجاهدين في سبيل عزتها وسيادتها. وكان يرى فيها المقوم الأساسي للشخصية الوطنية العربية الإسلامية. أكب رحمه الله على تفسير القرآن الكريم في المسجد العتيق بالقرارة مدة خمسين سنة تقريبا كما فعل رفيق دربة الإمام المصلح عبدالحميد بن باديس. وقد انتهى من تفسيره في ٩ رجب الفرد ١٤٠٠هـ وكان بدأه سنة ١٩٣٥.

نشر العديد من المقالات الإصلاحية والثقافية والاجتماعية في الصحف التي كان يصدرها العالم الجليل والصحفي الكبير الشيخ أبو اليقظان رحمه الله في السنوات ١٩٢٦-١٩٣٩. ومن المؤلفات التي طبعت له - الفتاوى.

توفي، رحمه الله، سنة ١٩٨١.

إبراهيم بن صالح أعزام

هو العالم الفاضل الشيخ إبراهيم بن صالح بابا حمو المعروف بأعزام ومعناها في اللهجة البربرية كثير القراءة، لأن الفقيد رحمه الله، كان متصفا بذلك. وقد ولد بتونس سنة ١٨٩٨ حيث كان والده يمتهن التجارة وكان كثير الأسفار بين تونس وتماسين التي دفن بها.

وكان عمه هو المسؤول عن تربيته وتعلمه نظرا لانشغال الوالد، كما قلنا، بالتجارة وكثرة الترحال والتنقل وعدم الاستقرار. فأدخله عمه الكتاب بورقلة لحفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة والدين. ثم رحل إلى مدينة القرارة لمواصلة دراساته العلمية على الشيخ الجليل عمر بن يحي الذي أخذ عنه الإمام بيوض. عليهم جميعا رحمة الله ورضوانه.

وبعد أن أنهى دراسته أنتصب للتدريس بالقرارة ثم في ورقلة حيث درّس التفسير والفقه وعلم الفرائض. كان رحمه الله كثير المطالعة شغوفا بالكتب حتى أنه حين حضرته الوفاة كان بيده المصحف الشريف. وكان كثيرا ما يستنسخ الكتب لتدريسها وقتئذ لعدم توفر المطابع كما هو الحال في أيامنا هذه.

كان الشيخ أعزام رحمه الله ميسور الحال، ورث عن والده رزقا ومالا كثيرا أنفقه في وجوه البر والإحسان المختلفة من تربية الأيتام، والفقراء، ومساعدة المحتاجين من طلبة القرآن، تشجيعا لهم على حفظه وكسوة فقراء التلاميذ والمساكين أيام المواسم والأعياد إلى غير ذلك.

كان من مؤسسي جمعية الوفاق سنة ١٩٢٠ التي كانت تشرف على الأمور الدينية وتنظيم الشؤون الاجتماعية. ومن مؤلفاته: غصن ألبان في تاريخ وارجلان. بالإضافة إلى مقالات نشرت في جرائد أبي اليقظان وجريدة النجاح ومجلة هنا لندن.

توفي رحمه الله ورضي عنه يوم ٢٣ فيفري ١٩٦٥.

البشير بن الصادق

العلامة الجليل الشيخ البشير بن الصادق بن إبراهيم من أولاد عبدالرحمان أكباش القبيلة المعروفة بمنطقة أحمر خدو بجبل أوراس. هاجر أجداده قديما إلى بلدة سيدي عقبة التي ولد بها سنة ١٨٤٤ وفيها كانت نشأته ودراسته الأولى.

فقد حفظ القرآن الكريم على الشيخ الصادق بن السعيدي رحمه الله وتلقى تعلمه الأولي على شيوخ البلدة ونذكر من بينهم الشيخ بلقاسم بن منصور الذي اشتهرت أسرته بالعلم والإصلاح.

تاقت نفسه بعد ذلك للهجرة في طلب العلم ومواصلة الدراسة فتوجه إلى منطقة الجريد بالقطر التونسي الشقيق حيث استقر به القرار في بلدة نفطة المعروفة بزاويتها المشهورة لصاحبها الشيخ مصطفى ابن عزوز وكانت محط رحال طلاب العلم فانخرط في سلك تلاميذها وكانت الزاوية المذكورة تتوفر على عدد لا بأس به من جهابذ العلم المعروفين أمثال الشيخين بن صمادح وعلي بن الحاج، رحمهما الله. فأقام بها مدة اثني عشر عاما يجد ويجتهد وينهل من مختلف العلوم والفنون وكان من رفاقه من الطلاب في ذلك العهد الشيخان عالم المنقول والمعقول الشيخ المكي بن عزوز دفين اسطنبول وعثمان بن المكي الزبيدي التوزري، رحمهما الله.

وتمر الأيام والسنون سراعا وينهي الشيخ البشير دراسته بالزاوية ويعود إلى مسقط رأسه إلى سيدي عقبة حيث أهله وذووه ليتفرغ للتدريس بمسجد عقبة بن نافع مدة تزيد على الخمسين سنة تخرج عليه خلالها جمع كبير من أعلام الجزائر الذين كان لهم في مجالات العلم والإصلاح والوطنية الدور الكبير. ونذكر منهم على سبيل المثال، الشيوخ: علي بن إبراهيم الصادق، بلهادي علي بن عثمان، محمد العيد آل خليفة وغيرهم.

لقد كان الشيخ البشير كما سمعنا من بعض تلاميذه، مشاركا في كل العلوم والفنون لأن حصيلته في النحو والفقه لا تكاد

توجد عند غيره مما جعله يخص كتابي ألفية ابن مالك في النحو ومختصر الشيخ خليل في الفقه باهتمام لا مثيل له، وقد كان يختم المختصر مرة كل أربع سنوات.

وتشاء الأقدار فيغادر بلدة سيدي عقبة مرة أخرى ولكن ليستقر هذه المرة ببسكرة النخيل التي واصل بها التدريس لطلابها. ومن بين الذين حضروا دروسه هذه واستفادوا منها وأثنوا عليها شاعر العروبة والإسلام والوطنية الشيخ محمد العيد آل خليفة رحمه الله. وبقي صاحب الترجمة بمدينة بسكرة إلى أن وافته المنية سنة ١٩٢٨ ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بسيدي عقبة حيث دفن بها، رحمه الله.

ولعل اشتغال الشيخ بالتدريس للطلاب، وتفرغه الكلي لهذه الرسالة المقدسة هو في نظرنا السبب الوحيد الذي لم يترك له من الوقتما يكفيه للتأليف.

أبو بكر مصطفى رحمون

هو العالم الأديب والشاعر الفحل المجيد الأستاذ أبو بكر مصطفى بن رحمون المولود سنة ١٩٢١ في قرية من قرى الزاب الشرقي، ولاية بسكرة تدعى ليانة وهي البلدة التي أنجبت كبار

العلماء والأدباء أمثال الشاعر والصحفي الكبير الشيخ السعيد الزاهري والأديب الخطيب الشيخ الهادي السنوسي وغيرهما.

حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ النحو والصرف والفقه على شيوخ بلدته ثم انتقل في حدود سنة ١٩٣٦ إلى قسنطينة ليلتحق بالجامع الأخضر حيث تابع دراساته في حلقات إمام النهضة الإصلاحية وفقيد العروبة والإسلام، الشيخ عبدالحميد ابن باديس. رحمه الله ورضي عنه.

بعد عودته من قسنطينة طلب منه الأديب الكبير والصحافي القدير الأستاذ محمد السعيد الزاهري رحمه الله الالتحاق به في وهران لمساعدته في تحرير جريدة الوفاق التي كان يصدرها من هناك والتي كان من أبرز كتابها الأستاذ: حمزة بوكوشة فنشر المترجم له عدة قصائد في هذه الجريدة التي لم تعمل سوى سنتين ١٩٣٨-١٩٤٠.

غادر شاعرنا مدينة وهران عائدا إلى بسكرة بعد توقف الجريدة المذكورة ليلتحق بقرية - فلياش - حيث ينتصب بها مدرسا وهي المهنة التي أحبها، رحمه الله، وأخلص لها. وقد تخرجت على يديه نخبة من أبناء هذه القرية الذين التحق أغلبهم بصفوف جيش التحرير الوطني فاستشهد بعضهم، رحمهم الله، ولا يزال البعض الآخر حيا يرزق.

وفي سنة ١٩٤٤ كان من بين أساتذة مدرسة الشبيبة بالعاصمة وكان يقوم في نفس الوقت بإلقاء دروس في نادي الترقي على جمع من الطلبة وبعد خمس سنوات في مدينة الجزائر يعود مرة أخرى إلى بسكرة ليعلم بالمدرسة المحمدية بالإضافة إلى دروسه القيمة التي كان يلقيها في مسجد . سطر الملوك . على مجموعة من الطلبة. فقد ختم بهذا المسجد كتب القطر والألفية والجوهر المكنون ولامية الأفعال والخزرجية. ومن طلبته في هذه الفترة كاتب هذه السطور، وبقي رحمه اله ورضي عنه مجاهدا في سبيل نشر العلم والمعرفة رغم ضعفه وتدهور صحته وقلة ذات يده إلى سنة ١٩٥٥ حيث انتقل رفقة كاتب هذه السطور وبأمر من الشهيد الشيخ عبدالرحمن البركاتي رحمه الله إلى قرية عين زعطوط بجبال أوراس الشامخة للقيام بمهمة التعليم والوعظ والإرشاد بين أبناء المجاهدين والشهداء. وقد قام بنقلنا إلى القرية المذكورة في سرية كاملة، المرحوم بابا حنيني بسيارته الخاصة وهو من بني فرح. وقد قضينا معا فترة كانت من أخصب فترات العمر، وكان من تلاميذي، المجاهد الصنديد عبد المجيد شلواي حفظه الله ورعاه.

وفي عهد الاستقلال استقر بمدينة بسكرة، يعاني من العلل والأمراض الجسمية والنفسية صابرا على قضاء الله وقدره، غير عابئ بمن تنكر له من الأصدقاء والأقرباء والتلاميذ الذين كان من بينهم

من احتل المناصب السامية فلم يلتفت للشيخ ولم يذكره بقليل أو كثير. وهكذا قضى بقية أيامه معذبا محروما من أبسط حقوقه في بلاده التي كافح من أجلها وخلّد في قصائده الطوال مفاخرها ومآثرها فلله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما شعره فقد نشر جله إن لم يكن كله في المجلات والجرائد التي كانت تصدر في الأربعينات والخمسينات في الجزائر كالإصلاح والمغرب العربي والمنار أو في الوطن العربي. مجلة الثريا التونسية. الأزهر. وغيرهما. كما قامت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بطبع ديوانه.

كانت وفاته في ٣ جويلية ١٩٨٤ ودفن بإحدى مقابر بسكرة رحمه الله ورضي عنه وأسكنه فراديس جنانه، جزاء ما قدّم لوطنه وشعبه

أبو راس محمد الناصر المعسكري

هو العلامة الجليل أبو راس محمد الناصر المعسكري المولود في ٨ صفر ١١٦٥ هـ الموافق لـ ٢٧ ديسمبر ١٧٥١م بضواحي مدينة معسكر. وقد جاء في شرحه على روضة السلوان والمعروف بالشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية، ضبط اسمه بأنه الناصر وليس الناصري كما هو شائع عند البعض ممن كتبوا عنه فقد قال

فيها: "أما بعد فيقول العبد المقل القاصر، محمد أبو راس الناصر"، ولو كان الناصري لجاء بما يناسبها سجعا. وهو مجرد تنبيه بسيط لا طائل من ورائه[1].

حفظ القرآن الكريم على والده وعلى الشيخ منصور الضرير بروايتي ورش وقالون. وتلقى دراسته الأولى في الزاوية القادرية بالقيطنة لشيخها محي الدين بن الحاج مصطفى الغريسي التي أصبح فيما بعد من شيوخها ومدرسيها البارزين ثم تابع دراسته على مشايخ عصره في مدينتي معسكر ومازونة التي كانت من أهم حواضر العلم والمعرفة يومئذ. ومن شيوخه الذين أخذ عنهم نذكر: محمد الصادق بن الفغول، والشيخ القاضي محمد بن عبدالقادر، والشيخ عبدالقادر المشرفي، والشيخ عبدالقادر بن السنوسي.

انتصب بعد ذلك للتدريس في مدينة معسكر في مسجد العين البيضاء فأخذ عنه خلق كثير وتخرج على يديه أعلام أجلاء نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ سيدي ابن عبدالله سقاط المشرفي، والشيخ سيدي محمد الأخضر المهاجي، والشيخ عبدالقادر الهزيل وغيرهم.

---

[1] أنظر تاريخ الجزائر الثقافي للمؤرخ الجزائري أبي القاسم سعد الله.

ارتحل الشيخ أبو راس إلى المشرق للإتصال بعلمائه والأخذ عنهم، فحلّ بتونس التي كانت له مع علمائها مراسلات علمية، ثم منها إلى أرض الكنانة التي اتصل بعلمائها وأخذ عنهم كالشيوخ: إبراهيم الرياضي، ومرتضى الزبيدي، والشرقاوي. ومنها إلى بلاد الشام والحجاز. وبعد عودته من هذه الرحلة العلمية الطويلة، حل بمدينة فاس المغربية.

وحين أصيبت مدينة وهران بالغزو الإسباني وهبّ أهلها للدفاع عنها كان الشيخ أبو راس في طليعة المجاهدين في المعركة المقدسة مضحيا بالنفس والنفيس من أجل تحريرها من الاحتلال الإسباني سنة ١١٠٦هـ/١٧٩٥م.

ومن أهم ما يميز العلامة أبا راس المعسكري هو كثرة مؤلفاته التي فاقت المائة واثنين وثلاثين تأليفا، وهذا بالإضافة إلى اشتغاله بالتدريس وكثرة أسفاره وتنقلاته، ومشاركته إلى جانب الباي محمد بن عثمان باي وهران في حربه ضد الإسبان كما ذكرنا آنفا. وقد ذكر في كتابه - شمس معارف التأليف في أسماء ما أنعم الله به من التآليف - عدد مؤلفاته التي بلغت ١٣٧ مؤلفا.

توفي الشيخ محمد بوراس، طيب الله ثراه، يوم الأحد ١٥ شعبان ١٢٣٨هـ الموافق لـ ٢٧ أفريل ١٨٤٣م، ودفن قريبا من داره ومسجده

ولا يزال ضريحه بحي بابا علي بمدينة معسكر محجة للزوار من العلماء والصالحين.

ومما قاله عنه المصلح الكبير والمجاهد الخطير الشيخ محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية التي عرفت بجهادها ومقاومتها لأعداء الإسلام والمسلمين: "كنت أقرأ إليه كثيرا وأستفيد منه استفادة عظيمة لتمام حفظه واتقانه لكل فن". اهـ

ونختم هذه الترجمة الموجزة لهذا العلامة الجليل بذكر بعض مؤلفاته:

تفسيره للقرآن العظيم.

الحاوي لنبذ من التصوف والأولياء والفتاوي.

منظومة سينية في فتح الأتراك لمدينة وهران.

عجائب الأسفار.

الحلل السندسية.

درء الشقاوة في حروب درقاوة.

فتح الاله ومنته.

السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى.

الدرة الأنيقة.

الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة.

وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى اللغة الفرنسية ونشرت كما ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله.

أبو طالب أحمد بن محمد الإغريسي

العالم الجليل الشيخ أبو طالب أحمد بن محمد بن عبدالقادر الراشدي الحسني، كانت ولادته سنة ١٢٥٢هـ بوادي الحمام قرب معسكر ثم انتقل مع أبيه إلى فاس ثم طنجة التي حفظ بها القرآن الكريم وأخذ مبادئ العربية والفقه على علمائها، ومنها عاد إلى أرض الوطن مع والده، حيث عيّن قاضيا بمدينة سطيف، وحينئذ قرر والده إرساله إلى جامع الزيتونة حيث درس على نخبة من علماء تونس. ولما توفيت والدته، رحمها الله، وهي بنت محمد السعيد بن محي الدين ابن مصطفى بن المختار الإغريسي، سافر المترجم له مع جده إلى دمشق حيث أخذ عن خاله العلامة الشيخ محمد المرتضى والأمير عبدالقادر بن محي الدين.

عاد بعدها إلى سطيف فتولى قضاءها وتحوّل أبوه إلى قضاء قسنطينة. وفي مدينة سطيف اشتهر أمره وظهر علمه، فنظم العديد من القصائد، ومن مدينة سطيف إلى مدينة الأربعاء بالقرب من الجزائر حيث اشتغل أيضا بالقضاء وكانت له لقاءات مع أعلام

الجزائر في عهده أمثال العلامة حميدة العمّالي مفتي المالكية بالجزائر والعلامة علي بن الحفاف. وعن هذا الأخير أخذ التجويد والتصوف وقد مدحه بقصائد كثيرة كما مدح العديد من الأولياء والصالحين أمثال سيدي علي مبارك صاحب القليعة وسيدي أحمد الكبير صاحب البليدة. ثم انتقل إلى مستغانم قاضيا بها. وكان رحمه الله طوال المدة التي قضاها في منصب القضاء مشهودا له بطول الباع في القريض والتوثيق ومعرفة النوازل. توفي ودفن بسطيف سنة ١٣٠٧هـ عليه رحمة الله ورضوانه.

ومما قاله في مدح سيدي علي مبارك دفين القليعة:

أيا زائرا فكّ المطي المبارك وسلم على المولى على المبارك

وقبل تراب طالما فاح نشره بأخمصه كالمسك يا خير ناسك

ولذ بالجناب واحتم بجواره فلا تخش ضيما ولا هتك هاتك

وقل يا ولي الله غوثا فإنني لما مسني قد صرت بين المهالك

فأنت ملاذ الخائفين وكهفهم كبدر الدجى بين النجوم السوابك

إلهي أنلني من رضي كل عارف وكل تقي قد جذبت وسالك

بجاه شفيع الخلق والصحب كلهم ... وأتباعهم كالشافعي ومالك

ومن مدحه للشيخ سيدي أحمد الكبير دفين البليدة قوله:

أورد فاح في اليوم المطير ... وسر لاح بالقطب الكبير
ببلدته البليدة قد تسامى ... على الأقران كالبدر المنير
تدفق سره كالنيل يروي ... بتربته اللهيف من النمير
فسقيا أيها المولى بكأس ... ودرها بالكبير وبالصغير

وقال في مدح الشيخ أحمد بن يوسف دفين مليانة:

كليانة يا طالب الأرياح ... ملئت بسر لاح كالمصباح
وتوجت بلطافة قدسية ... ومن المحاسن وشحت بوشاح
باكر صباحا في الصباح ... برياضها مُتكامل الأرواح
وروضني
واستنشق النسمات في ... واستنطق الأطيار في الأدواح
أزهارها
ورد الزلال من المعين تعله ... تغنيك عن بنت الكروم صاح
فإذا تجلى الهمّ عنك فابتهج ... واحمد إلهك خالق الأصباح
أولا فلذ بأحمد القلعي من ... يعزى ليوسف في بها وصلاح

أس التقى من أشرقت أنواره في الغرب مثل الكوكب الوضاح
لا زال يعطي الوافدين منالهم ويجود مثل العارض السياح
كم من أسير فكّه ومكسر أضحى صحيحا في هنا وفلاح
يا سيدا إني ببابك واقف أبغي رضاك فردّني بنجاح

أبو عبدالله بن عبدالقادر البوعبدللي الزروي

هو العلامة الجليل الشيخ أبو عبدالله بن عبدالقادر الذي يتصل نسبه بالشيخ أبي عبدالله المغوفل صاحب الضريح المعروف بنواحي وادي الشلف. حفظ القرآن العظيم وأحسن تجويده، بالمغرب الأقصى الشقيق، وبعد عودته إلى أرض الوطن استقر في قرية المناصرية بإشارة من الأشراف أولاد سيدي أحمد بن علي وأنشأ فيها معهدا لتعليم القرآن ومبادئ بعض العلوم والفنون.

ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى بلدة الزريوي فأسس فيها معهدا تخرّج منه الكثير من حملة كتاب الله كما انتفع به طلبة العلم. أخذ الشيخ أبو عبدالله الطريقة الصوفية عن الشيخ قدور بن سليمان وعن الصوفي الكبير الشيخ المشرقي.

قام الشيخ رحمه الله بتأسيس زاويته الصوفية إلى جانب معهده القرآني كما أسس زاوية في مدينة وهران، وانتصب للتعليم والوعظ والإرشاد والتربية فانتفع بواسع علمه وطيب سلوكه خلق كثير.

قضى رحمه الله حياته في طاعة الله ودعوة الخلق إلى التمسك بالكتاب والسنة قولا وعملا، فآمن على يده الكفار والملاحدة وتاب أمامه العصاة.

الشيخ بوعمامة

في عام ١٨٣٣ وجنوب ولاية النعامة، كانت ولادة المجاهد البطل الشيخ بوعمامة من أسرة تنتمي إلى أولاد سيدي الشيخ. حفظ القرآن الكريم في الزوايا وتلقى مبادئ العلوم. وفي وسط عرف بالفضل والدين والصلاح. نشأ الشيخ بوعمامة نشأة عربية إسلامية.

كان لثورة أولاد سيدي الشيخ ضد الاحتلال الفرنسي كبير الأثر في نفس المترجم له والذي كان عمره يومئذ واحدا وعشرين سنة وغرست فيه رغبة في إعلان الجهاد، وتعبئة الجماهير من حوله استعدادا لخوض المعركة.

أنشأ سنة ١٨٧٥ بمغرار التّحتاني في جنوب ولاية النعامة زاوية كانت تعمل على تحفيظ القرآن ونشر العلم والمعرفة، كما كانت في نفس الوقت مركزا للقاء مختلف القبائل واجتماعهم بها للتخطيط للثورة، والتعبئة العامة مما لفت انتباه الاستعمار لها وجعله يقدر خطورة هذه الزاوية وشيخها على وجوده بالمنطقة.

وهكذا وبعد الإعداد الكامل، أعلن الشيخ المجاهد بوعمامة ثورة سنة ١٨٨١ والتي تعتبر امتدادا لثورة أولاد سيدي الشيخ وقد استمرت ثورته ٢٥ سنة فكانت بذلك أطول الثورات التي قام بها الشعب الجزائري البطل.

وبعد معارك بطولية خاضها الشيخ بوعمامة وأتباعه ضد القوات الاستعمارية بكل شجاعة وإخلاص، وافته المنية يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٠٨ في العيون قريبا من مدينة وجدة،رحمه الله وغفر لنا وله وأسكنه فراديس جنانه.

كان رحمه الله على خلق عظيم فقد ذكر بعض من عرفه أنه لم يؤثر عنه منذ أن بلغ أشده أنه ضحك القهقهة ولم يكن ضحكه إلا تبسما كما كان الرسول (ص) ولم يثبت عنه أنه مد رجله في جماعة وحتى في أيام شيخوخته، ولم يصح عنه أنه أخر وقت الصلاة إلى القضاء ولم يصل جالسا ولا يتيمم إلا في آخر عهده بالحياة.

كانت مجالسه روضة من رياض الجنة حافلة بالعلم والذكر والتذكير، لا يذكر أحدا من البشر بسوء حيا أو ميتا كما كانت مجالسه كلها تعلما وتعليما ودعوة إلى الله وإصلاحا بين الناس ووعظا وإرشادا.

توفي رحمه الله في شهر محرم سنة ١٣٧٢هـ في سن ٨٨ قال فيه الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله: "وجود الشيخ أبي عبدالله بالمغرب العربي دليل على وجود العلم". وأخذ أول لقاء به يردد قوله: "ايه وجه الجنة، ايه وجه الجنة". وكان يقول: "ليتني كنت ولد الشيخ أبي عبدالله". هذه شهادة الشيخ عبدالحميد ابن باديس في هذا الرجل الصالح وهي شهادة لها وزنها ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.

خلف مجموعة من المؤلفات المفيدة النافعة وديوانا من الشعر[1] رحم الله الشيخ وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه آمين.

وبعد وفاته خلفه أحد أولاده في القيام بشؤون الزاوية وهو الشيخ عبدالله.

---

[1] عن جريدة النار، عدد ١٣-١٤، سنة ١٩٥٦.

أبو القاسم بشيشي

هو العالم الجليل الشيخ أبو القاسم بن الشريف ابن بلقاسم بشيشي اللوجاني السدراتي المولود بضواحي بلدة سدراتة الواقعة بالشرق الجزائري. وقد كانت ولادته سنة ١٨٨١م، حفظ القرآن الكريم مثل الكثير من أبناء جيله في زاوية بالقرب من مسقط رأسه. وفيها تلقى مبادئ التجويد والفقه والعربية.

انتقل بعد ذلك إلى تونس حيث انضم إلى طلبة جامع الزيتونة وظل ينتقل بين حلقاته ينهل من معينها العذب، فلما ملأ وطابه من العلوم الدينية واللغوية تاقت نفسه لمواصلة دراساته العليا فعزم على التوجه إلى أرض الكنانة للإنتساب إلى الأزهر الشريف.

وهكذا، وفي سنة ١٩٠٥ نزل المترجم له بالقاهرة وانخرط في سلك طلبة الازهر حيث مكث ست سنوات يجدّ ويجتهد إلى أن نال من العلم مبتغاه وفاز منه بما كان يتمناه.

عاد إلى أرض الوطن ليساهم مع علمائه في معركة التربية والتعليم وإنشاء المدارس والنوادي وإرساء دعائم العروبة والإسلام في هذه الديار فقام بتأسيس نادي السلام في سدراته سنة ١٩٢٣ ومدرسة الحياة.

وبعد عمر قضاه في خدمة الإسلام والعربية، والحفاظ على القرآن الكريم، توفي رحمه الله في ١٩٥٤/٠٩/٠٧.

أبو القاسم البوجليلي

هو العلامة الجليل الشيخ أبو القاسم البوجليلي العباسي نسبة إلى قرية بوجليل ببني عباس، التلميذ الخاص للمجاهد الشيخ الحداد وخليفته من بعده وبوصية منه على رأس الطريقة الرحمانية.

وبعد توليه مشيخة الطريقة بتفويض من شيخه كما ذكرنا، بدأ بالعمل على تنقيتها من كل مظاهر الخمول والجمود وبث في مريديه روح العمل والجد وحذرهم من كل أنواع الغلوّ والتطرف، وانتصب للتدريس ونشر العلم وشن حربا على الجهل والأمية فأصبحت قرية بوجليل بسبب النهضة العلمية التي قام بها، أصبحت مركزا شعاع ونور. ومما يذكر عنه أنه أفتى بنقص وضوء من يصافح النصراني.

للشيخ أبي القاسم البوجليلي مؤلفات قيمة نذكر منها:

شرح شواهد الشيخ الشريف أبي يعلى على شرحه لابن أجروم الذي كان يدرس في الزوايا.

مجموعة خطب الجمعة. ومما تجدر الإشارة إليه فيها أنه رغم الاحتلال الفرنسي للجزائر فإنه كان يدعو لخليفة المسلمين العثماني بالنصر والعز.

المبنيات وهو تقييدات في النحو.

النور السراجي في إعراب مقدمة الصنهاجي، إعراب متن ابن أجروم.

التبصرة من القراءات العشر.

توفي الشيخ أبو القاسم البوجليلي رحمه الله سنة ١٨٩٨م.

أبو القاسم البيضاوي الزيناتي

هو العالم المجاهد أبو القاسم البيضاوي المولود بقرية نيني، نواحي مدينة مسكيانة، دائرة عين البيضاء في التاسع والعشرين من شهر يناير ١٩٠٣م. وفي مسقط رأسه حفظ الفقيد القرآن الكريم على عادة الطلبة يومئذ وأخذ عن شيوخ بلده ما أمكن الحصول عليه من العلوم الدينية واللغوية.

انتقل بعد ذلك إلى المشرق لأداء فريضة الحج فاجتمع هناك بالكثير من رجال العلم والمعرفة ولازمهم مدة مكنته من توسيع دائرة معارفه العربية الإسلامية. وبعد رجوعه إلى الوطن مارس

التعليم العربي الحرّ وكان يقوم بإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد في المساجد التي سعى في تأسيسها.

ناضل بجد وإخلاص في صفوف حزب الشعب وتعرّض للسجن والإعتقال وللمضايقات المستمرة من طرف السلطات الاستعمارية التي كانت تلاحقه حيثما حل وارتحل، وكان رحمه الله خطيبا ممتازا يهز الجماهير ويؤثر فيهم.

تولى منصب التفتيش في وزارة الأوقاف في عهد الاستقلال وبقي به إلى أن اختاره الله إلى جوارد يوم السابع والعشرين من شهر مارس ١٩٦٩م ودفن بمقبرة العائلة بمدينة عين البيضاء رحمه الله ورضي عنه.

أبو محمد عبد القادر بن خدة الراشدي

تحدث عنه العلامة أبو زيد عبدالرحمن التوجيني في كتابه . عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس. فقال: ومنهم العالم الجليل، الرئيس، النبيل، النحوي، اللغوي، الغرضي، الموحد، المحدث، الإمام، السيد أبو محمد بن عبدالقادر بن أحمد المختار بن محمد من أبناء عبدالقوي بن علي بن أحمد بن عبدالقوي بن خالد ابن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبدالقوي بن أحمد بن

محمد ابن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المكنى ابن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويضيف قائلا في التعريف به: "اوله تلاميذ. الكثير منهم ألف في علم التوحيد وغيره ويعتمدون على ما في حاشيته على صغرى الإمام الشيخ الكامل سيدي أبي عبدالله محمد بن يوسف السنوسي ويعبرون عنه بشيخنا أبي محمد عبدالقادر بن خدة الراشدي، وخدة مرضعته على عادة الأشراف في ذلك وله عقب وقبره معروف، رضي الله عنه وأرضاه وجعل دار السلام مأواه.

ومن أحفاده العالم المجاهد الشيخ محي الدين ابن المصطفى بن المختار والد الأمير عبدالقادر بطل المقاومة الوطنية وواسطة عقد الأسرة المختارية ومن وجهاء هذه الأسرة الشريفة نذكر شقيق صاحب الترجمة سيدي علي بن أبي طالب الذي هاجر إلى فاس ومنها إلى طنجة، رحم الله الجميع.

أبو مدين الغوث

هو الولي الصالح الشيخ شعيب بن حسين الأنصاري المعروف بأبي مدين الغوث. أصله من الأندلس وبالتحديد من حصن قطنيانة قرية من قرى إشبيلية. توفي والده في عهد مبكر من حياته فغادر مترجمنا مسقط رأسه قاصدا المغرب الأقصى حيث

عبر البحر وحلّ بطنجة التي لم يجد فيها بغيته من العلم والمعرفة فغادرها إلى سبتة التي بقي أياما بها ليواصل رحلته إلى مراكش التي تعرّف فيها على الأندلسيين فأدخلوه في جملة الجيش حيث عمل جنديا مدة من الزمن ثم تركها ليشد الرحال إلى مدينة فاس التي لزم المترجم له جامعها الذي كان يومئذ يعجّ بالعلماء والفقهاء.

أخذ الطالب يتنقل من حلقة إلى حلقة، ومن درس إلى درس، ومن شيخ إلى شيخ، وكان من بينهم شيخ ثبت كلامه في قلب الطالب كما يقول هو بنفسه فسأل من هو؟ فقيل له: "إنه أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن محمد بن عبدالله بن حرزهم العالم الفقيه الصوفي الزاهد الذي تفتح له قلب أبي مدين وكان تعليمه أول شمعة أضاءت حياة الطالب العلمية. فقد درس عليه كتاب: الرعاية لحقوق الله للإمام الكبير الحارث المحاسبي، وهو أهم كتاب في التذكير بالله، كما درس عليه كتاب: الأحياء لحجة الإسلام الغزالي الذي يقول فيه أبو مدين: "طالعت كتب التذكير فما رأيت كالأحياء للغزالي".

ودرس كتاب السنن في الحديث للإمام الترمذي على الشيخ أبي غالب عالم فاس وفقيهها وكان متمكنا من علوم القوم حتى أن كبار الأولياء كانوا يحضرون مجلسه، وقد بلغ به الزهد أن صرف مالا كثيرا في وجوه الخير والبر والإحسان.

أما علوم الصوفية فقد بدأ الشيخ أبو مدين دراستها على الشيخ الصالح أبي علي الدقاق وهو من كبار شيوخ الصوفية.

وكان يفتخر بأستاذيته لأبي مدين فيقول: "أن أول من أخذ منه الشيخ أبو مدين علم التصوف، وقد درس عليه الرسالة القشيرية للإمام عبدالكريم بن هوازن القشيري وهو من الكتب المفضلة عند أبي مدين، كما درس التصوف كذلك على واحد من كبار شيوخه هو الشيخ أبو يعزى الذي لازمه أبو مدين حتى نال من بركاته، وشاهد العجائب من كراماته كما يقول صاحب كتاب. أنس الفقير. نعم، إنه الشيخ الذي تخرج عليه أبو مدين في السلوك والذي يقول عنه: "طالعت أخبار الصالحين من زمن أويس القرني إلى زماننا فما رأيت أعجب من أبي يعزى، وطالعت كتب التذكير فما رأيت كالأحياء للغزالي".

وبعد أن ملأ الوطاب علما ومعرفة غادر المغرب في طريقه إلى بجاية التي كانت حاضرة علم ومعرفة وكانت قبلة الطلاب يأتون إليها من كل حدب وصوب فحط أبو مدين رحاله بها وكثر تلاميذه وظهرت بركاته عليهم حتى قيل أنه خرج على يديه ألف تلميذ وظهر لكل واحد منهم الكرامة والبركة. لذلك لقب بشيخ مشايخ الإسلام وإمام العباد والزهاد. وقد كان متقنا في علوم الإسلام نقليها وعقليها كما بلغ إلى رتبة الصوفي الكامل بالصيام والصلاة والتقشف المتواصل الشديد، ولم يجد أبو مدين لفقره

المدقع أي صعوبة في التخلص من هذا العالم ومن ملذاته الزائلة فتنقل متدرجا في كل مراتب الصوفية حتى بلغ مرتبة القطب والغوث.

رحل إلى المشرق فزار مكة لأداء فريضة الحج وفيها اجتمع بالصوفي الكبير الشيخ عبدالقادر الجيلالي الذي ربطته به علاقات ودّ وأخوّة وأكمل بإرشاداته ونصائحه وتوجيهاته علومه الصوفية.

ومن الطرائف التي كانت تحدث له أثناء تدريسه ما حدث به الشيخ أبو محمد الصنهاجي قال: كان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه في مجلس إقرائه فجاء رجل ليعترض عليه، فأراد القارئ أن يقرأ فمنعه الشيخ أبو مدين من القراءة وقال له: أسكت. ثم التفت إلى الرجل وقال له: لم أتيت؟ قال: أتيت لأقتبس من أنوارك ... فقال له الشيخ: ما في كمك؟ فقال له الرجل: مصحف. فقال له أبو مدين: أخرجه وافتحه واقرأ أول سطر منه. فإذا فيه: "الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين". فقال له أبو مدين: أما يكفيك هذا[1] ؟

---

[1] عن كتاب أبو مدين الغوث، للإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله.

يا من توقف جهلا في كرامتهم حقّ وصدق فأن القوم قد صدقوا
لا يستوي متأنٍ في بطالته وجازم نحو باب القرب منطلق

ولما اشتهر أمره، وشاع في الآفاق ذكره سعى به عند خلفاء بني عبد المؤمن بمراكش فأمر السلطان بطلوعه من بجاية إلى حضرته وكتب الى وَالِي بجَاية بالوصية عليه أن يحمل خير محمل: فأخذ الشيخ أبو مدين في السفر إلى أن وصل إلى تلمسان فلما رأى العبّاد قال لرفقائه: ما يقال لهذا المكان؟ فقيل له: العبّاد. فقال: مليح للرقاد وهكذا أشرقت تلك البقعة بِتُرْبَتِهِ وكانت وفاته، رضي الله عنه، عام ٥٩٤هـ وكان في ذلك اليوم محفل عظيم ومشهد جسيم ويقول صاحب كتاب . الكواكب الدرية . "مات سنة نيّف وثمانين وخمسمائة على نحو ثمانين سنة بتلمسان وله تصانيف منها كتاب: . أس التوحيد . رحمه الله ورضي عنه.

أحمد بن عبدالله الجزائري

هو العلامة الجليل والصوفي الشهير الشيخ أحمد بن عبدالله الزواوي الجزائري صاحب الزاوية المعروفة بمدينة الجزائر والتي كانت مثابة لكبار العلماء وحظيت لدى الحكام العثمانيين بعناية خاصة، وقد دفن بها جماعة من رجال العلم والافتاء، أمثال: سعيد قدورة، وأحمد زروق بن عمار، ومحمد بن بلقاسم بن

إسماعيل المطماطي. وقد كان الشيخ أحمد بن عبدالله يلقب بالقطب لما عرف عنه من الفضل والورع والصلاح.

أخذ المترجم عن علامة الجزائر الشيخ عبدالرحمن الثعالبي وكان معاصرا لعالم تلمسان الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ أحمد زروق بن عمار وغيرهما من كبار العلماء يومئذ.

وهو صاحب المنظومة المشهورة في علم التوحيد والتي نالت شهرة كبيرة على مستوى العالم الإسلامي وتسمى ـ كفاية المريد في علم التوحيد ـ وتعرف أيضا بالجزائرية، ويزيد عدد أبياتها على الأربعمائة بيت وهي لامية، وقد شرحها محمد بن يوسف السنوسي بطلب من ناظمها فشرحها شرحا وافيا أجاد فيه وأفاد بحيث ظل من أهم المراجع في هذا الفن بالنسبة للعلماء في الجزائر وخارجها وظلت دراسة علم التوحيد تعتمد عليها.

كان الشيخ أحمد بن عبدالله الجزائري بارعا في نظم الشعر وله فيه عدة قصائد نذكر منها على سبيل الخصوص مرثيته لشيخه وأستاذه عبدالرحمن الثعالبي والتي مطلعها:

لقد جزعت نفسي لفقد أحبتي   وحقّ لها من مثل ذلك تجزع

ألمّ بنا ما لا نطيق دفاعه   وليس لأمر قدّر الله مرجع

لقد بان أهل العلم عنا وأقْفَرَتْ منازلهم أنا إلى الله نرجع
كما بان عنا شهمنا العالم الذي سناه بأنوار الحقيقة يسطع
أبو زيد المشهور بالعلم والتقى له العلم فينا والمقام المرفع
هو العالم الموصوف بالنفع والورى به عنهم خطب الحوادث يرفع

وهي طويلة فليرجع إليها من يريد الاطلاع عليها كاملة، ومن شعره هذه الأبيات التي يشكو فيها من سوء الأحوال التي عرفتها مدينة الجزائر بعد أن كان العيش هنيئا:

دع الجزائر لا تحلل بساحتها في ذا الزمان ولا تَنْزِلْ بواديها
كدنا لأجل حلول الحادثات بها نختاروا الله للسكنى بَواديها
من بعد عيش هنيئ عم وبعد عانية حلت بناديها
ساكنها

يقول عنه الشيخ أحمد زروق وهو من معاصريه: "كان شيخنا أبو العباس أحمد الجزائري من أعظم العلماء اتباعا للسنة وأكثرهم حالا في الورع" اهـ وكان رحمه الله وطيب ثراه صوفيا يميل إلى حياة الزهد والتقشف والاعتزال، والاهتمام بعلوم الآخرة، وعدم مخالطة الحكام والأمراء وذوي السلطان.

توفي سنة ٨٨٤هـ ودفن بمقبرة الأبيار بالقرب من مقبرة سيدي مرزوق كما ذكر ذلك مؤرخنا الأستاذ نور الدين عبدالقادر، رحمه الله.

أحمد بن عثمان السلطاني

الفقيه الأصولي الشيخ أحمد بن عثمان السلطاني المولود بقرية تامزيرت من قرى أولاد سلطان نواحي عين التوتة ولاية باتنة سنة ١٨٩٤. تلقى تعلمه الأول في قريته ثم انتقل إلى بلدة سقانة من ضواحي بريكة حيث أتم حفظ القرآن الكريم.

انتقل بعد حفظه القرآن إلى مدينة طولقة حيث توجد الزاوية العثمانية التي انضم إلى طلبتها ولازم حلقاتها مدة ثلاث سنوات، أخذ خلالها عن شيوخ الزاوية مختلف العلوم والفنون وكان خلال العطلة الصيفية يتوجه إلى مدينة نقاوس حيث كان العلامة الأزهري الكبير الشيخ المولود الحافظي يقصدها لقضاء فصل الصيف بها فكان المترجم له يستغل هذه الفرصة ليدرس على هذا العالم الجليل بعض الكتب التي يسمح الوقت بدراستها.

وفي سنة ١٩٢٤ يشد الرحال إلى تونس ليدخل جامع الزيتونة الذي يمكث به إلى سنة ١٩٢٨ فيتخرّج بشهادة التطويع ويعود إلى مسقط رأسه لينفع بعلمه أبناء بلده، فأسس مع بعض

المحسنين المسجد الجامع بعين التوتة وأصبح إمامه وخطيبه، وكان يوم افتتاح هذا المسجد يوما بهيجا حيث حضر حفل الافتتاح المصلحان الكبيران الطيب العقبي وابن باديس رحمها الله.

وفي سنة ١٩٣٧ أسس أبناء عين التوتة مدرسة حرة فكان الشيخ معلمها ومرشد ومربي التلاميذ فيها وأصبح يقوم بوظيفتي الإمامة والتعليم. وهكذا أمضى هذا الرجل قرابة الستين سنة من عمره في خدمة العروبة والإسلام والسهر على تعليم العباد والعمل على إصلاح شؤون البلاد.

أما تراثه في الميدان العلمي فيتلخص في الفتاوى المكتوبة والتي لو جمعت وقدر لها أن طبعت لاستفاد منها العامة والخاصة لأن الرجل كان ذا ثقافة دينية واسعة ومتينة.

توفي رحمه الله ورضي عنه في يوم ١٩٩١/٠٢/٠٧ ودفن بمسقط رأسه بتامزريت.

أحمد الميسوم

هو العالم الأديب الشاعر الشيخ أحمد الميسوم حفيد الشيخ الميسوم صاحب الزاوية الشاذلية بقصر البخاري الذي ستأتي

ترجمته، وقد ولد الشيخ بوادي الشرفاء سنة ١٩٠١. كان خطيبا مصقعا، وكاتبا بارعا، وشاعرا فحلا.

نشرت له الصحافة الجزائرية العربية من الثلاثينات إلى الخمسينات العديد من القصائد الغراء وجلّها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام بإمضاء مستعار وتحت أسماء كثيرة مثل: ذو الفقار. وشاعر السنة. وحسان، ومن بين الجرائد التي نشر بها نذكر البلاغ الجزائري، وصوت المسجد، والإخلاص، وقد صدرت هذه الأخيرة في ١٩٣٢ تحت إشراف العلامة الكبير الشيخ المولود بن الصديق الحافظي الأزهري باسم تجمع رجال الزوايا. أما صوت المسجد فقد أصدرها الشيخ العاصمي في ١٩٤٨ باسم رجال الديانة الإسلامية.

ومن شعره في ذكر النسب الشريف يقول من قصيدة طويلة:

رسول كريم من كرام أجلّة خيار إلى العلياء ساروا وأسرعوا

فما فيهم الاّ أبيّ مُمَجَّدٌ وما فيهم الأشجاع سميذع

هم الأُسُدَ عبد الله فخر زمانه ومطلب من كان يحمي ويمنع

وهاشم المقدام عبد مناف الكريم قصّى للاعادي مروع

ومن نفس القصيدة نقتطف هذه الأبيات في مدح الإسلام والدعوة إلى العودة إليه، يقول، رحمه الله:

فدين رسول الله دين سعادة ودين ارتقاء في الحياتين يرفع
ودين نشاط لا جمود وأنه يحض على نسل المعالي ويدفع
يحض على الإحسان والرفق والولا وجمع شتات للضغائن ينزع

ويتوجه في القصيدة نفسها إلى الأمة بهذه النصائح:

أيا أمة المختار يا خير أمة إليك أسوق النصح لا أتصنع
ونصح الفتى إن كان في القول مخلصا ترق به صم الصخور وتخشع
فمالي أراكم في انحلال وفرقة ومعظمنا في الفسق والعار يقبع
لقد فسدت أخلاقنا وتغيرت وأحذقنا في حمأة الجهل يرتع
قمار وخمر وارتكاب قبائح لها أعين الأبرار تبكي وتدمع
عبرنا بحار اللهو جهرا ولم نقم بفرض وترك الفرض أدهى وأشنع

وعند تدشين مدرسة الصفاء بالجزائر العاصمة والتي أسسها المؤتمر الديني الطرقي والذي حضره أكثر من ٣٠٠٠ شخص من كل جهات الوطن ألقى الشيخ أحمد الميسوم قصيدة رائعة يقول فيها:

"صفاء" الفتى بل ربحه ونجاحه طلاب علوم ترفع القدر عاليا
ففي العلم فخر وانتصار ورفعة وفوز إذا ما القرن لبى التلاقيا

وبالعلم ساد العالمون وشيدوا ونالوا به رغم الأعادي المعاليا

ويتحدث عن الأسلاف من المسلمين وما شيدوه من حضارات فيقول:

مآثرهم تنبيك صاح بأنهم كرام عظام شأنهم كان غاليا

فأندلس آثارها تدهش النهى طليطة سلها تر الحق جاليا

وسل بعد بغداد الجميلة قل لها الأفا ذكرى قومي وأهلي وناسيا

رحمك الله ورضي عنك يا أحمد الميسوم

توفي سنة ١٩٧٦.

احمد بن أبي حجلة التلمساني

العالم الجليل والصوفي الشهير، الشيخ سيدي أحمد بن أبي حجلة التلمساني المولود سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م بزاوية جده بتلمسان. كان رحمه الله متعصبا للصوفية الموحدة الذين ساروا على نهج السلف الصالح في تمسكهم بهدي الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان. كما كان كثير الحط من الحلوليين القائلين بوحدة الوجود، كما أنكر على ابن الفارض وأتباعه مقالتهم. وكان يرميهم بالعظائم ويطعن فيهم.

له ديوان شعر في مدح خير البرية عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وقد أسندت إليه في آخر حياته مشيخة الصوفية لجامع صهريج منجك بالقاهرة، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

أحمد بن بن الحاج يحي البكلي

علم من أعلام الجزائر وواحد من شيوخنا البارزين، إنه الشيخ أحمد بن الحاج يحي البكلي المولود بمدينة العطف من مدن وادي ميزاب سنة ١٩١٠ وفيها تلقى مبادئ القراءة وحفظ من القرآن الكريم ما تيسر ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة حيث تلقى في مدرسة الشيخ مصطفى حافظ بالقصبة معلوماته القانونية ومنها انتقل إلى تونس ليواصل دراسته بالمدرسة الخلدونية ثم بجامع الزيتونة.

كان رحمه الله خلال إقامته بتونس كثير النشاط في الميدان الأدبي حيث شغل منصب رئيس تحرير مجلة . بدر السعادة . التي كان يصدرها الطلبة بتونس والتي كانت تحمل شعار "الوفاق" (كل أمة على وجه البسيطة جعلت الوفاق رائدا لها لا بد أن تصل إلى أقصى ما تروم).

كما نشر العديد من المقالات والقصائد الشعرية في الجرائد والمجلات الجزائرية التي كانت تصدر في الثلاثينات مثل ـ الأمة ـ الفرقان ـ النور ـ الشهاب ـ وادي ميزاب وغيرها. ونشر أناشيد وطنية وثورية في ذلك العهد.

بالإضافة إلى ذلك كان للشيخ دور عظيم في ميدان التعليم العربي الإسلامي حيث قام بإلقاء دروس في تعليم الإسلام واللغة العربية وأنشأ سنة ١٩٣١ في بلدة العطف أول مدرسة ابتدائية مجهزة على الطريقة العصرية. وكان يعلم بها مختلف المواد العلمية من رياضيات وعلوم طبيعية، وكون بها فرقا لمختلف الرياضات مثل كرة القدم والسباحة والرمي.

وفي سنة ١٩٤٠ يمتد نشاط الشيخ رحمه الله إلى مدينة غليزان التي أنشأ بها مدرسة كالتي أنشأها بالعطف ثم انتقل إلى عين الدفلة حيث كان عضوا عاملا في شعبة جمعية العلماء وقام بنشاط ملحوظ في تكوين الشباب تكوينا إسلاميا وطنيا أهّلهم ليكونوا جنودا في صفوف جيش التحرير الوطني فيما بعد.

عاد إلى مسقط رأسه سنة ١٩٦٠ حيث عيّن عضوا بالهيئة الدينية المعروفة بالعزابة وبقي كذلك ناشطا في الحقلين الديني والثقافي إلى أن لبى داعي ربه يوم الأحد ٣ ديسمبر ١٩٨٠، رحمه الله ورضي عنه، جزاء ما قدم للإسلام والعروبة وللبلاد والعباد.

أحمد بن محي الدين الإغريسي

هو العالم الجليل الشيخ أحمد بن محي الدين ابن مصطفى الإغريسي الحسين، شقيق البطل الجزائري الأمير عبدالقادر. ولد في القيطنة المعروفة بنواحي معسكر سنة ١٢٤٩هـ، أشرف على تربيته شقيقه العلامة محمد السعيد وذلك بسبب وفاة والده محي الدين، وهو لا يزال رضيعا.

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتفرغ بعده لطلب العلم فأخذ عن أخيه مبادئ الفقه وغيره، وأخذ العربية وعلم الكلام وعلوما أخرى عن أخيه المربي الكبير الأمير عبدالقادر، رضي الله عنه.

ثم التحق بدمشق بعد خروج الأمير عبدالقادر من الجزائر وواصل دراسته العليا بها على كبار علمائها. وكان له ولوع بفن التصوف فانكب وتفرغ لدراسته، وأخذ الطريقة القادرية عن السيد محمد علي أفندي الكيلاني وعن أخيه الأمير أيضا واشتهر بفضله وصلاحه. كان كثير الذكر والتلاوة والمطالعة والتأليف وكان له بمنزله حلقة يقيمها ليلتي الإثنين والجمعة يجتمع فيها بمريديه يذكرون الله تعالى قعودا إلى العشاء. له رسائل قيّمة في أصول الصوفية، كما جمع تاريخا في سيرة أخيه الأمير.

توفي رحمه الله صباح الأربعاء ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ وصلّي عليه في الجامع الأموي ودفن قريبا من ضريح الصحابي الجليل مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، بلال بن رباح، رضي الله تعالى عنه.

أحمد بن يوسف التنلاني

من رجال العلم ومن أهل الحديث، له تآليف عديدة وكان يقرض الشعر الرقيق اللطيف في المواعظ، من ذلك قوله:

لا تعجبنك دنيا أنت تاركها   كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

أخذ العلم عن الشيخ سيدي عبدالكريم بن محمد فتح الله التمنطيطي. وقد ولد الشيخ بأولاد نقال سنة ١٠٠٢هـ وبعد عمر طويل قضاه بها انتقل إلى تنلان سنة ١٠٥٢ وفيها بنى زاويته التي سمّاها "رزق الله الواسع لعباده النافع".

وقام بما يقوم به العلماء الصالحون من حفر الآبار وغرس البساتين لتكون في خدمة المحتاجين صدقة جارية. وقد نالت زاويته المذكورة حظها من الشهرة والسمعة الطيبة في نواحي توات فشدّ طلبة العلم وحفظة القرآن الرحال إليها كما قصدها الضيوف والزوار من كل حدب وصوب.

توفي الشيخ رحمه الله سنة ١٠٧٨هـ ودفن بها عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

أحمد مصالي الحاج

في مدينة تلمسان ذات التاريخ العريق ولد أحمد مصالي في السادس عشر من شهر ماي ١٨٩٨ من أسرة محافظة، فأبوه الفلاح البسيط كان من إخوان الطريقة الدرقاوية المعروفة، فكان في أخريات أيامه قيّما على ضريح سيدي عبدالقادر بتلمسان، وأمه الفاضلة فطيمة صاري الحاج الدين التي نشأت وترعرع في أحضانها، كانت ابنة قاضي شرعي في نفس المدينة.

وهكذا وفي هذا الوسط المحافظ نشأ أحمد نشأة دينية تقوده فيما بعد إلى الزاوية الدرقاوية التي تلقى فيها دراسته التي كانت في نفس الوقت الذي أدخل فيه المدرسة الابتدائية الفرنسية لتعلم اللغة الفرنسية التي كانت بالنسبة إليه سلاحا استعمله فيما بعد للدفاع عن قضايا وطنه وشعبه.

شَبَّ رحمه الله بحكم تربيته عربيا مسلما فخورا بعروبته وإسلامه معتزا بهما مناضلا من أجلهما، ويحضرني في هذا المقام ما قاله لي المرحوم المجاهد أحمد بودة وهو من أقرب المقربين

إلى السيد مصالي الحاج حين سألته عنه وعن برنامجه، فأجابني بأنه كان يكرر دائما بأن برنامجه ـ القرآن الكريم..

في ١٩١٨ تم تجنيده من طرف السلطات الاستعمارية وكانت الجندية بالنسبة إليه مدرسة استفاد من دروسها طوال الفترة التي قضاها جنديا بمدينة بوردو الفرنسية والتي ستجعل منه أب الوطنية الجزائرية كما قال عنه الزعيم التونسي ورفيقه في الكفاح الحبيب بورقيبة.

عاد إلى مسقط رأسه تلمسان بعد أداء الخدمة العسكرية سنة ١٩٢٠، ومما يذكر عنه خلال هذه الفترة التي قضاها ببلدته أن تعرض للحبس والاستنطاق من طرف الشرطة الاستعمارية بعد أن رفع صوته بشعارات معادية للاستعمار أثناء حفل ضم عدد من الضباط الفرنسيين. وفي سنة ١٩٢٦ شارك في تأسيس نجم شمال إفريقية وسنّه وقتئذ ٢٨ سنة، وكان من المشاركين في المؤتمر المضاد للإمبريالية بمدينة بروكسل سنة ١٩٢٧ حيث تناول الكلمة لأول مرة وطالب فيها باستقلال الجزائر، ومن بين الذين حضروا المؤتمر نذكر الزعيمين نهرو وهوشي منه.

بعد ثلاث سنوات من تأسيس نجم إفريقية وعلى أبواب الاحتفال بمرور قرن على احتلال الجزائر، تقوم السلطات الفرنسية بحل نجم شمال إفريقية سنة ١٩٢٩ وقد وجه السيد

مصالي الحاج بالمناسبة مذكرة احتجاج وتنديد بالاحتلال الفرنسي للجزائر إلى عصبة الأمم المتحدة وقد نشرت تلك المذكرة بجريدة الأمة لسان حال نجم شمال إفريقية.

في سنة ١٩٣٣ يظهر على الساحة السياسية حزب النجم الشامخ، ويضم معه برنامج جديد تكون وحدة المغرب العربي، واحترام الإسلام ومواصلة النضال من أجل الاستقلال هي أهم محاوره، وكان شديد التأثر بشكيب ارسلان الذي اجتمع به في سويسرة سنة ١٩٣٥. كما كان بحضوره المفاجئ إلى الملعب البلدي بمدينة الجزائر بمناسبة انعقاد الحفل الكبير الذي دعا إليه المؤتمر الإسلامي قصد إخبار الشعب بنتائج زيارة الوفد إلى باريس وأمام عشرين ألف شخص، تناول مصالي الكلمة ليعبر عن رفضه القاطع لكل ما جاء به وفد المؤتمر الإسلامي، وكان لكلمته المشهورة التي قالها بهذه المناسبة صدى كبير في وسط الجماهير الحاضرة: (هذه الأرض أرضنا ولن نبيعها لأحد). قال ذلك وهو يشير إلى حفنة من التراب كانت بيده، كان هذا يوم ٠٢/٠٨/ ١٩٣٦، وكان رحمه الله كثير المشاركة في التظاهرات التي كانت تقع ضد الاستعمار وَمِنْ ذلك أنه في تظاهرات ١٩٣٦/٠٧/١٤ كان ينادي بأعلى صَوته: حرروا إفريقيا الشمالية، حرروا سوريا، حرروا العالم العربي.

في ١١ مارس ١٩٣٧ وبعد حل نجم شمال إفريقية للمرة الثانية، يؤسس مع مجموعة من أصدقائه (حزب الشعب الجزائري) الذي واصل نضاله من أجل استقلال الجزائر، مما عرض زعيمه إلى السجن والنفي والحرمان من الحقوق المدنية ومصادرة الأملاك. فقد تنقل بين سجون الجزائر: تازولت - الحراش - سركاجي - الصحراء، وغير الجزائر: كالغابون، وفرنسا، وغيرهما، كما أسس المرحوم مصالي الحاج حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي مهدت لثورة التحرير بجناحها المسلح المعروف بالمنظمة الخاصة.

وبعد انقسام الحزب والخلافات التي وقعت بين أعضائه وقيام ثورة التحرير التي توجت باستقلال الجزائر، أقام مصالي الحاج نهائيا في فرنسا حيث قضى بقية حياته إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٩٧٤ عن عمر يقارب ٧٦ سنة ونقل جثمانه إلى مدينة تلمسان مسقط رأسه حيث دفن في مقبرتها، رحمه الله وغفر لنا وله.

أحمد المجدوب

هو الشيخ أحمد المجدوب بن سليمان بن أبي سماحة الذي يتصل نسبه حسبما تواتر واشتهر في تلك المنطقة من أرض

الجزائر بمحمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبه في الغار وأحب الناس إليه رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وتتحدث الوثائق والمخطوطات التاريخية التي حررها الباحثون الفرنسيون لأغراض استعمارية عن الشيخ أحمد المجدوب فتذكر أنه عاش في القرن الثامن الهجري في حدود ١٤٩٠م وهذا ما يثبته العلماء المعاصرون له.

وقد عرف عن والده الشيخ سليمان بن أبي سماحة أنه كان من أعلام وقته في الفقه والنحو واللغة والتصوف وتشهد له بذلك المخطوطات المختلفة ومراسلاته مع ملوك الحفصيين في تونس مما يؤكد ما كان يتمتع به من سمعة طيبة وصيت كبير ويوجد قبره بمدينة بني ونيف.

أما عن دراسة الشيخ أحمد المجدوب فبعد حفظه للقرآن الكريم تلقى تعليمه على كبار علماء وقته وفي مقدمتهم والده العلامة الشيخ سليمان بن أبي سماحة والشيخ أحمد بن عبدالجبار وجده لأمه الولي الصالح المعروف الشيخ أحمد بن يوسف دفين مليانة الذي تأثر به المترجم له وكان من مريدي طريقته، فهام في حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى درجة الانجذاب حتى عرف بالمجدوب، رحمه الله ورضي عنه.

للشيخ المجدوب ولدان:

الشيخ سليمان بن المجدوب وهو جد فرقة أولاد الحسين دفين بليدة.

الشيخ التومي جد بقية فرق أولاد سيدي أحمد المجدوب.

الحاج أبو القاسم

هو الصوفي الكبير والمربي الشهير، الحاج أبو القاسم من حفدة عثمان بن عفان صهر الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته، رضي الله عنه.

نشأ وترعرع بزاويته المشهورة بدائرة تيميمون والمعروفة بزاوية الحاج أبي القاسم.

وقد اشتهرت هذه الزاوية في منطقة توات وما جاورها فقصدها الطلبة والضيوف والزوار من كل مكان. ومما يذكر عن المترجم له أنه ترك بعد وفاته مؤلفات عديدة نظما ونثرا ولكن مصيرها كان الضياع نتيجة الاهمال وعدم الاعتناء بالتراث العلمي والفكري لأجدادنا.

ونجهل تاريخ ولادته ووفاته لنفس السبب، رحمه الله ورضي عنه.

الحسن أبركان التلساني

هو الإمام العالم والولي الصالح الشيخ الحسن ابن مخلوف بن مسعود بن سعيد المعروف بأبركان ومعناه باللهجة البربرية: الأسود. أخذ العلم عن عدد من كبار العلماء في عصره نذكر منهم: إبراهيم المصمودي والحفيد بن مرزوق، ومن تلامذته: الحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وعلى التالوتي. وكان الإمام السنوسي يقول: "رأيت المشايخ والأولياء فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان".

وقد ألف الشيخ ابن صعد كتابا سماه: روضة النسرين في مناقب الأبعة الصالحين وهم: سيدي الهواري، سيدي إبراهيم التازي، سيدي الحسن أبركان، وسيدي أحمد بن الحسن المغراوي، رحم الله جميعهم. ويقول الفلصادي في رحلته: "وحضرت مجلس الولي الصالح الحسن أبركان وشهرته تغني عن تعريفه" اهـ. وقد سماه محمد التنسي الولي الزاهد القطب الغوث، شيخ الزهاد وقدوة العباد.

كان رحمه الله كثير الذكر لا يفتر منه طرفة عين. له سبحة لا تفارقه وكان لا يضحك إلا تبسما وله قبول عظيم لدى العامة والخاصة وكان كثير القراءة لرسالة ابن أبي زيد القيرواني المعروفة. وتوفي رحمه الله في آخر شوال من عام ٨٠٧هـ.

الحسين الورتيلاني

العلامة الجليل والرحالة الشهير، الولي الصالح، الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورتيلاني نسبة إلى قبيلة أو قرية بني ورتيلان بالقرب من بجاية وهو ينحدر من أسرة عريقة في العلم والتدريس والتصوف والإفتاء والإصلاح. وقد نبغ منها عدد من العلماء والفقهاء. وكانت زاويتهم محط رحال طلاب العلم وحفظة القرآن. وكان والده أحد المدرسين بها كما انتصب جده قبل ذلك للتدريس بها.

وكان المترجم له رحمه الله مجاب الدعوة قوّاما، صوّاما، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حد قول القائل:

تراه يصلي ليله ونهاره   يظل كثير الذكر لله سائحا

وقد ظهرت على يده كرامات، وشهد له أهل الصدق بالولاية الكبرى والمكاشفات، رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فاحتضنه، حج بيت الله الحرام مرات عديدة.

درس في بلدته عن والده، ثم رحل إلى المشرق واجتمع في مصر بكبار العلماء في وقته وأخذ عنهم وكلهم أجازه وأثنى عليه.

ومن تآليفه القيّمة المفيدة: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورتيلانية والتي دعا لنا شيخها

ومالكها وناظرها. وشرحه على قدسية الأخضري في التصوف وقصيدة فيها خمسمائة بيت ميمية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد ولد الشيخ الحسين بن الورتيلاني في قرية بني ورتيلان سنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م ولا يزال قبره إلى اليوم قبلة الزوار في القرية التي يوجد بها بيته ومسجده، وتوفي رحمه الله كما أشارت المصادر التي ترجمت له في رمضان من عام ١١٩٣هـ/١٧٨٠م.

وفي رحلته المشهورة تحدث الشيخ الحسين الورتيلاني عن طائفة من العلماء والصالحين نذكر منهم: الولي الصالح الشيخ سيدي أحمد بن يحي، تلميذ ابن غازي، وكان موجودا في أواخر القرن التاسع ويتصل نسب هذا الشيخ مع نسب أهل عروس ببلاد زواوة، وكانت له كرامات عرف بها، وقبره يزار إلى يوم الناس هذا.

والفقيه المتكلم الشيخ سيدي أحمد زروق بن الحاج نفعنا الله به وقد توفي في مصر وهو عائد من أداء فريضة الحج.

وسيدي يحي الشريف بن رقية في قرية وزانة وهو من أهل العلم والصلاح مجاب الدعوة خديم العلم وأهله من أعلام القرن الحادي عشر، رحمه الله.

والشيخ الصالح نسبا كما هو عند ابن فرصون في . طبقات الشرفاء . سيدي أحمد بن عبدالرحمن من تلاميذ الشيخ سيدي يحي العبدلي وهو من رجال القرن التاسع. وولده هو الذي بنى

قلعة بني عباس. وآخرهم في مملكة القلعة سيدي ناصر فاضل زاهد وقيل أنه من زهده كان يلبس ـ الغرارة ـ وقد رتّب طلبة العلم نحو الثمانين وقد مات مقتولا ورثاه بعض علماء فاس بقصيدة توجد عندنا في الزاوية[1].

والولي الصالح سيدي أحمد أبركان قبره عند ولده سيدي أحمد بن عبدالرحمن في الوادي يزار، وأولاده أينما كانوا من بني عباس وغيرهم علماء فضلاء أجلاء يقتدى بهم ولهم العلم الصحيح والصدق الصريح.

وسيدي أحمد بن يوسف الولي على الإطلاق يعتقده العام والخاص، نفعنا الله به، وهو في هنديس قرب الوادي[2] ولا أعلم غير هذا و أولاده معظمون عند أهل المنطقة ولا يخلو بعضهم من العلم والبركة ، رضي الله عنهم، وقد سمعنا من بعضهم أن جدهم يقرب من الشيخ المعلوم صاحب الفتح الواضح سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي كان حجة الله في أرضه إلى الآن، والله أعلم.

والولي الصالح سيدي أبو التقي معلوم البركة، قوي النفع، معظم عند أهل مجانة، نفعنا الله به. وهو الذي تنطق العاصمة

---

[1] تعريف الخلف نقلا عن الرحلة الورتيلانية.

[2] يقصد به وادي آقبو كما جاء في رحلته رحمه الله.

باسمه حاليا سيدي بتقا ـ هكذا. كما نطقوا بسيدي أبي اللواء ـ سيدي بالوا ـ.

والولي المشهور سيدي أحمد اثوبة ظاهر البركة، قبره مزار معلوم لدى الخاصة والعامة، يقصده الزوار من بعد وله طلبة إلى الآن وروضته بينة، نفعنا الله به وأفاض علينا من بحر أنواره، آمين. وأظنه من القرن السابع كما سمعته من البعض، والله أعلم، وكراماته مشهورة ومناقبه.

وهكذا نكتفي بذكر هؤلاء العلماء والصالحين، ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى الرحلة الورتيلانية وكتاب ـ تعريف الخلف برجال السلف ـ فقد نقل عنها مجموعة من هؤلاء.

حمدي إبراهيم بن عيسى
ـ أبو اليقظان ـ

هو العلامة الجليل، والصحافي الشهير، والشاعر الفحل، الشيخ حمدي إبراهيم بن عيسى المعروف بأبي اليقظان. ولد بالقرارة من مدن ميزاب بالجنوب الجزائري سنة ١٨٨٨م، وبعد أن حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العربية والدين على شيوخ بلدته، اتصل بالعلامة الكبير الشيخ طفيش في بني يزقن الذي أخذ عنه واستفاد منه.

التحق بجامع الزيتونة بعد أداء فريضة الحج وانضم إلى طلبتها حيث واصل دراساته على شيوخها الأعلام يومئذ. وبالإضافة إلى دراسته قام المترجم له بنشاط كبير في مجالات أخرى، ثقافية، واجتماعية، وسياسية. فقد شارك في تأسيس الحزب الدستوري التونسي رفقة نخبة من أحرار تونس والجزائر، وفي مقدمتهم الزعيم عبدالعزيز الثعالبي.

عاد إلى الجزائر ليساهم بقسط وافر في وضع أسس نهضتها إلى جانب رواد النهضة الإصلاحية، الشيخ الطيب العقبي وعبد الحميد بن باديس والشهيد التبسي، رحم الله جميعهم ورضي عنهم، فكان من أركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خدم رسالتها الإصلاحية بقلمه ولسانه بمقالاته وقصائده.

ويعتبر الشيخ أبو اليقظان من رجال الصحافة العربية البارزين الذين جاهدوا بالقلم واللسان في سبيل أعزاز الإسلام ولغة الإسلام والتمكين لهما في زمن كان الحديث عن هذا نوعا من الطيش والجنون والمغامرة بالنفس والنفيس، فقد أصدر ثماني جرائد. وألف العديد من الكتب القيمة المفيدة، طبع البعض منها ولا يزال البعض الآخر لم ير النور بعد.

توفي رحمه الله ورضي عنه في ٣٠ من شهر مارس سنة ١٩٧٣.

خليفة بن حسن القماري السوفي

هو العلامة الشهير الشيخ خليفة بن حسن القماري السوفي نسبة إلى بلدة قمار وهي من قرى وادي سوف المعروفة بالجنوب الجزائري، تلقى تعليمه في بلدة قمار والخنقة، فهو خريج مدرستها كما ذكر الدكتور سعد الله. وكانت له مراسلات ولقاءات مع رجال العلم في بسكرة والخنقة وسيدي عقبة التي درّس بها. وكذلك مع علماء المغرب كالشيخ عبدالقادر بن أحمد بن شقرون الفاسي، والرحالة الدرعي، اللذين اجتمعا بالمترجم له الذي أطلعهما على نظمه لكتاب خليل بن اسحاق فنال إعجابهما وأثنى كل منهما عليه. ويصل عددأبيات هذه المنظومة إلى ٩٨١٧ بيت.

ومما قاله عنه الفاسي: "الفقيه الفاضل، الجامع لأشتاتِ الفضائل المشارك المتقن، والبارع المتفنن، ذو الخلق الحسن، سيدي خليفة بن حسن"، ويواصل قوله: "إنه مقدام من فرسان البراعة وأئمة الباعة، ويصف النظم بقوله: "هو نظم عذب الموارد، مهذب المقاصد، سلس العبارة، رائق الإشارة" اهـ أما الدرعي فيصف النظم بقوله: " وهو نظم لا بأس به".

وتحمل هذه المنظومة اسم "جواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل"، وقد فرغ منه سنة ١١٩٢هـ وله من التآليف غير هذه:

الكناش في الفقه.

شرح على السنوسية.

نظم الأجرومية.

قصيدة في معرفة الأثر.

ولم يطبع من هذه الآثار إلا جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل.

باعزيز بن عمر

هو العلامة الجليل، والكاتب، والصحفي القدير، الأستاذ باعزيز بن عمر، رحمه الله، ولد الفقيد في قرية آيت حماد بأزفون ولاية تيزي وزو سنة ١٩٠٦ من أب فقيه وقف حياته لتعليم القرآن وتحفيظه لأبناء قريته عملا بقوله (ص): "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، كما كان محل تقدير واحترام سكان الجهة لما عرف به من الورع والصلاح والتقوى وفعل الخير والإصلاح بين الناس

حفظ المترجم القرآن الكريم على يد والده المذكور وتلقى مبادئ في علوم الفقه والعربية لينضم بعد ذلك إلى طلبة زاوية الشيخ عبدالرحمن اليلولي المشهورة بمنطقة جرجرة بنظامها وشيوخها الأعلام وأمهات الكتب التي كانت تدرس بها في الفقه والنحو والتفسير والحديث.

مكث في هذه الزاوية مدة طويلة كان فيها مثالا للجد والاجتهاد في طلب العلم والسهر على تحصيله. كما كان مضرب المثل في السلوك القويم والخلق الطيب والسيرة الحسنة، وبعد أن ملأ الوطاب بما لذ وطاب من مختلف العلوم والفنون تاقت نفسه إلى التتلمذ على الإمام المصلح الشيخ عبدالحميد ابن باديس، طيب الله ثراه فانتقل إلى قسنطينة لينخرط في سلك طلبة الشيخ الإمام حيث لازمه مدة طويلة أهلته إلى جامع الزيتونة المعمور.

بعد مدة عاد، رحمه الله، إلى الإتصال بالإمام ابن باديس لينضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مناضلا في صفوفها بقلمه ولسانه، فكان الصحافي البارع في كتاباته في . الشهاب . و. المرصاد . و. الشباب . و. البصائر . حيث كتب في مختلف المواضيع. ومن كلمة له في العدد الأول من جريدة البصائر الصادرة في ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ عنوانها . جريدة العلماء . نقتطف ما يلي: "كلمتان ما أحلاهما في المنطق، وأعذبهما في المسمع يتمثل بهما العلم في جلاله وصراحته والتفكير الصحيح في اتجاهه واتزانه، وتتجلى معهما لغة الضاد في حلتها البديعة الجميلة وبيانها الساحر الذي لا تزال تتخطى به أعتاب السنين من عهد الجاحظ إلى ما شاء الله لأداء رسالة الإسلام التي تسعها في كل عصر كاملة موفورة". وكان يوقع مقالاته هكذا: الفتى الزواوي.

قضى المترجم قريبا من الأربعين عاما في خدمة الصحافة. وقد فاقت مقالاته التي نشرت في مختلف المجلات والجرائد ٥٠٠ مقال حسبما رواه الأستاذ محمد الصالح الصديق حفظه الله. ومن مقال كتبه عن العروبة نقتطف هذه الفقرات:

"إننا لنشعر من قبل ومن بعد بدم العروبة يجري في عروقنا وهو صاف لم يمازجه كدر وان اختلف المظهر، ونسمع صوتها الحنين يرّن في آذننا فنفتح له الطريق إلى قلوبنا وأعماقنا. فالعروبة حية فينا ونحن أحياء فيها مادامت السماوات والأرض.

إن مستقبل العروبة بأيديكم يا شباب العرب والإسلام فكونوا لها من الحياة ولا تستهدفوها بسهام المغرضين الناقمين. ونعيذ العروبة أن تلد العقوق ويتقلب في حجرها من لا يحسن التعبير عن شعورها إذ انطق ولا يكون العقل لها إذا عمل، والتفكير في مصيرها إذا فكر" اهـ.

وقد عرفته مدرسة الشبيبة بالعاصمة معلما ومربيا وأستاذا يعلم الأجيال ويغرس فيهم حب الدين واللغة والوطن. ومن مميزات هذا الرجل العظيم حبه العميق للغة العربية التي كان شديد الاعتزاز بها والافتخار باستعمالها في مخاطبة الناس عامتهم وخاصتهم على السواء.

كان رحمه الله دمث الأخلاق، لطيف المعشر، مسالما، وديعا، لا يقابل إخوانه إلا باسم الثغر، طلق المحيا، وكان عذب الكلام، خفيف الروح.

رحمك الله أيها الفقيد العظيم وأسكنك فراديس جنانه.

بلهاشمي بن بكار

هو العلامة الجليل والفقيه الشهير بلهاشمي بن أبي بكر بن عبدالقادر بن بكار مفتي حاضرة معسكر ورئيس الجمعية الدينية والمدرِّس بها. يتصل نسبه، رحمه الله بالحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. نشأ في بادية غريس حيث أكمل حفظ القرآن الكريم تحت رعاية والده.

تاقت نفسه لتحصيل العلوم فشرع في حفظ المتون التي كانت متداولة بين الطلبة يومئذ كالأجرومية والقطر والألفية في النحو ولامية الأفعال في الصرف وابن عاشر والرسالة، ومختصر خليل في الفقه والجوهر المكنون ومتن الاستعارات في البلاغة ومتن أبي سعيد في الفلك، والسلم في المنطق والجوهرة والسنوسية في التوحيد والورقات في الأصول والخزرجية في العروض ومتن المقولات في الحكمة وغيرها.

أخذ العلم في مدينة معسكر عن ابن عمه الشيخ بلهاشمي بن الطيب، والشيخ عبدالقادر بن الصديق المفتي، والشيخ محمد بن الدايج، ثم انتقل إلى مدينة سيق حيث جاور في زاوية الشيخ الحاج علي ابن البشير وأخذ عن الشيخ الحاج المنور ولازمه مدة عشر سنوات وتلقى عنه شرح المتون المذكورة إلا ورقات إمام الحرمين في الأصول فقد أخذها عن الشيخ ابن حورة قاضي مدينة سيق، وتلقى الاستعارات عن العلامة الشيخ أحمد الحراشي.

وبعد إكمال دراسته بهذا المعهد المعمور أجازه شيخه الحاج المنور إجازة الأذن والشهادة بالنجاح في تحصيل العلوم وكان ذلك في الثاني والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٣٩ الموافق لأول ماي سنة ١٩٢١ وبعد تخرجه مكث خمس سنوات بالمعهد المذكور مدرسا وإمام جمعة.

عاد إلى مسقط رأسه في غريس الراشدية قرب مدينة معسكر ليلازم دروس ابن عمه العلامة النحرير والصوفي الشهير الشيخ عبدالقادر بن عبدالله صاحب الزاوية الدرقاوية بحي بابا علي في معسكر. وكان الشيخ المذكور يلقي دروسا في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن بين الذين كانوا يحضرون دروس الشيخ من علماء معسكر: الشيخ محمد بن الدايج والشيخ البشير الحسين والشيخ بلهاشمي بن الطيب والشيخ العربي بن عبدالله.

تقلب الشيخ بلهاشمي بن بكار رحمه الله في عدة مناصب دينية كالتدريس في مسجد سيدي علي الشريف بمعسكر وفي زاوية سيدي بن عبدالله السابقة الذكر وفي الجامع الأعظم كما تولى منصب الإفتاء مع خطبة الجمعة والإشراف على المساجد في منطقة معسكر وأخيرا شيخ الجماعة الإسلامية.

كان المترجم له تقيا ورعا متصوفا، فقد أخذ الطريقة الطيبية الوزانية الشاذلية وهي طريقة أسلافه عن الشيخ مولاي علي بن الشيخ عبدالسلام الوزاني الذي أذن له في تلقين أورادها ثم جددها عن ابن أخيه الشيخ مولاي الطيب بن الشيخ مولاي العربي رئيس زاوية وازان.

اشتغل الشيخ رحمه الله بالتآليف، ومن مؤلفاته نذكر ما يلي:

بلوغ الأمل في أدلة ما جرى به العمل.

عبرة الناظر في تاريخ الجزائر.

رَفْعُ الإشْكالِ و الْمِرا في حُكْمِ غَرْسِ العِنَبِ وبَيْعِهِ لِمَنْ يَعْصِرُهُ خَمْرًا.

نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة.

مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب.

وهذا الأخير كتاب قيّم مفيد، اطلعت عليه واستفدت من معلوماته.

كانت وفاته طيب الله ثراه في السنوات الأولى للاستقلال.

إدريس بن محفوظ الدلسي

هو العالم المتصوف الشيخ إدريس بن محفوظ الحسني الدلسي، ولد بمدينة بنزرت التونسية التي كان أهلها قد هاجروا إليها، وفيها حفظ القرآن الكريم ثم التحق بجامع الزيتونة حيث بقي به حوالي عشرين سنة متعلما ثم معلما إلى أن أجيز في التدريس فعاد إلى مسقط رأسه بنزرت حيث بقي بها مدرسا فتخرج على يده كثيرون.

للشيخ عدة مؤلفات منها: رسالة في الحساب، وأخرى في التصوف، وثالثة في أحوال الفعل المضارع. وكان الشيخ كثير النظم في مدح الرسول (ص) وآل بيته وبعض المنتسبين إلى الله، لأنه كان شديد الميل إلى علوم القوم المتصوفة وكان رحماني الطريقة وقد أخذ العهد عن الشيخ سيدي علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف الرحمانية المتوفي سنة ١٣١٨هـ.

وللشيخ إدريس قصيدة عصماء في مدح الشيخ الصوفي الكبير محمد بن عبدالرحمن الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية وهي قصيدة طويلة يقول في أولها:

ثِقْ بالمجيد الواحد المتعالى رب الورى ذي الطول والإجلال
وأنخ بساحة جوده سبحانه عمّ الأنام ببرّه المتوالى
واسلك مناهج رشده مستمطرا توفيقه في القول والأعمال
واضرع له في كل شأن لائذا لا تخش من سائر الأهول

إلى أن يقول:

تب وانكفف عن كل غيّ وامتثل متوسلا بالسيد المفضال
هو ذاك مشهور الكرامات العلا من صيتها قد شاع كالأمثال
تاج المعارف قطب دائرة الورى ذو المكرمات الخلوتي الحال
بدر الكمال الأزهري محمد غوث الورى في شدة الأوحال
في حي جرجرة مطالع شمسه أكرم به قد فاق عن أمثال
وبها مقدس رمسه وبجامّة قد صح نقلا عن سراة رجال
تلك المنازل منبع الفضل الّتي من جاءها قد فاز بالإقبال

الدراجي بن عبدالله الصولي

الشيخ الدراجي بن عبدالله الصولي من أعلام الجزائر المغمورين والذين كان لهم دور بارز في نشر العلم والمعرفة بين أبناء الجيل الماضي حيث تخرج عليه جمع من مشاهير العلماء أمثال الشيخ الصادق بلهادي، والشيخ علي بن إبراهيم وغيرهما.

كانت ولادته، رحمه الله، سنة ١٨٣٣م في الذيبية بنواحي عين الناقة دائرة سيدي عقبة حاليا، وبعد أن حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه انتقل إلى بلدة الخنقة المعروفة بخنقة سيدي ناجي وكانت آنذاك معقلا من معاقل العلم ومقصد الطلاب من كل الجهات بفضل وجود الزاوية الرحمانية بها. فتلقى دراسته على شيوخها الأعلام ونخصّ بالذكر منهم العلامة الجليل الشيخ المكي بن الصديق الخنقي رحمه الله.

بعد إنهاء دراسته بها اشتغل أول ما اشتغل عدلا بمحكمة تكوت في جبل أوراس حيث بقي مدة سبع سنوات، انتقل بعدها إلى محكمة سيدي عقبة برتبة باشا عدل ولكنه لم يلبث أن عزل من وظيفته لموافقة الجريمة ضد ابن قانة وتمرده على سلطته، فتفرغ للتدريس متطوعا في بيته وفي مسجد عقبة ابن نافع حيث أفاد الطلاب بدروسه المتنوعة في مختلف العلوم والفنون.

عين بعد ذلك إماما ومدرسا بمسجد سيدي بركات في مدينة بسكرة وبقي بها إلى أن وفاه الأجل المحتوم من سنة ١٩٢٠ فنقل جثمانه إلى بلدة سيدي عقبة حيث دفن بمقبرتها وذلك بطلب منه، رحمه الله.

كان الشيخ الدراجي، رحمه الله، مشاركا في كل العلوم والفنون من نحو وصرف وبلاغة وفرائض، وممن درس عليه، الشيخ علي بن عثمان دفين عنابة، والشيخ الهاشمي بلمبارك إمام مسجد عقبة، والشيخ محمد الصالح بلبكوش، رحم الله الجميع.

ولا نختتم هذه العجالة دون أن نشير إلى الشيخ أحمد بن الدراجي ولد صاحب الترجمة الذي كان من رجال الإصلاح ومن جنود جمعية العلماء المخلصين في مدينة بسكرة، رحمه الله.

الرزقي الشرفاوي الأزهري

العلامة المحقق الأستاذ ابن القاضي محمد الرزقي الشرفاوي الأزهري من بيت علم وفضل وصلاح، في قرية شرفاء بهلول التي ولد بها سنة ١٣٠٨هـ. تعلم وحفظ القرآن في زاويتهم المعروفة بزاوية شرفاء بهلول ثم انتقل إلى زاوية سيدي أحمد بن إدريس اليلولي ثم إلى زاوية سيدي عمر بن الحاج حيث درس النحو والفقه والتوحيد ومبادئ اللغة والحساب بعد أن أتقن القرآن حفظا

ورسما وتجويدا. ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة حيث درس على العلامة الكبير الشيخ عبدالقادر المجاوي وبعد عامين من ملازمة دروس الشيخ المذكور هاجر إلى أرض الكنانة ليحقق أمنيته في الالتحاق بالأزهر الشريف والدراسة فيه على كبار شيوخه أمثال الشيخ محمد بخيث المطيعي الذي أجاز الشيخ عبدالحميد بن باديس، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ العدوي، والشيخ الشنقيطي، والشيخ محمد الحملاوي.

وبعد إكمال دراسته وحصوله على الشهادة العالمية وأدائه فريضة الحج، عاد إلى أرض الوطن لينتصب للتدريس في معهد سيدي عبدالرحمن اليلولي في زاوية سيدي موسى تنيذار في سيدي عيش، حيث أخذ عنه الكثير من الطلبة وتخرج على يده جمع غفير من علماء وفقهاء وأدباء الجزائر.

توفي، عليه رحمة الله، يوم الأربعاء ١٢ محرّم سنة ١٣٦٤ ومن مؤلفاته: إرشاد الطلاب إلى ما في الآيات من الإعراب وبغية الطلاب في علم الآداب، والدروس الإنشائية لطلبة الزوايا الزواوية والرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية وهي رسالة في العمل بالربع المجيب والخلاصة المختارة في فضلاء زواوة. رحمه الله ورضي عنه.

سالم الأعرج السوفي

رئيس الطريقة الخلوتية بوادي سوف

هو الولي الصالح الشيخ الأعرج سيدي سالم بن محمد بن محمد بن نصر بن عطية بن الزايد بن سيدي المجدوب، دفين القيروان، حيث قبره محط رحال الزائرين من كل الجهات. أخذ الشيخ سالم الأعرج الطريقة عن الشيخ علي بن عمر الذي أخذها عن الشيخ محمد بن عزوز وهو أخذها عن الشيخ محمد بن عبدالرحمن باش تارزي تلميذ الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري مؤسس الطريقية الرحمانية. رحم الله الجميع.

ولد المترجم سنة ١١٨٦هـ من أم يقال لها مسعودة بنت رويحة وكان الشيخ علي بن عمر أوصاه ببناء الزاوية بعد أن أخذ عليه العهد وكان الشيخ سالم قبل اتصاله بالشيخ المذكور يعمل صياغا بالكاف بالجمهورية التونسية.

ومما يذكر أن الشيخ سالم زار الشيخ علي بن عمر ٥٥ مرة بطولقة وهذا رغم انعدام وسائل النقل المتوفرة لدينا اليوم. وهو رقم يدعو إلى الدهشة إذا قيس بصعوبة المواصلات.

توفي الشيخ سالم سنة ١٢٧٧هـ وترك ولدين وبنتا وهم: مصباح، ومحمد الصالح، ومسعودة. رحم الله الجميع. وقد تحدث العلامة: الشيخ إبراهيم بن عامر السوفي عن الشيخ محمد الصالح فقال أنه أتاه يوما في وقت القيلولة فقال له الشيخ محمد الصالح: إن الشيخ علي بن عثمان الطولقي قد انتقل إلى عفو الله. فظن الشيخ إبراهيم أن الشيخ تلقى الخبر عن طريق زائر أو عن طريق مراسلة ولم يخطر بباله أنه علم بذلك عن طريق الكشف. وبقي الشيخ إبراهيم يسأل عن خبر الوفاة فلم يجب عنه أحد حتى مضت ستة أيام بعد هذا التاريخ، شاع خبر الوفاة وذاع. وهي إحدى كراماته الكثيرة. رحم الله الجميع.

السعيد البهلولي الورتلاني

هو العلامة الجليل الشيخ محمد السعيد البهلولي الورتلاني، من أسرة علم وفضل وصلاح، يعود أصلها إلى شرفاء المرابطين، وقد كنا أشرنا فيما سبق إلى أصل هذه الكلمة وهو الرباط وإلى مكانة هذا في الإسلام.

كانت ولادة الشيخ سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٢م. ونشأ في كنف والده الشيخ محمد الطاهر البهلول الذي أخذ عنه القرآن الكريم رواية ودراية وهو ابن عشر سنين، ثم درس الفقه والنحو على الشيخ

يحي بن حمودي. كما درس البلاغة والمنطق والعروض والفلك والقراءات وعلم الكلام على الشيوخ: ابن رحاب، والسعيد بن الحريزي، ودرس الأصول والحديث والتفسير على الشيخين الجليلين: عبدالقادر المجاوي وحمدان الونيسي، قد أجاره جميعهم.

بعد إكمال دراسته كما ذكرنا انقطع الشيخ رحمه الله لخدمة العلم وأهله فقضى خمسين سنة من عمره الحافل بالصالحات في تعليم الناشئة. وتخرج على يده أعلام أجلاء كان لهم في مجال الدعوة إلى الإسلام والإصلاح دور يذكر فيشكر، أمثال الفضيل الورتلاني، والهادي الزروقي، والشهيد العربي شريفي وغيرهم كثيرين، وكان رحمه الله لين الجانب متواضعا زاهدا في زخارف الدنيا، يحب أهل العلم. فدرّس، رحمه الله، في الزاوية الزروقية في بني وغليس، ثم زاوية بني منصور في القبائل الكبرى، وأخيرا في زاوية سيدي موسى التي قضى بها بقية أيام العمر. دفن بجانب ضريح صاحب الزاوية، رحمهم الله ورضي عنهم. وكانت وفاته سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

السعيد أبو يعلى الزواوي

العالم الجليل والمصلح الكبير، الشيخ السعيد أبو يعلى الزواوي. ولد سنة ١٨٦٦ بقرية ايغيل زكري، نواحي أزفون، وفيها حفظ القرآن الكريم على والده الشيخ محمد الشريف الذي كان إماما ومعلما بها. ثم انتقل إلى زاوية الشيخ سيدي عبدالرحمن اليلولي الذائعة الصيت فانكب فيها على الدرس والتحصيل وكان من مشايخه فيها العلامة الفقيه الشيخ الصادق ابن زكري.

ومنها غادر أرض الوطن ليستقر بسوريا حيث واصل دراسته هناك واجتمع بكبار العلماء إلى أن تبحر في مختلف العلوم والفنون وأصبح له بين المثقفين مكان مرموق. وفي ١٩٢٤ يعود الشيخ إلى أرض الوطن لينصب إماما خطيبا بجامع سيدي رمضان بالجزائر وليتجرد لخدمة الوطن بقلمه ولسانه، وكان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لعب فيها دورا نشيطا حتى سمي بإمام المصلحين.

وكانت لهذا المصلح الكبير علاقات علمية وأدبية وفكرية بالكثير من الشخصيات سواء داخل الوطن أو خارجه. فقد كانت له مراسلات مع الأمير شكيب أرسلان، والإمام رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب. كما ربطته داخل الوطن علاقات حميمة مع بعض

شيوخ التصوف ونذكر في مقدمتهم الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي. رحمهم الله.

وقد توفي الشيخ السعيد في أول يونيو ١٩٥٢ بعد حياة عامرة بالصالحات، وقد ترك من المؤلفات: تاريخ الزواوة، والأمة العربية والإسلام الصحيح، وجماعة المسلمين، والخطب المنبرية. رحمك الله يا أبا يعلى ورضي عنك.

ومن المواقف المشرفة التي تسجل بكل فخر لهذا المصلح الكبير دعوته المستمرة إلى بعث التعلم العربي. فقد كان يدعو إلى إنشاء مؤسسة للتعليم العالي على شكل الزيتونة والقرويين بتونس وفاس، يقصدها الطلبة بعد إكمال دراستهم في الزوايا التي كان يطالب بإصلاح طرق التعليم بها وإضافة مواد علمية كثيرة تنقصها. وكان، رحمه الله، يرى وجوب اعتماد طريقة التدوين والكتابة في الزوايا وعدم اقتصارها على طريقة السمع وحدها لأنها أصبحت غير مجدية مع تقدم أساليب التعليم وتطورها.

ومما يسجل له أيضا وضع قلمه ولسانه في خدمة اللغة العربية والدفاع عنها واعتبار الجزائريين المتنكرين لها والراغبين عن تعلمها مرتدين ومارقين عن الإسلام، وفي ذلك يقول: "فقد تقدم لي القول في الجرائد وفي خطبتي الجمعية أن الذي يقدم أي

تعليم أفرنجي وهو عربي مسلم ويخلف أو يترك التعليم العربي الإسلامي فهو ليس بعربي ولا بمسلم، فمن قال بغير هذا فليس أيضا بعربي ولا بمسلم أو راض بتسليم لسانه وقرآنه وإسلامه.

سعيد قدورة

هو شيخ الإسلام الإمام أبو عثمان سعيد بن الحاج إبراهيم بن عبدالرحمن قدورة. ولد بمدينة الجزائر ولم يبلغ سن الرشد حتى توفي والده في ظرف أسبوع واحد سنة ١٠٠٢هـ. تعلم بالجزائر فأخذ فيها عن الشيخ محمد بن أبي القاسم بن اسماعيل المطماطي وغيره. ثم رحل إلى زاوية الشيخ البهلول المجاجي في نواحي تنس سنة ١٠٠٥هـ وكانت الزاوية المذكورة قبلة طلاب العلم لمااشتهرت به من دراسة مختلف العلوم الدينية واللغوية كالتفسير الذي اشتهر به شيخها محمد بن علي المجاجي، والحديث، والفقه، والأصول، والتوحيد، والفرائض، والمنطق، والبلاغة.

مكث المترجم له بالزاوية أربع سنوات يختلف إلى شيوخها إلى أن نكبت الزاوية في شيخها الذي قتل في ظروف غامضة فتأثر الطالب لموت شيخه ورثاه بقصيدة رائعة إن دلت على شيئ، فعلى باعه الطويل في القريض.

عاد سعيد قدورة إلى مدينة الجزائر ليدرس من جديد على أستاذه الأول الشيخ المطماطي الذي كان يومئذ مفتيا وإماما بالجامع الكبير فأخذ عنه مختصر خليل وابن الحاجب في الفقه والفرائض والتوحيد، ثم تاقت نفسه لمواصلة دراساته على شيوخ آخرين كانت لهم شهرة علمية واسعة، فتوجه سنة ١٠١٢هـ إلى تلمسان ليأخذ عن عالمها الكبير، الشيخ سعيد المقري عمّ صاحب النفح الطيب. وكان الشيخ المذكور يدرس في الجامع الكبير بتلمسان فأخذ عنه العلوم العقلية كالمنطق وغيره.

وانتقل الشيخ بعد ذلك إلى المغرب الأقصى الشقيق وكانت فاس محط رحال العلماء من كل حدب وصوب وكان جامع القرويين بها يعج بفطاحل العلم والمعرفة فحل بها قدورة ليتابع دراسته العالية، ومنها إلى فجيج وسجلماسة حيث كانت له مع علمائها لقاءات وأخص بالذكر منهم الصوفي الكبير، الشيخ أحمد بن عبدالله السجلماسي المعروف بأبي محلى الذي ثار من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستولى على سجلماسة ودرعة ومراكش وكانت وفاته سنة ١٠٢٢هـ وقد أخذ عنه الشيخ قدورة أثناء المدة التي أقامها عنده.

عاد قدورة إلى الجزائر سنة ١٠١٩هـ وهي السنة التي توفي فيها شيخه المطماطي فتولى الإمامة في جامع البلاط والخطابة في جامع سيدي رمضان ثم تولى الإفتاء والخطابة والتدريس بالجامع

الكبير بعد عزل الشيخ أحمد زروق بن عامر بن داود سنة ١٠٢٨هـ وبقي في هذا المنصب إلى سنة ١٠٦٦هـ تاريخ وفاته، رحمه الله ورضي عنه.

ومن أعماله التي قام بها خلال توليه منصب الإفتاء المالكي بالإضافة إلى وكيل أوقاف الجامع الكبير، قلت من الأعمال الجليلة التي قام بها، بناؤه زاوية بالقرب من الجامع عرفت باسم زاوية الجامع الكبير كما شيّد مدرسة لفقراء الطلبة والغرباء منهم.

تخرج على يدي الشيخ سعيد قدورة عدد كبير من أعلام الجزائر أمثال أبي مهدي عيسى الثعالبي، محمد بن عبدالكريم الجزائري، ويحي الشاوي الملياني، وعمر المانجلاتي وولده أبي عبدالله محمد وغيرهم. كما ترك عدة مؤلفات في مختلف العلوم والفنون نذكر منها على سبيل المثال:

شرح على متن السلم في المنطق للشيخ عبدالرحمن الأخضري، بالغ فيه ببسط العبارة فكان ذلك مما انفرد به كما ذكر المرحوم نورالدين عبدالقادر في صفحاته.

حاشية على شرح العقيدة الصغرى للسنوسي.

شرح خطبة مختصر خليل.

حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل.

نوازل تلمسانية.

رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو.

شرح الخزرجية في علم العروض.

يقول المؤرخ الجزائري الدكتور سعد الله: "كان يدرس لطلابه كتب ابن عطاء الله وكان يخلط العلم بالتصوف وقد دفن رحمه الله ورضي عنه بعد وفاته في زاوية المرابط أحمد بن عبدالله الجزائري عند أقدام شيخه المطماطي.

الشارف بن الجيلاني بن تكوك

فقيه من أهل التقوى ومن رجال التصوف المعروفين بنواحي مستغانم التي ولد بها سنة ١٨٠٣ وبعد أن نال حظه من العلم بمسقط رأسه هاجر إلى المغرب الأقصى بعد حادث وقع لأحد شيوخه ثم عاد إلى الجزائر حيث أسس زاوية تابعة للطريقة السنوسية سنة ١٢٧٦هـ قرب بقيرات وتوفي رحمه الله بزاويته. ومن أبنائه أحمد وهو فقيه زاهد تعلم في الزاوية السنوسية بالجغبوب بليبيا الشقيقة ثم عاد بعد وفاة والده إلى بقيرات لنشر الطريقة السنوسية. ولكن الفرنسيين قرروا نفيه فيمن نفوا إلى جزيرة كورسيكا ثم أذنوا له بالعودة إلى مسقط رأسه فأعاد فتح الزاوية التي أسسها أبوه قرب بقيرات وتوفي بها رحمه الله سنة ١٩٢٤.

وقد تحدث عنها إمام النهضة الإصلاحية الشيخ عبدالحميد بن باديس عند زيارته لها وأترك المجال لقلم الشيخ يصف لنا هذه الزيارة لزاوية الشيخ ابن طكوك: "لزاوية الشيخ بن طكوك في مستغانم وكيل بلغه أنني أرغب في الذهاب إلى الزاوية للتعرف بأهلها وتعريفهم بالجمعية ومقاصدها فجاءنا بالسيارة إلى النزل فامتطيناها إلى الزاوية في بوقيرات فتلقانا السيد الحاج مصطفى، أحد الإخوة الثلاثة، أصحاب الزاوية وشيخ الزاوية السيد عبدالقادر كان غائبا وأخوه الشيخ محمد كان متمرضا، فأكرم نزلنا وبتنا ليلة ودعناهم في صبيحتها وحدثناه عن الجمعية فأظهر ابتهاجا وقدم مائتي فرنك لإعانتها.

كما نزل الشيخ في زاوية الشيخ أبي عبدالله آل أبي عبدالله وصلى خلفه الجمعة وبات الشيخ والوفد المرافق له في ضيافة الزاوية، زار الشيخ زاوية الشيخ الأعرج بن الأحول شيخ الطريقة القادرية وتناول طعام الغداء على مائدته، وكانت للشيخ عبدالحميد بن باديس زيارة لزاوية غليزان واجتمع بشيخها مولاي أحمد الذي شهد له بأنه من شيوخ الزوايا الذين لهم رغبة

في نشر العلم وهداية الناس وسعة الصدر في سماع الحق وأدلته[1] ، كما زار الشيخ بمنطقة القبائل بعض الزوايا نذكر منها: زاوية سيدي عبدالرحمان اليلولي بجبل ايلولن قرب آقبو.

شعيب بن علي التلمساني

العلامة الفاضل الشيخ شعيب بن علي بن محمد بن فضل الله بن عبدالله بن خليفة البوبكري الجليلي التلمساني. من مواليد ١٨٤٣ بتلمسان وبها نشأ وتعلم. كانت له معرفة واسعة ومشاركة في مختلف العلوم والفنون.

ولي قضاء تلمسان وكان من أعضاء مجلس الشورى العلمي بها، مثل الجزائر وتونس في مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٩ بمدينة ستوكهولم عاصمة السويد.

له عدة تآليف نذكر منها: زهرة الريحان في علم الألحان، بلوغ الأرب في موسيقى العرب، المعلومات الحسان في مصنوعات تلمسان، الرجز الكفيل بذكر عقائد أهل الدليل. وقد شرح هذا

---

[1] أنظر الجزء الرابع من آثار ابن باديس رحمه الله، تتأكد من أن الرجل كان حقا داعية خير وإصلاح وتفاهم وتآخ بين كل فئات الشعب، ولم يكن أبدا داعية شر وتفريق بين الناس. رحم الله الجميع.

الكتاب الأخير العلامة الشهير محمد بن عبدالرحمن الديسي الهاملي، وقرظه الإمام محمد عبده تقريظا حسنا.

توفي، رحمه الله، سنة ١٩٢٨.

الصادق بن الحاج

هو المجاهد والبطل المغوار الشيخ الصادق بن الحاج الطاهر من عرش أولاد أيوب بجبل أحمر خدو الواقع جنوب جبل أوراس الصامد. لم نعثر على قيد لتاريخ ولادته من المراجع التي توصلنا إليها وحتى الأخ المجاهد الأستاذ محمود الوافي لم يتعرض لذلك فيما كتبه عنه. وكل ما عرفناه أنه نشأ في أسرة علم ودين وصلاح، فحفظ القرآن صغيرا ثم قصد زاوية الشيخ ابن عزوز ببرج طولقة فأخذ عن شيخها الصوفي المعروف سيدي محمد بن عزوز علوم الفقه والتفسير والحديث كما أخذ عنه الطريقة الرحمانية.

أسس زاويته في قرية لقصر بوصية من شيخه ابن عزوز فأصبحت في وقت قصير كعبة طلاب العلم وحفظة القرآن الكريم. وسمع بها القاصي والداني وطبقت شهرتها الآفاق، وحظيت بنفود روحي كبير في أوساط الجماهير الأوراسية.

قام بثورة كبرى ضد الاحتلال الفرنسي، جنّد لها كل الطاقات المادية والبشرية اللازمة واتصل بالعلماء في كل الجهات واستنفر

شيوخ الزوايا وراسل الشخصيات الدينية في الزيبان وأرسل إليهم مريديه وأتباعه يحثهم على الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حمى الوطن والوقوف صفا واحدا في وجه جيوش الاحتلال.

خاض عدة معارك تاريخية مشهورة مثل معركة امشونش ١٨٤٤، ومعركة وادي أبراز ١٨٤٩، ومشاركته الفعالة في ثورة الزعاطشة إلى جانب المجاهد البطل الشيخ بوزيان، ومعركة مطبق القنطرة في نفس السنة، ومعركة لمصارة نواحي الدروع، ومعركة هنقلين سنة ١٨٥٩. وهكذا ظل الشيخ الصادق بلحاج يجاهد ويقاوم المحتلين فلا يستريح من معركة إلا ليستعد لخوض معركة جهادية أخرى إلى أن ألقي عليه القبض سنة ١٨٥٩ وحكم عليه بالإعدام غير أن الحكم خفف من طرف نابليون الثالث ونقل إلى سجن الحراش حيث اختاره الله إلى جواره سنة ١٨٦٢ ونقل إلى جبل أحمر خدّو حيث وري التراب في قبر ماسين، رحمه الله ورضي عنه.

الصادق بن محمد بن الهادي

الشيخ الصادق بن محمد بن الهادي عالم وأديب أوراسي الأصل نسبة إلى جبل أوراس الأشم. ولد ببلدة سيدي عقبة سنة ١٨٦٩ في بيت من بيوت العلم بالبلدة المذكورة. فقد كان الشيخ عبدالحي

إماما بمسجد عقبة رضي الله عنه، وكان والده محمد من علماء البلدة.

بعد أن حفظ القرآن الكريم تلقى على والده وعمه المبادئ الأولى ثم أخذ ينتقل بين حلقات الدروس بالمسجد المذكور والتي كان يشرف عليها علماء أجلاء أمثال الشيخ البشير الصادق، وعبدالباقي بن سالم، ومحمد الصالح بن البكوش، والشيخ الدراجي، وكلهم من أعلام الجزائر ورواد نهضتها العلمية والإصلاحية.

ذهب إلى تونس لمواصلة دراسته بجامعها المعمور، ولكن ظروفا قاسية حالت دون ذلك فعاد أدراجه إلى مسقط رأسه بعد إقامة قصيرة بها، ليدخل معرك الحياة طلبا للرزق، فعين بمحكمة كونسين بوادي سوف سنة ١٩٠١ حيث بقي فيها سنوات لينتقل منها بعد ذلك إلى محكمة تقرت برتبة باش عدل حيث بقي بها مدة طويلة عاد إثرها إلى مسقط رأسه بمحكمة سيدي عقبة سنة ١٩٢٠ ويبقى في نفس المنصب إلى سنة ١٩٣٠ ليفصل عن المحكمة ويعين إماما بمسجد عقبة بن نافع رحمه الله ليتفرغ كليا للإمامة والتدريس لطلاب فيقرئ أمهات الكتب القيمة في التفسير، والحديث، والنحو، والفقه، والفرائض، والمنطق وغيرها من العلوم والفنون ونذكر من بين الكتب التي كان يقرئها للطلبة:

تفسير الجلالين.

تفسير جزء عم الإمام محمد عبده.

الموطا بشرح السيوطي.

الأربعين النووية.

شمائل الترميذي بشرح الشنواني على مختصر ابن أبي حمزة.

الشفاء للقاضي عياض.

الأنوار المحمدية للنبهاني

محمد المثل الكامل لجاد المولى.

رسالة القيرواني.

شرح البسط الرحبية.

اساغوجي بشرح الحربي.

من العروض والقوافي بشرح الدمنهوري الصغير.

الجزرية بشرح زكريا.

وغيرها من الكتب القيمة المفيدة.

وقد تخرجت عليه جماعة من العلماء والأدباء الذين لا يزال البعض منهم على قيد الحياة كالعلامة المحقق الشيخ عبدالمجيد حبة، حفظه الله.

كان الشيخ الصادق بلهادي إلى جانب علمه، أديبا يتذوق الشعر ويقوله في المناسبات ولعل الجرائد التي كانت تصدر آنذاك قد نشرت له بعض القصائد. ويمتاز شعره بالجودة وجزالة اللفظ وهذه أبيات من قصيدة طويلة بعنوان: الشعر مأدبة الأديب. وأعتذر مسبقا للقارئ الكريم مما يجده فيها من أخطاء قد يكون سببها رداءة الخط:

أسائل من يطارح بالنشيد
وهل في العصر مثلي من مجيد
وهل خود المديح تزف الا
لذى شرف طريق أو تليد
لمفضال عليم ألمعي
يفوق مجا فلاسفة الهنود
له همم فوق إلى المعالي
ويعشق ذكر مكرمة الخلود

إلى أن يقول

وإن الشعر مأدبة الأديب

إلا ليت العصور لناتي كي

موائل عصر جعفر والرشيد

ومعتصم ومجر الذي قبل

معاوية هشام والوليد

ولا يفوتني في ختام هذه العجالة أن أسجل الرحلة التي قام بها سنة ١٩١١ والتي قادته أولا إلى زيارة الحرمين الشريفين والبيت المقدس وبعض عواصم المشرق العربي ليعرج بعدها على تركيا وفرنسا وإيطاليا ثم يعود بعدها إلى الوطن.

توفي الشيخ الصادق بلهادي في ٢ جوان ١٩٣٩ ببلدة سيدي عقبة ودفن بها، رحمه الله.

الصادق حماني

هو العالم الفاضل والمربي القدير الأستاذ الصادق حماني من رجال الفكر والعلم والأدب والإصلاح. ولد في ٢٠ فيفري من عام ١٩٢٠ بالبليدة حيث حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمدينة قسنطينة للانضمام إلى طلبة الإمام عبدالحميد بن باديس في الجامع الأخضر وذلك سنة ١٩٣١.

وبعد ثلاث سنوات يلتحق المترجم في سنة ١٩٣٤ بتونس لينتسب إلى طلبة جامع الزيتونة الذي تخرج منه عام ١٩٤٠.

عاد، رحمه الله، إلى أرض الوطن ليدخل معركة التربية والتعليم حيث علّم في مدارس جمعية العلماء المسلمين وأسندت إليه إدارة مدرسة التربية والتعليم التي كانت أول مدرسة أسسها الإمام ابن باديس رحمه الله. فأحسن إدارتها، وأدخل عليها من الإصلاحات في برامجها، ما جعلها تواكب العصر في تقدمه وتطوره.

وفي عهد الاستقلال عيّن مديرا لثانوية حي المكي بقسنطينة ثم مفتشا عاما في ولايات الشرق الجزائري فكان في كل ذلك مثالا للجد والإخلاص وأداء الواجب على أكمل الوجوه.

تعرض في ثورة التحرير للسجن والتعذيب وكل أنواع المضايقات التي تعرض لها المخلصون من أبناء هذا الوطن. عرفته، رحمه الله، دمث الأخلاق، لطيف المعشر، وديعا مسالما.

توفي في شهر مارس من سنة ١٩٨٣، رحمه الله وطيب بالمغفرة والرضوان ثراه.

الصالح الصمغوني

من رجال العلم والدين والصلاح الذين هاجروا إلى الشام سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م، الشيخ الصالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم الصمغوني الخلوتي، المولود عام ١٨٢٥م، بوغليس بمنطقة القبائل، وفيها شب وترعرع وحفظ القرآن الكريم وتلقى معلوماته في زواياها.

ومن شيوخه البارزين الذين أخذ عنهم: الشيخ المهدي السكلاوي اليراكني شيخ الطريقة الرحمانية وتلميذ الشيخ علي بن عيسى الذي تتلمذ على الشيخ محمد بن عبدالرحمن القشطولي الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية.

هاجر المترجم إلى الشام واستقر بها وطاب له المقام فيها وتوفي بدمشق سنة ١٨٦٨ ودفن بمقبرة الباب الصغير. ترك من التصانيف العلمية:

رسالة في اختلاف المذاهب.

رسالة في علم الميقات.

منظومة في الفقه وله عليها شرح وحاشية.

تاريخ على طريق الرمز والإشارة وصل فيه إلى ذكر ولاية رشدي باشا الشرواني على الشام.

رحمه الله ورضي عنه.

الصديق بن طالبي

الشيخ الصديق بن طالبي من مواليد ١٩٠٦ في قرية فريحة من قرى بني ورتيلان ولاية سطيف. وفيها شب وترعرع، وتلقى تربيته وتعليمه، وحفظ القرآن الكريم على شيوخها الكثيرين ونخص بالذكر منهم: الطاهر واعمر. محمد واعلي، عبدالله وحليل. الشريف ايزمران، علي بشاخ، ثم انتسب لزاوية الشيخ عبدالرحمن اليلولي المعروفة بنواحي عزازقة وهي من معالم العلم والمعرفة فلازم فيها العلامة الجليل الشيخ السعيد البحيري مدة ثلاثة سنوات، عاد بعدها إلى مسقط رأسه حيث تفرغ للتعليم والإمامة.

كان المترجم على اتصال دائم بالعلماء العاملين في ميادين الإصلاح والتدريس أمثال: فضيل الورتيلاني، والمولود الحافظي الأزهري، ويحي بن حمودي مفتي الجهة، وسعيد بن بهلول وغيرهم، وقد شاركهم في نشاطاتهم المختلفة واستفاد منهم. وبعد مضايقات تعرض لها من طرف قايد المنطقة بسبب مواقفه الرافضة لأي تعاون معه، غادرها سنة ١٩٤٥ ليحط الرحال بقرية بئر

قاصدعلي التي استقر بها معلما، وواعظا، ومرشدا. كما كان خلال هذه الفترة من العاملين ضمن حركة النهضة الإصلاحية التي كانت تقودها يومئذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فتعرف على زعمائها الأفذاذ، أمثال: الطيب العقبي، والبشير الإبراهيمي، وعبدالحميد بن باديس، والسعيد الصالحي وغيرهم.

وبالإضافة إلى نشاطه التعليمي الذي استمر عدة سنوات، تخرج على يده، خلالها، العديد من رجال العلم والمعرفة، فقد تعرض الشيخ خلال حرب التحرير للسجن والنفي والتعذيب ككل أبناء الجزائر الأحرار، وكان على اتصال وثيق خلال فترة الثورة بالمجاهد الراحل الأستاذ يوسف يعلاوي، رحمه الله.

وهكذا، وبعد حياة مليئة بالجد والعمل الصالح من أجل البلاد والعباد، وافته المنية يوم ٢٢ أفريل ١٩٩٤ بعد أن عاش مع القرآن ومات وهو يتلو القرآن كما قال حفيده عبدالله آيت اعراب رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

الصالح بن الموفق

هو العلامة الجليل الشيخ الصالح بن عبدالقادر ابن الموفق، المولود سنة ١٨٦٠. حفظ القرآن الكريم على الشيخ العربي بن المباركي السريغي، وأخذ العلوم العربية والدينية عن العلامة

الكبير الشيخ عبدالقادر المجاوي في المدرسة الرسمية بقسنطينة ثم بالمدرسة الثعالبية بالجزائر. كما تتلمذ على الشيوخ: المكي بن عزوز، وعبدالله المستغانمي، وحسين بن محمود بن السوداني.

عرفته مساجد وزوايا مدينة قسنطينة مدرسا حيث انتفع به الكثير من الطلاب ثم انتقل إلى وظيفة القضاء فعمل في سكيكدة والقنطرة والذرعان والحروش وأولاد رحمون وقصر الطير والميلية والخروب حيث تقلد مناصب. عدل. باش عدل. وأخيرا قاضي إلى أن أحيل على التقاعد سنة ١٩٣٦.

للشيخ الصالح بن الموفق عدة مؤلفات نذكر منها:

كتاب في التوحيد على طريقة السؤال والجواب.

مختصرمختصر شرح السوسي في الفلك.

شرح الخزرجية.

شرح على القطر.

شرح الأجرومية.

رسالة في المجاز المرسل.

القول الراجح بالعمل المصيب في الفرائض والكسور والجبر والوصايا بالنصيب.

شرح الياسمينة في الجبر والمقابة (في علم الميراث).

وقد قرظ هذا الكتاب جماعة من كبار العلماء وذلك لقيمته العلمية في هذا الباب.

توفي الشيخ الصالح بن الموفق، رحمه الله ورضي عنه، في قسنطينة في شهر أوت سنة ١٩٤١.

الطاهر الجزائري

الشيخ الطاهر بن الصالح الصمغوني الذي سبقت ترجمته هو علامة الشام وشيخ علمائها. ولد بدمشق سنة ١٨٥٢ وتعلم بها وأخذ عن كبار علمائها، أتقن أكثر اللغات الشرقية كالعربية والتركية والسريانية والفارسية والحبشية.

تقلد العديد من المناصب في مبادئ العلم والمعرفة فقد عين مفتشا للمدارس ومديرا لدار الكتب الظاهرية وعضوا في المجمع العلمي العربي واشتهر، رحمه الله، بمعرفته بالكتب ومؤلفيها وأماكن وجودها.

ترك العديد من المؤلفات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: إرشاد الألباء إلى طريق تعليم الآلف باء. تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز. التقريب لأصول التعريب. الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام. مراقي علم الأدب.

توفي، رحمه الله بدمشق سنة ١٩٢٠.

الطيب بن مبروك اليحياوي

الأستاذ العلامة الطيب بن مبروك من مواليد ١٨٧٣ في قرية مرسط في ولاية تبسة. حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ثم التحق بزاوية سيدي عبدالله بن الهوامر فأكب فيها على حفظ المتون المختلفة في النحو، والفقه، والتوحيد كالأجرومية. والقطر، والألفية. وخليل. والجوهرة. ومن شيوخه في هذه الزاوية: سيدي معمر بن عبدالله شيخ الزاوية، والعلامة المعروف الشيخ المكي بن عزوز الذي نزل ضيفا يومئذ على الزاوية وألقى بها عدة دروس.

ثم انتقل إلى قرية العوينات التي أسس بها مدرسة قرآنية بجوار مسجد القرية وأصبح يشغل مهمتي تعليم القرآن والإمامة في المسجد المذكور. ولكن هذا الرجل الطموح لم يقنع بذلك فعقد العزم على التوجه إلى تونس لمواصلة دراساته العلمية وهكذا، وفي سنة ١٩١٣ يحل بجامع الزيتونة حيث يمكث أربع سنوات يحصل بعدها على شهادة التطويع في العلوم.

شغل بعد تخرجه منصب عدل مبرز بتونس وذلك ابتداء من ٢٨ جانفي ١٩١٩. غير أنه يعود إلى أرض الوطن سنة ١٩٢٣ في ظروف

غامضة ويستقر بمدينة تبسة حيث ينتصب للوعظ والإرشاد بالإضافة إلى دروس كان يلقيها على مجموعة من الطلبة وكان من تلاميذه في تلك الفترة المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ مالك بن بني، رحمه الله.

ومن نشاطه في تلك الفترة أنه قام بجمع التبرعات وأرسالها إلى الشعب الطرابلسي المنكوب، كما قام سنة ١٩٣١ في مدينة عنابة بتأسيس جمعية مكافحة الكحول التي كان لها الأثر الطيب في أوساط المواطنين كما قام بتأسيس مدرسة ومسجد في مسقط رأسه وانتصب للتدريس بهما وأنشأ نهضة علمية كان من ثمارها إرسال بعثات إلى الزيتونة وإلى قسنطينة لمواصلة الدراسة بهما.

كان الشيخ الطيب رحمه الله معجبا بعبدالكريم الخطابي والشيخ الحداد، حارب التبشير والتجنس والشعوذة، وكان يحب رجال الطريقة الرحمانية ويرى الخير في الزوايا التي تعلم القرآن وتنشر الوعي الإسلامي في أوساط الجماهير، وكان على اتصال وثيق بحزب الشعب.

ومن كلماته الخالدة وهو يتوجه إلى الجماهير في دروسه: "إذا أردتم العيش أحرارا فموتوا، فليس أفضل من الموت في سبيل الله". وكان يرى في لبس القبعة تشبها بالنصارى ويقول: "من تشبه

بقوم حشر معهم"، وكان يقول: "ألبسوا الطربوش لتتميزوا عن الكفار ولا تذوبوا فيهم".

وكان على اتصال بالإمام ابن باديس الذي تعرف عليه في تونس، وكان يشاطره الرأي إلى أنه يرى في الإصلاحات التي تطالب بها جمعية العلماء إدماجا وهو ضد الإدماج، وكان يقول أن جمعية العلماء تريد البعض، والشعب يريد الكل، أي الإستقال.

من مؤلفاته: شرح منظومة العوام، ورسالة الاستعاذة لمولد الرسول (ص)، وسراج المشكاة في جواز القراءة على الأموات.

كانت وفاته، رحمه الله ورضي عنه، في ١٨/١٠/١٩٥٢ بمسقط رأسه.

عاشور بن محمد الخنقي

العلامة الجليل الشيخ عاشور بن محمد الخنقي نسبة إلى خنقة سيدي ناجي المعروفة في التراب الشرقي من ولاية بسكرة. وتنسب هذه البلدة إلى الشيخ الصالح الورع المبارك بن قاسم بن ناجي الحسنى الإدريسي الذي اختطها فيما بين القرنين العاشر والحادي عشر الهجري (١٥-١٦م). وفي هذه البلدة الطيبة التي اشتهرت بعلمائها وفقهائها، ولد المترجم له يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر صفر الخير عام أربعة وستين ومائتين وألف هجري

الموافق لـ ١٨٤٧م وفيها شبّ يتيما، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة.

انتقل إلى مدينة نفطة بالجريد التونسي وانضم إلى الزاوية الرحمانية بها والتي كان على رأسها الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي، فأخذ عن جماعة من كبار علمائها أمثال: شيخها المذكور، وصهره الشيخ محمد المدني بن عزوز، والشيخ إبراهيم بن صمادح وغيرهم. وبقي بالزاوية المذكورة قرابة العشر سنوات عاد بعدها إلى الوطن سنة ١٨٧٠ واستقر بمدينة قسنطينة مدرسا بمساجدها وزواياها وفيها التقى بالمجاهد الثائر الشيخ محمد بلحداد وكانت له معه مذاكرات ومناقشات علمية مفيدة، كما تعرض أثناء إقامته بها للسجن والنفي.

كما درّس الشيخ عاشور في زاوية الهامل بنواحي بوسعادة، وقد لقي من شيخها المغفور له، محمد بن أبي القاسم وابنته من بعده التقدير والإكرام.

من مؤلفاته، كتابه المشهور، منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف. الذي أحدث ضجة كبيرة وأثار الخصومة بينه وبين العلامة الشيخ الصالح بن مهنا.

توفي بقسنطينة سنة ١٩٣٨ ودفن بمقبرتها، رحمه الله ورضي عنه.

ومن شعره هذه القصيدة في الرد عن الشيخ محمد ابن السماتي الجلالي والدفاع عن الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، شيخ زاوية الهامل، رحم الله الجميع.

عجبا لابن السماتي الجهول ولمن وافقه فيما يقول

لجناب المرتضى غوث الورى الشريف الحسني ابن البتول

الرضى الداعي إلى الله على قدم الأفضال من كل رسول

شيخ أهل الوقت علما وهدى صاحب التربية الكبرى الوصول

قطب أهل الله في ديوانهم صاحب التصريف في كل الفصول

نعمة الله على كل الورى حيوان وجماد وعقول

رحمة الله لنا لولاه ما نظر الله إلينا بالقبول

الكريم ابن الكريم ابن الكرام أمان الأرضى أشراف الأصول

الهمام ابن أبي القاسم من همل الهامل منه بالعدول

من كبار الفضلا والعلما منه القراء والقوم الفحول

ومن استعبد هذا ياته فيرى أكثر من هذا المقول

بل لوان الأنبيا ما ختموا قال رائية: نبي أو رسول

وعلى أمثال هذا يعتدى يا عبد الله بالهجر الفضول

أم يرى تعبير من يمدحه طمعا في فضله عبدا عقول
أنا عاشور وحسان مدا ئحه ما دام لي عمر يطول
سلم من سالمه في أمره حرب من حاربه فيما يقول
ما به عيّرتني من طمع فيه فخر عظيم لا يزول
فهو باب المصطفى والمصطفى باب رب العرش من عنه يحول
أو ما تدرون يا حزب السما تي أن ليس لدعواكم قبول
أو يعمى بعماكم سائر الـ خلق عن شمس الضحى صحوات تحول
لا ولكن إن جهلتم قدره عرّفوكم أهل ضعف في العقول
كخفافيش الدجى تضعف عن رؤية الشمس فتجنبوها فضول
أو كجملان الخلا تقتلها قوة الطيب وتحييها الزبول
وإذا كنتم على علم به عرّفوكم أهل حسد وغلول
سقط الوعظ لكم منا ولا يدفع النذل سوى مرّ العقول
أنا مغيار عليه لم أزل صخرة الوادي عليكم لا تزول
من يساجلني يساجل شاعرا يضع الأعراض في أنياب غول
فانتهوا وأتوه خيرا أنه من أتاه تائبا يحظ القبول
وإذا لم تنتهوا عن غيكم فهو ذو عفو وصفح لا يحول

لا يجازي الشر شرا وله … معكم أسوة خير بالرسول

مع إضراب أبي جهل ومن … أسوة فيه لكم كابن سلول

أو ما يعلم منكم أحد … أن لحم الأولياء سمّ قتول

يبتلى صاحبه بين الورى … أبدا بالمقت أيان يحول

ليس هذا غير لوم لمتكم … إن تشاهيتم تشاهى ما أقول

وإذا عدتم أتتكم بعده … فاضحلت مع بوق وطبول

فاتقوا الله عباد الله في … أولياء الله أحباب الرسول

قد يغاران عليهم غيرة … تدع الجبار رهنا في الكبول

فاحذروا قهرهما لا سيما … مع قطب الأولياء ابن البتول

عبدالرحمن باش تارزي
القسنطيني الرحماني

الصوفي الكبير والمربي الشهير الشيخ عبدالرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش باش تارزي الجزائري، منشأ، القسنطيني دارا. وهو تلميذ الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري صاحب

الطريقة الرحمانية المعروفة، وهو صاحب الزاوية الرحمانية بمدينة قسنطينة، وقد أشرنا إليها فيما سبق.

كان، رحمه الله، من العلماء الصالحين. ومن مؤلفاته ـ عمدة المريد في بيان الطريقة، ومنظومة الرحمانية التي أشرف على تصحيحها الإمام الكبير عبدالحميد بن باديس، رحمه الله، وقد شرحها ابنه مصطفى باش تارزي. وله أيضا ـ غنية المريد شرح نظم مسائل التوحيد. وهي ٤٥ مسألة وفي شرحها من التحقيق ما يدل على أن الشيخ يتكلم عن بصيرة وعلم لدنّي.

وقد تحدث عنه العلامة الشيخ سيدي محمد بن الحاج محمد الهاملي في كتاب ـ الروض الباسم في ترجمة الأستاذ سيدي محمد بن أبي القاسم، فوصفه في الكتاب المذكور بصاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الفاخرة والحقائق الباهرة والعلوم اللَدنية والمعاني النورانية، إلخ.

وهو ناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة، توفي، رحمه الله، سنة ١٢٢١هـ الموافق لـ ١٨٠٦م.

عبدالرحمن الثعالبي

هو العلامة المجتهد والإمام القدوة الشيخ عبدالرحمن الثعالبي المولود سنة ١٣٨٤م بنواحي وادي يسّر. ويتصل نسبه

بعبدالله بن جعفر بن أبي طالب عم الرسول (ص). درس في بلده وفي بجاية حيث تتلمذ على أبي القاسم المشدالي، وعلي بن عثمان المانجلاتي، وأحمد النقاوسي وغيرهم. ثم انتقل إلى تونس وأخذ فيها عن الإمامين: الأبّي والبرزلي، ومنها إلى مصر حيث أخذ عن والي الدين العراقي وأبي عبدالله البسطامي ثم دخل بلاد الترك حيث أقيمت له في بلدة بورصة زاوية لا تزال موقوفة عليه إلى أيامنا هذه.

ثم قصد البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ليعود بعد ذلك إلى تونس ويلازم بها العلامة ابن مرزوق الحفيد التلمساني الذي أجازه وأثنى عليه كثيرا كما أجازه غيره من أئمة العلم وكلهم وصفه بما هو أهل له من العلم والنبل والبركة والصلاح والزهد.

عاد الشيخ بعد هذه الرحلة العلمية إلى أرض الوطن ليتفرغ لنشر العلم ووعظ الناس وإرشادهم والتجرد للتأليف والعبادة وقد تخرّج على يده طائفة من أئمة العلم مثل الشيخ أحمد بن يوسف السنوسي، والشيخ أبي الحسن علي التالوني، والشيخ أحمد زروق، والشيخ محمد المغيلي التلمساني، والشيخ سيدي أحمد بن عبدالله الزواوي، والشيخ ابن مرزوق الكفيف وغيرهم.

كان رضي الله عنه عابدا زاهدا ورعا، حكى عنه تلاميذه ما يدل على صلاحه وولايته واقتدائه بالسلف الصالح لهذه الأمة. ولي

القضاء مكرها ثم ابتعد عنه، خطب بالجامع الكبير بالجزائر العاصمة، ترك من التآليف كتبا قيمة منها: كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه، وجامع الهمم في أخبار الأمم، وجامع الأمهات في أحكام العبادات، والإرشاد في مصالح العباد، ورياض الصالحين، وإرشاد السالك، وجامع الخيرات وغيرها.

توفي، رحمه الله، يوم الجمعة ٢٣ رمضان المعظم سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧١م ودفن بجبانة الطلبة حيث يوجد ضريحه المعروف اليوم في مدينة الجزائر، رحمه الله ورضي عنه[1] .

عبدالرحمن النعاس

ولد الشيخ الفاضل سيدي عبدالرحمن النعاس بوادي زاغر عام ١٢٤٢هـ الموافق لعام ١٨٢٢م. نشأ، رحمه الله، في كنف والديه يسهران على تربيته وتأديبه. تعلم القرآن الكريم على والده فحفظ منه ما تيسر، انتقل إلى الزاوية المختارية ببلدة أولاد جلال

---

[1] تاريخ الجزائر العام لعبدالرحمن الجيلالي.

حيث التقى بالشيخ المختار مؤسس الزاوية وشيخها الجليل فأخذ عنه واستفاد من لقائه.

أسس زاويته المعروفة إلى يوم الناس هذا بحوش النعاس بالجلفة وقد تخرّج من هذه الزاوية رجال علماء أتقياء عرفوا بالفضل والصلاح. ومما يذكر عن أخلاق المترجم أنه كان لا يضحك القهقهة ولم يكن ضحكه إلا تبسما ولم يثبت عنه أنه اتكأ أو مدّ رجليه في مجلس وذلك حتى في أيام عجزه وشيخوخته، ولم يصح عنه أنه أخر وقت الصلاة وكان مجلسه حافلا بالمواعظ والحكم والترغيب والترهيب، ولم يؤثر عنه أنه ذكر أحدا من المسلمين بشر. فكان لذلك محل احترام وتقدير الناس.

توفي، رحمه الله، سنة ١٣٢٧هـ الموافق لـ ١٩٠٧م.

عبدالرحمن الوغليسي[1]

الفقيه الأصولي المحدّث المفسّر عمدة أهل زمانه، أبو زيد عبدالرحمن بن أحمد الوغليسي، شيخ الجماعة في بجاية، تلامذته علماء أجلاء مشهورون وتآليفه كثيرة منها: الجامعة في

---

[1] بقلم الشيخ محمد السعيد بن زكري نقلا عن تعريف الخلف للحفناوي.

الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك، وتسمى الوغليسية نسبة إلى بني وغليس. توفي في تربته المشهورة في أواخر القرن الثامن وعلي قبره قبة ظاهرة. وبينه وبين سيدي عيش نحو ميل، قال العارف سيدي عبدالرحمن الثعالبي في تفسيره ـ الجواهر الحسان ـ عند قوله تعالى: الا إلى الله تصير الأمور ما نصه: "رحلت في طلب العلم أواخر القرن الثامن ودخلت بجاية أوائل القرن التاسع، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم، أصحاب سيدي عبدالرحمن الوغليسي متوافرين، فحضرت مجالسهم" اهـ، رحمه الله ورضي عنه. ويقول ابن الخطيب القسنطيني: توفي سنة ٧٨٦هـ ببجاية.

عبدالعالي بن داود الأخضري

العلامة الجليل والأصولي الكبير الشيخ عبدالعالي بن داود الأخضري سليل الأسرة الأخضرية المعروفة بالعلم والدين والصلاح، والتي يكفيها أن يكون من بين أبنائها العلامة المعروف الشيخ عبدالرحمن الأخضري قدس الله روحه، صاحب المؤلفات العديدة، والتي داعيتها من المشرق والمغرب والذي يوجد ضريحه ببلدة بنطوس دائرة أولال ولاية بسكرة.

درس الشيخ عبدالعالي بن داود الأخضري في جامع الزيتونة الذي تخرج منذ العشرينات من هذا القرن. ففي ١٩٢٦ حين زار الشاعر الفحل والأديب المعروف الشيخ الهادي السنوسي رحمه الله تونس، أقامت له جمعية قدماء الصادقية حفلا بهيجا تكريما له واحتفاء بكتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر[1]) وكان المترجم له من بين الخطباء في هذه المناسبة.

ومما جاء في كلمته، قوله: أحييكم أيها السادة، وأشكركم على عنايتكم السامية بالأدب الجزائري، وأخص من بينكم ذلكم الأديب النشيط صاحب كتاب شعراء الجزائر من العصر الحاضر، فهو الذي لولاه ما كانت لأقف فيكم موقفي هذا، وإني لأحمد الله على هذه الفرصة التي مكنتني منه وهي إحدى حسنات الدهر التي أسجلها له في صميم الفؤاد، وإني لمغتبط بهذه الوصلة المحمة، والترابط المتين بين أبناء الشقيقتين، تونس والجزائر الذين شعروا بمسيس الحاجة إلى التراكن والاتفاق لحماية جانب لغة القرآن الحكيم. وما كنت وأنا في أحل موقف لأتمهل في الهتاف باسم ذلك المعلم الكبير منشئ هذه الرابطة المقدسة ومطلع شمس النهضة الجزائرية فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالحميد

---

[1] عن كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر للهادي السنوسي.

بن باديس، أحياه الله للجزائر، فما كان من فضل من ذلك فإليه مرجعة"اهـ.

بعد إنهاء دراسته بتونس وعودته إلى أرض الوطن، انتصب للتدريس بالجامع الأخضر بطلب من الإمام ابن باديس كما أفادني بذلك الشيخان حمزة بوكوشة.

عمل بعد ذلك كاتبا في المحكمة الشرعية بمدينة قسنطينة مع القاضي الشيخ محمد بن الساسي الذي عيّنه بالإضافة إلى ذلك إماما بجامع سيدي الكتاني بصفته رئيسا للجمعية الدينية ومفيتا حنيفا. وبعد وفاة الشيخ ابن الساسي، عين الشيخ عبدالعالي الأخضري مكانه مفتيا حنيفا.

وحين قام الشيخ عمر بن الحملاوي بفتح المعهد الكتاني عيّن الشيخ عبدالعالي مديرا ومدرسا به مع نخبة من العلماء الأجلاء أمثال: الشيخ المهدي شغيب، والشيخ الطاهر بن زقوطة، والشيخ عبدالحفيظ بن الهاشمي وغيرهم.

للشيخ عبدالعالي الأخضري مؤلفات مخطوطة في الفقه والأصول والتاريخ، رحمه الله بواسع رحمته وغفر لنا وله[1] .كانت وفاته في سنة ١٩٥٨.

عبدالعزيز الثعالبي

من رجال العلم والسياسة ومن أعلام الحركة الوطنية بالمغرب العربي. أصله من الجزائر، من الثعالبة المعروفين بنواحي يسّر قريبا من الجزائر العاصمة. ولد بتونس الشقيقة سنة ١٨٧٦ وفيها تلقى تعلمه وأنهى دراساته.

من مناضلي حزب تونس الفتاة، تعرض للسجن من طرف الفرنسيين لمواقفه الوطنية ومطالبته بحرية الوطن واستقلاله. أنشأ جريدة ـ سبيل الرشاد ـ ورأس حزب الدستور الذي أسسه مجموعة من رفاقه. زار العديد من بلدان العالم: فرنسا، والهند، والقسطنطنية، ومصر، وسوريا، والعراق، والحجاز.

---

[1] أفادني بهذه المعلومات الشيخ المهدي بن شغيب أثناء جلسة معه في بيته بقسنطينة.

من مؤلفاته: تونس الشهيدة - حياة محمد (ص) - روح القرآن
..توفي، رحمه الله، سنة ١٩٤٤.

عبدالقادر الموهوب المدكالي

من أعلام الجزائر وعلمائها الأجلاء، ولد ببلدة مدوكال حوالي ١٨٦٠ وتعلم في كتاب البلدة ثم انتقل إلى الزاوية العثمانية بطولقة حيث حفظ القرآن وتلقى دراسته على شيوخها. ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس، ومنه إلى الأزهر الشريف بمصر حيث جاور مدة طويلة.

عاد إلى أرض الوطن ليواصل التدريس في العديد من المدن مثل بريكة، ومدوكال، وقصر الطير، وقسنطينة. وفي سنة ١٩١١ هاجر إلى المدينة المنورة ومنها إلى دمشق حيث انتصب بالتدريس وتفرغ للتآليف وقد تخرج على يده عدد كبير من أعلام سوريا.

توفي، رحمه الله، يوم الثلاثاء ١٦ محرم الحرام من سنة ١٣٥٥هـ الموافق لـ ١٩٣٦م، رحمه الله ورضي عنه، وقد كتبت عنه صحف المشرق يومئذ مشيدة بعلمه ومنوّهه بما عرف به من الفضل والتقوى والصلاح.

عبدالقادر بن محي الدين[1]

قائد المقاومة الوطنية

هو الأمير عبدالقادر بن محي الدين بن مصطفى بن المختار الغريسي المولود في رجب سنة ١٢٢٢هـ ببلدة القيطنة التي اختطها جده، وهو ثاني أبناء والده ووالدته السيدة الزهراء بنت السيد عبدالقادر بن دوخة الحسيني. ترعرع، قدس الله سره، في حجر والده، وحفظ القرآن الكريم في زاويتهم العامرة، وأخذ العلم عن أعلام وقته. وفي سنة ١٢٣٦هـ سافر إلى وهران لمواصلة دراساته فمكث هناك حتى برع في كل الفنون.

وفي سنة ١٢٤١هـ سافر من وهران رفقة والده قاصدين البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج. وبعد أداء المناسك، حلا بمدينة دمشق لزيارة الصلحاء والاجتماع بالعلماء فيها، فأخذ عن الإمام الشيخ خالد المجدوي صاحب الطريقة النقشبندية. ومنها قصد إلى بغداد حيث أخذ الطريقة القادرية على الشيخ محمود الكيلاني. ثم رجع إلى الشام ومنها إلى بيت الله الحرام مرة أخرة

---

[1] عن كتاب الحسب والنسب للشيخ بلهاشمي بن بكار.

ليعود عن طريق البر إلى بلدته في السنة الثالثة والأربعين بعد المائتين.

وفي سنة ١٢٤٦هـ قام والده الشيخ محي الدين بإعلان الجهاد فحارب عبدالقادر إلى جانبه سنتين كاملتين ولتقدمه في السن سلّم الشيخ محي الدين راية الجهاد لولده الذي بويع سنة ١٢٤٨هـ من طرف الشعب أميرا وقائدا للمقاومة الوطنية فقاد الجيوش وخاض المعارك الوطنية الكبرى ضد قوات الاحتلال وركب الأخطار والأهوال، وضحى بالنفس والنفيس وأقام الدولة الجزائرية بمؤسساتها وضرب السكة من فضة ونحاس وأسس المعامل والمصانع للسلاح واللباس وأظهر من ضروب البطولة والشجاعة وصدق الوطنية ما اعترف به العدو والصديق[1] .

وبعد ١٧ سنة من المقاومة ولأسباب ليس هذا موضع ذكرها وبشروط وعهود بينه وبين فرنسا تم ترحيله مع أفراد أسرته وحاشيته إلى إقامته بمدينة امبواز التي زاره فيها امبراطور فرنسا نابليون الثالث ليخبره بإخلاء سبيله ويهديه سيفا مرصعا ويقرر له راتبا سنويا قدره خمسة آلاف ليرة فرنسية.

---

[1] عن كتاب الحسب والنسب للشيخ بلهاشمي بن بكار.

وانتقل الأمير من فرنسا إلى الاستانة التي لقي فيها ما يلقاه الأبطال المجاهدون من الاحترام والتقدير وحظي لدى السلطان الغازي عبدالمجيد خان بكرم الضيافة وحسن الاستقبال وأخيرا عزم على الاستقرار بدمشق وفي سنة ١٢٧٣هـ زار بيت المقدس والخليل وقرأ في شهر رمضان البخاري في دار الحديث، والاتقان، والابريز في مدرسة الحقيقية. واعتكف في شهر رمضان سنة ١٢٧٥ بالجامع الأموي وقرأ الشفار الصحيحين في مشهد سيدنا الحسين رضي الله عنه.

وفي سنة ١٢٧٧هـ منحته الدولة العمانية النيسان المجيدي من الرتبة الأولى وأهدته أيضا الدول الكبرى نياشينها من الرتبة الأولى نظرا لما قدمه من المساعدة للمسيحيين. زار مكة والمدينة والطائف وأقام بها سنة وستة أشهر وأخذ بمكة الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي.

زار مصر لحضور احتفال خليج السويس سنة ١٢٨٦ وقرأ الفتوحات المكية مرتين، وأخذ الطريقة العلية المولوية على حضرة الدرويش صبري، شيخ الطريقة المولوية بالديار الدمشقية. وكان، قدس الله سره، محافظا على السنن، عاكفا على شهود الجماعة كثير الصفات. وكان قد خصص جزءا من ماله يمنحه في كل شهر للعلماء. وكان واقفا حياته لقضاء حوائج العباد، واقفا عند

حدود الله في السر والجهر، متعبدا على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.

وفي آخر عمره، تغلغل في علوم الخصوص وأظهر من دقائق الحقائق وعوارف المعارف ما يدل على سمو مقامه، وكانت له خلوة يتحنث بها في قصره، وكان مشتغلا عن مرضى وفاته بالمراقبة والمشاهدة حتى أنه لا أنّ ولا تأوه إلى أن انتقل إلى رحمة الله في منتصف ليلة السبت تسع عشر خلت من شهر رجب سنة ١٣٠٠ وصلي عليه بالجامع الأموي وشهد جنازته خلق كثير من جميع الملل ودفن ظهر يوم السبت جوار الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن العربي. رحمه الله وقدس سره.

عبدالقادر المجاوي

تقول عنه مجلة الشهاب في الجزء الثالث من مجلد الثامن مارس ١٩٣٢ ما يلي: "هو أبو النهضة العلمية بقسنطينة وهو شيخ الناس بجميع عمالتها، عليه تخرج القضاة ورجال المحاكم والتدريس والفتوى، فلا تجد أحدا من هؤلاء الربع الأول من هذا القرن إلا وهو من تلامذته ولو كان هذا الرجل من أمة عالمة لأحيت ذكراه في كل مناسبة"اهـ.

هذا هو العلامة الجليل الشيخ عبدالقادر المجاوي المولود بتلمسان سنة ١٨٤٨ وبها حفظ جزءا من القرآن الكريم وأتم حفظه كله في طنجة التي انتقل إليها والده حيث ولي منصب القضاء. ثم انتقل المترجم إلى تطوان حيث درس مبادئ العلوم الدينية واللغوية على شيوخها أمثال: مفضل افلال العلمي، والطيب اليعقوبي، ومنها إلى مدينة فاس وجامع القرويين حيث لازم دروس أعلامها الأجلاء أمثال: مولاي محمد العلوي، ومحمد قنون، وأحمد ابن الحاج، وجعفر الكتاني وغيرهم.

وفي سنة ١٨٦٩ عاد إلى أرض الوطن ليحل بمدينة قسنطينة وينتصب للتدريس بزواياها ومساجدها وسمع به طلاب العلم فقصدوه من كل حدب وصوب، وفي سنة ١٨٧٣ عيّن مدرسا بجامع سيدي الكتاني، وفي ١٨٧٧ تولى التدريس بالمدرسة الرسمية في نفس المدينة، وفي ١٨٩٨ بالمدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة. وفي سنة ١٩٠٨ يعيّن إماما خطيبا بمسجد سيدي رمضان بالجزائر.

ومن رجالات العلم والأدب الذين تخرجوا على الشيخ عبدالقادر المجاوي نذكر المولود بن الموهوب، والشيخ أحمد البوعوني، والشيخ حمدان الونيسي، والشيخ أحمد الحبيباتني وغيرهم.

ترك الشيخ عبدالقادر المجاوي عددا هائلا من المؤلفات القيمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: إرشاد المعلمين.

نصيحة المريدين. الدرر النحوية. شرح الجمل النحوية. شرح شواهد القطر. الاقتصاد السياسي. شرح منظومة ابن غازي في التوقيت. شرح منظومة البدع لناظمها الشيخ المولود بن الموهوب. وغيرها.

توفي، رحمه الله ورضي عنه، يوم السبت ٦ أكتوبر سنة ١٩١٤ بقسنطينة، ودفن بها.

عبدالقادر الياجوري

هو العلامة الجليل والوطني الغيور الشيخ عبدالقادر الياجوري من بلدة قمار في منطقة سوف وفيها ولد سنة ١٩١٥ وفيها حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه الأول على شيوخ البلدة وفي مقدمتهم الشيخ عمار بن الأزعر دفين المدينة المنورة.

ثم انتقل المترجم إلى حاضرة تونس لينخرط في صفوف طلبة الزيتونة التي مكث بها إلى أن تحصل سنة ١٩٣٢ على شهادة التطويع، وبعد عودته إلى مسقط رأسه طلب من الشيخ عبدالعزيز بن الهاشمي وهو شيخ طريقة معروف، ومن الوطنيين المعروفين، قلت طلب منه التدريس في الزاوية القادرية فقام بالمهمة أحسن قيام.

ألقي عليه القبض مع نخبة من العلماء المصلحين وأودعوا سجن الكدية بقسنطينة سنة ١٩٣٨ حيث حكم عليهم بـ ١٨ شهر نافذة وممن كان معه في السجن الشيوخ: عبدالعزيز بن الهاشمي. وعلي بن سعد صاحب جريدة الليالي، وعمر دردور، والأمير صالحي. وبعد خروجه من السجن نفي إلى مدينة مليانة ثم إلى بني عباس في أقصى الصحراء الوهرانية.

وفي سنة ١٩٤٦ انتخب الشيخ الباجوري عضوا في مجلس إدارة جمعية العلماء وفي سنة ١٩٤٨ عيّن أستاذا بمعهد عبدالحميد بن باديس في قسنطينة كما كان عضوا نشيطا في لجنة التعليم العليا بالجزائر، وهي التي كانت تشرف على التعليم العربي الحر في القطر الجزائري.

في سنة ١٩٥٤ استقر الشيخ بمدينة وهران وأثناء حرب التحرير عرف السجن والمعتقلات إلى سنة ١٩٦٢. عين أستاذا بثانوية ابن باديس وبقي بها إلى التقاعد ولكنه لم ينقطع عن أداء رسالته في تثقيف الشباب وتوجيههم الوجهة العربية الإسلامية الصحيحة ولم يتخل عن دروس الوعظ والإرشاد للعامة إلى أن اختاره الله إلى جواره في شهر أوت ١٩٩١، رحمه الله ورضي عنه.

عبداللطيف سلطاني

هو العلامة الجليل والداعية الإسلامي الكبير، الشيخ عبداللطيف بن علي بن أحمد بن محمد سلطاني، ولد في بلدة القنطرة ولاية بسكرة سنة ١٩٠٢. تولّت والدته الفاضلة تربيته بعد وفاة والده وهو في العامين من عمره، قرأ القرآن في بلدة سيدي عقبة فحفظه على شيوخها الأجلاء وكانت هذه البلدة الطيبة قبلة طلاب القرآن يؤمونها من كل حدب وصوب.

ثم انتقل إلى الزاوية العثمانية بطولقة حيث أخذ عن شيوخها مبادئ العلوم الدينية واللغوية ومكث بها مدة من الزمن التحق بعدها بجامع الزيتونة بتونس سنة ١٩٢٢ حيث تحصل على شهادة التطويع.

وفي سنة ١٩٣١ التحق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث عيّنه رئيسها الإمام ابن باديس إماما بمسجد القرارم. ثم يوفده ابن باديس إلى الصحراء للدعوة إلى الإصلاح ونشر جرائد البصائر، والصراط. وفي سنة ١٩٤٦ انتخب بالمجلس الإداري لجمعية العلماء برئاسة الإمام العظيم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، رحمه الله. وفي سنة ١٩٥٠ عيّن أستاذا بمعهد

عبدالحميد بن باديس بقسنطينة ثم انتخب سنة ١٩٥١ أمين مال جمعية العلماء ومسؤولا على مركزها بالجزائر.

كان من السباقين لتلبية نداء ثورة التحرير المباركة وقام بنشاط عظيم ودور كبير مع الشهيد عبان رمضان والسيد بن خدة وفي عهد الاستقلال عيّن إماما بمسجد كتشاوة فمسجد بن فارس وأستاذا بثانوية حسيبة بن بوعلي ثم الإدريسي وأسس جمعية القيم التي كان يكتب في مجلتها . التهذيب الإسلامي . وشارك في أشغال المجلس العالمي للدعاة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٧.

من مؤلفاته: . الاشتراكية هي المزدكية . سهام الإسلام . في سبيل العقيدة.

توفي في ١٤ أفريل ١٩٨٤، رحمه الله ورضي عنه.

عبدالله بن غانم الدراجي

هو العالم الزاهد الشيخ عبدالله بن غانم الدراجي الهذالي النجاعي، يرجع أصله إلى فرقة الهذالة من أولاد دراج سكان الحضنة نواحي المسيلة، وقد استقرت أسرته بمدينة قسنطينة التي تعلم بها، ومنها رحل إلى تونس وفيها أخذ في قراءة البخاري دراية ورواية.

غادر تونس مهاجرا إلى المدينة المنورة حيث أقبل فيها على علوم الآخرة، واجتمع به العلماء من زوار الحرم النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، فأخذوا عنه واستفدوا منه وأجازهم، ومن أخذ عنه: الشيخ محمد الحفناوي بن الشيخ علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة، والشيخ علي بن الحفاف العفني المالكي بالجزائر، والشيخ المكي بن عزوز الذي أجازه الشيخ الدراجي.

كان الشيخ الدراجي صارما لا يخاف في الله لومة لائم وكان لا يبالي ولا يخضع لأمر أمراء المدينة ولا لنهيهم فيما يخالف تعاليم الشريعة ويروى في هذا الموضوع أنه مرّ ذات يوم بالحرم الشريف فوجد فيه نساء الحجاج وأولادهم على حالة تنافي حرمته فأخرجهم منه ووقعت بسبب ذلك ضجة سمع بها والي المدينة فأمر بطرد الشيخ منها قبل ثلاثة أيام، ولما أخبر بذلك قال لهم قولوا للوالي: أنت الذي تخرج منها قبل ثلاثة أيام. وما أصبح الصباح حتى شاع أن الوالي مشرف على الهلاك فاضطر إلى استرضاء الشيخ فرضي عنه وزال ما به.

من مؤلفاته: إرشاد أهل العلية فيما يطلب منهم من الأدعية النبوية على اختلاف أحوالهم الزكية. اتخاذ المريدين بتحقيق رابطتهم بالحضرتين.

توفي الشيخ عبدالله الدراجي سنة ١٢٩٦هـ وعليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

عبدالمجيد بن حبة

الأستاذ العلامة الجليل الشيخ عبدالمجيد بن محمد بن علي بن محمد الملقب حبّة السلمي. من مواليد بلدة الفاتح سيدي عقبة عام ١٩١١، من عائلة موسرة وكان وحيد أبويه فاعتنيا بتربيته وتعليمه. حفظ القرآن في كتاتيب البلدة في سن مبكرة ثم اشتغل بطلب العلم في مسجد الفاتح عقبة بن نافع الفهري الذي كان وقتئذ يعج بالعلماء الأعلام الذين انتصبوا للتدريس في شتى العلوم والفنون.

لازم المترجم له حلقات المسجد ينتقل من حلقة إلى أخرى ومن شيخ إلى شيخ إلى أن ملأ الوطاب بما لذ وطاب من صفوف العلم والمعرفة. ومن الشيوخ البارزين الذين تخرج على يدهم نذكر: العلامة الكبير الشيخ البشير الإبراهيمي العقبي وهو من هو! تبحر في علوم العربية والفقه، والعلامة المصلح الشيخ ابن منصور المعروف بابن دائخة، والعلامة الجليل الشيخ الصادق بلهادي، ورائد الإصلاح العلامة النحرير الشيخ الطيب العقبي،

رحم الله الجميع بمغفرته ورضوانه. على هؤلاء تخرج الشيخ عبدالمجيد حبّة.

ومن زملائه في الدراسة ببسكرة شاعر العروبة والإسلام محمد العيد آل خليفة، رحمه الله.

اشتغل الشيخ بالتدريس في مسجد الفاتح مدة طويلة وتخرج عليه جمع غفير من المثقفين والأدباء وكانت له دروس في الوعظ والإرشاد للعلامة. وكان رحمه الله كثير التنقل بين . المغير . بوادي ريغ التي درّس بها هي الأخرى وكانت دروسه في تفسير القرآن والحديث قيّمة مفيدة يستفيد منها العامة ولا يستغني عنها طلبة العلم.

يقول عنه الشيخ محمد آل خليفة: "أشهد أنه عالم عامل مصلح قضى صباه وشبابه في مزاولة الدروس العلمية على أساتذة أكفاء بجامع سيدي عقبة وعكف على مطالعة الكتب منهمكا فيها حتى روي من مناهل المعرفة ثم تصدى للتدريس بنفس الجامع في المستوى الرفيع من العلوم الدينية واللسانية أمدا من الزمن غير قصير"اهـ.

من مؤلفاته القيّمة نذكر: عقبة بن نافع القائد المظفر . تذكرة الطلاب بملخص تاريخ بسكرة والزاب . قيد الأوابد في حياة خالد .

الهمة فيما ورد في العمة. تجريد المجلّى من المحلّى. إسعاف السائل برؤوس المسائل ..

توفي، رحمه الله، بمدينة المغير ودفن بها يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٩٢.

عدة بن غلام الله

هو الصوفي المعروف الشيخ عدة بن الموسوم بن غلام الله البوعبدللي المشيشي الإدريسي. كانت ولادته في العام الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ببطحاء، الشلف، بالغرب الجزائري. حفظ القرآن الكريم فأتقن حفظه وأخذ عن الشيخ سيدي بن حمو في قرية الدبة.

ثم أخذ في التنقل من بلدة إلى أخرى في طلب العلم على كبار الشيوخ في وقته وهكذا تلقى علوم التوحيد، والنحو، والحديث، والفلك عن شيخه في الطريقة الوزانية، سيدي محمد بن عبدالرحمن صاحب ماقر. ثم انتقل إلى مازونة وكانت حاضرة علم ومعرفة تشد إليها الرحال. فأخذ فيها الفقه عن الشيخ أبي طالب المازوني. ثم عاد أدراجه إلى مسقط رأسه حيث تولى التدريس والإمامة نحو أربعة عشر سنة.

وأول طريقة تمسك بها هي الطريقة الرحمانية التي أخذها عن والده. وبعد ذلك توجه إلى زاوية الشيخ ابن الأحول دفين بلاد

مجاهر في واد الخير وهذا بإشارة رؤيا من الشيخ عبدالقادر الجيلالي، رضي الله عنه، فاستقبله شيخها بكل حفاوة ولطف، وأخبره بأنه قد بشر بقدومه منذ ثلاثة أيام ومكث في زيارة الشيخ ابن الأحول سبعة أيام أخذ عنه فيها العهد كما أخذ عن الشيخ ابن القندوز صاحب الشيخ عبدالقادر الجيلالي، وأخذ الطريقة الطيبية الوزانية عن الشيخ سيدي محمد بن عبدالرحمن صاحب ما قر ثم عن الشيخ الحاج العربي مولاي أحمد. وكان آخر الشيوخ الذين أخذ عنهم هو مولاي العربي بن عطية المعماري البوعبدللي أصلا الونشريسي دارا التونسي هجرة وضريحا، الشاذلي الطريقة، وبواسطة هذا الشيخ وصل إلى ما يريد وكان عمر الشيخ عدة وقتئذ أربعين سنة.

تولى القضاء بأمر الأمير عبدالقادر على بلاد منى ومن المؤكد أن الأمير إنما وقع اختياره عليه لتولي خطة القضاء لما كان يتصف به الشيخ عدة من غزارة علم وتقوى وصلاح. فأطاع الأمر بعد استشارة شيخه المذكور ولكنه تخلى عن القضاء ليتفرغ للعبادة والتربية والتعليم والإرشاد. فانتفع به أناس كثيرون وذاع خبره، وانتشر صيته في جميع الجهات، وعرفت طريقته بالشاذلية الدرقاوية البوعبدللية.

للشيخ عدة مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون وله قصائد عديدة تفوق الأربعمائة قصيدة من الشعر الموزون والملحون، له أوراد وأحزاب وأدعية واستغاثات كثيرة.

كانت وفاة الشيخ عدة بن غلام الله ليلة الإثنين الخامس من شهر جمادي الثانية من عام ١٢٧٣ وكان عمره نحو ثمانين سنة ومن أحفاده نذكر: الحاج محمد الكبير والحاج محمد الصغير والحاج المنور، رحم الله الجميع.

العربي التبسي

العلامة الكبير والمصلح الكبير الشيخ العربي التبسي من عرش النمامشة، ولد رحمه الله سنة ١٨٩٥ ببلدية العقلة دائرة الشريعة ولاية تبسة. حفظ القرآن على يد والده في مسقط رأسه ثم انتقل في سن مبكرة إلى زاوية سيدي ناجي بالخنقة حيث زاول دراسته الدينية واللغوية على علمائها الذين ذاع صيتهم في الآفاق والذين كانت لهم مراسلات مع علماء الأمصار المختلفة في كبريات المسائل الفقهية.

ومن زاوية الخنقة انتقل الشيخ إلى الزاوية الرحمانية بنفطة التي أسسها المغفور له الشيخ مصطفى بن عزوز فمكث بها مدة انتقل بعدها إلى تونس ومنها إلى مصر حيث نال الشهادة

العالمية من الأزهر الشريف. عاد بعدها إلى الوطن لينتصب مدرسا بتبسة وفي غيرها من المدن الجزائرية لينشر العلم ويوقظ الهمم بلسانه وقلمه.

كان له في الحركة الإصلاحية دور بارز. فقد اختير سنة ١٩١٥ كاتبا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم نائبا لرئيسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي سنة ١٩٤٠ ولما رحل الشيخ الرئيس إلى المشرق تحمل مترجمنا رئاسة الجمعية وإدارة شؤونها بحزم وعزم صادقين.

عرف السجن والنفي عدة مرات لمواقفه الوطنية الصادقة التي لا تعرف المداهنة أو المساومة لأنه كان رجل عقيدة شجاعا لا يخاف في الله لومة لائم. شغل مهمة إدارة المعهد الباديسي بقسنطينة.

استشهد رضي الله عنه سنة ١٩٥٧ حين اختطف من منزله بحي بلكور وهو على فراش المرض من طرف غلاة المستعمرين ليلتحق بقافلة شهداء الحرية عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه جزاء ما قدم لبلاده وشعبه وما عمل من أجل دينه ولغته.

العربي لعلاوي

العربي لعلاوي من رجالات العلم والفضل والإصلاح الذين عرفوا بتمسكهم الشديد بأخلاق الإسلام وحبهم القوي للغة. ولد رحمه الله في شهر جانفي عام ١٨٩٩ بدوار الطليمة نواحي مدينة عين عبيد. وفي مسقط رأسه تفرغ لحفظ كتاب الله وبعض المتون في الفقه واللغة وعمره لم يتجاوز السادس عشر.

انتقل بعد ذلك في طلب العلم إلى مدينة قسنطينة حيث لازم دروس العلامة الجليل الشيخ أحمد مرزوق لحبايتني الذي تخرج على يده بالإضافة إلى مشاركته في حلقات الإمام عبدالحميد ابن باديس بالجامع الأخضر، ودروس الشيخ الطاهر ابن قوطة رحمهم الله جميعا. وبعد إكمال دراسته على هؤلاء الشيوخ المذكورين. أجازه الشيخ لحبايتني رحمه الله ليتفرغ للعمل.

ولكن الإدارة الاستعمارية لم تمهله، فأجبرته في بداية العشرينات على التجنيد لأداء الخدمة العسكرية التي كانت مفروضة على أبناء الوطن ونقلته إلى المغرب الأقصى حيث المجاهد البطل عبدالكريم الخطابي قد أعلن ثورته الإسلامية على قوات الاحتلال الاستعمارية، وكان الشيخ العربي لعلاوي

خلال وجوده بالمغرب الأقصى على اتصال وثيق بالعديد من أعلام جامع القرويين الذين ساعدوه على توسيع دائرة معارفه.

وبعد ثلاثة سنوات قضاها في المغرب الأقصى، عاد الشيخ إلى مدينة عين عبيد ليواصل رسالته في الوعظ والإرشاد والتعليم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فكان الإقبال عليه كبيرا وتخرج على يده جمع غفير من المثقفين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر السادة الشيوخ: غراب الطاهر، وأحمد بريغث، وحفيان أحمد، ورضوان الخوجة، ومقلاتي الصديق، وبوحجر عبدالعزيز، ومعزوزي رابح، واشلالي حسين، وبوذراع الطاهر وغيرهم.

وهكذا قضى حياته رحمه الله في خدمة البلاد والعباد ناصحا، ومفتيا، وإماما، ومدرسا إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا صبيحة يوم الخميس ٠٨ شوال ١٤١٠هـ الموافق لـ ٠٣ ماي ١٩٩٠م رحمه الله ومغفرته ورضوانه عليه.

عطية مسعودي

هو العالم الفاضل الشيخ عطية مسعودي بن مصطفى المولود سنة ١٩٠٠م. حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز التاسعة من عمره.

التحق بزاوية الشيخ سي عبدالقادر بن مصطفى بالإدريسية حيث تابع دراسته على شيوخها.

أخذ التفسير وعلوم الشريعة عن علماء عصره وفي مقدمتهم العلامة الشهير الذائع الصيت الشيخ عبدالحليم بن سماية رحمه الله. عيّن المترجم ابتداء من ١٩٤٣ مفتيا وإماما بالمسجد الكبير بمدينة الجلفة حيث قضى بها مدة خمسين عاما.

انتصب للتدريس فخرج عنه العديد من الأئمة والأساتذة والمعلمين.

كانت وفاته في ٢٧ سبتمبر ١٩٨٩ عن عمر يناهز ٨٩ رحمه الله.

ومن شعره نقتطف هذه الأبيات من قصيدته إلى الشباب والتي عنوانها: نصيحة الشباب وحلية الآداب. قال بعد الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

وبعد فاعلم يا شباب العصر ... إن كنت طالبا عزيز النصر
وساعيا بالأخذ في أسبابه ... فكن حكيما وأته من بابه
فإنما النصر حليف الطاعة ... والذل والخذلان في الإضاعة
والله واعد الذين آمنوا ... وأصلحوا الأعمال أن يمكنوا
وأن يبدلنهم من بعد ... خوفهم أمنا بصدق الوعد

والقصيدة طويلة لا يسعها مثل هذا المقام. وله قصائد أخرى في مواضيع مختلفة.

علي بن إبراهيم

علي بن إبراهيم بن محمد الصغير من أعلام بلدة سيدي عقبة التي ولد بها سنة ١٨٦٨ وفيها حفظ القرآن الكريم وتلقى دراسته الأولى على علماء البلدة آنذاك ونذكر منهم الشيوخ: البشير بن الصادق الذي سبقت ترجمته، ومحمد الصغير بلكحل، والدراجي بن عبدالله الصولي، وعبدالباقي بن سالم عليهم رحمة الله.

وبعد أن أخذ عن هؤلاء الشيوخ ما يكفيه من مختلف العلوم والفنون قصد زاوية الهامل التي لعبت دورا مهما في نشر العلم والمعرفة والحفاظ على العربية والإسلام وبقي بها علي بن إبراهيم سنوات يدرس على علمائها في مقدمتهم العلامة الجليل الشيخ محمد بن عبدالرحمن الديسي عليه رحمة الله. وبعد أن ملأ وطابه مما كان يدرس آنذاك بالزاوية الهاملية توجه إلى تونس ليقضي بجامع الزيتونة أربع سنوات يتنقل بين حلقاته وينهل من علومه وفنونه على شيوخه الأجلاء ثم يعود إلى وطنه بعد ذلك حيث اشتغل بالتدريس في مسقط رأسه سيدي عقبة ثم في منعة بجبل أوراس وأخيرا في بسكرة حيث يستقر بمنزل قرب زاوية القادرية

إلى أن وفاه الأجل يوم الثلاثا ٢٢ شوال عام ١٣٣٩ الموافق لسنة ١٩٢١.

وقد تخرج عليه جيل من العلماء نذكر منهم الشيوخ: الهاشمي بن مبارك، وعمر بن البسكري، ومحمد العيد آل خليفة. ومحمد بن منصور بن دايخة، وعبدالعالي الأخضري، وعلي الأخضري، وبلقاسم بلكبير على الجميع رحمة الله.

وقد حدثني أستاذنا الكبير حمزة بوكرسة حفظه الله وقد حضر بعض دروسه في الزاوية القادرية ببسكرة فأثنى عليه ثناء كبيرا. كما أثنى عليه شاعر العروبة والإسلام الشيخ محمد العيد آل خليفة بما فيه الكفاية وقد زاره وهو طريح الفراش في مرضه الأخير فتأثر لحاله وخاطبه قائلا:

سيدي أهديك شكرا واثنا
راق نظما وسناء وسنى
من فؤاد سفه ما بك من
مرض طال فأناي الوسنا

كان الشيخ علي بن إبراهيم رحمه الله وحيد زمانه في العلم والمعرفة والخلق الطيب، ممن سلم الناس من لسانه ويده. وقد

نقال جثمانه الطاهر من مدينة بسكرة حيث توفي إلى مقبرة سيدي عقبة التي دفن بها جوار أسلافه عليهم جميعا رحمة الله.

وقد رثاه الشيخ محمد منصور بن دايخة بقصيدة، هذا مطلعها:

المرء يبني والزمان يهدم

ويظل يأمل والكوارث تفحم.

علي التماسيني[1]

الفاضل الجليل أبو الحسن سيدي الحاج علي ابن الحاج عيسى التماسيني رحمه الله ورضي عنه. يعتبر من أقرب المقربين ومن خاصة للشيخ أحمد التيجاني في حياته وبعد وفاته. ذو أخلاق طيبة فاضلة وتربية حسنة كاملة، شهد له بهما الخاص والعام. وظهرت على يده كرامات كثيرة متعددة وكان يحظى عند الشيخ التيجاني بمكانة بارزة مرموقة حتى أنه كان يقدمه من فاس لإمامة الزاوية مع كثرة العلماء والصالحين الفضلاء بها.

[1] تعريف الخلف للحفناوي.

ويروي السيد الطيب بن محمد السفياني أنه في المدة التي ولاه سيدنا رضي الله عنه النيابة والإنفاق على داره وقضاء حوائجه، سأله الشيخ ذات يوم عن بعض إمائه وكانت مريضة فقال له: هل اشتريت لها الدواء؟ قال: فقلت له: يا سيدي قد اشترينا لها عدة أدوية فلم يظهر لها أثر، ولعل الأوقف لها هو الكتابة.يعني الرقية، قال: فقال لي رضي الله عنه: و من يكتب لها؟ ثم قال: ما رأيت من هو أمثل لذلك إلاً سيدي الحاج علي التماسيني لو كان حاضرًا.

قال: فقلته: وأنا أريد أن يأذن لي في ذلك يا سيدي كل من أذنت له فهو سيدي الحاج علي قال: يقبل من ذلك، وجعل رضي الله عنه يقول: وأين مثل سيدي الحاج علي يا فلان وكررها منكراعليٌ ما قلته حتى وددت أني ما ذكرت له ذلك وكفاه هذا من شهادة الشيخ بالخير والبركة.

توفي الشيخ الحاج علي رحمه الله سنة ١٢٦٠ هـ وقد رمز لهذا التاريخ الولي الصالح الشيخ العربي بن السائح بجمل العجز من هذا البيت:

وعام موته بلا تمويه قضى لروح الثقلين فيه

ودفن بداره في تماسين، رحمه الله ورضي عنه.

عمر بن البسكري

من رجال العلم والأدب والإصلاح الذين أنجبتهم بلدة عقبة التي ولد بها سنة ١٨٩٤م وفيها تلقى تعلمه حيث درس اللغة الفرنسية فنال منها حظا وافرا كتابة ونطقا، ودرس العلوم العربية والدينية على شيوخ البلدة المعروفين أمثال البشير بن الصادق، وعلي بن إبراهيم، وعلي بن عثمان الذي كان أكثر ملازمة له، وكان بالنسبة إليه أستاذا وأبا لما كان يخصه به من عناية ورعاية واهتمام لما كان يشمله منه من عطف وإحسان تاركا في نفس صاحب الترجمة أثرا عميقا، وشعورا خاصا نحو شخصيته طوال حياته.

بعد الانتهاء من الدراسة تصدى الشيخ عمر بن البسكري للتدريس فعمل في سيدي عقبة أولا ثم في مدرسة الأخاء ببسكرة، ومن تلاميذه: الأديب الراحل الشهيد أحمد رضا حوحو رحمه الله.

وفي سنة ١٩٣٦ تطلبه جمعية السعادة بسطيف ليكون محاضرا بنادي الإرشاد الذي أسسته الجمعية المذكورة. وقد تميز يوم افتتاح هذا النادي بحفل بهيج كان من بين المشاركين فيه رائد النهضة الإصلاحية الإمام عبدالحميد بن باديس صحبة وفد من

العلماء، وفرحات عباس الذي أسندت إليه رئاسة إدارة النادي، رحم الله الجميع.

بقي صاحب الترجمة في مدينة سطيف معلما ومحاضرا عدة سنوات كان خلالها مثال الجد والنشاط والمثابرة وكان ينشر القصائد والمقالات في جرائد ومجلات جمعية العلماء وغيرها وقد كتب عنه الإمام ابن باديس في الشهاب ترجمة موجزة أشاد فيها بأخلاقه ومعلوماته.

لم ينقطع الشيخ عمر رحمه الله عن الكتابة وقول الشعر إلى أن أقعده المرض فلم يتمكن من جمعه وطبعه كالكثير من أدباء الجزائر الذين ضاع مع الأسف إنتاجهم. ولو قدّر شعره أن يجمع ويطبع لكان لبنة مباركة في البناء الشامخ الأدب لغة الضاد في هذه البلاد.

ولاطلاع قارئنا الكريم على نماذج من شعره نعرض عليه هذه القصيدة: تلمسان جدي. وقد نشرت في جريدة المنار الغراء العدد الخامس، السنة الثانية بتاريخ: ٢٠ يونيو ١٩٥٢:

تلمسان جدي للكمال وجددي ... معاهد تبلى معهدا بعد معهد
وراعي رعاك الله نشأ مباركا ... بحسن اغتناء يقتدي رجال الغد
وأحي له تحي على السنن التي ... بها بلغ الأسلاف أعظم مقصد

متى خاطبوا العلماء تخضع لهم وإن أشاروا على الدنيا لتسجد تسجد
أعيدي تلمسان عصور أئمة بسيرتهم أئمة الحق تقتدي
جددت لنا الآثار بعد اندراسها ولا خير من الآثار إن لم تجدد
وقد خلدة إلا يديك أي مرة الا تبت إلا يدي التي لم تخلد
نهضت التعليم البنات وإنه الأعظم منهج للبلاد ومنجد
أعيدك من شعب تعلم نصفه ونصف كصخر مستذل معند

رحمه الله من العلماء العاملين

عمر بن صالح

الفقيه الجليل الشيخ عمر بن محمد بن صالح. ولد في بلدة أقروت وتوفي بها. كان رحمه الله من الذين أنعم عليهم بنعمتي المال والعلم، فقد أخذ العلم عن الشيخ محمد بن أبي بكر الودغاني الذي أخذه عن الشيخ موسى بن المسعودي عن الشيخ أحمد بن يوسف المليانى عن الشيخ عبدالله الخياط رحمهم الله جميعا بواسع مغفرته.

للشيخ عمر بن صالح زاوية كبيرة فاتحة أبوابها لطلاب العلم وحفظة القرآن، وللفقراء والمحتاجين.

كانت وفاته رحمه الله في ١٠٠٨هـ.

عمر بن عبدالرحمن بن يوسف التنلاني

هو صاحب الزاوية المهدية وشيوخها، أخذ عن العالم الجليل الشيخ سيدي محمد بن عبدالله وبعد أن تخرج على يده، غادر مسقط رأسه تنلان ليقوم ببناء زاويته المعروفة في منطقة توات المهدية وقد كان بناء الزوايا من الأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون وقام بحفر الآبار وعمارة الأرض بالبساتين وفتح زاويته لحفظة القرآن الكريم وتصدر للتدريس بها.

وأصبحت زاوية المهدية كعبة الفقرء والمساكين والمعوزين كما كان يقصدها المتخاصمون والمتنازعون فيجدون عند شيخها الرأي السديد والحل الإسلامي الرشيد. ترأس ركب الحجيج إلى بيت الله الحرام سبع مرات متتالية.

توفي عليه رحمة الله يوم ١٥ جمادي الأولى سنة ١٢٢١هـ في الصحراء الواقعة بين أولاف وتطاف ودفن ببلدة المهدية وقبره مزار متبرك به للعظمة والاعتبار، عليه رحمة الله.

عمر بن عبدالقادر

هو الشيخ الفقيه أبو حفص سيدي عمر بن عبدالقادر بن سيدي أحمد بن يوسف التنلاني. كانت دراسته في مدينة فاس بالمغرب الأقصى حيث تتلمذ على كبار شيوخها فدرس مختلف العلوم والفنون خلال السنوات التي قضاها هناك. ونال الشهادات العليا التي تشهد بتبحره في العلوم العقلية والنقلية والفرعية والأصولية.

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم سيدي محمد فتحا بن محمد بن حمدون البناني المتوفي سنة ١١٤١هـ، وسيدي محمد بن محمد ميارة وهو حفيد ميارة المعروف في أوساط العلماء والطلبة بشروحه على الكتب الفقيهة وقد توفي سنة ١١٤٣هـ. وسيدي علي الحريشي المتوفي سنة ١١٤٤هـ، وسيدي محمد المنساوي المتوفي سنة ١١٤٤هـ. وسيدي الحسان بن رحال المتوفي سنة ١١٤٤هـ.

ومما يروى عنه رحمه الله أنه لما استقر بفاس لطلب العلم وكانت ترد عليه الرسائل من أسرته بتوات، يفتح واحدة منها خشية انشغاله عن طلب العلم بما تحمله من أخبار سارة أو ضارة. وبعد إكمال دراسته أخذ يفتحها الواحدة تلو الأخرى، وهكذا

حملت إليه الرسالة الأولى نبأ وفاة والدته والثانية وفاة والده إلى آخرها.

عاد إلى مسقط رأسه تنلان وانتصب بها مدرسا فأجاد وأفاد ونفع بعلومه العباد. وممن أخذ عنه بالتلقين سيدي عبدالرحمن الجنتوري ومنهم من أخذ عنه السر كالشيخ محمد بن عبدالله.

وقد توفي رحمه الله يوم الأربعاء ٣ ربيع الأول عام ١١٥٢هـ ودفن بمجلسه الذي كان يدرس فيه وقبره مشهور يزار ويتبرك به.

عمر العرباوي

الشيخ عمر العرباوي من مواليد مدينة سيدي عيسى ولاية ميلة سنة ١٩١٢. كان والده معلما للقرآن بالمدينة المذكورة وعليه حفظه وعمره لا يتجاوز الخامسة عشرة سنة. انتقل إلى زاوية سيدي المهدي بالبليدة وفيها أخذ عن شيوخها الفقه والنحو والأصول والتفسير ثم أصبح مدرسا بها.

أسس مدرسة قرآنية ببئر خادم. ثم علم بمحاولة ناحية الجزائر ثم باب الوادي وبلكور وبقي يتنقل في مدارس ومساجد هذه الأحياء معلما وإماما وواعظا مرشدا إلى سنة ١٩٥٥ حين ألقي عليه القبض وهو يصلي الجمعة بمسجد بلكور العتيق حيث كان

يحث الناس ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله والالتحاق بصفوف المجاهدين.

سجن بالبرواقية وبقي بها ٣ سنوات، انتقل بعدها إلى معتقلات (بوسوي) (واركول) حيث كان يعلم المساجين ويرشدهم ويرفع من معناوياتهم وبقي إلى ١٩٦١ حين أفرج عنه ليبقى في بيته تحت الإقامة الجبرية حتى الاستقلال حيث بدأ يلقي دروس الوعظ والإرشاد ويؤم الناس بمساجد العاصمة وضواحيها إلى أن استقر سنة ١٩٦٧ بالحراش إماما ومدرسا.

تأثر الشيخ العرباوي بالمصلح الكبير الشيخ الطيب العقبي وكان شديد الإعجاب به وبخطبه الإصلاحية ودروسه الحماسية. ألف الشيخ العرباوي كتابين: الاعتصام بالإسلام - التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد.

توفي رحمه الله ورضي عنه في ١٩٨٤/١٢/٠٢.

عمر دردور

هو العلامة المصلح الشيخ عمر دردور من بيت علم ودين وجهاد في منطقة أوراس الأشم. ولد في ١٣ أكتوبر من عام ١٩١٣ في قرية حيدوسة بوادي عبدي وفيها حفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد دردور، أحد أحفاد أسرته.

انتقل بعد ذلك إلى مدينة طولقة والتي اشتهرت زاويتها العثمانية بتدريس العلوم الدينية واللسانية، والتي تخرج منها العديد من أهل العلم والأدب فانضم المترجم له إلى حلقات شيوخها الأعلام، جَدَّ في طلب العلم والمعرفة متنقلا من حلقة إلى أخرى مدة سنتين من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٢. ثم تاقت نفسه إلى مواصلة دراساته العلمية في مدينة قسنطينة سنة ١٩٣٢ ليلتحق بطلبة الجامع الأخضر والأخذ عن الإمام الجليل الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله لازمه مدة خمس سنوات لينتصب بعدها للتدريس بمسجد سيدي قموش وسيدي بومعزة مكلفا من طرف شيخه لمساعدته.

ومن نشاطه خلال الفترة المذكورة، قيامه بتأسيس الشعبة الأوراسية لجمعية العلماء مع نخبة من العلماء والمثقفين وأسندت إليه رئاستها غير أن الاستعمار الذي كان بالمرصاد لمثل هذه النشاطات التي تهدد وجوده وتقضي على أطماعه سرعان ما حاربها ودسّ لها الدسائس فألقي القبض على المترجم له . رئيسها . في ١٩ أكتوبر ١٩٣٩ لتوجه إليه التهم الخطيرة كتحريض الشعب على التمرد والعصيان والقيام بحملة دعائية ضد فرنسا وشتم أعوان الحكومة إلى غير ذلك من التهم وتم وضعه رهن التحقيق ثم كانت المحاكمة التي توّجت بصدور حكم ببراءة الشيخ وتم

الإفراج عنه، وأعيد الشيخ مرة أخرى إلى السجن مع دفع غرامة تقدر بـ ٨٠٠٠ فرنك.

واصلا الشيخ نشاطه التعليمي في المساجد إلى اندلاع حرب التحرير المظفرة حيث التحق الشيخ بوفدها في القاهرة وقام فيها بدور يذكر فيشكر، وفي عهد الاستقلال تقلد مناصب دينية عديدة كالتفتيش وإدارة معهد تكوين الأئمة ببلدة سيدي عقبة إلى أن أحيل على التقاعد حفظه الله ورعاه.

الفضيل الورتيلاني

هو العلامة الجليل والداعية الإسلامي الكبير الشيخ الفضيل الورتيلاني. ولد رحمه الله في ٦ فيفري عام ١٩٠٠ في بلدية بني ورتلان ولاية سطيف. نشأ الفقيد رحمه الله في بيت علم ودين وفضل، وزاويتهم في بني ورتلان غنية عن التعريف فقد أخرجت أعدادا كبيرة من أهل العلم والفضل والصلاح وقد تحدث عنها الرحالة المعروف الشيخ الحسين الورتيلاني في رحلته.

حفظ المترجم له القرآن الكريم في زاويتهم وتلقى بها معلوماته الدينية واللغوية الأولى على شيوخها، وفي ١٩٣٠ التحق بقسنطينة لمواصلة دراساته على يد الإمام ابن باديس في الجامع الأخضر، وفي ١٩٣٤ عينه الشيخ عبدالحميد مدرسا معه ثم كلفته

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتمثيلها في فرنسا فأسس النوادي ونشر الوعي الإسلامي في أوساط جاليتنا هناك مع جماعة من الأساتذة الأعلام أمثال الشيخ الهادي السنوسي رحمه الله.

التحق بمصر سنة ١٩٤٠ ليحصل من الجامع الأزهر الشريف على شهادة العالمية بكلية أصول الدين وقام بنشاط دعوي كبير في أقطار المشرق العربي لصالح العروبة والإسلام والقضية الوطنية الكبرى.

وفي ١٩٤٩ قام بتأسيس مكتب يمثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لدى الأشقاء في الدول العربية وأخذ يناضل باللسان والقلم للتعريف بالجزائر والدفاع عن قضاياها العادلة وكان له نشاط كبير في ثورة التحرير الكبرى.

كانت وفاته رحمه الله ورضي عنه في أنقرة يوم ١٢ مارس ١٩٥٩ ونقلت رفاته إلى مسقط رأسه يوم ١٢ مارس ١٩٨٧.

الفضيل اسكندر

العالم الفقيه الصوفي الشيخ الفضيل اسكندر من رجال التصوف ومن أهل الخير والفضل والصلاح. ولد بالمدية سنة ١٩٠١ وفيها حفظ القرآن الكريم وتلقى معلوماته الدينية واللغوية ولم يغادرها لطلب العلم بل اقتصر على ما أخذه عن شيوخ بلده

وكوّن نفسه بنفسه بعد ذلك، فهو في ذلك من العصاميين القلائل الذين عرفوا على الساحة العلمية أمثال الشيخين الجليلين إبراهيم بيوض وعبدالمجيد حبّة رحمهما الله.

فهو محدّث ومفسّر وفقيه وأصولي، عاش حياته مغمورا بعيدا عن الأضواء، زاهدا متصوفا قارئا للقرآن، لسانه رطب بذكر الله والصلاة على رسوله (ص). حنفي المذهب في غير تعصب له، فسّر القرآن الكريم.

شهد له بغزارة العلم الأئمة الكبار كالطيب العقبي، وابن باديس، والإبراهيمي، والعربي التبسي، والميلي، وغيرهم. كان معروفا بقوة الحافظة، ومما يحكى عنه أنه سافر ذات يوم إلى تونس فزار جامع الزيتونة المعمور وكانت له مع علمائه مذاكرة ومناظرة فحاولوا تعجيزه بعد أن بزّهم في كل ما طرحوه عليه من الأسئلة وأخيرا سألوه عن قوله تعالى: فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ... إلخ. فأفاض في ذكر خصال الكلب الكثيرة ثم قال: إلا أن فيه خصلة واحدة ذميمة وهي إنكاره للضيف وهنا تفطن الشيوخ إلى ما كان يقصده بذلك فاعتذروا له وأكدوا أنهم لم يكونوا يقصدون ذلك.

رحمه الله، توفي سنة ١٩٨٢ بالمدية.

القاضي الصدوقي

هو العالم الجليل والفقيه الكبير الشيخ القاضي الصدوقي المعروف بمالك الصغير المولود بقرية تقاع نواحي بلدة صدوق المشهورة بزاوية الشيخ الحداد من أبطال ثورة ١٨٧١. وكانت ولادة الشيخ القاضي سنة ١٢٤١هـ ونشأ وترعرع رحمه الله في أسرة من أسر العلم والدين والصلاح.

وبعد أن حفظ القرآن الكريم ولما تجاوز العاشرة من عمره اشتغل بطلب العلم فرحل من أجله إلى عدة زوايا حيث أخذ عن كبار الشيوخ في وقته مختلف العلوم والفنون وتضلع في علمي الفقه والفرائض اللذين اشتهر بهما حتى لقب بمالك الصغير.

اشتغل بعد ذلك بالتدريس في العديد من الزوايا كزاوية سيدي موسى التي مكث بها مدة أربعة عشر عاما. ومما يروى عنه أنه ختم مختصر خليل أربعين مرة، الأمر الذي جعله مرجعا للعلماء وطلاب الفتوى الذين يأتون إليه من كل الجهات يأخذون عنه ويستفيدون منه. كما اشتهر الشيخ المترجم له بتمكنه في علم الفرائض الذي ألف فيه كتابا قيما كان مصيره الضياع نتيجة الإهمال كما ضاع الكثير من تراثنا الثقافي.

تخرج على الشيخ القاضي الصدوقي نخبة من كبار العلماء الذين خدموا الإسلام والعربية أمثال الشيوخ: الشريف الإفليسي، والسعيد ابن زكري، والسعيد الأموني وغيرهم.

ومما يسجل لهذا العالم الجليل أنه رفض وظيفة القضاء في بجاية التي عرضت عليه ليبقى حرا طليقا متفرغا لخدمة العربية والإسلام. توفي بمسقط رأسه سنة ١٣٠٥هـ عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي

هو العارف بالله الشيخ قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي، أخذ عن الشيخ الموسوم الطريقة الشاذلية وأخذ عن الشيخ سيدي أحمد التجاني الطريقة التجانية، فهو إذن شاذلي تجاني.

من تآليفه القيمة نذكر: شرحه على صلاته المعروفة بياقوتة الصفا في حقائق المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وكتاب: جلاء الران وتنوير الجنان فيما أشكل من طرق الميراث على الإخوان. ولوامع أنوار اليقين بل السيف المنير في قطع ألسنة من نقص الأئمة المجتهدين. ودرر الفيض الذي فيما يتعلق

بالكسب العياني والسني ـ وغيرها من المؤلفات الأخرى التي فاقت العشرين مؤلفا.

كانت وفاته يوم الثلاثاء ١٣ من شهر الله المحرم عام ١٣٢٢هـ ودفن في زاويته رحم الله الجميع ورضي عنهم.

محمد المجاجي السعيدي

محمد المجاجي نسبة إلى مدينة مجاجة التي ولد بها في ١٧ سبتمبر من عام ١٩١٧ وبها تلقى رحمه الله دراسته الأولى على شيوخها الذين نخص بالذكر منهم العلامة الجليل الشيخ قدور بشاوي وبعد حصوله على قسط وافر من العلوم الدينية واللغوية دخل معركة التعليم فدخل المدرسة الخلدونية التي عين بها أستاذا من طرف جمعية العلماء المسلمين التي كان المرحوم من أعضائها ومن رجالاتها المعروفين. ثم عين مديرا لمدرسة التربية والتعليم بمعسكر.

كان من أبناء الجزائر الأولين الذين لبوا نداء الواجب عند اندلاع ثورة التحرير المباركة التي سخر قلمه ولسانه لخدمتها، وتوعية الجماهير للالتفاف حولها، فتعرض بسبب ذلك وكغيره من أبناء الجزائر للسجن من طرف السلطات الاستعمارية من سنة ٥٧ إلى ١٩٦١.

وفي عهد الاستقلال المبارك كان له في مجالات التعليم والكتابة دور يذكر فيشكر فقد عمل أستاذا بثانوية الخوارزمي بمدينة تيارت كما شغل منصب محافظ وطني لحزب جبهة التحرير الوطني. وفي سنة ١٩٦٧ رجع إلى الشلف حيث عين أستاذا بثانوية السلام ثم مديرا لها إلى سنة ١٩٨١ حين عين مفتشا جهويا للشؤون الدينية لولايات الغرب الجزائري كما كان عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى.

توفي رحمه الله في فيفري ١٩٩٥.

محمد امزيان بلحداد

هو الولي الصالح والمجاهد الثائر الشيخ محمد امزيان بن الحداد تلميذ الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري، وشيخ الزاوية الرحمانية في صدوق بمنطقة القبائل التي تخرج منها علماء أجلاء منهم الشيخ محمد بن أبي القاسم البوجليلي صاحب الزاوية المعروفة بمنطقة القبائل.

وكانت زاوية الشيخ الحداد مركزا مهما لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس مختلف العلوم والفنون. فقد ذكر الشيخ البوجليلي أنه درس بها كتبا تعد من الأمهات في بابها مثل خليل في الفقه، والسلم في عليم المنطق، والجوهر المكنون في علم البلاغة

وكلاهما للعلامة الأخضري البنطيوسي رحمه الله ورضي عنه. وكذلك استعارة السمرقندوي.

وقد أعلن الشيخ الحداد الجهاد رفقة ولديه سي اعزيز وسي امحمد إلى جانب الحاج محمد المقراني سنة ١٨٧١ وتعرض مع أبنائه ومريديه إلى السجن والنفي والتعذيب والتغريم ومصادرة الأملاك وتذكر بعض المصادر أن السلطات الاستعمارية فرضت عليهم دفع مبلغ ٣٢ مليونا عقوبة على تمردهم ضد السلطة الحاكمة وهو مبلغ له أهميته بالنسبة لذلك العهد.

وقد توفي الشيخ بلحداد رحمه الله ورضي عنه سنة ١٨٧٣ ودفن بمقبرة قسنطينة في حفل جنائزي رهيب حضره علماء المدينة وأعيانها، وقد منعت السلطة الاستعمارية نقله إلى بلده ليدفن فيها ودفن إلى جانبه ابنه عبدالعزيز الذي دخل معه السجن، رحم الله الجميع ورضي عنهم.

محمد البكري

هو الشيخ الجليل سيدي محمد البكري المقيم بالزاوية البكرية المعروفة في تلك المناطق بتوات. وقد وصفه المترجمون له بالصوفي الكامل والشاعر الناثر واللغوي الصوفي الماهر.

فقد جمع رحمه الله بين علوم الظاهر والباطن، ومما يذكر عنه أنه لم ينل ما نال من العلوم بكثرة تردده على مجالس العلم ولا بمطالعة الكتب بل قذفه الله في قلبه كما قيل (ليس العلم بكثرة الراوايات وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده). فكان رحمه الله آية زمانه في النظم والنثر والتآليف والفتوى. وإذا أخذ القلم لا يحتاج في الكتابة والإنشاء لكثير من التأمل بل يكتب ما أراد في الحال.

وكان إذا سئل عن مسألة يقول للسائل: أتريد الجواب نظما أو نثرا. وإذا كتب تجد في كتابه من اللغة العربية والألفاظ العجيبة ما يدهشك. ألف الكثير من الكتب منها: نظم عجيب في التوحيد، وشرح الهمزية للإمام البوصري في مدح الرسول (ص) وتأليف في الاقتصاد، وديوان شعر.

رحمه الله ورضي عنه.

محمد البكري التمنطيطي

هو الشيخ الصوفي الربّاني قاضي الصحراء وحامل لواء المحجة الغراء سيدي محمد البكري بن الشيخ سيدي عبدالكريم المنطيطي منشأ ودارا. ولد في ١٢ رمضان من عام ١٠٤٢ هـ. أخذ العلم عن شيوخ كثيرين نذكر في مقدمتهم الشيخ سعيد

قدورة مفتي الجزائر المالكي المعروف، ومحمد بن النحوي الوكروشي، والحاج محمد فتحت بن عبدالكريم. وأخذ طريق القوم عن الشيخ سيدي محمد فتحا بن عمر البداوي. وقد انتفع بعلمه الكثير من الطلاب وتخرج على يديه جيل من العلماء. توفي رحمه الله يوم الأحد ٢ ذو القعدة عام ١١٣٣هـ.

ومن ذريته الشيخ سيدي محمد بن البكري صاحب الزاوية البكرية المعروفة، رحم الله الجميع ورضي عنهم.

محمد بن عمر الهواري

دفين وهران

هو الولي الصالح الشيخ محمد بن عمر الهواري المولود سنة ٧٥٤هـ بالقرب من مدينة مستغانم والمتوفي بوهران عام ٨٤٣هـ. انتقل في طلب العلم بين فاس وبجاية ومن شيوخه بها أحمد بن ادريس، وعبدالرحمن الوغليسي. حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، ولقب منذ صغره بالحافظ.

أسس بمدينة وهران زاويته التي كانت كعبة العلم والقرآن الكريم. سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وزار مصر التي اجتمع فيها بالمحدث الكبير الحافظ العراقي وغيره من كبار العلماء، كما زار بلاد الشام بعد أن جاور مدة بالحرمين الشريفين واستقر به

المقام في مدينة وهران التي انتصب فيها للتدريس حيث انتفع به خلق كثير وتخرج على يديه جمع من العلماء والفقهاء والصالحين نذكر منهم وفي مقدمتهم الشيخ سيدي إبراهيم التازي.

ومن مؤلفات الشيخ سيدي الهواري كتاب. السهر في فقه العبادات .. ومما يذكر في هذا المقام كتاب.. روضة النسرين في مناقب الاربعة الصالحين للشيخ بن صعد. ويقصد المؤلف بالأربعة الصالحين الشيوخ: سيدي الهواري، وسيدي إبراهيم التازي، وسيدي الحسن أبركان، وسيدي أحمد بن الحسن المغراوي. كما كتب الشيخ أبو راس المعسكري عن محمد الهواري منوّها به في رحلته رحم الله الجميع ورضي عنهم[1] .

محمد بن أحمد الموسوم

الشيخ الرباني الأستاذ محمد بن أحمد الموسوم، نشأ وترعرع في قبيلة غريب نواحي مليانة وهو أصلا من أولاد سيدي عبدالعزيز الحاج، له عدة تآليف أكثرها في الصلاة على النبي

---

[1] عن الشيخ المهدي شغيب: تاريخ قسنطينة.

صلى الله عليه وسلم، نذكر منها: التحفة المختارة في ثواب الزيارة. والأنوار المضينة في الصلاة على خير البرية. والرسالة في اسم الجلالة. وكشف الغمة في الصلاة على خير البرية. وتفريج الهموم في الصلاة على النبي كل يوم، لعبدالله محمد الموسوم. والعقد الثمين في الصلاة على النبي يوم الإثنين. والمكيال الأوفى في الصلاة على المصطفى. وحزب الأنوار الجامع لسائر الأدعية والأذكار. وشرح على السنوسية والنور الوقاد في تعزية الأولاد، ألفه لمامات ولد له واسمه محمد ليلة السبت ١٢٩٧ وعصا موسى في الرد على من أنكر وأسئ. وترجمان الأشواق إلى رؤية سيد الخلق على الإطلاق، وهو مؤسس الزاوية الشاذلية بقصر البخاري.

أخذ الطريق عن الشيخ سيدي عدة تلميذ مولاي العربي الطويل وهو أخذها عن مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي صاحب كتاب. شور الطوية في مذهب الصوفية.

توفي الشيخ الموسوم عشية يوم الجمعة ٢٤ ربيع الأول عام ١٣٠٠هـ الموافق لـ يوم ٢ فيفري ١٨٨٣م وعمره ٦٣ سنة. ودفن في قصر البخاري رحمه الله ورضي عنه.

محمد بن عزوز القاسمي

العلامة الشيخ محمد بن عزوز القاسمي من رجال العلم والمعرفة والعمل الذين نشأوا وترعرعوا في زاوية الهامل المعروفة بالقرب من مدينة بوسعادة حيث ولد الشيخ سنة ١٩٠٦ ببلدتها وقد كان والده الشيخ ابن عزوز من شيوخ الزاوية وعلمائها الأجلاء. أما والدته فمن أسرة علم معروفة، فأبوها الشيخ ابن عروس من رجال العلم والفقه والصلاح وأخوها العلامة الكبير الشيخ الحفناوي صاحب تعريف الخلف برجال السلف وابن أختها العالم الذائع الصيت الشيخ المكي بن عزوز دفين الاستانة.

بعد حفظه للقرآن الكريك أخذ من العلامة الجليل الشيخ محمد بن عبدالرحمن الديسي علم العربية فدرس متن الأزهرية والأجرومية والقطر والألفية كما أخذ التفسير والحديث والسيرة والقراءات السبع وشينا من مختصر خليل عنه، ثم انتقل عام ١٩٢٦ م إلى جامع الزيتونة بتونس ومن شيوخه بها علامة تونس الكبير الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله.

وفي سنة ١٩٢٧ يعود إلى الوطن لتعرف زاوية الهامل بعودته نشاطا علميًا ونهضة مزدهرة وكثر حوله طلاب العلم والمعرفة وامتد نشاطه إلى بيته المعمور في تغانيم الذي أصبح كعبة

الطلبة والعلماء يزورونه تلبية لدعوته لتبادل المعلومات والأراء فيما يفيد البلاد والعباد. وممن زاره من أهل العلم والإصلاح نذكر الشيخ محمد العجوي الفاسي، وعمر بن المدني التونسي، وعبدالقادر بن مسعودة الفاسي، وعبدالحي الكتاني، ونعيم النعيمي، ومبارك الميلي، والبشير الإبراهيمي، والعابد الجلالي. رحم الله الجميع ورضي عنهم.

كانت وفاة الشيخ محمد بن عزوز القاسمي سنة ١٩٨٤ رحمه الله.

محمد طفيش

الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى طفيش الحفصي العمدوي من أعلام الجزائر ومن علمائها الأجلاء. ولد في بلدة بني يزقن من وادي ميزاب سنة ١٨٢٠ وفيها تلقى العلم على كبار الشيوخ في وقته فأصبح من الذين يشار إليهم بالبنان في الفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الأخرى.

قضى عمره مدرسا وباحثا ومؤلفا. أخذ عنه واستفاد وتخرج على يديه خلق كثير من أهل العلم والمعرفة. وعمل بكل جد وإخلاص على نشر التعاليم الإسلامية السمحة الداعية إلى الأخوة والمحبة والتعاون وتبذل الخلافات والفرقة بين المسلمين.

ترك من التصانيف والمؤلفات ما يقرب عن المائتي كتاب نذكر من أهمها: جامع الشمل في حديث خاتم الرسل - إيضاح الدليل إلى علم الخليل في العروض - تفسير القرآن الكريم - شرح النيل في الفقه في عشرة أجزاء كبيرة - ديوان شعر.

كانت وفاته رحمه الله ورضي عنه في بني يزقن في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٢هـ الموافق لعام ١٩١٤م.

محمد بن عبدالرحمن الديسي

العلامة محمد بن عبدالرحمن الديسي من الأعلام الذين أنجبتهم الزوايا وهو من مواليد سنة ١٨٥٤ بقرية الديس الواقعة بالقرب من مدينة بوسعادة. حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الدينية واللغوية في بلدته المذكورة، ومنها انتقل إلى جبل النور كما كان العلماء يسمونه حيث توجد الزاوية الذائعة الصيت وهي زاوية ابن أبي داود، فواصل بها دراسته على يد شيوخها الأجلاء وتطلع في العلوم الدينية واللغوية كما درس المنطق والفلك والتاريخ. ومنها انتقل مباشرة إلى مدينة قسنطينة حيث كان بها كبار العلماء أمثال عبدالقادر المجاوي، وحمدان الونيسي، وعلى هذا الأخير زاول الشيخ محمد بن عبدالرحمن دراسة بعض العلوم ثم غادرها ليحط الرحال أخيرا

بزاوية الهامل حيث انتصب للتدريس بها إلى أن وافاه الأجل سنة ١٩١٩ رحمه الله.

عرف الشيخ بن عبدالرحمن الديسي بقوة حافظته ويذكر في هذا المقام أنه كان يحفظ خمسين متنا مثل خليل والعاصمية والرحبية والأزهرية والألفية وغيرها بالإضافة إلى اتقانه القراءات السبع وتبحره في كل العلوم التي كانت متداولة في عصره.

ربطته علاقات حميمة بالعديد من أعلام وقته مثل الإمام عبدالحميد بن باديس الذي كانت بينهما مراسلات علمية وأدبية. تخرج على يده عدد كبير من العلماء والفقهاء والأدباء.

خلف بن عبدالرحمن الديسي العديد من المؤلفات نذكر منها: العقيدة الفردية، والموجز المفيد، وسلم الوصول، والمناظرة بين العلم والجهل، وديوان شعر، واقحام الطاعن برد المطاعن، وتنوير الألباب، وكنوز الحقائق وغيرها. عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

محمد بن علي أبهلول المجاجي[1]

الإمام الهمام العالم الزاهد الشيخ سيدي محمد بن علي أبهلول المجاجي المشهور بالتقوى والصلاح. وكان للناس فيه اعتقاد عظيم وكانت كراماته أوضح من شمس النهار وهي دليل استقامته.وكان مستجاب الدعاء وهو دليل استقامته. كما كانت تشد إليه الرحال في المسائل العلمية هذب النقول ونقحها وكسا علم التصوف طلاوة وبهجة وله الباع الطويل العريض في الشعر والقريض من ذلك قصيدته التي مطلعها: أفوّض أمري للذي فطر السما. وهي قصيدة توسل فيها للمولى جل وعلا مفوّضا أمره إليه في المبغضين له والحاسدين من أهل زمانه وهي تشمل على حكم وأمثال، وكان رحمه الله يطعم الطعام ويفشي السلام.

وكانت زاوية الشيخ معروفة بالطعام وإقراء الضيوف من ذلك ما حكاه الشيخ أبو الحسن الشريف: "خرجنا إلى ثغر تنس فلقينا سيدي محمد بن علي وأنزلنا بزاويته في مجاجة وكنا في جوع ونحن نحو ١٣٠٠ نفس وقصدناه للزيارة فأكرمنا خارج الزاوية

---

[1] تعريف الخلف للحفناوي.

لكثرتنا. وكانت خيولنا ذكورا وإناثا، فقال لنا: أتركوها من ألف بين قلوبكم يؤلف بينها وأمرنا بالجلوس على ٢٤ جلسة وأفاض علينا الثريد واللحم والعسل والسمن، قال: وبعد ذلك توفي الشيخ قدس الله سره وقبره مشهور مزار لقضاء الحوائج ومات رحمه الله قتيلا سنة ١٠٠٢هـ وولد سنة ٩٤٥هـ وقد رثاه تلميذه علامة الجزائر سيدي السعيد قدورة، رضي الله عنهما، بقوله:

مصاب جسيم كاد يصمي مقاتلي ... ورزء عظيم قاطع للمفاصل
ألمت دواهي أذهلت كل ذي حجمي ... وأي امرئ من مذهل ذاهل
فلم أر خطبا كافتقاد أحبة ... ثووا في الثرى ما بين صم الجلال
ونحن نيام غافلون عن الذي ... يراد بنا فويح نومان غافل

رحم الله الجميع".

محمد بن المبارك الجزائري

العلامة الفاضل الشيخ محمد بن المبارك وأصله من مدينة دلس ولاية تيزي وزو. فقد هاجر والده الشيخ المبارك فيمن هاجروا عقب الاحتلال الفرنسي إلى الشام سنة ١٨٤٦ بعد أن أصابهم ما أصابهم من ظلم الاحتلال واضطهاده. كان جدهم الشيخ المهدي السكلاوي اللواثني شيخ الطريقة الرحمانية من الوجوه البارزة

التي هاجرت يومئذ إلى الشام تاركا مشيخة الطريقة من بعده للمجاهد الثائر العلامة الشيخ الحداد.

وقد ولد صاحب الترجمة في مدينة بيروت سنة ١٨٤٧ وشب وترعرع في بيت علم وصلاح فنشأ نشأة طيبة صالحة وتلقى تعليمه الابتدائي على أفراد أسرته الذين كانوا يسهرون على تربيته وتعليمه. ثم أتم تعلمه بدمشق التي توفي بها سنة ١٩١٢.

من مؤلفات الشيخ محمد بن المبارك: - المقامات العشر لطلبة العصر - وأبهى مقامة في المناظرة بين الغربة والإقامة - وبهجة الرائح والغادي في محاسن الوادي - يصف فيه بأسلوب رائع ممتع وادي دمشق الذي تغنى به الشعراء والأدباء - ولوعة الضمائر ودمعة الناظر في رثاء الأمير عبدالقادر - ونضرة البهار في محاورة الليل والنهار - ومختصر مقامات الحريري - وغير ذلك من المؤلفات، رحمه الله.

محمد بن عبدالقادر المبارك

العلامة الكبير الدكتور محمد بن عبدالقادر بن المبارك الدلسي الجزائري من أحفاد الشيخ المبارك الذي تحدثنا قليلا عنه فيما سبق وهو من مواليد مدينة دمشق عاصمة القطر السوري الشقيق حوالي سنة ١٩١٢م. تعلم في مدارسها وتدرج في التعليم

في ثانوياتها ثم جامعتها التي حصل منها على شهادتي الليسانس والحقوق والأداب.

وفي سنة ١٩٣٣ التحق الفقيد بجامعة السربون في فرنسا حيث أتم دراساته العليا وبعدها قفل راجعا إلى دمشق ليعيّن أستاذا للغة العربية وآدابها ثم أستاذا للحقوق والشريعة إلى أن انتخب عميد الكلية الشريعة الإسلامية.

تقلد عدة مناصب وزارية نذكر منها وزارة المصارف والمواصلات والزراعة والأشغال العامة وهذا اعترافا بمكانته العلمية وتقديرا لما يتمتع به من سمعة طيبة بسبب مواقفه النضالية المشرّفة وجهاده العظيم أثناء الحكم الاستعماري الفرنسي لسوريا ومقاومته له.

وقد أهّلته مكانته العلمية البارزة ونشاطه العلمي الكبير ليصبح أستاذا متنقلا بين جامعة دمشق والجامعة الاردنية وجامعة الملك عبدالعزيز بجدة وجامعة ام درمان بالسودان. كما كانت له مشاركات علمية متميزة في العديد من المؤتمرات والملتقيات الفكرية عبر العالم ومنها محاضراته في ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر.

ومن مؤلفاته العلمية القيّمة: ـ سلسلة نظام الإسلام ـ وفقه اللغة ـ وخصائص العربية ـ و منها الأدب الخالد والأمة العربية في ميدان

تحقيق الذات. والقصة في كتاب البخلاء. ونصوص لغوية في القرآن الكريم.

توفي رحمه الله ليلة الجمعة في ٣ ديسمبر ١٩٨١ رحمه الله تعالى.

وقد رثاه الشاعر الفحل أحمد الطيب معاش البائني بقصيدة نقتطف منها هذه الأبيات:

يا شهيدا يا مبارك	هل أعزي أم أبارك
هل أمني النفس باللقيا	لعلي أتدارك
فأصلي خلف إنسان	به الدين تبارك
غبت عنا دون توديع	وقد شط مزارك
غبت من أهل وصحب	ونواديك ودارك
في سبيل العلم والإسلام	قد خضت المعارك
كنت دوما في الميادين	تباري وتشارك
كنت في الفصحى كسحبان	وفي الفقه كمالك
تنشر الحكمة كالصبح	فتهدي للمسالك
غبت عنا يا مبارك	وبعد تداعي ديارك

إن حرمنا من وداع فعلى البعد نشارك

أنت حي رغم موت لم يوفق إذ أصابك

محمد بن منصور العقبي

عالم من علماء الجزائر، ورائد من رواد الحركة الإصلاحية الأوائل، ولد ببلدة سيدي عقبة سنة ١٨٨٢ في بيت علم ودين وصلاح، وبها كانت نشأته وتعلمه حيث حفظ القرآن الكريم كعادة طلاب العلم ثم درس على شيوخ البلدة أمثال الشيخين: البشير بن الصادق، وعلي بن إباهيم وقد ترجمنا لهما.

وفي سنة ١٩٠٦م هاجر إلى الحجاز حيث طاب له المقام بدار الهجرة التي وجد العلامة الجليل الشيخ حمدان لونيسي قد سبقه إليها، والشيخ المذكور غني عن التعريف فهو شيخ رائد النهضة الإسلامية في الجزائر الإمام عبدالحميد بن باديس رحمه الله.

لازم صاحب الترجمة الشيخ حمدان ودرس عليه وعلى غيره من علماء المدينة آنذاك ليعود بعد الحرب العالمية الأولى أي سنة ١٩٢٠ إلى مسقط رأسه ويتفرغ للتدريس بمسجد عقبة حيث تخرج عليه جماعة من العلماء الأجلاء نذكر منهم الشيخ عبدالمجيد حفظه الله.

يغادر بلدة سيدي عقبة سنة ١٩٣١ ليستقر نهائيا ببلدة برج أم نايل إماما ومدرسا بطلب من الشيخ الجليل الطيب العقبي رحمه الله الذي أبى إلا أن يحضر بنفسه مع جماعة من العلماء والمصلحين في تقديم الشيخ بن منصور لأهالي بلدة برج أم نايل وتعريفهم به.

وهكذا بدأ الشيخ عهدا جديدا من العمل الدؤوب والنشاط المتواصل في حقل الإصلاح بمشاركته الفعالة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي كان عضوا إداريا بها، وفي مجال الأدب بنشره العديد من القصائد التي جادت بها قريحته وفي ميدان الوعظ والإرشاد والتدريس حيث أجاد وأفاد.

ولا بأس أن نختم هذه العجالة في التعريف بالشيخ محمد بن منصور بهذه الأبيات من قصيدة له بعنوان خواطر وسوانح، نشرت له في جريدة البصائر:

الله أكبر بأن اليوم ما استترا	وزال كل حجاب يستر البصرا
نور الحقيقة شمس ليس يحجبها	عن أصل مطلعها قلب بها كفرا
من قام يسعى لما بالفكر أدركه	لا شك يدركه بالسعي إن صبرا
اليأس يقتل أفكارا ويقبرها	وضده باعث ما كان قد قبرا

ومن قصيدة أخرى نشرت في جريدة البصائر: من الشعور اشتقاق الشعر يقول في مطلعها:

من الشعور اشتقاق الشعر فهو ذاك الشعور شعار جل مؤتيه

على

وأنه عدد من يدري حقيقته در ولا درر الأصداف تحكيم

در العقول لذاك المرء يبرزه في سلك نظم لجيد الظهر يهديه

توفي رحمه الله ببرج أم نايل ودفن بها في حدود سنة ١٩٥٥ رحمه الله.

محمد المختار بن الأعمش

هو العلامة الجليل والولي الصالح الشيخ محمد المختار بن الأعمش صاحب الزاوية التي تحمل اسمه بمدينة تندوف بالجنوب الجزائري. ولد سنة ١٢٠٣ هـ، عرف بورعه وتقواه وغزارة علمه، تقلد منصب القضاء فكانت تشد إليه الرحال للأخذ عنه والاستفادة من علمه والتماس البركة منه. له النوازل المعروفة بالنوازل الأعمشية بالاضافة إلى المؤلفات الكثيرة التي تركها في مختلف العلوم والفنون من بينها نذكر هذه العناوين التي ذكرها المؤرخ السوسي في كتابه ـ سوس العالمة:

نصيحة ذوي الرسوخ.

شرح إضاءة الدجنة للمقري.

مؤلف في رسم المصحف.

ومن المخطوطات التي لم تطبع والتي توجد في مكتبة أسرة بلعمش نذكر:

نصيحة قضاة البرية في تحريم الرشوة والهدية.

ألّف سنة ١٢٤٢هـ.

شفاء الصدور في فتح مسؤولية المشكور.

ألّف سنة ١٢٦٣هـ.

معرفة المباني لصحة المعاني والإعانة للمقصر العاني. ألّف سنة ١٢٧١هـ.

عجالة البركة في النفقة وزيادتها في البائس والصدقة. ألّف سنة ١٢٧٩هـ.

مؤلف في أسماء الله الحسنى.

توفي رحمه الله ورضي عنه بمدينة تندوف سنة ١٢٨٧هـ ولا يزال ضريحه إلى يومنا هذا محط الزائرين من كل حدب وصوب. وقد كتب عنه الكثير من تلاميذه ومريديه، نذكر من بينهم الشيخ أحمد الكلوي.

محمد بن أب المزيري

من كبار علماء توات في عصره، له عدة تآليف في مختلف العلوم والفنون منها رجزه المسمى: العبقري في نظم الأخضري. وقد تداوله الطلاب لينتفعوا به في نواحي توات وغيرها. وقد طبع طبعة واحدة ونقتطف منه هذه الأبيات:

الحمد لله الجزيل النعم	مرشد من عن سبل الحق عم
ثم صلاة الله يتلوها السلام	على رسول الله سيد الأنام
وبعد فاعلم أنني قصدت	إنجاز ما كنت به وعدت
من نظم سهو الشيخ الأخضري	معتذرا لكل الأوزعي
من فرط جهلي وقصور فهمي	وخطرات لا تزال تهمي
برجز سمينة وهو حرى	بالعبقري في نظم سهو الأخضري
فالله حسبي وبه اعتصم	من كل ما يشنيه أو يصم

وقد تخرج على يديه وأخذ عنه طائفة من رجال العلم والمعرفة. ومن تآليفه نظمه لمقدمة ابن أجروم في النحو والمسمى: . نزهة الحلوم في مقدمة ابن أجروم . يقول في مطلعه:

نحمدك اللهم يا من أنعم	وعلم الإنسان ما لم يعلما

وبك أسألك أن تصليا على نبي بالبهاء حليا

سيدنا محمد خير البشر

كلام أهل النحو لفظ ركبا ولافادة بوضع صحبا

لاسم وفعل ثم حرف قسما بالخفض والتنوين الاسم وسما

وله شرح على همزية الإمام البوصيري في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام وقد توفي الشيخ محمد أبّ ابن أحمد بن عثمان المزيري بتيميمون ودفن بها رحمه الله ورضي عنه.

محمد بن أحمد صاحب أندات

هو العلامة العامل سيدي محمد بن أحمد الملقب أبو تشنت، شب وترعرع في كنف والده، فحفظ القرآن الكريم صغيرا ثم أخذ العلم عن العديد من أعلام عصره نذكر في مقدمتهم الشيخ الزروق الذي أجازه وأخذ الطريقة الشاذلية والطيبية والرحمانية عن الشيخ عدة بن غلام الله الذي أشار عليه بأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ الموسوم الذي أخذ عنه الطريقة التيجانية كما أخذ على العلامة الجليل الشيخ سيدي علي الحفاف بالجزائر.

أنشأ الشيخ محمد بن أحمد مدرستين: قرآنية وعلمية وكان رحمه الله يبذل جهده في إرشاد الناس وتربيتهم كما كان إلى

جانب ذلك يشتغل بالتدريس في زاويته وكان قوي الحافظة فقد عرف بحفظه لمتن الشيخ خليل بن إسحاق في الفقه المالكي ولمؤلفات كثيرة في التصوف.

للشيخ محمد بن أحمد أتباع كثيرون ومريدون مشهود لهم بالخير والتقوى والصلاح وفي مقدمتهم الشيخ ابن الشرقي صاحب العطاف.

توفي الشيخ محمد بن أحمد يوم ١٦ جمادي الثانية من عام ١٣١٧هـ وعمره سبعون سنة تاركا وراءه ذرية صالحة كانوا له خير خلف لخير سلف. رحم الله جميعهم.

محمد البصري

العلامة الجليل الشيخ محمد البصري المولود بالقنادسة سنة ١٨٨٩م. حفظ القرآن الكريم في زاوية القنادسة وبها زاول دراسته حيث قرأ على شيوخها الذين كانوا بها أمهات الكتب العلمية في الفقه والنحو وغيرهما من العلوم، ومن بين الكتب التي درسها بالزاوية المذكورة: رسالة القيرواني، ومختصر خليل بن إسحاق، وتحفة الحكام، والألفية.

رحل بعد ذلك إلى المغرب الأقصى الشقيق ليلتحق بجامعة فاس التي بقي بها مدة ١٨ سنة طالبا ومدرسا ومنها حَصَلَ على

شهادة العالمية. عاد بعد ذلك إلى أرض الوطن وكانت وجهته في أول الأمر إلى مدينة تلمسان التي انتصب بها مدرسا للغة العربية وأصول الفقه ثم انتقل إلى المشرية حيث كان يقوم بتدريس اللغة والفقه وتفسير القرآن الكريم.

وبطلب من شيخ زاوية القنادسة يومئذ الشيخ مصطفى تولى الشيخ محمد البصري الإفتاء والتدريس وخطب الجمعة بالمسجد الكبير بزاوية القنادسة. وهكذا أصبح مفتيا للجهة الغربية من سعيدة إلى جنوب المغرب وكان رحمه الله يدرس الأصول والفقه والتفسير والتوحيد. وكان يأخذ الطلبة إلى بيته ليلقي عليهم دروسا في التاريخ لأن هذه المادة كانت منعت من طرف السلطات الاستعمارية بالجهة وكان يحثهم على الجهاد، الأمر الذي جعل بيته عرضة للبوليس ورجال الدرك الفرنسي.

تخرج على يد هذا الشيخ الجليل عدد كبير من العلماء وكانت علاقته بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله جد وثيقة وكانت بين الفقيدين مراسلات ومذاكرات. توفي رحمه الله في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ بالقنادسة رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه.

تـرك الفقـيد مكتـبة تزهـر بالكتـب القـيّمة والمخطوطـات النفيسة، ومن الجرائم البشعة التي ارتكبها الاستعمار في حق هذا العالم الجليل إحراقه لبعض مؤلفاته.

محمد بن العابد الجلالي

هـو العـالم المجـاهد محمـد بـن العـابد الجلالـي من بلدة أولاد جلال ولاية بسكرة وفيها ولـد سـنة ١٨٩٠ وبهـا حفـظ القرآن الكريم وتلقـى مـبادئ العلـوم الديـنية واللغوية عـن والـده العلامـة الشـيخ العـابد الجلالـي الـذي كان من كبار شيوخ الناحية وقد تخرج على يديه غير واحـد من أهل العلم والمعرفة.

تعلـم الشـيخ محمـد العـابد فـي الـزاوية المخـتارية الرحمانـية الـتي كـان والـده المذكـور واحـداً مـن مدرسـيها البـارزين ثـم انتقل بعـد الحـرب العالمـية الأولـى إلى مدينة قسنطينة التي كانت تعجّ بالعلمـاء الأعـلام فاتصـل بهـم ولازم حلقات دروسهم وفي مقدمتهم الإمـام الجلـيل الشـيخ عبدالحمـيد بـن بـاديس رحمـه الله الـذي ربطته به علاقات حميمة.

عيّن باختـيار مـن الشـيخ عبدالحمـيد مدرسا بمدرسـة التربـية والتعلـيم الإسـلامية الحـرّة فـي قسـنطينة فأظهـر فـي هـذا الميدان من العبقرية ما جعل ابن باديس يلقبه بالمعلم المثالي، وقال عنه

الإمام الجليل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "وله في تربية الصغار وتحبيب العلم إلى نفوسهم طرائف نفسية هو فيها نسيج وحده، وزيادة على تألقه في الميدان التربوي فقد نبغ في الأنشودة الوطنية بل يعدّ رائدها حيث جعلها في متناول الأطفال والشباب".

كان من كتّاب القصة، نشرت له مجلة الشهاب والصديق، والمنتقد وفي هذه الأخيرة التي كان متجولا لها تحت عنوان. وقفات. وأصدر سنة ١٩٣٤ جريدة. أبو العجائب. التي كانت تصدر كل يوم خميس وله كتاب. تقويم الأخلاق. مطبوع بالجزائر.

كان من المعلمين الرُوَّاد الذين عرفتهم المدارس الحرة في عين مليلة رفقة الشاعر الجزائري الفحل الشيخ محمد العيد ومن بسكرة حيث كان من تلاميذه البارزين البطل الشهيد العربي بن المهيدي.

وعند اندلاع ثورة التحرير الكبرى كان الشيخ محمد بن العابد من السابقين الأولين الذين لبوا نداءها والتحقوا بصفوفها رغم تقدم سنه وضعف صحته. ألقي عليه القبض في ١٩٥٥ وتعرض للتعذيب والسجن والحكم بالإعدام. توفي رحمه الله ورضي عنه سنة ١٩٦٧ متأثرا بما لاقاه في سبيل دينه ووطنه من بلاء وابتلاء.

محمد مرزوق

هو العالم الفاضل الأستاذ محمد مرزوق من أعلام الجزائر الذين نجهل عنهم الكثير. ولد الشيخ محمد مرزوق بتلمسان في ٢١ جانفي ١٨٨٤. درس في مسقط رأسه ثم واصل الدراسة بالمدرسة الثعالبية حيث تخرج منها بشهادة عليا. رحل إلى فرنسا سنة ١٩٠٥ لدراسة اللغة الفرنسية والتعمق فيها.

كان من الرواد الأوائل الذين علموا اللغة العربية في بلاد المالي حيث مكث مدة خمس سنوات عاد بعدها إلى أرض الوطن، حيث عيّن مدرسا، وقاضيا، ومترجما في كل من مدينة مازونة، وسيدي بلعباس إلى أن استقال سنة ١٩٢٠ من كل هذه الوظائف بسبب المشاكل التي تعرض لها نتيجة اتصالاته السرية مع الأمير خالد رحمه الله.

عاد إلى تلمسان سنة ١٩٢٠ حيث عمل بها وكيلا شرعيا، وواصل نضاله إلى جانب الأمير خالد كما كانت له اتصالات وثيقة بالمجاهد الكبير الأمير عبدالكريم الخطابي بالإضافة إلى لقاءاته المتكررة مع رواد الإصلاح كالعالمين الجليلين: عبدالحميد ابن باديس، والبشير الإبراهيمي رحمهما الله.

توفي رحمه الله في ٠٨ أوت سنة ١٩٣٩.

محمد بن عبدالله الديلمي
شيخ الطريقة الخلوتية بمدينة المسيلة

هو العالم الكبير والصوفي الشهير الشيخ محمد ابن عبدالله بن عبدالقادر بن الشيخ سيدي أبي زيان ابن مبارك بن الموهوب الذي يتصل نسبه بالشيخ سيدي أمحمد الديلمي. ومن هذه الأسرة الكريمة العريقة النسب انحدر الشيخ محمد بن عزوز الديلمي الذي ذكره ابن مريم من علماء تلمسان في كتابه البستان..

نشأ الشيخ محمد بن عبدالله في بلدة المسيلة التي تعرف في كتب التاريخ بالمحمدية وشب وترعرع في حضن والديه وحفظ القرآن الكريم ثم رحل إلى مدينة بجاية التي كانت قبلة طلاب العلم والمعرفة فحلّ بها طالبا مجتهدا وأخذ عن الشيخ السعيد الحريري الذي لازمه مدة من الزمن.

ثم انتقل إلى منطقة القبائل حيث توجد الزوايا التي كانت محجة الطلاب من كل حدب وصوب وقصد أولا زاوية سيدي أحمد بن يحي فأخذ عن مشايخها ثم إلى زاوية سيدي عبدالرحمن اليلولي ومنها إلى قسنطينة لملازمة دروس العلامة الكبير الشيخ

عبدالقادر المجاوي رحمه الله الذي أكمل على يده دراساته العليا وأجازه.

أنشأ بعد ذلك زاويته التي تخرج منها العديد من العلماء الأجلاء الذين عرفوا بمكانتهم العلمية داخل الوطن وخارجه. التقى الشيخ ابن عبدالله بالعديد من شيوخ الطرق الصوفية في وقته وأخذ عنهم ونذكر من بينهم شيخ التربية الصوفية يومئذ سيدي عمارة بن أبي الديار بجبل الناظور الذي أخذ عنه التصوف وأذن له في التربية وأخذ الطريقة الخلوتية الرحمانية عن الشيخ المجاهد سيدي ابن الحداد.

زار الشيخ ابن عبدالله الديلمي الحرمين الشريفين بمكة والمدينة وجاور هناك مدة طويلة من الزمن سمحت له بالأخذ عن كبار العلماء في الحجاز.

بعد عودته إلى أرض الوطن لازم الشيخ المطالعة وأكثر من قراءة كتاب الأحياء، والمنقد من الضلال للغزالي، وفصوص الحكم لأبي العربي، والرسالة القشيرية، والإنسان الكامل وغيرها من كتب التصوف. وكان يلقي دروسا علمية ودينية، يختم الجزأين الأول والثاني من مختصر خليل في فصلي الشتاء والربيع. وفي السنة التي تليها ينهي الجزأين الثالث والرابع مع الافتتاح في كل درس بتفسير آيات من القرآن الكريم. كما كان يلقي فيما بين السنة من

الشهور دروسا في التوحيد والفقه والنحو بمساعدة بعض طلبته الذين تخرجوا عليه كما كان يقوم بتلقين الأسماء السبعة من أسماء الله الحسنى كما هو معمول به عند شيوخ الطريقة الخلوتية وبقي هكذا مدة أربعين سنة لا يبرح مكانه حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ١٣٦١هـ وقد ولد سنة ١٢٦٤هـ ودفن مجاورا لضريح جده الشيخ أمحمد الديلمي دفين المسيلة وكانت له زاوية تهتم بتحفيظ القرآن الكريم وذكر الأوراد الخلوتية.

وتتمتع هذه الأسرة باحترام وتقدير المواطنين، وتوجد وثائق من عهد الحكومة التركية التي كانت توصي فيها بما يجب نحو هذه الأسرة من احترام وتقدير. وقد ذكر العلامة بلهاشمي في كتابه . الحسب والنسب . واحدة من هذه الوثائق المكتوبة بماء الذهب بإمضاء السيد أحمد باي.

ترك الشيخ ابن علبدالله الديلمي رحمه الله ذرية صالحة نذكر منهم العلامة الشيخ محمد وقد توفي بعد والده بالمسيلة، والشيخ علي البوديلمي الذي استقر بمدينة تلمسان ينشر العلم ويدعو إلى الله وقد عيّن إماما ومدرسا بالجامع الأعظم بالمدينة المذكورة.

أسس العديد من الزوايا لتعليم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والعربية. وكان مدير مدرسة سيدي بومدين العتيقة ويعلم بها. وقد

تخرج عليه عدد كبير من العلماء الأجلاء كما انتفع على يده العديد من المريدين في ميدان التربية الروحية التي كان له فيها إليه اليد الطولى.

له تآليف كثيرة منها ما طبع ومنها ما لا يزال مخطوطا. ومن نشاطه الثقافي بمدينة تلمسان انشاؤه لجريدة الذكرى التي كانت تصدر حافلة بالمقالات في العلم والدين والأدب.

أما دراسته فكانت على يد شيوخ أجلاء نذكر منهم الإمام الراحل الشيخ عبدالحميد بن باديس طيب الله ثراه، وفي جامع الزيتونة بتونس حيث مكث مدة طويلة وتحصل على شهادات علمية مختلفة وأخذ علم الحديث بالمغرب الأقصى عن مشاهير علماء وقته دراية ورواية وأجازه في أوساط العلماء.

له عدة مؤلفات منها: تفسير القرآن الكريم، وشرح حكم ابن عطاء الله السكندري، وشرح على الصلاة المشيشية، ومزيل اللبس عن أداب وأسرار القواعد الخمس، والدرة الشريفة في الكلام على أسرار الطريقة، وحلية العبيد، وشرح على نظم شيخه أحمد زروق في أصول الطريقة الشاذلية.

توفي بالجزائر العاصمة سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦م ودفن خارج سور المدينة وذكر الجيلالي أنه مدفون بالبرج الكائن خارج باب

الوادي الغربي قرب شاطئ البحر بجوار الشيخ سيدي محمد الكتاني.

محمد الغسيري

الأستاذ الأديب والمعلم المربي الشيخ محمد المولود بدشرة أولاد منصور "كاف العروس" عرش غسيرة دائرة أريس، سهرت والدته الفاضلة على تربيته بعد وفاة والده فأدخلته كتاب القرية حيث تلقى مبادئ القراءة والكتابة وحفظ بعض سور القرآن الكريم ليكمل حفظه فيما بعد في زاوية الشيخ أحمد بن الصادق بأولاد ميمون على يد شيوخ الزاوية المذكورة.

في سنة ١٩٢٩ التحق بزاوية سيدي الجودي فأخذ عن شيخها محمد الصغير الجودي ثم دخل مدرسة الأخاء بمدينة بسكرة سنة ١٩٣١ قبل أن ينتقل إلى مدينة قسنطينة سنة ١٩٣٣ حيث لازم دروس الشيخ عبدالحميد بن باديس بالجامع الأخضر ليتخرج منه بعد أربع سنوات فيعيّن معلما بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة التي كان قد سبقه إليها العلامة المجاهد الشيخ العابد الجلالي رحمه الله.

تعرض الشيخ محمد الغسيري للسجن بسبب أحداث ١٩٤٥ حيث تنقل بين سجن قسنطينة والحراش وجنين برزق نواحي

عين الصفراء ومعتقل المشرية إلى سنة ١٩٤٦ وبعد الإفراج عنه عيّن من قبل جمعية العلماء مفتشا عاما للمدارس الحرة التابعة للجمعية المذكورة وبقي في هذه المهمة إلى سنة ١٩٤٩ حيث عيّن مدير مدرسة بقسنطينة ثم مدير مدرسة الإرشاد بسكيكدة.

وكان للشيخ إلى جانب نشاطه في التعليم نشاط آخر مكثف حين كلف من طرف الجمعية بمهام خارج الوطن فقام بزيارة إلى المغرب الشقيق حيث نزل ضيفا على حزب الاستقلال كما قام برحلة إلى فرنسا مكلفا من طرف الكشافة الإسلامية الجزائرية حيث حضر المؤتمر العالمي للكشافة كما سافر إلى مصر في مهمة مماثلة.

انضم إلى جبهة التحرير الوطني بالقاهرة فعينته ممثلا لها في سوريا، وفي عهد الاستقلال عين سفيرا للجزائر المستقلة في السعودية والكويت. توفي رحمه الله في ٢٤ جويلية ١٩٧٤ رحمة الله عليه.

ومن انتاجه الفكري كتاباته الكثيرة في صحف جمعية العلماء: الشهاب، والبصائر، ومجلة الحياة، ولسان حال الجامعة الكشفية، والمنار للأستاذ بوزوزو. وله من التآليف كتاب . خلاصة الدروس الفقهية.

محمد الشرقي

هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن الشرقي العطافي دارا الإدريسي نسبا. كانت ولادته رحمه الله سنة ١٢٣٩هـ. حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة عن الشيخ الفقيه ابن العربي. وكان منذ صغره طيب الأخلاق حسن السلوك ويذكر عنه كان كثير الصيام والقيام وهو صغير يقرأ القرآن.

أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ عدة بن غلام الله بواسطة مقدمه السيد محمد البعبيدي كما أخذ عن الشيخ الموسوم صاحب زاوية قصر البخاري وعن الشيخ محمد بن أحمد صاحب أندات.

توفي الشيخ محمد بن الشرقي ليلة الإثنين جمادي الأولى سنة ١٣٤١هـ وله من العمر ٩٧ سنة وصلى عليه الشيخ امحمد بن عشيط ودفن في خلوته التي كان يتعبد فيها تاركا وراءه الكثير من تلاميذه الذين رباهم على الخير والصلاح والتقوى كالشيخ الجيلالي بن عبدالحكم اليحياوي صاحب المعهد العلمي في الأصنام وغيره ممن لا يزالون أوفياء لشيخهم.

محمد العربي تمنطيط

هو العالم الفقيه الشيخ محمد العربي تمنطيط المولود بمدينة المشرية سنة ١٩٢٦ وينتمي المترجم له إلى أسرة عرفت منذ القدم بالفضل والصلاح. سهر والده على تعليمه، وتربيته على الأخلاق الفاضلة، والسلوك القويم. ومن المشايخ الذين تتلمذ عليهم نذكر عبدالرحمن بن الهاشمي المعراوي، ومحمد بن صالح، وعبدالرحمن بن بالرايح. وبعد حصوله على المبادئ الأولى في علوم الدين والعربية رحل سنة ١٩٤٧ إلى تونس لينضم إلى طلبة جامع الزيتونة ومن شيوخه نذكر عالمي تونس المعروفين الطاهر بن عاشور وجلة العلامة الفاضل بن عاشور رحمهما الله.

وفي سنة ١٩٥١ عاد إلى أرض الوطن ليدخل معركة التعليم العربي الحر فأسس مدرسة رغم الصعوبات التي كان يعيشها معلم العربية وقتئذ ورغم مضايقات الاستعمار وتهديداته الدائمة له. وقد أخرجت تلك المدرسة العديد من المثقفين من الجنسين استطاعوا أن يلتحقوا بمعهد عبدالحميد بن باديس بقسنطينة في السنة الدراسية ٥٣-٥٤. ولما اندلعت ثورة التحرير المباركة التحق الكثير منهم بصفوف المجاهدين لينال بعضهم معترك

الشهادة رحمهم الله. وقد أغلقت هذه المدرسة من طرف الاستعمار وأبلي مؤسسها البلاء الحسن ابان الثورة التحريرية الكبرى فعذب وسجن ككل أبناء هذا الوطن.

وبعد خروجه من السجن واصل رسالته في ميدان التعليم حيث انتقل إلى مدينة تلمسان وبقي هناك إلى أن عاد في عهد الاستقلال إلى مسقط رأسه حيث عمل أستاذا للغة العربية ثم عيّن مديرا وأخيرا مفتشا للتعليم إلى أن أحيل على التقاعد، غير أن عطاءه لم ينقطع وبقي ومرشدا في المساجد كما انتخب عضوا نشيطا في المجلس الشعبي البلدي لمدينة المشرية.

وبعد إنشاء ولاية النعامة عيّن مفتشا للشؤون الدينية وكانت خاتمة المطاف انتدابه إلى فرنسا ليكون معلما لأبناء المغتربين فأدى الرسالة على أكمل الوجوه إلى أن لقي ربه وشيعت جنازته في موكب مهيب من تلاميذه ومحبيه يوم ١٤ جانفي ١٩٩٥. رحمه الله وأسكنه فراديس جنانه.

محمد الأخضر الخياري الحركاتي

العلامة الفقيه الشيخ محمد الأخضر بن علي بن محمد خياري الحركاتي المالكي الخلواتي. كان رحمه الله معروفا بالعفة والورع، متفانيا في العمل من أجل خدمة دينه ولغته ووطنه.

كانت ولادته عام ١٢٥٦هـ، اشتهر بحبه لفعل الخير والدعوة إلى الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية، والتعاون فيما فيه خير البلاد والعباد.

قام بتدريس مختلف العلوم والفنون وقد تخرج عليه الكثير من الطلبة من أولاد سوان، وأولاد سعيد، وأولاد عمار، والأكراعشي. وكان محل حب وتقدير الجميع. يأتون إليه من كل النواحي يسألونه عن الحلال والحرام وعن الفصل في النزاعات بين الأعراش وإصلاح ذات البين.

كانت لَهُ أيَادٍ بيضاء في سبيل جمع شمل الأمة، ووحدة صفهم بما أوتيه من الحكمة وفصل الخطاب وكان يشرح للناس حضار الخلاف والفرقة والنزاع والشقاق وما ينجم عن ذلك من تمزيق الوحدة الإسلامية فيقطع بذلك كل اسباب الخلاف والخصام ويعود المتخاصمون المتنازعون فارحين مسرورين شاكرين له حسن الصنيع، فكان بذلك مصداقا لقول من قال:

"والناس أكيس في أن يمدحوا رجلان في غير أن يحه وافيه أثار إحسان. كانت للشيخ زاوية تسمى الأخيرية يأتي إليها الطلبة من كل جهات القطر طلبا لتعليم العلم والقرآن وهي مؤسسة على تقوى في الله ورضوان شعارها بث العلم الصحيح وتحفيظ القرآن الكريم.

وقد كان نجله الفاضل محمد سعيد يساعده في أداء هذه الرسالة المقدسة، وهكذا قضى الشيخ رحمه الله حياته إماما بمسجد خنشلة ومدرسا، من تأليفه: مفيد الراغبين على بهجة التائقين، طبع بتونس وهو شرح منظومة بهجة التائقين للولي الصالح الشيخ مصطفى بن عزوز وقد طلب منه هذا الشرح الفاضل العالم الشيخ علي بن عثمان رحم الله الجميع بواسع رحمته ومغفرته.

كانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٣هـ عن عمر يناهز ٧٤ سنة.

امحمد رايس

هو الشيخ امحمد رايس من شهداء ثورة التحرير المباركة. ينتمي لأسرة علم ودين وصلاح فهو حفيد العلامة الشيخ علي الحضري وكان والده شيخ زاوية ولد المترجم له سنة ١٩٢١ بقرية أولاد بن زيان بلدية جليدة وتلقى علوم الدين والشريعة على أبيه السابق الذكر ثم انتقل إلى زاوية الشيخ احمد ببوراشد.

انخرط في حزب الشعب الجزائري سنة ١٩٤٨ وعمل في خلايا الحزب التي كانت تنشط بالمنطقة ثم ناضل في حركة انتصار الحريات الديموقراطية مع جماعة من رفاقه وفي مقدمتهم الشهيد أمحمد بوقرة وفي سنة ١٩٥٠ دعي ككل المواطنين وقتئذ

لأداء الخدمة العسكرية فكانت له فرصة استغلها في تعلم قواعد الحرب التي أفادته فيما بعد في أداء واجبه الوطني المقدس، كما قام بتوعية إخوانه المجندين وإعدادهم كذلك لليوم الموعود. وكانت للشهيد مساهمة كبيرة في الإعداد للثورة المباركة في جبال عمرونة والونشريس وغيرها.

كان من المجاهدين النشطين في المنطقة الثالثة بالولاية الرابعة حيث تبنى عدة هجومات مظفرة على قوات الاحتلال ومن بين تلك المعارك التاريخية التي قادها الشهيد نذكر معركة جمعة أولاد الشيخ سيدي امبارك بنواحي عمرونة.

استشهد في ٨ جوان ١٩٥٨ بقرية دواجي ببلدية جليدة رحمه الله وأسكنه فراديس جنانه.

مصطفى بن مولاي

هو العالم الجليل الشيخ مصطفى عيشوب بن مولاي المعروف باسم صافا، ولد رحمه الله في ١٥ جانفي ١٩١٥ بمدينة معسكر. وهو ينتمي لأسرة عرفت في تلك الجهة بالعلم والصلاح والجهاد. فقد كان والده الشيخ مولاي رحمه الله من رجال العلم والتصوف، وكان إخوته مجاهدين في ثورة التحرير الكبرى.

تلقى تعليمه على شيوخ بلده في زوايا المنطقة المعروفة بتعليمها للقرآن الكريم وتدريسها للعلوم اللغوية والدينية ومن بين الشيوخ البارزين الذين درس عليهم نذكر الشيخ المرفي، والشيخ الهاشمي بن بكار مفتي معسكر، رحمهما الله.

عرف الشيخ لدى العام والخاص بالعمل الدؤوب لنشر العلم في أوساط الطلبة بتدريس مختلف المتون المعروفة في الفقه والنحو كالشيخ خليل، وألفية ابن مالك، وقد تخرج عليه عدد لا يستهان به من طلبة العلم.

اشتغل بالامامة في مدينة معسكر منذ أن عيّن في المسجد العتيق.

انتقل إلى جوار ربه يوم الخميس ١٦ مارس ١٩٩٥ بعد عمر حافل بالصالحات في الأعمال وشيعت جنازته يوم الجمعة بمقبرة سيد المزاري بمعسكر حيث دفن إلى جوار والده رحم الله الجميع.

مصطفى بن المختار

هو العلامة الأكبر الشيخ سيدي مصطفى بن المختار والد الشيخ محي الدين وجد البطل المجاهد الأمير عبدالقادر بطل المقاومة الوطنية، وصاحب زاوية القيطنة القادرية التي كان يقوم

فيها بتدريس العلوم وتلقين الأذكار. كان رحمه الله آية في اتباع الكتاب والسنة والمجاهدة وكان صوّاما قوّاما.

اشتهر بالتبحر في العلوم على اختلاف أنواعها وخصوصا علم العربية، والفروع الفقهية مع تشعب مسائلها واتساعها، ومما يذكر عنه أنه بعد أداءه فريضة الحج مرّ ببغداد لزيارة ضريح الشيخ عبدالقادر الجيلالي فزاد في مسجد الشيخ زيادة عرفت فيما بعد بزيادة الشيخ مصطفى المغربي وكان له عند الباي محمد مكانة مرموقة وكان لا يردّ له طلبا فحصل من ذلك للمسلمين خير كثير.

توفي رحمه الله ببرقة بالقطر الشقيق وهو عائد من البقاع المقدسة ودفن هناك وضريحه بها معروف وله منظومة في مدح الشيخ الهاشمي بن علي بوشنتوف. رحمهم الله جميعا.

مصطفى الرماصي القلعي

العالم الجليل الشيخ سيدي مصطفى الرماصي ينسب إلى قرية من قرى مستغانم تسمى رماصة. أخذ العلم في مصر عن كبار علمائها بعد أن جلس في حلقات مازونة التي كانت حاضرة علم يقصدها الطلاب من كل مكان للأخذ عن فطاحل علمائها.

للشيخ الرماصي عدد كبير من المؤلفات المفيدة في علم الكلام والفقه وغيرهما نذكر منها على سبيل المثال: شرحه على

متن السنوسية، وحاشيته على شرح شمس الدين عامر التتائي على متن الشيخ خليل بن إسحاق في الفقه المالكي.

وقد تحدث رحمه الله عن قبر خالد بن سنان العبسي وأكد وجوده بالبلدة المعروفة باسمه - سيدي خالد - ناحية أولاد جلال ولاية بسكرة. أما تاريخ مولده ووفاته فغير مضبوط. غير أن المؤكد الذي لا شك فيه أنه كان موجودا في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وأنه دفين قلعة بني راشد المعروفة بنواحي غليزان بالغرب الجزائري، رحمه الله ورضي عنه.

مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي الحسني الإدريسي

عالم فاضل وعابد زاهد من بيت عرف في طولقة بالعلم والصلاح، رحماني الطريقة، خليفة الشيخ علي بن عمر على رأس الزاوية العثمانية بالبلدة المذكورة، هاجر إلى تونس حيث نشر فيها الطريقة الرحمانية الخلوتية، واستقر بمدينة نفطة التي أسس بها زاويته التي أصبحت قبلة المتعلمين وطلاب المعرفة. ومنها تخرج فطاحل العلماء أمثال: الشيخ العربي التبسي، والشيخ عاشور الخنقي صاحب المنار وغيرهما.

وقد أصبح له أتباع كثيرون ومريدون، وكان المشير أحمد باشا يقدره ويعظم شأنه، وقد نظم العلامة التونسي الشيخ إبراهيم الرباحي عدة قصائد في مدح الشيخ مصطفى بن عزوز الصوفي الرحماني. وكانت زاويته بنفطة ملجأ للمجاهدين والمقاومين الجزائريين. وقد أوى الكثير من أبطال المقاومة الوطنية أمثال الشيخ بن ناصر بن شهرة، والشريف محمد بن عبدالله، ومحي الدين، ابن الأمير عبدالقادر، والخليفة محمد الصغير بن أحمد بن الحاج خليفة الأمير عبدالقادر وغيرهم.

من آثاره بهجة العاتقين، وروضة الأنوار، ورسالة في السلوك إلى طريق الخلوتية، ورسالة من مناقب علي بن عمر مؤسس الزاوية الرحمانية بطولقة.

من أبنائه الشيخ محمد المكي بن عزوز دفين اسطنبول صاحب الصيت الذائع، والشهرة الكبيرة في العالم العربي والإسلامي، وصاحب التآليف العلمية القيّمة. رحم الله الجميع بمغفرته ورضوانه.

معزوز البحري المستغانمي

هو الولي الصالح سيدي الشيخ معزوز المستغانمي، وقد عرف بالبحري لكون متعبده ومدفنه على جبل بشاطئ البحر

بمستغانم إلى حين إنشاء الميناء فنقلت رفاته إلى مقبرة البلد بالجهة الموالية للبحر وقد تم نقله يوم الأحد ١٦ شعبان سنة ١٣٠٧ هـ الموافق لـ ٦ أفريل سنة ١٨٩٠م.

ومن مؤلفاته الكثيرة شرحه على متن السنوسية الذي يحتوي على فوائد حسنة رائقة وتنبيهات مفيدة فائقة، ونظمه اللطيف لمتن السنوسية، وشرحه على متن السلم في المنطق للعلامة البحر الشيخ عبدالرحمن الأخضري رحمه الله.

أما وفاته فكانت بالتقريب في حدود أواسط القرن الثاني عشر الهجري عليه رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

المكي بن عزوز

العلامة الجليل والفقيه الأصولي الكبير والصوفي المحدث الشيخ محمد المكي بن مصطفى ابن الشيخ محمد بن عزوز البرجي الطولقي الجزائري الأصل. ولد في مدينة نفطة التي هاجر إليها والده واستقر بها وأسس زاويته الرحمانية المعروفة وكانت ولادته سنة ١٨٥٤.

تلقى دراساته الأولى وحفظ القرآن الكريم في زاويتهم بنفطة ثم انتقل إلى تونس حيث أكمل دراساته العليا وتنقل مدرسا ودارسا ومجتمعا بالعلماء في القطر الجزائري حيث زار الزاوية

العزوزية بطولقة وزاوية الهامل واتصل بشيخها ومؤسسها العالم الفاضل الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي فاستفاد منه وأفاد كما اتصل بعلماء الجزائر وقسنطينة وأخذ منهم وتذاكر معهم وألقى العديد من الدروس وترك ذكرا طيبا وأثرا حميدا.

أما عن المناصب والوظائف التي شغلها فقد ولي الافتاء بنفطة في عهد الوزير خير الدين باشا وذلك اعترافا بمكانته العلمية كما تولى القضاء وفي سنة ١٢٩٨هـ يتخلى بمحض أرادته عن منصب الافتاء ليتطوع بالتدريس في جامعة الزيتونة. وعرف عنه تعلقه بمنهج الرواية والاسناد وخدمة السنة النبوية وإقباله على ما كاد يكون منقطعا عن علوم الرياضيات كما يقول عنه العلامة الجليل الشيخ الفاضل بن عاشور رحمه الله.

رحل إلى قسنطينة وكان ذهابه ابتداء بقصد الحج ثم بلغه في أثناء الطريق أن السبيل غير مأمونة فحمله الحذر على تأخير الحج إلى وقته المأمون وزاد في السير يزور مدن الشرق إلى أن قرّ به القرار في الاستانة وقد ترك ابنيه الكامل ومصطفى. ولمجرد استقراره بها تولى تدريس الحديث والتفسير في دار الفنون ومدرسة الواعظين. وكان رحيله إلى الاستانة سنة ١٣١٣هـ.

له تآليف كثيرة ورسائل وفتاوي مفيدة نذكر منها: رفع النزاع في بيان معنى التقليد والاتباع - السيف الرباني في عنق

المعترض على الغوث الجيلالي، والمسألة المهمة في سبب اختلاف الأئمة. المفاخرة بين الصيف والشتاء. الهلال في بيان حركة الإقبال في الميقات.

توفي بالاستانة ودفن بها سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م.

رثاه الكثير من العلماء والشعراء نذكر من بينهم رائد الإصلاح والمصلحين فقيد العروبة والإسلام الشيخ الطيب العقبي بقصيدة نقتطف منها ما يلي:

هي الدار في أحداثها تتجرم ... سرور فأحزان فعرس فمأتم
حنانيك أنا للمنية عرضة ... وكل ابن أنثى فهو للموت مسلم
وكل بليغ مصقع فهو عندها ... إذا طرقت يوما من الدهر مفحم
وما المكث في دار الغرور لعالم ... حقيقتها الأعاف وعلقم
أمات ابن عزوز وأودت علوم ... أم الركن ركن الدين أم يهدم
بلى إنها الأقدار وافت برزئه ... وما كان ظني أن يدك يلملم
فد معي حلال سبكه بعد بعده ... وصبري عنه ما حييت محرّم
محمد بالمكي مالك راحل ... أزهدا بنا أم في سبيلك فعلم
إلى الله أشكو ما لفقدك محسني ... من البؤس والضراء والقلب يكلم

ورثاه ابن أخته العلامة الجليل الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر رحمه الله بعد أن عاد من ألمانيا سنة ١٣٣٤هـ إلى الاستانة وكان خاله قد توفي بها قبل وصوله إليها بنحو شهرين فزار قبره قائلا:

رب شمس طلعت في مغرب — وتوارى في ثرى الشرق سناها
ها هنا شمس علوم غربت — بعد أن أبلت بترشيش ضحاها
بفؤادي لوعة في فقدها — كلما أذكره اشتد لضاها
فقفا لمحة طرف نقتني — عبرا من سيرة طاب شذاها
أيها الراحل قد روّعتنا — بفراق حرم العين كراها
صغت بالتدريس أطواق شبا — درّها بالجامع السامي فتاها
أينما كنت تداعت أصلم — تملى روضه يحلو جناها
من علوم اللغة الفصحى إلى — حكمة الشرع إلى علم سواها

ويختمها بقوله:

طب مقاما يا ابن عزوز فقد — كنت تعطي دعوة الحق مناها

رحم الله الجميع ورضي عنهم.

المهدي البوعبدلي

هو الأستاذ المؤرخ الشيخ المهدي البوعبدلي المولود بمدينة بطيوة الواقعة بالغرب الجزائري على بعد ٤٠ كلم من مدينة وهران وكانت ولادته سنة ١٩٠٧. وفي مسقط رأسه حفظ القرآن الكريم، وتلقى على يد والده معلوماته الابتدائية ثم انتقل إلى مازونة التي كانت في وقت من الأوقات حاضرة علم ومعرفة وكانت تعج بالعلماء وكانت مقصد طلاب العلم وفيها تكوّن الإمام محمد بن علي السنوسي وأسس أولى زواياه في الجزائر. مكث الشيخ المهدي بمازونة من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٧ يدرس بمدرستها التاريخية الشهيرة. ومنها رحل إلى تونس حيث انضم إلى طلبة جامع الزيتونة المعمور وفيه أنهى دراساته الدينية واللغوية.

بعد عودته إلى الوطن عيّن سنة ١٩٣٩ بالجامع الكبير بوهران ثم اسندت إليه وظيفة الافتاء ببجاية سنة ١٩٤٠ وفيها جمع الشيخ المهدي من الكتب والمخطوطات النفيسة التي ملأت مكتبته العامرة ومن بجاية إلى مدينة الشلف في نفس المنصب إلى أن أحيل على التقاعد.

كان رحمه الله كثير الكتابة في المجلات التي تصدر بالجزائر فقد كتب عدة بحوث ومقالات تاريخية في مجلات الأصالة،

والثقافة، والتاريخ، بالإضافة إلى محاضراته القيمة التي كان يلقيها في ملتقيات الفكر الإسلامي. كما قام بتحقيق العديد من الكتب التاريخية مثل كتاب. دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران للقاضي الزياني، وكتاب الثغر الجماني للشيخ أحمد الراشدي. كما حقق الشيخ رحمه الله في حياة الكثير من رجال العلم والفضل والصلاح أمثال: الشيخ إبراهيم التازي، وأبي مدين وغيرهما.

منحت جامعة وهران في يناير ١٩٩١ أول دكتوراه شرفية في الجزائر للشيخ المهدي البوعبدلي اعترافا بفضله وجده، واجتهاده في مجال العلم والمعرفة. توفي رحمه الله بعد مرض لازمه مدة من الزمن وكانت وفاته سنة ١٩٩٢ ودفن بزاويتهم بمدينة بطيوة.

موسى الأحمدي نويوات

الأستاذ الجليل الشيخ موسى بن محمد الملياني الأحمدي المسيلي المعروف بنشاطه الأدبي داخل الوطن وخارجه. ولد سنة ١٩٠٠ في قرية الطبوشية القريبة من قلعة بني حماد التاريخية الواقعة قريبا من مدينة مسيلة. رحل إلى بلدة الفاتح عقبة بن نافع حيث كانت النهضة العلمية والقرآنية بها مضرب الأمثال

وحديث القاصي والداني. استقر بها المترجم له فحفظ القرآن الكريم وتلقى على شيوخها ما لذ وطاب من أنواع العلوم الدينية والعربية.

انتقل بعد ذلك إلى زاوية الحاج السعيد بن الأطرش في قرية أولاد العياضي وتتلمذ بها على الشيخ محمد أرزقي فدرس الفقه والتوحيد والسيرة النبوية والنحو والصرف ثم سافر إلى مدينة قسنطينة حيث لازم الشيخين الجليلين الإبراهيمي وابن باديس ثم إلى تونس حيث انخرط في سلك طلبة جامع الزيتونة وبعد أربع سنوات قضاها به عاد إلى الوطن ليدخل معركة التعليم في مدرسة القلعة، فمدرسة برج الغدير، وممن تخرج على يديه من الأدباء والعلماء نذكر: الشاعر الشهيد عبدالكريم العقون، ومحمد بن بالي خباية، وعيسى معتوقي رحمهم الله جميعا. وفي سنة ١٩٣٧ استقر ببرج بوعريريج ليعلم ويدير مدرستها التي تخرج منها الكثير من العلماء والأدباء. كما درس بقلعة بني عباس عدة سنوات حيث مثل الحركة الإصلاحية هناك.

والشيخ موسى الأحمدي شاعر فحل وله قصائد رائعة في مختلف المناسبات وله نشاط كبير في ميدان التأليف. فمن مؤلفاته نذكر:

المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي.

المحادثة العربية للمدارس الجزائرية.

شرح الأسئلة الرمضانية.

معجم الأفعال المتعدية بحرف.

كشف النقاب عن تمارين اللباب.

ملح وطرائف.

وكلها طُبِعَ في الشركة الوطنية للطبع والنشر والتوزيع وفي مطابع لبنانية.

أما المخطوطات من مؤلفاته، فنذكر منها:

القراءة العربية للمدارس الجزائرية.

ديوان شعر بالفصحى.

ديوان شعر ملحون.

حفظ الله الشيخ ورعاه. توفي الشيخ رحمه الله قبل ان يطبع الكتاب سنة١٩٩٩

الشيخ المولود بن الصديق الحافظي الأزهري

علم من أعلام الجزائر، وواحد من علماءها البارزين، إنه العلامة الشيخ المولود بن الصديق الحافظي الأزهري، فقيه، فلكي، وكاتب، ولد بقرية بوقاعة نواحي سطيف سنة ١٨٩٥م وبها حفظ القرآن الكريم في بعض زواياها وتعلم مبادئ العربية والدين ثم هاجر إلى مصر حيث انخرط في سلك طلبة الأزهر الشريف الذي تخرج منه بعد أن قضى به سنوات.

عاد إلى أرض الوطن فكان له نشاط كبير حيث بدأ مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم انفصل عنها ليؤسس جمعية علماء السنة التي عيّن رئيسا لها كما تولى رئاسة تحرير جريدة الإخلاص لسان حال هذه الجمعية.

وقد كتب العديد من المقالات في مختلف الجرائد التي كانت تصدر يومئذ كالشهاب، والبرق، ووادي ميزاب، والبلاغ الجزائري، وكانت مقالاته في العلم والاجتماع وفي المسائل الفقهية.

وإلى جانب نشاطه الصحفي كانت للشيخ الحافظي نشاطات أخرى في ميدان التربية والتعليم حيث عرفته عدة زوايا مدرسا بها كزاوية اليلولي والزاوية الحملاوية والمعهد الكتاني.

توفي رحمه الله سنة ١٩٤٨.

مولود قاسم نايت بلقاسم

في قرية بلعيال دائرة آقبو ولاية بجاية، ولد المؤرخ والمفكر العبقري الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم في السادس من شهر جانفي من سنة ١٩٢٧. تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة الأباء البيض في قرية ايغيل علي ببني عباس. ثم انتقل بعدها إلى زاوية سيدي يحي العبدلي بمقره، حيث أخذ عن شيوخها القرآن الكريم والمبادئ الأساسية في اللغة والدين.

التحق بجامع الزيتونة حيث تابع دراسته من سنة ١٩٤٦ إلى ١٩٤٩ ليلتحق منها بالقاهرة التي مكث بها إلى ١٩٥٤ ليواصل بعدها دراساته في الجامعات الأروبية ـ السربون بباريس ـ جامعة براغ بتشيكوسلوفاكيا، فجامعة بون بألمانيا.

هذا عن دراسته أما عن نشاطه السياسي فقد بدأه مناضلا في حزب الشعب الجزائري من ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٥٤ تاريخ اندلاع ثورة التحرير الكبرى التي انضم إليها مناضلا في صفوف جبهة التحرير

الوطني التي تحمّل فيها عدّة مسؤوليات وفي مختلف العواصم الأروبية.

وفي عهد الاستقلال تقلد المترجم له مناصب سامية في الدولة بدءا برئاسة قسم البلدان العربية بوزارة الشؤون الخارجية، فمدير الشؤون السياسية بنفس الوزارة، فمستشار سياسي في الرئاسة، فوزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية. وقد أبدى في كل هذه المناصب كفاءة ونشاطا منقطعي النظير.

للأستاذ مولود قاسم مؤلفات وبحوث تاريخية قيّمة أحدها باللغة الألمانية والباقي باللغة العربية. وقد كان يتقن عدة لغات يكتب ويحاضر بها كالفرنسية والإنجليزية والألمانية والسويدية إلى جانب لغات أخرى.

كان رحمه الله شديد الحب لوطنه معتزا بعروبته وإسلامه فخورا بهما أحبهما بصدق وإخلاص فناضل من أجلهما وجاهد في سبيلهما وبقي وفيا لهما إلى أن وافاه الأجل المحتوم في شهر أوت من سنة ١٩٩٣ رحمه الله ورضي عنه وأسكنه فراديس جنانه.

الشيخ نعيم النعيمي

هو الأستاذ العلامة نعيم النعيمي بن أحمد بن علي من عرض أولاد حركات القاطن نواحي بلدة سيدي خالد من ولاية بسكرة.

ولد رحمه الله سنة ١٩٠٩ بالبلدة المذكورة من أب ينتسب إلى الطريقة الرحمانية ومن إخوان وأتباع زاوية الشيخ المختار بأولاد جلال.

حفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات بمساعدة أخيه الأكبر الشيخ الجنيدي وخاله الذي كان معلما للقرآن الكريم في الجهة. إلتحق بعد ذلك بزاوية الشيخ المختار سنة ١٩١٩ لمتابعة دراسته العلمية بها وكان قد سبقه إليها أخوه الشيخ علي. وكانت الزاوية يومئذ قبلة طلاب العلم والمعرفة.

زاول الفقيد دراسته الدينية واللغوية مدة أربع سنوات على الشيخين الجليلين: العابد السماتي والد العلامة المجاهد محمد بن العابد الجيلالي رحمه الله، ومصطفى بن قويدر المعروفين بغزارة العلم والمعرفة. بعدها تاقت نفسه إلى المزيد من الدراسات فرحل إلى تونس قصد الانتساب إلى جامع الزيتونة غير أن ظروفه المادية لم تسمح له بالبقاء هناك وكان ذلك سنة ١٩٢٤.

قام رحمه الله سنة ١٩٢٦ برحلة علمية داخل الوطن خصصها لغرب ووسط البلاد وذلك قصد الاحتكاك برجال العلم والتعرف عليهم والإستفادة منهم كالقضاة والمفتين والمدرسين ومشايخ الطرق وكذلك زيارة المكتبات الخاصة ومكتبات المساجد والزوايا

للاطلاع على ما تحويه من نفائس الكتب المطبوعة والمخطوطات. وكان الشيخ معروفا بمحافظته القوية التي ساعدته على استيعاب وحفظ كل ما يقف عليه من كتب.

انضم الشيخ إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ الساعة الأولى لتأسيسها سنة ١٩٣١ كعضو عامل واتصل برئيسها الإمام ابن باديس رحمه الله وأصبح من كبار دعاتها وأنصارها في ناحية الغرب الجزائري حيث كان مستقرا في مدينة الأصنام معلما بمدرستها. وخلال الحرب العالمية الثانية غادرها ليستقر بمدينة طولقة خطيبا بمسجدها. ثم تحوّل إلى مدينة بسكرة سنة ١٩٤٣ لينشئ بها نهضة علمية استفاد منها الكثير من الطلبة ثم عيّن سنة ١٩٤٧ مدرسا بمعهد عبدالحميد بن باديس بقسنطينة حيث استقر نهائيا، وقام بدور عظيم في معركة الإصلاح ونشر الوعي الإسلامي في أوساط الجماهير بواسطة دروس الوعظ والإرشاد التي كان يلقيها في النوادي والمساجد.

شارك في ثورة التحرير مشاركة فعالة وكان من بين العلماء الأوائل الذين لبّوا نداءها وكانت تربطه علاقات حميمة ببعض قادتها أمثال الشهيدين العربي بن مهيدي، ومصطفى بن بولعيد، في عهد الاستقلال شغل منصبًا بمفتشية الأوقاف بقسنطينة.

مثل الجزائر في عدة مؤتمرات إسلامية في تونس سنة ١٩٦٨ وفي ماليزيا سنة ١٩٦٩ وقدّم بحوثا وألقى محاضرات قيّمة تدل على مكانته العلمية. وابتداء من سنة ١٩٧٠ أصيب بمرض عضال لازمه إلى سنة ١٩٧٣ التحق بالرفيق الأعلى وبموته فقدت الجزائر علما من أعلامها وابنا من أبنائها البررة الذين بذلوا في سبيل عزتها النفس والنفيس. ترك من آثاره العلمية:

نظم قطر الندى وبل الصدا لابن هشام النحوي.

مقطوعات شعرية.

محاضرات حول تاريخ الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي وفي الجزائر.

دروس في التفسير ألقاها على طلبة كلية الآداب بجامعة قسنطينة.

الأبحاث التي قدمها إلى المؤتمرات الإسلامية[1] .

رحمه الله ورضي عنه.

---

[1] عن مقال لابن أخيه أبي القاسم النعيمي حفظه الله.

الشيخ الهاشمي دردور

هو العلامة المجاهد الشيخ الهاشمي بن علي دردور المولود ببلدة مدرونة ناحية وادي عبدي في قلب الأوراس سنة ١٨١٥. حفظ القرآن بالزاوية في مسقط رأسه ولم يتجاوز من العمر الثانية عشرة سنة. ثم التحق بزاوية الشيخ ابن عزوز بالبرج قريبا من طولقة ومنها انتقل إلى زاوية الشيخ عبدالحفيظ بخنقة سيدي ناجي ثم زاوية بوحجر نواحي قالمة ليعود بعد ذلك إلى مسقط رأسه.

وبوصية من شيخه ابن عزوز غادر أرض الوطن قاصدا أرض الكنانة لمواصلة الدراسة بالجامع الأزهر الشريف ثم التدريس بالاسكندرية إلى سنة ١٨٧٠ حين عاد إلى مسقط رأسه ليشرف ابتداء من سنة ١٨٧٥ على تسيير زاويتهم بمدرونة، وأسس سنة ١٨٧٦ طريقة الأحباب وهي فرع من الطريقة الرحمانية الأم. كما انتصب للتدريس يعلم الرجال والنساء المبادئ الدينية والتربوية.

أيد الثورة التي فجرها المجاهد ابن جار الله سنة ١٨٧٩ وانضم إليها وعبأ لها المريدين والأتباع وحرضهم على التمرد على سلطة المحتلين وعدم دفع الضرائب لهم فتعرض بسبب مواقفه إلى السجن والنفي والتشريد فقد نفي إلى جزيرة كورسيكا وبعد

عودته من منفاه واصل هذا الشيخ المربي العظيم رسالته في تربية المواطنين وتعليمهم ونشر الثقافة العربية الإسلامية.

وتعود سلطات الاحتلال مرة أخرى سنة ١٨٩٥ إلى إلقاء القبض على الشيخ الهاشمي ونقله إلى باتنة غير أن سكان الأوراس من وادي عبدي ووادي الطاقة قاموا بمظاهرات احتجاج صاخبة أمام السلطات العسكرية وكان في الطليعة جماعة من الأعيان من بينهم الشيخ المبارك بن محمد بن بلقاسم من زاوية ثنية العابد يطالبون بإطلاق سراح الشيخ وهكذا وتحت ضغط الجماهير الغاضبة تم الإفراج عن الشيخ الهاشمي.

توفي رحمه الله ورضي عنه بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال سنة ١٨٩٩.

الشيخ واضح الشلفي[1]

لقد ظهر أمر الشيخ سيدي واضح في أواسط القرن السابع الهجري واشتهر حاله في أوائل الستين منه، وكان رحمه الله قاهرا لأحواله، مجتهدا في العبادة دائم التوجه إلى الله قامعا لشهواته،

---

[1] الحفناوي: التعريف

وكان كشيبان الراعي عاملا قوّاما حتى أنه كان لا يفطر إلا على رأس أربعين يوما بشيئ من الخبيز وهو نبات معروف.

هكذا وصفه العلامة أبو عمران موسى الخازوني في كتابه . ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار . وكانت كهوف الشيخ سيدي واضح بجبل وافرشان. وقد اعترف به وبولايته ملوك ورؤساء ومانه مثل أبي يحي يغمراس بن زيان بن ثابت ملك دولة بني زيان وراس الأسرة الزيانية المتوفي بوادي رهيو سنة ٦٨١هـ وقد زاره بجيشه وحاشيته، كما زاره قصد التماس البركة منه محمد عبدالقوي أمير بني تجين أو توجين وشيخها. وتوجين من القبائل الكبيرة التي كانت تقطن تلك المسافة الشاسعة بين السعيدة والمدية.

وقد بقي تاريخ مولد الشيخ سيدي واضح مجهولا، أما وفاته ففي أواخر القرن السابع الهجري. ومن شيوخه الولي الصالح العابد المتبرك به سيدي أبو يعقوب ابن السيد العالم القدوة أبي عبدالله محمد بن محيو الهواري الشهير بالأبرش.

ومن الكرامات التي تنسب للشيخ سيدي واضح الشلفي رحمه الله أن الولي الصالح سيدي فاتح بن يوسف وكان عابدا ناشطا، رأى في منامه ذات ليلة أن الشيخ سيدي واضح جعل في عنقه حبلا وجرّه إليه فلما استيقظ قال وجبت علَي زيارته وذهب إليه

ولما قرب منه قال: سيدي واضح: قوموا بنا نلتق الزائر فلما رآه تبسم وقال له: يا فاتح لما لا تجئ حتى جعل الحبل في عنقك. رحمهم الله جميعا.

الشيخ سيدي يحي العيدلي

العالم الفقيه المتصوف الشيخ سيدي يحي العبدلي من بيت علم ودين وفضل وصلاح، قضى حياته في خدمة العلم والعبادة والذكر. وكان رحمه الله قد اتخذ خلوة في مغارة توجد بجبل . ات عادل . نواحي آقبو ولاية بجاية. تحدث عنه أحمد زروق الونيسي المغربي (١٤٤٣-١٤٩٣) قائلا: "إنه طود العلم وشمس الحق والعرفان". وشهد له بالولاية والصلاح الشيوخ: عبدالرحمن الصباغ شارح الوغليسية في الفقه، وعبدالرحمن الثعالبي، والتواتي البحائي.

له عدة تآليف، كما ظهرت له كرامات يعرفها الخاص والعام، يوجد ضريحه وزاويته في بلدة تموقرا وقد عرفت منذ القرن التاسع وساهمت مساهمة فعالة في نشر وإحياء الثقافة العربية الإسلامية. ولا تزال إلى الآن مركز شعاع علمي وديني.

أحمد بن يلس

من أعلام الجزائر الأفذاذ العلامة الجليل الشيخ أحمد بن يلس شاوش المولود بتلمسان سنة ١٨٥٢ وفيها حفظ القرآن الكريم وتلقى معلوماته على شيوخها. قام في أوائل هذا القرن بتأسيس الزاوية التابعة للطريقة الدرقاوية وكان أول المعلمين بها، وأول من أحدث طرقا وأساليب جديدة في التعليم مما أثار عليه بعض الشيوخ المحافظين على الطرق العتيقة.

من مواقفه الخالدة، إصداره فتوى تدعو أهالي تلمسان وما جاورها إلى الهجرة لكي لا تتمكن السلطات الاستعمارية من تجنيدهم الإجباري خلال الحرب العالمية الأولى.

وفي سنة ١٩١٠ هاجر الشيخ ابن يلس إلى سوريا، وفي دمشق أسس الشيخ زاوية وبجانبها مدرسة لتعليم أبناء المسلمين دينهم ولغتهم، ولا تزال هذه الزاوية قائمة لحد الآن. وبعد هجرته من الجزائر خلفه في مشيخة الزاوية بتلمسان الشيخ ابن عودة بورصالي، ومن أبرز تلاميذه الذين تخرجوا على يديه: أحمد مصالي الحاج زعيم الحركة الوطنية المعروف وكانت وفاة الشيخ ابن يلس في دمشق سنة ١٩٢٧ رحم الله الجميع.

ختاما لهذه الجولة التاريخية الممتعة عبر أهم الطرق الصوفية، وأهم الزوايا في الجزائر وفي بعض بلاد المغرب العربي الكبير، رأيت من المفيد تقديم بعض الاقتراحات التي تهم الزوايا وشيوخها لإعطائها دفعا جديدا، وللنهوض بها حتى تؤدي دورها العظيم حاضرا ومستقبلا كما أدته في الماضي على أكمل الوجوه. إنني ومن خلال زياراتي الكثيرة للعديد من الزوايا في مختلف جهات الوطن، واتصالي بطلبتها، وشيوخها لاحظت اقتصار الكثير منها على تحفيظ القرآن الكريم دون أن تظيف إليه تدريس بعض العلوم اللغوية، والدينية التي تساعد الطالب على فهم كتاب الله، واستيعاب معانيه.

وإني، وإن كنت اعتبر تعليم القرآن، مادة أساسية، ورئيسية يجب الحفاظ والسهر عليها لأن القرآن بالنسبة لنا معاشر المسلمين هو دستورنا الذي لا حياة لنا بدونه، فإنني إلى جانب ذلك اعتبر تزويد طالب القرآن بحصيلة علمية واسعة أمر ضروري لا بد منه، ولا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال لأن ذلك يدخل في إطار خدمة القرآن ونشره، وتعليمه ولكن بطريقة أفضل.

وقد كتب في هذا الموضوع قبلي علماء أجلاء، وقدموا اقتراحات بناءة ومفيدة وكان غرضهم الوحيد من ذلك هو النهوض بهذه المؤسسات إلى مستوى يليق بمقامها المجيد، وممن كتب في الموضوع المذكور نشير إلى الشيوخ الأفاضل: أبي يعلى

الزواوي، والمولود الحافظي الأزهري، وابن زكري الذي ألف كتابه المعروف . أوضح الدلائل . وغير هؤلاء من شيوخنا الأعلام رحمهم الله ورضي عنهم.

فإلى جانب تعلّمه للقرآن الكريم يتلقى الطالب في الزوايا نصيبه من مختلف أنواع العلوم والفنون كالفقه والتوحيد والتاريخ والنحو والصرف والبلاغة والمواريث والإنشاء والرياضيات والجغرافيا ... إلخ وهكذا يتخرج الطالب جامعا لشرفي الدنيا والآخرة، وتكون الزوايا بذلك قد خطت خطوة عملاقة في طريق التقدم ومواكبة العصر والخروج من دائرة الجمود وهو أمر لا يتنافى رسالتها المقدسة التي أسست من أجلها بل هو سر تلك الرسالة.

وأعود إلى الطرق الصوفية المنتشرة في بلادنا والتي كان لها دور عظيم في ميدان المقاومة الوطنية، والدعوة إلى الإسلام ونشره، والحفاظ عليه كالرحمانية، والسنوسية، والدرقاوية، والقادرية وغيرها فأقول:

"نظرا لما تتمتع به هذه الطرق الصوفية من تقدير واحترام ومن نفوذ روحي وأدبي واسع على أتباعها ومريديها الذين يشكلون قاعدة واسعة لا يستهان بها داخل الوطن وخارجه على المستوى العالمي،

ونظرا لدورها التاريخي في الوقوف في وجه الحملات الصليبية الهدامة الرامية إلى القضاء على الإسلام ولغة الإسلام في جميع أنحاء العالم،

ونظرا لما قامت به في الماضي من عمل جبار في الدفاع عن حياض الإسلام وأوطان المسلمين والتاريخ خير شاهد على ذلك، نظرا لكل ما تقدم فإن الاهتمام بهذه الطرق الصوفية ورعايتها، والعمل على تنظيمها بات في أولويات هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها بلادنا ويمر بها العالم الإسلامي الديني الذي يتعرض لأخطر المؤثرات التي تستهدف وجوده، لذلك فإن اقتراحنا على بعض الشيوخ إنشاء مجلس أعلى للطرق الصوفية والزوايا يتكون من عشرة إلى عشرين عضوا ينتخبون في جمعية عامة من شيوخ الزوايا ومن المقاديم، ومن ممثلي المريدين والأتباع، وتسند رئاسة هذا المجلس لأحد شيوخ الطرق الصوفية ويعمل هذا المجلس الأعلى للطرق الصوفية والزوايا على:

نشر الوعي الديني، والوطني بين المريدين والأتباع لا سيما في التجمعات الدينية التي تقام في الزوايا.

محاربة البدع وكل ما ينافي تعليم الإسلام الظاهر من شعودة، وخرافات، ومنكرات.

مساهمة الشيوخ والمريدين والأتباع في كل النشاطات الت
التي تخدم مصالح البلاد والعباد، وملء أوقات فراغهم بما يفيد
من علم وعمل.

جمع الزكاة، والتبرعات، وصرفها في وجوه البر والخير والإحس
وفي مقدمتها طلبة الزوايا، والمصالح العامة.

مساعدة العجزة، والضعفاء، وزيارة المرضى في المستشف
وإعانة أصحاب المشاكل على حَلُ مشاكلهم.

تنظيم حملات لمحو الأمية بالنسبة للمريدين والأتباع.

إعداد برنامج ديني للشيوخ يزودون فيه بالأصول الصحيح
للتصوف الحقيقي وبالخطط التوجيهية التي تعينهم على
النهوض بواجباتهم وأدائها على أكمل الوجوه.

هذه باختصار شديد بعض المهام التي أردنا الإشارة إليها وهنا
مهام كثيرة أخرة يمكن للمجلس القيام بها، ونترك الحديث عنها
وتحديدها لأعضائه من الشيوخ الأفاضل.

وللتذكير فإن مثل هذا المجلس قد تم إنشاؤه في جمهورية
مصر العربية الشقيقة باقتراح من العلامة الأزهري الكبير فضيلة
الشيخ السيد سابق الأستاذ في جامع الأزهر وبموافقة الإمام الأكبر
الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، رحمه الله، وموافقة

وزارة الأوقاف، ووزارة الشؤون الاجتماعية، ومشيخة الطرق الصوفية في مصر.

والحمد لله أولا وأخيرا

ولنختم هذه الجولة التاريخية مع القراء الكرام بهذه الكلمة الرائعة للإمام الراحل الدكتور أحمد الشرباصي رحمه الله ورضي عنه.

في ركاب الصوفية

لله الحمد، "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب"، نشهد أن لا إله إلا أنت، تهدي النفوس من ضلالها، وتكسوها بأثواب جمالها: "والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب". ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك، صبر كما صبر أولو العزم من الرسل. ففاز ونجا، وأرشد وهدى، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأئمة الهداة الصادقين، وأصحابه خيرة الموقنين السابقين، وأتباعه المعتصمين بحبل الله المتين: "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب".

يا أتباع محمد عليه السلام ...

تعالوا نشطح مع الصوفية، فننسى أمور هذه الدنيا قليلا، ونتسامى إلى ركاب أولئك الأعلام، الذين أرادوا أن يضربوا للناس المثل العليا، بإعراضهم عن شهواتهم، واستخفافهم بلذاتهم

ورغبات نفوسهم، وإقبالهم على الله وحده، يدعونه ويعبدونه، ويرتجون منه العون والسداد.

والصوفية الصادقون، أيها الناس طائفة من البشر، وهبهم الله قلوبا طاهرة، ونفوسا بالخير عامرة، وأرواحا لربها ذاكرة، فهي تهيم في ملكوت السموات والأرض، وتتدبر في اختلاف الليل والنهار، وتعتبر بساطع الدلائل والآثار، فتهتف من الأعماق: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ! ...

تراهم مثلا يعلمون المرء أن لا يفتخر بعمل، أو يزهو بقربة من القربات، فإن الفخار والكبرياء والاغترام بما يقدم الإنسان نحو ربه من أعمال سبب لمحقها ورفضها وعدم الإثابة عليها، وكم من أناس تاهوا على غيرهم، وافتخروا بأنهم أقوى منهم إيمانا أو أكثر صلاحا، فكان افتخارهم هذا محبطا لما قدموا من عمل حتى جعله هباء منثورا، ولذلك نجد الصوفية يوصوننا بالتواضع لأن من تواضع لله رفعه، ومن تكبر عليه قصمه ووضعه، ويفضلون من أخطأ فندم وتاب واستغفر واستقام، على من أطاع الله ثم تباهى على غيره، وتطاول بين العباد بتلك الطاعة، ولذلك نجد الصوفي الكبير ابن عطاء الله السكندري يقول في هذا المقام: "رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا". ولذلك أيضا كان الصوفي الصادق منهم يعمل ما يعمل من الخيرات، ويقدم إلى ربه ما يقدم من الطيبات، وينهض بما ينهض به من

الصالحات، فإذا بشره أحد بالجنة أو الخلاص من العذاب، خاف وارتعش، وتضاءل وانكمش، وقال: إني لا آمن مكر الله، اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تفضحني على رؤوس الأشهاد يا رب العالمين.

والصوفي الصادق رجل رزين هادئ، لا يكثر من الادعاء والتظاهر، ولا يحاول أن يكشف للناس ما أستتر من تقواه، وإلا كان مرائيا، والرياء هو الشرك الخفي الذي يدب دبيبه المستتر إلى الإيمان الصحيح فيفسده ويلوثه، بل يظل الصوفي يعبد ربه مخلصا له الدين، محتجب عن عيون الناس ما استطاع، ويعلم أن الأخيار الأبرار قد ذهبوا وطواهم الثرى إلى غير رجعة، وأن الناس كانوا ورقا بلا شوك فأصبحوا شوكا بلا ورق، فهو يجلس مع العامة بجسمه، ولكن قلبه يهيم في أودية أخرى، وقد يبدو بينهم هادئا ساكنا في صورته وظاهره، ولكنه في داخله يتفتت غما وكمدا، أو يميد خوفا ورهبا، وإن شئت الدليل فها هو ذا شيخ الصوفية الجنيد الذي صافى المعاملة مع ربه، وانصرف عن دنياه إلى آخرته، وعمر ليله ونهاره بحسن العمل وجمال التقوى، هذا الجنيد كان يجلس فيسمع آيات الذكرى والاعتبار، وشواهد العظة والأذكار، فتضطرب لها نفسه ويقشعر فؤاده، ولكنه رغم هذا يظل وقورا ثابتًا كأنه لم يصبه شيء، لأن هذا شيء بينه وبين خالقه، يريد أن يتحقق فيه الإخلاص الذي جعله الله سرا من أسراره، يودعه قلب من يشاء من عباده، فلا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان

فيفسده، حتى يلقى به ربه يوم القيامة، فيثيبه عليه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. . . . ولقد سأل بعضهم الجنيد نفسه عن سر هذا السكوت، وقال له: لماذا لا نراك تتحرك بشيء عند السماع؟ فأجابه الجنيد بذلك الجواب المسكت البليغ: "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب" . . ولو فرضنا واشتهر الصوفي بين قومه بالصلاح والتقوى لانتشار الخير عنه، وسطوع النور منه، وتوالي البركات على يديه، فإنه كان لا ينخدع بذلك أو يغتر، بل يخاف من ذلك ويهاب وهذا بشر الحافي مثلا، وهو صوفي علم إمام، كان يرتعد خشية من مثل هذا فيردد في فراش مرضه هذا الدعاء: "إلهي، رفعتني فوق قدري، ونوهت باسمي، وشهرتني بين الناس، فأسألك بوجهك الكريم ألا تفضحني غدا يوم القيامة".

ومن أخلاق الصوفية الصادقين أيضا أنهم لا يطلبون ما في أيدي الناس، ولا يتكالبون على متاع الدنيا، ولا يثقون بمغريات هذا العالم، بل يرفعون أبصارهم نحو السماء، ويتجهون بهممهم وعزائمهم إلى خالقهم، ويسألونه من فضله العميم في الدار الآخرة، لأنها دار البقاء والهناء والنعيم المقيم، "وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون". ولذلك نرى سفيان بن سعيد الثوري، وهو إمام من أئمة الصوفية وعلم من أعلامهم، كان عزوفا عن الحياة زاهدا فيها، كثير الجوع تشغله العبادة والعمل الصالح

عن الطعام والشراب والثياب، وكان يميل إلى العزلة والفرار من الناس، حتى لا يصيبه شيء من سحت دنياهم أو باطل متاعهم، وكان كثيرا ما يردد هذا النداء، البهائم يزجرها الراعي فتزجر عن هواها، وأراني لا يزجرني كتابك عما أهواه، فيا سوأتاه ! . . وكان يتهم نفسه فيحرمها من كثير من الرغبات، لا عن مرض أو ضعف أو عدم تذوق للطيبات، ولكنه كان يفعل ذلك انتظارا لما هو أجدى وأبقى، وهو النعيم المقيم في الفردوس العظيم تحت ظلال الكريم الحليم، ولذلك لما مات رآه بعضهم في النوم فسأله عن حاله وعما فعل به ربه، فقال سفيان بن سعيد الثوري:

نظرت إلى ربي عيانا، فقال لي: هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصد أردته وزرني فإني منك غير بعيد !

والصوفية قوم يخافون الحياة الآخرة أشد الخوف، ويهابون غضب الجبار فيها أشد الهيبة، ويتعبون من أجلها كل التعب، ويستعدون للقائها أكمل الاستعداد لعلمهم اليقيني الأكيد أنها دار المعاد والقرار، وأن هذه الحياة الدنيا بمظالمها ومآثمها وشرورها وعجلتها، لا يمكن أن تكون نهاية أبدية للبشرية، وإلا فما أقسى ما يرتكبه الظالمون والفاسقون والمجرمون فيها من سيئات ومقابح، ويتركون فيها بلا حساب أو عقاب، لأن عين البشر مهما

قويت وحرصت لا يمكنها بحال من الأحوال أن تنشر العدالة الكاملة في أرجاء الدنيا، أو تأخذ كل مجرم بجرمه، وكم في الدنيا من آلاف الطلقاء أو ملايينهم وكان الأولى بهم غيابات السجون، وكم من آلاف المأخوذين بجرم غيرهم، وكان الأجدر بهم أن ينالوا حظهم من الحرية والتكريم . . .

ولذلك ترى الصوفية يرتعدون كلما ذكر اليوم الآخر، ويرتعشون كلما مر عليهم ذكر الحساب والعقاب، ويتعلقون بأسباب الأمل والرجاء حينما تدار عليهم كؤوس الحديث عن جنان النعيم، وتتقطع أفئدتهم خشية حينما يمر حديث الجحيم . . . ولم لا وهم يسمعون الجبار يقول في تنزيله المجيد: "إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا، نحن خلقناهم وشددنا أسرهم، وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا، إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما، يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما".

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ...

تخففوا ولو قليلا من أثقال دنياكم، وولوا وجوهكم شطر ربكم ولو من حين لحين، فإن الاتجاه إليه يورث الاعتبار والذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين، وما أجدرنا ونحن عبيد لشهواتنا ولذاتنا أن نتطلب الدواء الشافي والعلاج الواقي والطهور النقي من لدن

الله رب العالمين، فهو الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم بإذنه إلى صراط العزيز الحميد، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

شكر وتقدير

يسرني في ختام هذا الكتاب أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل الذين ساعدوني من قريب أو بعيد على إنجازه، وأخص بالذكر منهم الفاضل الزكي الأستاذ خالد عدلان شيخ الطريقة العلاوية على حسن استقباله وعلى ما قدمه إليّ من كتب ووثائق، والأستاذ الفاضل عبدالمجيد الحملاوي شيخ الزاوية الحملاوية الذي وجدت لديه كل أنواع الدعم والعون والمساعدة، والأستاذ الكريم عبدالقادر عثماني شيخ الزاوية العثمانية الذي تفضل مشكورا ففتح لي أبواب المكتبة العثمانية العامرة التي استفدت كثيرا من كنوزها، والأستاذ الكبير شنتوف شيخ زاوية سيدي ابن عبدالله الذي قدم لي من وسائل الدعم والتشجيع ما يعجز القلم عن وصفه، وأخيرا الشاب المهذب الأديب نورالدين مزيان عضو المكتب الولائي للزوايا بمعسكر على كل ما قدمه لي من معلومات ووثائق عن تلك المنطقة الغنية بأمجادها وبطولاتها.

إلى هؤلاء جميعا وإلى الذين لم أذكر أسماءهم خالص شكري وعظيم امتناني.

المؤلف

فهرس الأعلام

أهم مراجع الكتاب

المقدمة	ابن خلدون
حاضر العالم الإسلامي	تعليق: شكيب أرسلان
معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة
تعريف الخلف برجال السلف	أبو القاسم محمد الحفناوي
كتاب الجزائر	أحمد توفيق المدني
حيات كفاح	
تاريخ الجزائر العام	عبد الرحمن الجيلالي
تاريخ الجزائر الثقافي	أبو القاسم سعد الله
الحركة الوطنية الجزائرية	
انتشار الإسلام في القارة الإفريقية	حسن إبراهيم حسن
دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني	ناصر الدين سعيدوني
دراسات في الأدب المغربي القديم	عبد الله حمادي
جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري	محمود بوعياد
نشأة المرابطين والطرق الصوفية	فيلالي مختار
تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول	محمد الهادي العامري
معركة الإسلام في إفريقية	عبده بدوي
التصوف والأمير عبد القادر	جواد المرابط
الأمير عبد القادر الجزائري	فؤاد صالح السيد

آثار ابن باديس	وزارة الشؤون الدينية
أم الحواضر في الماضي والحاضر	محمد المهدي بن علي شغيب
إسلام بلا مذاهب	مصطفى الشكعة
الدعوة إلى الإسلام	محمد أبو زهرة
النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية	المكي بن عزوز
قطف الزهرات من أخبار علماء توات	عبد العزيز سيدي عمر
فيض الخاطر	أحمد أمين
معركة الإسلام والصليبية	صالح عوض
الصحف العربية الجزائرية	محمد ناصر
بين المناهل في الأجوبة والرسائل	أحمد بن مصطفى العلاوي
الروضة السنية في المآثر العلاوية	عدة بن تونس
صفحات في تاريخ مدينة الجزائر	نور الدين عبد القادر
الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني	محمد بن عبد الله بن حسين
أبو العباس المرسي	محمد محمود زيتوني
أبو الحسن الشاذلي الصوفي المجاهد	عبد الحليم محمود
الصروف في تاريخ الجزائر والصحراء وسوف	إبراهيم العوامر
تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر	محمد بن الأمير عبد القادر
تاريخ الأوراس	جمعية أول نوفمبر
مجموع الحسب والنسب	بلهاشمي بن بكارة

الدوريات

مجلة التراث.

مجلة الأصالة.

مجلة الثقافة.

المجلة الإفريقية.

مجلة المرشد للشيخ عدة بن تونس.

جرائد: الشعب - السلام - النصر - الأوراس - الخبر - الشروق - الملحق الثقافي للشروق - مجموع جريدة البلاغ للشيخ أحمد بن عليوة.

فهرس الموضوعات

كتب طبعت للمؤلف

الثورة في الأدب الجزائري.

تقديم الأستاذ الكبير أحمد توفيق المدني وزير الأوقاف.

طبع بالقاهرة سنة ١٩٦٣ وأعيد طبعه سنة ١٩٩١.

القائد.الفاتح عقبة بن نافع الفهري القرشي.

تقديم الأستاذ يوسف يعلاوي لأمين العام لمنظمة المجاهدين

طبع بالجزائر سنة ١٩٨٦.

أضواء على حياة خالد بن سنان العبسي.

طبع بالجزائر سنة ١٩٨٦.

Ouvrage réalisé par
l'Atelier Graphique Albouraq
2002

Impression achevée en Septembre 2002 sur les presses de Dar Albouraq
Beyrouth–Liban